قائمیه

مرکز تحقیقات رایانه‌ای

اصفهان

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الميرزا حبيب الله الهاشمي

الخوئي قدس سره

الجزء الثامن

من منشورات

المكتبة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحیم

منهاج البراعه في شرح نهج البلاغه

نويسنده:

حبيب الله خوئى

ناشر چاپي:

المكتبة الاسلامية

ناشر ديجيتالي:

مركز تحقيقات رايانه‌اي قائميه اصفهان

فهرست

فهرست ----- ۵

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی - فارسی) جلد ۸ ----- ۱۹

مشخصات کتاب ----- ۱۹

تتمهٔ باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره ----- ۱۹

تتمهٔ المختار المأة و التاسع ----- ۲۰

تتمهٔ المعنى من المختار المأة و التاسع ----- ۲۰

اشارهٔ ----- ۲۰

تكملهٔ ----- ۲۷

بيان ----- ۳۰

الترجمهٔ ----- ۳۱

و من خطبهٔ له عليه السّلام و هى المأة و العاشرهٔ ----- ۳۲

اشارهٔ ----- ۳۲

اللغهٔ ----- ۳۵

الاعراب ----- ۳۵

المعنى ----- ۳۷

تكملهٔ ----- ۴۷

الترجمهٔ ----- ۴۹

و من خطبهٔ له عليه السّلام و هى المأة و الحاديهٔ عشر ----- ۵۲

اشارهٔ ----- ۵۲

اللغهٔ ----- ۵۳

الاعراب ----- ۵۳

المعنى ----- ۵۳

اشارهٔ ----- ۵۳

تنبيه ----- ۵۵

الترجمة ----- ۵۹
و من خطبة له علیه السّلام و هی المأة و الثانیة عشر من ----- ۵۹
اشارة ----- ۵۹
اللغة ----- ۶۱
الاعراب ----- ۶۱
المعنی ----- ۶۲
الترجمة ----- ۶۸
و من خطبة له علیه السّلام و هی المأة و الثالثة عشر من المختار ----- ۷۰
اشارة ----- ۷۰
اللغة ----- ۷۲
الاعراب ----- ۷۳
المعنی ----- ۷۳
الترجمة ----- ۸۸
و من خطبة له علیه السّلام فی الاستسقاء و هی المأة و الرابعة ----- ۹۱
اشارة ----- ۹۱
اللغة ----- ۹۳
الاعراب ----- ۹۴
المعنی ----- ۹۶
اشارة ----- ۹۶
تکملة ----- ۱۰۱
بیان ----- ۱۰۴
الترجمة ----- ۱۰۷
و من خطبة له علیه السّلام و هی المأة و الخامسة عشر من المختار ----- ۱۰۹
اشارة ----- ۱۰۹
اللغة ----- ۱۱۰
الاعراب ----- ۱۱۱

المعنی ----- ۱۱۱
الترجمة ----- ۱۱۷
و من کلام له علیه السّلام و هو المأة و السادس عشر من ----- ۱۱۸
اشارة ----- ۱۱۸
اللغة ----- ۱۱۸
الاعراب ----- ۱۱۹
المعنی ----- ۱۱۹
الترجمة ----- ۱۲۰
و من کلام له علیه السّلام و هو المأة و السابع عشر من المختار ----- ۱۲۰
اشارة ----- ۱۲۰
اللغة ----- ۱۲۱
الاعراب ----- ۱۲۱
المعنی ----- ۱۲۱
الترجمة ----- ۱۲۲
و من کلام له علیه السّلام و هو المأة و الثامن عشر من المختار ----- ۱۲۲
اشارة ----- ۱۲۲
اللغة ----- ۱۲۳
الاعراب ----- ۱۲۳
المعنی ----- ۱۲۴
الترجمة ----- ۱۲۶
و من کلام له علیه السّلام و هو المأة و التاسع عشر من المختار ----- ۱۲۹
اشارة ----- ۱۲۹
اللغة ----- ۱۲۹
الاعراب ----- ۱۲۹
المعنی ----- ۱۳۰
الترجمة ----- ۱۴۷

و من كلام له عليه السّلام و هو المأة و العشرون من المختار ----- ۱۴۸
اشارة ----- ۱۴۸
اللغة ----- ۱۴۹
الاعراب ----- ۱۵۰
المعنى ----- ۱۵۱
اشارة ----- ۱۵۱
تكملة ----- ۱۵۸
الترجمة ----- ۱۵۸
و من كلام له عليه السّلام و هو المأة و الاحد و العشرون ----- ۱۵۹
اشارة ----- ۱۵۹
اللغة ----- ۱۶۱
الاعراب ----- ۱۶۱
المعنى ----- ۱۶۳
اشارة ----- ۱۶۳
تنبيه ----- ۱۶۶
الترجمة ----- ۱۶۷
و من كلام له عليه السّلام و هو المأة و الثانى و العشرون من المختار ----- ۱۶۹
اشارة ----- ۱۶۹
اللغة ----- ۱۶۹
الاعراب ----- ۱۶۹
المعنى ----- ۱۷۰
الترجمة ----- ۱۷۲
و من كلام له عليه السّلام و هو المأة و الثالث و العشرون من ----- ۱۷۳
اشارة ----- ۱۷۳
اللغة ----- ۱۷۳
الاعراب ----- ۱۷۳

المعنى ----- ۱۷۳
اشارة ----- ۱۷۳
تنبیه ----- ۱۷۴
الترجمة ----- ۱۷۵
و من كلام له عليه السّلام فى حثّ اصحابه على القتال و هو المأة ----- ۱۷۵
اشارة ----- ۱۷۵
اللغة ----- ۱۷۷
الأعراب ----- ۱۷۸
المعنى ----- ۱۷۹
اشارة ----- ۱۷۹
تكملة ----- ۱۸۳
و فى كلام له آخر ----- ۱۸۴
تذكرة ----- ۱۸۶
الترجمة ----- ۱۸۷
و من كلام له عليه السّلام فى التحكيم و هو المأة و الخامس ----- ۱۸۸
اشارة ----- ۱۸۸
اللغة ----- ۱۸۹
الاعراب ----- ۱۹۰
المعنى ----- ۱۹۱
الترجمة ----- ۲۰۰
و من كلام له عليه السّلام لما عوتب على التسوية فى العطاء ----- ۲۰۱
اشارة ----- ۲۰۱
اللغة ----- ۲۰۲
الاعراب ----- ۲۰۲
المعنى ----- ۲۰۲
تنبيه ----- ۲۰۴

اشارهٔ ----- ۲۰۴
اقول لا يخفى ما فى ذلک من وجوه الكلام و ضروب الملام ----- ۲۰۷
اشارهٔ ----- ۲۰۷
قال العلامهٔ المحدث المجلسى: ----- ۲۰۹
تکملهٔ ----- ۲۱۱
الترجمهٔ ----- ۲۱۲
و من كلام له عليه السّلام قاله للخوارج و هو المأهٔ و السابع ----- ۲۱۳
اشارهٔ ----- ۲۱۳
اللغهٔ ----- ۲۱۴
الاعراب ----- ۲۱۵
المعنى ----- ۲۱۵
الترجمهٔ ----- ۲۲۱
و من خطبهٔ له عليه السّلام فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرهٔ ----- ۲۲۲
اشارهٔ ----- ۲۲۲
الفصل الاول ----- ۲۲۲
اشارهٔ ----- ۲۲۲
اللغهٔ ----- ۲۲۳
الاعراب ----- ۲۲۳
المعنى ----- ۲۲۳
الترجمهٔ ----- ۲۲۷
الفصل الثانى منها ----- ۲۲۷
اشارهٔ ----- ۲۲۷
اللغهٔ ----- ۲۲۸
الاعراب ----- ۲۲۹
المعنى ----- ۲۲۹
اشارهٔ ----- ۲۲۹

الأول ---------- ۲۳۴

الوجه الثانی ---------- ۲۳۹

الوجه الثالث ---------- ۲۴۲

تذکرۀ ---------- ۲۴۵

الترجمۀ ---------- ۲۴۶

و من خطبۀ له علیه السّلام فی ذکر المکائیل و الموازین ---------- ۲۴۷

اشارۀ ---------- ۲۴۷

اللغۀ ---------- ۲۴۸

الاعراب ---------- ۲۴۹

المعنی ---------- ۲۴۹

الترجمۀ ---------- ۲۵۳

و من کلام له علیه السّلام لابی ذر (ره) لما اخرج الی الربذۀ ---------- ۲۵۵

اشارۀ ---------- ۲۵۵

اللغۀ ---------- ۲۵۵

الاعراب ---------- ۲۵۶

المعنی ---------- ۲۵۶

اشارۀ ---------- ۲۵۶

تنبیه ---------- ۲۵۷

فی ذکر نبذ من أحوال أبی ذر و فضائله و کیفیۀ اسلامه و اخراجه ---------- ۲۵۷

و أما مناقبه الجمیلۀ و خصاله الحمیدۀ و کراماته البدیعۀ ---------- ۲۵۹

و أما کیفیۀ اخراجه الی الربذۀ و ما جری بینه و بین عثمان ---------- ۲۶۱

الترجمۀ ---------- ۲۷۴

و من کلام له علیه السّلام و هو المأۀ و الاحد و الثلاثون من ---------- ۲۷۴

اشارۀ ---------- ۲۷۴

اللغۀ ---------- ۲۷۵

الاعراب ---------- ۲۷۶

المعنی ---------- ۲۷۶
اشارهٔ ---------- ۲۷۶
تبصرهٔ ---------- ۲۸۴
تنبیه ---------- ۲۸۶
اشارهٔ ---------- ۲۸۶
فأما العلامهٔ المجلسی ---------- ۲۸۷
و أما الشیخ المفید قدس اللّه روحه ---------- ۲۸۸
فأما الاشعار التی تؤثر عن الصحابهٔ فی الشهادهٔ له علیه السّلام بتقدیم الایمان ---------- ۲۹۸
فمن ذلک قول خزیمهٔ بن ثابت ذی الشهادتین رحمهٔ الله علیه: ---------- ۲۹۸
و منه قول کعب بن زهیر: ---------- ۲۹۸
و منه قول حسان بن ثابت: ---------- ۲۹۸
و منه قول ربیعهٔ بن الحارث بن عبد المطلب حیث یقول عند بیعهٔ أبی بکر: ---------- ۳۰۰
و منه قول فضل بن عتبهٔ بن أبی لهب فیما ردّ به علی الولید بن عقبهٔ فی ---------- ۳۰۰
و منه قول مالک بن عبادهٔ الغافقی حلیف حمزهٔ بن عبد المطلب رحمهٔ الله علیه: ---------- ۳۰۱
و منه قول عبد اللّه بن ابی سفیان بن الحارث بن عبد المطلب: ---------- ۳۰۱
و منه قول النجاشی بن الحارث بن کعب: ---------- ۳۰۱
و منه قول جریر بن عبد اللّه البجلی: ---------- ۳۰۱
و منه قول عبد اللّه بن حکیم التمیمی: ---------- ۳۰۲
و منه قول عبد اللّه بن جبل حلیف بنی جمح: ---------- ۳۰۳
و منه قول ابی الاسود الدئلی: ---------- ۳۰۳
و منه قول زفر بن زید بن حذیفهٔ الاسدی: ---------- ۳۰۳
و منه قول قیس بن سعد بن عبادهٔ بصفین: ---------- ۳۰۳
و منه قول هاشم بن عتبهٔ بن أبی وقاص بصفین: ---------- ۳۰۳
و أما الشارح المعتزلی ---------- ۳۱۴
الترجمهٔ ---------- ۳۱۵
و من خطبهٔ له علیه السّلام و هی المأهٔ و الثانی و الثلاثون من ---------- ۳۱۶

اشارهٔ ----- ۳۱۶
اللغهٔ ----- ۳۱۷
الاعراب ----- ۳۱۸
المعنی ----- ۳۲۱
اشارهٔ ----- ۳۲۱
اما الفصل الاول ----- ۳۲۱
و أما الفصل الثانی (منها) ----- ۳۲۲
الترجمهٔ ----- ۳۲۵
و من خطبهٔ له علیه السّلام و هی المأهٔ و الثالثهٔ و الثلاثون ----- ۳۲۶
اشارهٔ ----- ۳۲۶
الفصل الاول ----- ۳۲۶
اشارهٔ ----- ۳۲۶
اللغهٔ ----- ۳۲۷
الاعراب ----- ۳۲۸
المعنی ----- ۳۲۸
اشارهٔ ----- ۳۲۸
الفصل الاول ----- ۳۲۸
الفصل الثانی منها ----- ۳۳۱
و الفصل الثالث منها ----- ۳۳۲
الترجمهٔ ----- ۳۳۲
الفصل الثانی منها: ----- ۳۳۳
اشارهٔ ----- ۳۳۳
اللغهٔ ----- ۳۳۴
الاعراب ----- ۳۳۴
المعنی ----- ۳۳۵
الترجمهٔ ----- ۳۴۲

و من كلام له عليه السّلام و قد شاوره عمر بن الخطاب فى ---------- ۳۴۳
اشارة ---------- ۳۴۳
اللغة ---------- ۳۴۴
الاعراب ---------- ۳۴۴
المعنى ---------- ۳۴۴
الترجمة ---------- ۳۴۶
و من كلام له عليه السّلام و هو المأة و الخامس و الثلاثون ---------- ۳۴۶
اشارة ---------- ۳۴۶
اللغة ---------- ۳۴۷
الاعراب ---------- ۳۴۸
المعنى ---------- ۳۴۸
اشارة ---------- ۳۴۸
تنبيه ---------- ۳۵۰
الترجمة ---------- ۳۵۲
و من كلام له عليه السّلام و هو المأة و السادس و الثلاثون من ---------- ۳۵۳
اشارة ---------- ۳۵۳
اللغة ---------- ۳۵۳
الاعراب ---------- ۳۵۳
المعنى ---------- ۳۵۴
اشارة ---------- ۳۵۴
تكملة ---------- ۳۵۵
الترجمة ---------- ۳۵۶
و من كلام له عليه السّلام فيمعنى طلحة و الزبير و هو المأة ---------- ۳۵۶
اشارة ---------- ۳۵۶
اللغة ---------- ۳۵۷
الاعراب ---------- ۳۵۹

المعنی ----- ۳۵۹
اشارهٔ ----- ۳۵۹
تنبیه ----- ۳۶۴
الترجمهٔ ----- ۳۶۷
و من خطبهٔ له علیه السّلام فی ذکر الملاحم و هی المأهٔ و الثامنهٔ ----- ۳۶۹
اشارهٔ ----- ۳۶۹
و شرحها فی فصلین: الفصل الاول ----- ۳۶۹
اشارهٔ ----- ۳۶۹
اللغهٔ ----- ۳۶۹
الاعراب ----- ۳۷۰
المعنی ----- ۳۷۱
اشارهٔ ----- ۳۷۱
تنبیه ----- ۳۷۷
الترجمهٔ ----- ۳۸۰
الفصل الثانی منها ----- ۳۸۱
اشارهٔ ----- ۳۸۱
اللغهٔ ----- ۳۸۱
الاعراب ----- ۳۸۱
المعنی ----- ۳۸۲
الترجمهٔ ----- ۳۸۴
و من کلام له علیه السّلام فی وقت الشوری و هو المأهٔ ----- ۳۸۵
اشارهٔ ----- ۳۸۵
اللغهٔ ----- ۳۸۵
الاعراب ----- ۳۸۵
المعنی ----- ۳۸۶
الترجمهٔ ----- ۳۸۸

و من كلام له عليه السّلام فى النهى عن غيبة الناس و هو المأة ----- ۳۸۸

اشارة ----- ۳۸۸

اللغة ----- ۳۸۹

الاعراب ----- ۳۸۹

المعنى ----- ۳۹۱

تنبيه ----- ۳۹۴

اشارة ----- ۳۹۴

الكلام ----- ۳۹۴

الامر الاول ----- ۳۹۴

الثانى فى الأدلة الدالّة على حرمة الغيبة ----- ۳۹۸

و أما الكتاب ----- ۳۹۸

و أما السنة ----- ۴۰۰

الثالث فى دواعى الغيبة ----- ۴۰۴

فالاول تشفى الغيظ ----- ۴۰۴

الثانى موافقة الأقران و مجاملة الرفقاء و مساعدتهم على الكلام ----- ۴۰۴

الثالث أن يستشعر من انسان أنّه سيقصده و يطول لسانه عليه ----- ۴۰۴

الرابع أن ينسب إلى شىء فيريد أن يتبرّء منه فيذكر الذى فعله ----- ۴۰۵

الخامس إرادة التصنّع و المباهات ----- ۴۰۵

السادس الحسد و هو أنّه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ----- ۴۰۵

السابع اللّعب و الهزل و المطايبة ----- ۴۰۵

الثامن السّخرية و الاستهزاء استحقارا له ----- ۴۰۵

التاسع الرّحمة ----- ۴۰۵

العاشر الغضب للّه تعالى ----- ۴۰۵

الرابع فى عدم جواز استماع الغيبة ----- ۴۰۷

الخامس فى مستثنيات الغيبة ----- ۴۰۸

الاول التظلّم ----- ۴۰۹

الثانی نصح المستشیر ---------- ۴۰۹
الثالث الاستفتاء ---------- ۴۰۹
الرابع تحذیر المسلم ---------- ۴۱۰
الخامس قصد ردع المغتاب عن المنکر الذی یفعله ---------- ۴۱۰
السادس باب التّرجیح و التّعدیل فی الرّوایهٔ ---------- ۴۱۰
السابع دفع الضّرر عن المغتاب ---------- ۴۱۱
الثامن ذکر الشخص بعینه الّذی صار بمنزلهٔ الصّفهٔ الممیّزهٔ ---------- ۴۱۱
التاسع إظهار العیوب الخفیّهٔ ---------- ۴۱۱
العاشر ردّ من ادّعی نسبا لیس له ---------- ۴۱۱
الحادی عشر إذا علم اثنان عن رجل معصیهٔ ---------- ۴۱۱
الثانی عشر غیبهٔ المتجاهر بالفسق ---------- ۴۱۱
السادس فی معالجهٔ الغیبهٔ ---------- ۴۱۳
السابع فی کفارهٔ الغیبهٔ ---------- ۴۱۴
الترجمهٔ ---------- ۴۱۷
و من کلام له علیه السّلام و هو المأهٔ و الحادی و الاربعون من ---------- ۴۱۸
اشارهٔ ---------- ۴۱۸
اللغهٔ ---------- ۴۱۸
الاعراب ---------- ۴۱۹
المعنی ---------- ۴۱۹
الترجمهٔ ---------- ۴۲۳
و من کلام له علیه السّلام و هو المأهٔ و الثانی و الاربعون من ---------- ۴۲۳
اشارهٔ ---------- ۴۲۳
اللغهٔ ---------- ۴۲۴
الاعراب ---------- ۴۲۴
المعنی ---------- ۴۲۵
اشارهٔ ---------- ۴۲۵

تذنیب فی الاخبار الواردهٔ فی ذمّ وضع المعروف فی غیر موضعه و مع ---------- ۴۳۰
الترجمهٔ ---------- ۴۳۱
درباره مرکز ---------- ۴۳۲

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی - فارسی) جلد 8

مشخصات كتاب

سرشناسه:خوئی، حبیب الله بن محمدهاشم، 1268 - 1324ق.

عنوان و نام پدیدآور:منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه/ لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر:تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم، 13 -

مشخصات ظاهری:20 ج.

شابک:150 ریال (ج. 8)

یادداشت:عربی.

یادداشت:فهرستنویسی براساس جلد هشتم، 1386 ق.= 1344.

یادداشت:چاپ دوم.

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق. -- کلمات قصار

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق -- خطبه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق. -- نامه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده:میانجی، ابراهیم، 1292 - 1370.، مصحح

شناسه افزوده:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره:BP38/02/خ9 1300ی

رده بندی دیویی:297/9515

شماره کتابشناسی ملی:199206

ص:1

تتمة باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره

تتمة المختار المأة و التاسع

تتمة المعنى من المختار المأة و التاسع

اشارة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

ثمّ انّه عليه السّلام لما فرغ من تعداد أفضل الوسائل إلى اللّه سبحانه و أشرف ما يتقرّب به إليه تعالى أردفه بالأمر بما هو موجب لكماله و تمامه فقال عليه السّلام:

(أفيضوا) أى اندفعوا (فى ذكر اللّه فانّه أحسن الذّكر) لما يترتب عليه من الثّمرات الدّنيويّة و الأخرويّة حسبما عرفته فى التنبيه الثانى من تنبيهات الفصل السّادس من فصول الخطبة الثانية و الثمانين (و ارغبوا فيما وعد المتّقين) بقوله: «للّذين اتّقوا عند ربّهم جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها و أزواج مطهّرة و رضوان من اللّه و اللّه بصير بالعباد».

و الرّغبة فيه إنّما هو بتحصيل التقوى و الاتّصاف بأوصاف المتّقين الّذين:

«يقولون ربّنا إنّنا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا و قنا عذاب النّار الصّابرين و الصّادقين و القانتين و المنفقين و المستغفرين بالأسحار».

(فإنّ وعده) سبحانه (أصدق الوعد) أى لا يخلف الميعاد لأنّ الخلف منشاه إمّا البخل أو العجز، و كلاهما محالان على اللّه سبحانه (و اقتدوا بهدى نبيّكم) أى بسيرته صلّى اللّه عليه و آله (فانّه أفضل الهدى) لأنّه إذا كان أفضل الأنبياء كانت سيرته أفضل السّير (و استنّوا بسنّته) أى بطريقته سلام اللّه عليه و آله (فانّها أهدى السّنن)

ص:2

و أقرب الطرق الموصلة إلى الحقّ سبحانه (و تعلّموا القرآن فانّه أحسن الحديث) أى أحسن الكلام، و سمّى الكلام به لتجدّده و حدوثه شيئا فشيئا، و قد مضى فى شرح الفصل السّابع عشر من فصول الخطبة الاولى بعض امور المهمّة المتعلّقة بالقرآن، و لعلوّ مقامه و سموّ مكانه و حسن نظمه و جلالة قدره و بعد غوره و عذوبة معناه و دقّة مغزاه و اشتماله على ما لم يشتمل عليه غيره من كلام المخلوقين كان أحسن الكلام و أمر عليه السّلام بتعلّمه بذلك الاعتبار مضافا إلى ما يترتّب على تعلّمه من عظيم الفوائد و مزيد القسم و العوايد.

كما يشهد به ما رواه ثقة الاسلام الكلينىّ عطر اللّه مضجعه عن علىّ بن محمّد عن علىّ بن العبّاس عن الحسين بن عبد الرّحمن عن سفيان الحريرى عن أبيه عن سعد الخفاف عن أبى جعفر عليه السّلام قال: يا سعد تعلّموا القرآن فانّ القرآن يأتى يوم القيامة فى أحسن صورة نظر إليه الخلق، و النّاس صفوف عشرون و مائة ألف صفّ ثمانون ألف صفّ امّة محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أربعون ألف صفّ من ساير الامم فيأتى على صفّ المسلمين فى صورة رجل فيسلّم فينظرون إليه، ثمّ يقولون: لا إله إلا اللّه الحليم الكريم إنّ هذا الرّجل من المسلمين نعرفه بنعته و صفته غير أنه كان أشدّ اجتهادا منّافى القرآن، فمن هناک اعطى من البهاء و الجمال و النور ما لم نعطه، ثمّ يتجاوز حتّى يأتى على صفّ الشهداء فينظر إليه الشهداء ثمّ يقولون لا إله إلاّ اللّه الرّبّ الرّحيم انّ هذا الرّجل من الشّهداء نعرفه بسمته و صفته غير أنّه من شهداء البحر فمن هناک اعطى من البهاء و الفضل ما لم نعطه، قال فيجاوز حتّى يأتى صفّ شهداء البحر فى صورة شهيد فينظر إليه شهداء البحر فيكثر تعجّبهم و يقولون إنّ هذا من شهداء البحر نعرفه بسمته و صفته غير أنّ الجزيرة التى اصيب فيها كانت أعظم هولا من الجزيرة «الجزائر خ» التى اصبنا فيها فمن هناک اعطى من البهاء و الجمال و النّور ما لم نعطه، ثمّ يجاوز حتّى يأتى صفّ النبيّين و المرسلين فى صورة نبىّ مرسل، فينظر النّبيون و المرسلون إليه فيشتدّ لذلک تعجّبهم و يقولون: لا إله إلاّ اللّه الحليم الكريم إنّ هذا النبىّ مرسل نعرفه

بصفته و سمته غير انه اعطى فضلا كثيرا، قال: فيجتمعون فيأتون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيسألونه و يقولون: يا محمّد من هذا؟ فيقول لهم: أ و ما تعرفونه؟ فيقولون: ما نعرفه هذا ممّن لم يغضب اللّه عليه فيقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: هذا حجّة اللّه على خلقه فيسلم، ثمّ يجاوز حتّى يأتى على صفّ الملائكة فى صورة ملك مقرّب فينظر اليه الملائكة فيشتدّ تعجّبهم و يكبر ذلك عليهم لما رأوا من فضله و يقولون: تعالى ربّنا و تقدّس إنّ هذا العبد من الملائكة نعرفه بسمته و وصفه غير أنّه كان أقرب الملائكة إلى اللّه عزّ و جلّ مقاما فمن هناك البس من النور و الجمال ما لم نلبس، ثمّ يجاوز حتّى ينتهى إلى ربّ العزّة تبارك و تعالى فيخرّ تحت العرش فيناديه تبارك و تعالى: يا حجّتى فى الأرض و كلامى الصادق الناطق ارفع رأسك و سل تعط و اشفع تشفع، فيرفع رأسه فيقول اللّه تبارك: كيف رأيت عبادى؟ فيقول: يا ربّ منهم من صاننى و حافظ علىّ و لم يضيّع شيئا، و منهم من ضيّعنى و استخفّ بحقّى و كذب بى و أنا حجّتك على جميع خلقك فيقول اللّه تبارك و تعالى: و عزّتى و جلالى و ارتفاع مكانى لاثيبنّ عليك اليوم أحسن الثواب، و لأعاقبنّ عليك اليوم أليم العقاب، قال فيرفع القرآن رأسه فى صورة اخرى قال: فقلت له: يا ابا جعفر فى أىّ صورة يرجع؟ قال: فى صورة رجل شاحب متغيّر ينكره أهل الجمع، فيأتى الرّجل من شيعتنا الذى كان يعرفه و يجادل به أهل الخلاف فيقوم بين يديه فيقول: ما تعرفنى فينظر إليه الرّجل فيقول: ما أعرفک يا عبد اللّه، قال:

فيرجع فى صورته التى كانت فى الخلق الأوّل، فيقول: ما تعرفنى؟ فيقول: نعم، فيقول القرآن: أنا الذى أسهرت ليلک و أنصبت عيشک، و سمعت فىّ الأذى و رجمت بالقول، ألا و انّ كلّ تاجر قد استوفى تجارته و انا وراءک اليوم، قال: فينطلق به إلى ربّ العزّة تبارك و تعالى فيقول: يا ربّ عبدک و أنت أعلم به قد كان نصبا بى مواظبا علىّ يعادى بسببى و يحبّ فىّ و يبغض، فيقول اللّه عزّ و جلّ ادخلوا عبدى جنّتى و اكسوه حلّة من حلل الجنّة و توّجوه بتاج، فاذا فعل به ذلک عرض على القرآن فيقول له: هل رضيت بما صنع بوليّک؟ فيقول: يا ربّ إنىّ أستقلّ هذا له فزده مزيد الخير كلّه، فيقول عزّ و جلّ: و عزّتى و جلالى و علوّى و ارتفاع مكانى لأنحلنّ له اليوم

خمسة أشياء مع المزيد له و لمن كان بمنزلته ألا أنّهم شباب لا يهرمون، و أصحّاء لا يسقمون، و أغنياء لا يفتقرون، و فرحون لا يحزنون، و أحياء لا يموتون، ثمّ تلا هذه الآية «لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الْأُولى ».

قال قلت: يا أبا جعفر و هل يتكلّم القرآن؟ فتبسّم عليه السّلام ثمّ قال: رحم اللّه الضّعفاء من شيعتنا إنهم أهل تسليم، ثمّ قال عليه السّلام: نعم يا سعد و الصّلاة تتكلّم، و له صورة و خلق تأمر و تنهى، قال سعد: فتغيّر لذلک لونى و قلت: هذا شىء لا أستطيع التكلّم به فى النّاس، فقال أبو جعفر عليه السّلام: و هل الناس إلاّ شيعتنا، فمن لم يعرف الصّلاة فقد أنكر حقّنا، ثمّ قال: يا سعد اسمعک كلام القرآن؟ قال سعد: فقلت: بلى صلّى اللّه عليک، فقال: إنّ الصّلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر و لذكر اللّه أكبر، فالنهى كلام و الفحشاء و المنكر رجال و نحن ذكر اللّه و نحن أكبر (و تفقّهوا فيه)أى تفهّموا فى القرآن(فانه ربيع القلوب)و استعار له لفظ الرّبيع باعتبار كونه جامعا لأنواع الأسرار العجيبة و النكات البديعة و المعانى اللّطيفة و العلوم الشريفة التى هى متنزّه القلوب كما أنّ الرّبيع جامع لأنواع الأزهار و الرياحين التى هى مطرح الأنظار و مستمتع الأبصار و محصّل المعنى أنّه يجب عليكم أخذ الفهم فى القرآن كيلا تحرموا من فوائده و لا تغفلوا عن منافعه فانه بمنزلة الرّبيع المتضمّن للفوائد الكثيرة و المنافع العظيمة هذا.

و يحتمل أن يكون المراد بالتّفقه التبصّر على حذو ما ذهب اليه بعض الشارحين فى شرح قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من حفظ على أمّتى أربعين حديثا بعثه اللّه فقيها عالما، حيث قال: ليس المراد به الفقه بمعنى الفهم فانه لا يناسب المقام، و لا العلم بالأحكام الشرعية عن أدلّتها التفصيليّة فانه مستحدث، بل المراد البصيرة فى أمر الدّين، و الفقه أكثر ما يأتى فى الحديث بهذا المعنى، و إليها أشار صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بقوله: لا يفقه العبد كلّ الفقه حتّى يمقت الناس فى ذات اللّه و حتّى يرى للقرآن وجوها كثيرة ثمّ يقبل على نفسه فيكون لها أشدّ مقتا.

ثمّ قال: هذا البصيرة إمّا موهبيّة و هى التى دعا بها النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأمير المؤمنين عليه السّلام حين أرسله إلى اليمن حيث قال: اللّهم فقّهه فى الـدّين، أو كسبيّة و هى التى أشار اليها أمير المؤمنين عليه السّـلام حيث قال لولده الحسن عليه السّـلام و تفقّه يا بنىّ فى الدّين انتهى.

و على هذا الاحتمال فتعليل الأمر بالتفقّه بكونه ربيعا إشارة إلى أنّ الرّبيع كما أنّه مورد الاعتبار بما أودع اللّه فيه من عجايب العبر و الأسـرار و أخرج فيه من بـدايع النبات و الأزهار و غيرها من شواهـد الحكمـة و آثار القدرة، فكذلک القرآن محلّ الاسـتبصار بما تضـمنّه من حكاية حـال الاـمم الماضـية و القرون الخاليـة و تفصـيل مـا أعطاه اللّه سـبحانه للمطيعين من عظيم الثواب و جزاه للمسـيئين من أليم العقاب و العذاب، و غير ذلک مما فيه تذكرة لاولى الأبصار و تبصرة لأولى الألباب (و استشفوا بنوره فانه شفاء الصدور) من الاسقام الظاهرة و الباطنة و الأمراض الحسيّة و العقليّة.

كما يـدلّ عليه ما رواه فى الكافى باسـناده عن طلحـة بن زيـد عن أبى عبـد اللّه عليه السّـلام قال: إنّ هـذا القرآن فيه منار الهـدى و مصابيح الدّجى، فليجل جال بصره و يفتح للضياء نظره، فانّ التّفكر حياة قلب البصير كما يمشى المستنير فى الظلمات بالنّور.

و فيه عن أبى جميلة قال قال: أبو عبد اللّه عليه السّلام: كان فى وصيّة أمير المؤمنين عليه السّلام لأصحابه: اعلموا أنّ القرآن هدى النهار و نور الليل المظلم على ما كان من جهل و فاقة.

و فيه عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن النّوافلى عن السّـكونى عن أبى عبد اللّه عن آبائه عليهم السّـلام قال: شكى رجل النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وجعا فى صدره فقال: استشف بالقرآن فانّ اللّه عزّ و جلّ يقول و شفاء لما فى الصّدور، إلى غير ذلک مما لا نطيل بروايتها و يأتى طائفة كثيرة منها فى شـرح الفصل الرابع من فصول الخطبة المأة و السابعة و التسـعين إنشاء اللّه تعالى (و أحسـنوا تلاوته فانّه أنفع القصص) يعنى أنه لما كان أحسن القصص و أنفعها

ص:6

كما يرشد إليه قوله تعالى: نحن نقصّ عليک أحسن القصص، لا جرم ينبغی أن يحسن تلاوته و أن يتلی حقّ التلاوة بحسن التّدبّر و النظر لتدرک منافع قصصه و تنال بها فيها من الفوائد العظيمة.

روی فی الكافی باسناده عن عبد اللّه بن سليمان قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ: و رتّل القرآن ترتيلا، قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: بيّنه تبيانا و لا تهذّه(1) هذّ الشعر و لا تنثره نثر الرّمل و لكن افرغوا قلوبكم القاسية و لا يكن همّ أحدكم آخر السّورة.

ثمّ إنه عليه السّلام لما أمر بتعلّم القرآن و عقّبه بامور ملازمة للعمل به من التفقّه فيه و الاستشفاء بنوره و حسن تلاوته، علّل ذلک بقوله:(فانّ العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحاير) أی المتحيّر (الّذی لا يستفيق من جهله) فی اشتراكهما فی التورّط فی الضلال و العدول عن قصد السبيل (بل الحجّة عليه أعظم) لانقطاع معذرته بمعرفته و عدم تمكّنه من أن يعتذر و يقول: إنّا كنّا عن هذا غافلين و قد مرّ فی شرح الفصل الثانی من فصول الخطبة الثانية و الثمانين تحقيق الكلام فی ذلک بما لا مزيد عليه، و روينا هنالک عن حفص بن غياث عن أبی عبد اللّه عليه السّلام أنه قال: يا حفص يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد (و الحسرة له ألزم) كما يوضحه رواية سليم بن قيس الهلالی المتقدّمة ثمّة و قال الشارح البحرانی «قد»: إنّ النفوس الجاهلة غير عالمة بمقدار ما يفوتها من الكمال بالتفصيل فإذا فارقت أبدانها فهی و إن كانت محجوبة عن ثمار الجنّة و ما أعدّها اللّه فيها لأوليائه العلماء، إلاّ أنها لما لم تجد لذّتها و لم تطعم حلاوة المعارف الالهية لم تكن لها كثير حسرة عليها و لا أسف علی التقصير فی تحصيلها، بخلاف العارف بها العالم بنسبتها إلی اللّذات الدّنيويّة، فانّه بعد المفارقة إذا علم

1- (1) الهذّ سرعة القرائة أی لا تسرع فيه كما تسرع فی قراءة الشعر و لا تفرّق كلماته بحيث لا يكاد تجتمع كذرّات الرمل، و المراد به الاقتصاد بين السرعة المفرطة و البطؤ المفرط «صافی»

و انکشف له أنّ الصارف له و المانع عن الوصول إلى حضرة جلال اللّه هو تقصيره فى العمل بما علم مع علمه بمقدار ما فاته من الكمالات و الدّرجات، كان أسفه و حسرته على ذلک أشدّ الحسرات، و جرى ذلک مجرى من علم قيمة جوهرة ثمينة تساوى جملة من المال ثمّ اشتغل عن تحصيلها ببعض لعبه فانّه يعظم حسرته عليها و ندمه على التفريط فيها بخلاف الجاهل بقيمتها (و هو عند اللّه ألوم) و شدّة اللاّئمه مساوق لشدة العقوبة، و هو باعتبار أنّ عدم قيامه بوظايف علمه و اتّباعه هواه كاشف عن منتهى جرأته على مولاه، فبذلک يستحقّ من اللؤم و العتاب و الخزى و العذاب ما لا يستحقّه غيره ممّن ليس له هذه الجرأة، فهو عند اللّه أشد لؤما و عتابا، و أعظم نكالا و عقابا

تكملة

اعلم أنّ هذه الخطبة الشريفة حسبما أشرنا إليه ملتقطة من خطبة طويلة روى تمامها الشيخ المحدّث الثقة أبى محمّد الحسن بن علىّ بن شعبة قدّس اللّه سرّه فى كتاب تحف العقول.

قال: خطبته عليه السّلام المعروفة بالدّيباج: الحمد للّه فاطر الخلق و خالق الاصباح و منشر الموتى و باعث من فى القبور، و أشهد أن لا اله إلا اللّه وحده لا شريک له، و أنّ محمّدا عبده و رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عباد اللّه إنّ أفضل ما توسّل به المتوسّلون إلى اللّه جلّ ذكره الايمان باللّه و برسله و ما جاءت به من عند اللّه، و الجهاد فى سبيله فانه ذروة الاسلام، و كلمة الاخلاص فانها الفطرة، و إقامة الصلاة فانّها الملّة، و إيتاء الزكاة فانها فريضة و صوم شهر رمضان فانّه جنّة حصينة، و حجّ البيت و العمرة فانهما ينفيان الفقر و يكفّران الذنب و يوجبان الجنّة، و صلة الرّحم فانها ثروة فى المال و منساة فى الأجل و تكثير للعدد، و الصّدقة فى السّر فانها تكفّر الخطاء و تطفى غضب الرّب تبارک و تعالى، و الصّدقة فى العلانية فانها تدفع ميتة السوء، و صنايع المعروف أنها تقى مصارع السوء، و أفيضوا فى ذكر اللّه جلّ ذكره فانه أحسن الذكر، و هو

أمان من النفاق و برائة من النار و تذكير لصاحبه عند كلّ خير يقسمه اللّه جلّ و عزّ له دوىّ تحت العرش، و ارغبوا فيما وعد المتّقون فانّ وعد اللّه أصدق الوعد، و كلّما وعد فهو آت كما وعد، فاقتدوا بهدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فانّه أفضل الهدى، و استنّوا بسنّته فانها أشرف السنن، و تعلّموا كتاب اللّه تبارك و تعالى فانه أحسن الحديث و أبلغ الموعظة، و تفقّهوا فيه فانه ربيع القلوب، و استشفوا بنوره فانّه شفاء لما فى الصّدور، و أحسنوا تلاوته فانّه أحسن القصص، و إذا قرء عليكم القرآن فاستمعوا له و أنصتوا لعلكم ترحمون، و إذا هديتم لعلمه فاعلموا بما علمتم من علمه لعلّكم تفلحون.

فاعلموا عباد اللّه أنّ العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذى لا يستفيق من جهله، بل الحجّة عليه أعظم و هو عند اللّه ألوم و الحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه مثل ما على هذا الجاهل المتحيّر فى جهله و كلاهما حاير باير مضلّ مفتون مبتور ما هم فيه و باطل ما كانوا يعملون.

عباد اللّه لا ترتابوا فتشكّوا، و لا تشكّوا فتكفروا فتندموا، و لا ترخصوا لأنفسكم فتدهنوا و تذهب بكم الرّخص مذاهب الظلمة فتهلكوا، و لا تداهنوا فى الحقّ إذا ورد عليكم و عرفتموه فتخسروا خسرانا مبينا.

عباد اللّه إنّ من الحزم أن تتّقوا اللّه، و إنّ من العصمة أن لا تغترّوا باللّه.

عباد اللّه إنّ أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربّه، و أغشّهم لنفسه أعصاهم له عباد اللّه إنه من يطع اللّه يأمن و يستبشر، و من يعصيه يخب و يندم و لا يسلم عباد اللّه سلوا اللّه اليقين فانّ اليقين رأس الدّين، و ارغبوا اليه فى العافية فانّ أعظم النعمة العافية فاغتنموها للدّنيا و الآخرة و ارغبوا اليه فى التوفيق فانه اسّ وثيق، و اعلموا أنّ خير ما لزم القلب اليقين، و أحسن اليقين التّقى، و أفضل امور الحقّ عزائمها، و شرّها محدثاتها، و كلّ محدثة بدعة و كلّ بدعة ضلالة، و بالبدع هدم السّنن، المغبون من غبن دينه، و المغبوط من سلم له دينه و حسن يقينه، و السّعيد

من وعظ بغيره، و الشقى من انخدع لهواه.

عباد اللّه اعلموا أنّ يسير الرّياء شرك، و انّ اخلاص العمل اليقين، و الهوى يقود إلى النار، و مجالسة أهل الهوى ينسى القرآن و يحضر الشّيطان، و النسيء زيادة فى الكفر و اعمال العصاة تدعو الى سخط الرّحمن و سخط الرّحمن يدعو إلى النّار، و محادثة النساء تدعو إلى البلاء و تزيغ القلوب، و الرّمق لهنّ يخطف نور أبصار القلوب، و لمح العيون مصائد الشيطان، و مجالسة السّلطان يهيج النّيران.

عباد اللّه أصدقوا فانّ اللّه مع الصّادقين، و جانبوا الكذب فانّه مجانب للايمان و إنّ الصّادق على شرف منجاة و كرامة، و الكاذب على شفا مهواة و هلكة، و قولوا الحقّ تعرفوا به، و اعملوا به تكونوا من أهله، و أدّوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها، و صلوا أرحام من قطعكم، و عودوا بالفضل على من حرمكم، و إذا عاقدتم فأوفوا، و إذا حكمتم فاعدلوا، و إذا ظلمتم فاصبروا، و إذا اسيء إليكم فاعفوا و اصفحوا كما تحبّون أن يعفى عنكم، و لا تفاخروا بالآباء، و لا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان، و لا تمازحوا، و لا تغاضبوا، و لا تباذخوا، و لا يغتب بعضكم بعضا أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا، و لا تحاسدوا فانّ الحسد يأكل الايمان كما تأكل النّار الحطب، و لا تباغضوا فانها الحالقة، و افشوا السّلام فى العالم، و ردّوا التحيّة على اهلها بأحسن منها، و ارحموا الأرملة و اليتيم، و اعينوا الضعيف و المظلوم و الغارمين و فى سبيل اللّه و ابن السّبيل و السّائلين و فى الرّقاب و المكاتب و المسكين، و انصروا المظلوم، و اعطوا الفروض، و جاهدوا انفسكم فى اللّه حقّ جهاده فانّه شديد العقاب، و جاهدوا فى سبيل اللّه، و أقروا الضيف و أحسنوا الوضوء، و حافظوا على الصّلوات الخمس فى أوقاتها، فانها من اللّه عزّ و جلّ بمكان.

«فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ »... «فَإِنَّ اللّهَ شاكِرٌ عَلِيمٌ » «تَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوى وَ لا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ » «وَ «اِتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ».

و اعلموا عباد اللّه أنّ الأمل يذهب العقل و يكذب الوعد و يحثّ على الغفلة و يورث الحسرة، فاكذبوا الأمل فانّه غرور و أنّ صاحبه مأزور، فاعملوا فى الرغبة و الرهبة فان نزلت بكم رغبة فاشكروا و اجمعوا معها رغبة، فانّ اللّه قد تأذّن للمسلمين بالحسنى و لمن شكر بالزيادة، فانّى لم أر مثل الجنّة نام طالبها، و لا كالنّار نام هاربها، و لا أكثر مكتسبا ممن كسبه ليوم تذخر فيه الذخائر و تبلى فيه السّراير، و أنّ من لا ينفعه الحقّ يضرّه الباطل، و من لا يستقيم به الهدى تضرّه الضّلالة، و من لا ينفعه اليقين يضرّه الشّك و انكم قد امرتم بالظعن و دللتم على الزّاد، ألا ـ انّ أخوف ما أتخوّف عليكم اثنان: طول الأمل و اتّباع الهوى ألا و إنّ الدّنيا أدبرت و آذنت بانقلاع، ألا و انّ الآخرة قد أقبلت و آذنت باطلاع، ألا و إنّ المضمار اليوم و السباق غدا، ألا و إنّ السبقة الجنّة و الغاية النار، ألا و إنكم فى أيّام مهل من ورائه أجل يحثّه عجل فمن أخلص للّه عمله فى أيّامه قبل حضور أجله نفعه عمله و لم يضرّه أجله، و من لم يعمل فى أيّام مهله ضرّه أجله و لم ينفعه عمله عباد اللّه أفزعوا إلى قوام دينكم باقام الصّلاة لوقتها، و ايتاء الزكاة فى حينها و التضرّع و الخشوع و صلة الرّحم، و خوف المعاد و إعطاء السّائل و إكرام الضعيفة و الضعيف و تعلّم القرآن و العمل به و صدق الحديث و الوفاء بالعهد و أداء الأمانة إذا ائتمنتم، و ارغبوا فى ثواب اللّه و ارهبوا عذابه و جاهدوا فى سبيل اللّه بأموالكم و أنفسكم، و تزوّدوا من الدّنيا ما تحرزون به أنفسكم و اعملوا بالخير تجزوا بالخير يوم يفوز بالخير من قدّم الخير، أقول قولى و أستغفر اللّه لى و لكم.

بيان

لا يخفى على الضّابط المحيط بما تقدّمت من الخطب أن الأشبه أن تكون الخطبة الثّامنة و العشرون، و أو آخر الخطبة الخامسة و الثمانين، و هذه الخطبة التى نحن فى شرحها جميعا ملتقطة من تلك الخطبة المعروفة بالدّيباج، فانّك إذا لاحظتها ترى توافق هذه الخطبة لأوائل تلك الخطبة، و أواخر الخامسة و الثمانين لأواسطها، و الثامنة و العشرين لأواخرها، و إن كان بينها اختلاف يسير فى بعض

العبارات، و تقديم و تأخير فی بعض الفقرات، و لا ضير فيه فانّه من تفاوت مراتب حفظ الرّواة فی القوّة و الضعف، و هو عمدة جهات الاختلاف فی الأخبار كما هو غير خفیّ علی اولی الأبصار.

الترجمة

از جملۀ خطبه ای شريفۀ آن حجت زمان و قدوۀ عالميانست در وصف شعائر اسلام و حثّ و ترغيب بر آن می فرمايد:

بتحقيق بهترين چيزی كه تقرّب ميكنند بآن تقرّب جويندگان بسوی پروردگار عالميان كه منزّه و مقدّس است از هر گونه عيب و نقصان، ايمان و تصديق است بذات او و به پيغمبر برگزيدۀ او، و جهاد است در راه او پس بتحقيق كه جهاد بلندی اسلام است، ديگر از اسباب تقرّب كلمۀ اخلاص يعنی كلمۀ طيبه لا إله الاّ اللّه است پس بدرستی كه آن كلمه مباركه توحيد است و معرفت، ديگر بر پا داشتن نماز پنج گانه پس بتحقيق كه او است ملّت، و دادن زكاة است كه او است فرض و واجب و روزۀ ماه مبارك رمضان است كه سپر است از عقوبت، و حجّ خانۀ خدا و عمره بجا آوردن است در آن كه آن حجّ و عمره بر می دارند فقر و پريشانی را و می شويند گناه را، وصلۀ أرحام است كه مايه أفزونی مال است و درازی عمر، و صدقه دادن است پنهان كه كفّارۀ گناهانست، و صدقه دادنست آشكارا كه دفع كنندۀ مردن زشت است چون سوختن و غرق شدن و مثل آن، و كارهای نيكو كردنست كه نگه می دارد كردن آنها از كشته شدن در مواضع ذلّت.

كوچ نمائيد و سير كنيد در ذكر خدا پس بدرستی كه ذكر خدا بهترين ذكرها است، و رغبت نمائيد بچيزی كه وعده فرموده پرهيزكاران را پس بتحقيق كه وعده او راست ترين وعدها است، و متابعت كنيد بسيرت پيغمبر خودتان كه بهترين سيرتها است، و راه بروید بطريقۀ او كه هدايت كننده ترين طريقها است، و ياد بگيريد و بياموزيد قرآن كريم را كه بهترين كلامها است، و بفهميد نكات آنرا كه

آن بهار قلبها است، و طلب شفا کنید با نور قرآن که آن شفای سینها است، و خوب تلاوت نمائید آنرا پس بدرستی که آن نافع ترین قصّه ها است، بتحقیق که عالمی که بعلم خود عمل نکند مثل جاهل و نادان سرگردانی است که از مستی و جهالت خود بهوش نیاید، بلکه حجّت خدا بر آن عالم بزرگتر است، و حسرت و أفسوس مر آن عالم را لازم تر است، و او در نزد خدا بیشتر مستحقّ مذمّت و ندامت است.

و من خطبة له علیه السّلام و هی المأة و العاشرة

اشارة

من المختار فی باب الخطب

و رواها المحدّث العلامة المجلسی (قد) فی البحار من کتاب مطالب السؤول باختلاف کثیر تطلع علیه انشاء اللّه بعد شرح ما رواه الرضیّ (قد) و هو قوله أمّا بعد فإنّی أحذّرکم الدّنیا فإنّها حلو خضرة حفّت بالشّهوات، و تحبّبت بالعاجلة، و راقت بالقلیل، و تحلّت بالآمال، و تزیّنت بالغرور، لا تدوم حبرتها، و لا تؤمن فجعتها، غرّارة، ضرّارة، حائلة زائلة، نافدة، بائدة، أکّالة، غوّالة، لا تعدو إذا تناهت إلی أمنیّة أهل الرّغبة فیها و الرّضا بها أن تکون کما قال اللّه تعالی سبحانه: «کَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِیماً تَذْرُوهُ الرِّیاحُ وَ کانَ اللّهُ عَلی کُلِّ شَیْ ءٍ مُقْتَدِراً » لم یکن امرء منها فی حبرة إلاّ أعقبته بعدها عبرة، و لم یلق من سرّائها بطنا إلاّ منحته من ضرّائها ظهرا، و لم تطلّه فیها دیمة رخاء إلاّ هتنت علیه مزنة بلاء، و حریّ إذا أصبحت له منتصرة

أن تمسی له متنكّرة، و إن جانب منها اعذوذب و احلولی أمرّ منها جانب فأوبی، لا ينال امرء من غضارتها رغبا إلاّ أرهقته من نوائبها تعبا، و لا يمسی منها فی جناح أمن إلاّ أصبح علی قوادم خوف، غرّارة غرور ما فيها، فانية فان من عليها، لا خير فی شیء من أذوادها إلاّ التّقوی، من أقلّ منها استكثر ممّا يؤمنه، و من استكثر منها استكثر ممّا يوبقه، و زال عمّا قليل عنه، كم من واثق بها قد فجعته، و ذی طمأنينة قد صرعته، و ذی أبّهة قد جعلته حقيرا، و ذی نخوة قد ردّته ذليلا، سلطانها دول، و عيشها رنق، و عذبها أجاج، و حلوها صبر، و غذائها سمام، و أسبابها رمام، حيّها بعرض موت، و صحيحها بعرض سقم، ملكها مسلوب، و عزيزها مغلوب، و موفورها منكوب، و جارها محروب، أ لستم فی مساكن من كان قبلكم أطول أعمارا، و أبقی آثارا، و أبعد آمالا، و أعدّ عديدا، و أكثف جنودا، تعبّدوا للدّنيا أیّ تعبّد، و آثروها أیّ إيثار، ثمّ ظعنوا عنها بغير زاد مبلّغ، و لا ظهر قاطع، فهل بلغكم أنّ الدّنيا سخت لهم نفسا بفدية، أو أعانتهم بمعونة، أو أحسنت لهم صحبة، بل أرهقتهم بالفوادح، و أوهنتهم بالقوارع، و ضعضعتهم بالنّوائب،

ص:14

و عفرتهم للمـآخر، و وطئتهم بالمناسم، و أعانت عليهم ريب المنون، فقـد رأيتم تنكّرها لمن دان لها و آثرها و أخلـد إليها حتّى ظعنوا عنها لفراق الأبـد، هـل زوّدتهم إلاّ السّغب، أو أحلّتهم إلاّ الضّنک، أو نوّرت لهـم إلاّ الظّلمـة، أو أعقبتهم إلاّ النّدامـة، أ فهـذه تؤثرون؟ أم إليها تطمئنّون؟ أم عليها تحرصون؟ فبئست الـدّار لمن لم يتّهمها و لـم يكن فيها على وجل منها، فاعلموا و أنتم تعلمون بأنّكم تاركوها و ظاعنون عنها، و اتّعظوا فيها بالّذين قالوا من أشدّ منّا قوّة، حملوا إلى قبورهـم، فلا يدعون ركبانا، و أنزلوا الأجداث فلا يدعون ضـيفانا، و جعل لهـم من الصّفيح أجنان، و من التّراب أكفان، و من الرّفات جيران، فهـم جيرة لا يجيبون داعيا، و لا يمنعون ضـيما، و لا يبالون مندبـة، إن جيـدوا لـم يفرحـوا، و إن قحطوا لـم يقنطوا، جميع و هـم آحـاد، و جيرة و هـم أبعـاد، متـدانون لا يـتزاورون، و قريبون لا يتقـاربون، حلمـاء قـد ذهبت أضغانهم، و جهلاء قد ماتت أحقادهم، لا يخشى فجعهم، و لا يرجى دفعهم، استبدلوا بظهر الأرض بطنا، و بالسّعة ضيقا، و بالأهل غربة، و بالنّور ظلمة، فجاءوها كما فارقوها حفاة عراة، قد ظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدّائمة، و الدّار الباقية، كما قال سبحانه: «كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ »

ص:15

«نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنّا كُنّا فاعِلِينَ ».

اللغة

(الحبرة) بفتح الحاء المهملة و ضمّها ايضا و سكون الباء الموحدة النعمة و الحثن و الوشى و (حائلة) من حال الشىء الحول إذا تغيّر و (غاله) غو لا من باب قال قتله و (الهشيم) من النبات اليابس المتكسّر و لا يقال له الهشيم و هو رطب و (ذرت) الرّيح الشىء ذروا و أذرّت و ذرّته أطارته و نسفته و (الطّل) المطر الخفيف و يقال أضعف المطر و (الدّيمة) بالكسر المطر يدوم أيّاما فى سكون بلا رعد و برق و (هتنت) السماء تهتن هتنا و هتونا و تهاتنت انصبّت و (المزنة) القطعة من السّحاب ذى الماء أو الأبيض منه و (رغبا) بفتح الغين مصدر رغب مثل تعب تعبا و (أرهقته) تعبا الحقت ذلک به و اغشته ايّاه و (القوادم) مقاديم الريش و (منتصرة) فى أكثر النسخ بالنون ثمّ التاء من الانتصار بمعنى الانتقام و فى بعضها بالعكس من تنصّر أى تكلّف النّصرة و (الابّهة) و زان سكّرة العظمة و البهجة و الكبر و النخوة و (الصبر) بكسر الباء نبات معروف ثمّ يطلق على كلّ مرّ و (السمام) بالكسر جمع السّم مثلّثة و (المناسم) جمع منسم بكسر السّين كمسجد و هو باطن الخفّ و قيل هو للبعير كالسنبک للفرس و (السغب) محرّكة الجوع فى تعب و (الصفيح) وجه كلّ شىء عريض

الاعراب

قوله: أن تكون كما قال اللّه تعالى بحذف حرف الجرّ متعلّقة بتعدو أى لا تتجاوز عن أن تكون، و حذفها عن ان المصدرية و اختها ان مطّرد و منه قوله سبحانه:

«وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ».

و فاعل حرىّ ضمير مستكن عايد الى الدّنيا، و التذكير باعتبار أنّ المراد و ان شأنها جدير بأن يفعل كذا، و اللاّم فى قوله: له منتصرة، للتعليل، و فى قوله: له متنكّرة

للتقويـة، و على روايـة متنصـّرة من التنصـّر، فاللاّم ثمّة أيضا للتقويـة كما لا يخفى و جانب فى قوله: ان جانب اعـذوذب اه، مرفوع بفعل محذوف يفسّره ما بعده على حدّ قوله تعالى «وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجارَكَ ».

و زال، عطف على استكثر اى من استكثر منها زال المستكثر منها عما قليل عنه، و قوله: أ لستم فى مساكن، استفهام تقريرىّ، و قوله عليه السّلام: تعبّد و اللدّنيا الجملة استينافية بيانية و أىّ تعبّد، بنصب أىّ صفة محذوف الموصوف أى تعبّدوا للدّنيا تعبّدا أىّ تعبّد، و الظاهر أنّ أىّ هذه فى الأصل هى أىّ الاستفهاميّة، لأنّ معنى مررت برجل أىّ رجل برجل عظيم أو كامل يسأل عن حاله لأنه لا يعرفه كلّ أحد حتّى يسأل عنه ثمّ نقلت عن الاستفهاميّة الى الصفة فاعتور عليها اعراب الموصوفو الاستفهام فى قوله فهل بلغكم، على سبيل الانكار و الابطال، و فى قوله: هـل ذوّدتهم إلاّ السّغب للتقرير و فى قوله: أ فهـذه تؤثرون، على سبيل التوبيـخ و التقريع، و قوله: فاعلموا و أنتم تعلمون بأنّكم تاركوها، تعدية اعلموا بالباء لتضمينه معنى اليقين، أو أنّ الباء زايدة و جملة و أنتم تعلمون معترضة على حدّ قوله:

ألا هل أتاها و الحوادث جمّة بأنّ امرء القيس بن تملك يبقرا

فانّ جملـة و الحوادث جمّة معترضة بين الفعل أعنى أتاها، و معموله الذى هو بأن اه. و الباء زايدة فيه أيضا و يحتمل جعل الجملة حالا من مفعول اعلموا فتكون فى محلّ النصب، و على هـذا فهى فى المعنى قيد لعامل الحال و وصف له بخلاف ما لو كانت معترضة فانّ لها تعلّقا بما قبلها لكن ليست بهذه المرتبة أشار إلى ذلک صاحب الكشاف فى تفسير قوله «ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ ».

ص:17

حيث قال: انّه حال أى عبدتم العجل و أنتم واضعون العبادة فى غير موضعها، او اعتراض، أى و أنتم عادتكم الظلم هذا.

و فى بعض نسخ المتن: فاعلموا، بدل فاعلموا، و عليه فتكون قوله عليه السّلام بأنّكم معمولا لتعلمون، كما هو واضح.

المعنى

اعلم أنّ الغرض من هذه الخطبة الشريفة هو التحذير عن الدّنيا و التنفير عنها بالاشارة إلى عيوباتها و مساويها و التنبيه على زوالها و فنائها و انقضائها على ما فصّله بقوله:

(أما بعد فانى أحذّركم الدّنيا فانّها حلوة خضرة) أى متّصفة بالحلاوة و الخضرة، و استعارتهما للدّنيا باعتبار التذاذ النفس بهما و تخصيصهما من بين ساير الأوصاف لكونهما من أقوى المستلذّات و أكملها (حفّت بالشّهوات) يعنى أنّها محاطة بالشهوات لا ينال بها الاّ بالانهماك فيها و لا يمكن إدراكها الاّ بالاقتحام فى مشتهياتها (و تحبّبت) إلى النّاس (بالعاجلة) أى صارت محبوبة عندهم أو أظهرت المحبة لهم بلذّاتها العاجلة الحاضرة الّتى مالت اليها القلوب بسببها، و ذلک لأنّ القلوب انما تميل إلى العاجل دون الآجل، و النفوس ترغب إلى النقد دون النسية قال الشاعر:

فأطعمنا من فومها و سنامها شواء و خير الخير ما كان عاجله

(و راقت بالقليل) أى أعجبت أهلها بشىء قليل حقير عند متاع الآخرة كمّا و كيفا (و تحلّت بالآمال) أى تزيّنت لأهلها بما يؤمّلون فيها من الآمال الّتى أكثرها باطلة (و تزيّنت) عند النّاس (بالغرور) أى بما هو فى نفس الامر غرور و باطل لا حقيقة له و لا أصل «كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً » (لا تدوم حبرتها) و نعمتها (و لا تؤمن فجعتها) و رزيّتها (غرّارة ضرّارة) أى كثيرة الغرور و الضرر (حائله زائلة) أى متغيّرة لا بقاء لها (نافدة بائدة) أى فانية هالكة

ص:18

لا دوام لها (أكّالة غوّالة) أى كثيرة الأكل و الاغتيال للنّاس مثل السّبع العقور الذى يأكل النّاس و يغتا لهم أى يأخذهم و يهلكهم من حيث لا يـدرون و لا يشـعرون (لا تعدو إذا تناهت إلى امنيّة أهل الرغبة فيها و الرّضا بها أن تكون كما قال اللّه تعالى)يعنى أنها إذا بلغت و انتهت إلى غايـة ما يريـده الراغبون فيها و الرّاضون بها لا تعـدو و لا تتجاوز عن كون حالها مثل المثل الذى ضـرب اللّه سـبحانه لها حيث قال فى سورة الكهف:«وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَ كانَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْ ءٍ مُقْتَدِراً ».

فـانّ المراد بالآيـة تشبيه حالها فى نضـرتها و بهجتها و زهرتها و كونها على وفق منيـة أهلها و طبق بغيـة طالبيها مع ما يتعقّبها من الهلاك و الفناء بحال النّبات الحاصل من الماء يكون أخضـر ناضرا شديد الخضرة و الطراوة يعجب الزّرّاع ثمّ ييبس فيكون هشيما تذروه الرياح، و هو من باب 5. التّشبيه المركب على ما حقّقناه فى الدّيباجة.

(لم يكن امرء منها فى حبرة الاّ اعقبته بعدها عبرة) يعنى أنّ سـرورها و لذّتها معاقب للحزن و الحسـرة، و نعمتها منابع للنقمة (و لم يلق من سرّائها بطنا إلاّ منحته من ضـرّائها) أى لم يلق امرء من خيرها و فضلها بطنا لها إلاّ بذلته من مشقّتها و شدّتها (ظهرا) لها و هو كناية عن كون اقبالها ملازما لادبارها و كون خيرها معقبّا لشرّها.

و المقصود أنّه إن أقبلت إلى أحد بالخير و المنفعة و اسـتقبلته بالوجه و البطن عقبت ذلك لا محالة بذلّ الضـرر و المشقّة و أردفته بالضرورة بالادبار، و بما ذكرنا علم وجه تخصيص البطن بالسّراء و الظّهر بالضّراء، فانّ من يلقى صاحبه بالبشر و السّرور يلقاه بوجهه و بطنه و من يلقاه بالمسائة و التنكير يلقاه بظهره مولّيا عنه دبره.

و قوله: منحته، من باب الاستعارة التهكّمية اذ المنح هو البذل و الاعطاء اعنى ايصال النّفع فاستعير لا يصال الضّرر على سبيل التهكّم نظير قوله تعالى فبشّرهم:

بعذاب أليم، حيث استعير التبشير الذى هو الاخبار بما يظهر سرور المخبر له للانذار الّذى هو ضدّها بادخاله فى جنسها على سبيل التهكّم، أى انذرهم بعذاب أليم.

(و لم تطلّه فيها ديمة رخاء إلاّ هتنت عليه مزنة بلاء) اسناد هتنت إلى مزنة من باب التوسّع و المعنى أنّه لم تمطر على أحد فى الدّنيا ديمة أى مطر خفيف موجب على رخاء حاله و سعة عيشه إلاّ انصبّت عليه أمطار كثيرة من مزنة البلاء و سحابة فتوجب شدّة حاله و ضيق عيشه، و الغرض أنها إذا اعطت أحدا قليلا من الخير أعقبت ذلک بكثير من الضّر (و حريّ إذا أصبحت له منتصرة أن تمسى له متنكّرة) يعنى أنها جديرة حين أصبحت محبّة لامرء منتقمة لأجله من عدوّه أو متكلّفة لنصره بأن تمسى مبغضة و متغيّرة له (و ان جانب منها اعذوذب و احلولى) أى صار عذبا و حلوا (أمرّ منها جانب فأوبى) أى صار مرّا فأوقع فى المرض و فى هذا المعنى قال الشاعر:

ألا انّما الدّنيا غضارة أيكة إذا اخضرّ منها جانب جفّ جانب

فلا تكتحل عيناک منها بغيره على ذاهب منها فانک ذاهب

(لا ينال امرء من غضارتها رغبا إلا أرهقته من نوائبها تعبا) أراد أنّه لا يبلغ أحد من طيب عيشها وسعتها و نعمتها رغبته و إرادته إلاّ حملته و أغشته من نوائبها و مصائبها التعب و المشقة كما هو يدرک بالعيان و مشاهد بالوجدان، و لا يخفى ما فى اتيان ينال بصيغة المضارع و ارهقته بصيغة الماضى من النّكتة اللطيفة، و هى الاشارة إلى أنّ نيل الرّغبة من غضارتها أمر متوقّع مشكوک و ارهاق التعب من نوائبها أمر محقق ثابت.

(و لا يمسى منها فى جناح أمن إلاّ أصبح على قوادم خوف) أراد به عدم ثبات أمنها و سرعة انتقاله منه الى الخوف، و لا يخفى ما فى تخصيص الأمن بالجناح و الخوف بالقوادم لأنّ الجناح محلّ الأمن و السّاكن تحته مصون من الأذى و نيل المكروه متحصّن بحصن السّلامة ألا ترى أنّ الطائر يحصّن فرخه بجناحه حفظا له من المكاره و الآلام، و أما القوادم و هى مقاديم الرّيش فلا ريب أنّ الرّاكب عليها فى معرض خطر عظيم و سقوط قريب هذا.

و قال الشارح البحرانی (ره) و إنما خصّ الامن بالجناح، لأنّ الجناح محلّ التغيّر بسرعة فتنبه به على سرعة تغييراتها و إنّما خصّ الخوف بالقوادم من الجناح لأنّ القوادم هی رأس الجناح و هی الأصل فی سرعة حركته و تغيّره، و هو فی مساق ذمّها و التخويف منها، فحسن ذلک التخصيص و مراده أنّه و إن حصل فيها أمن و هو فی محلّ التّغير السّريع و الخوف اليه أسرع لتخصيصه بالقوادم انتهى، و الأظهر ما ذكرناه.

(غرّارة غرور ما فيها فانية فان من عليها) لا يخفى ما فی هاتين القرينتين من حسن الاشتقاق و جزالة المعنى، فانّ القرينة الأولى تنبيه على خسّة الدّنيا و حقارتها و على أنّ ما فيها تدليس و تلبيس و غرور و باطل بمنزلة امرأة شوهاء هتماء زخرفت من ظاهرها و البست انواع الحلیّ و الحلل تدليسا و تفتينا فاغترّ بها و افتتن من رأى حسن ظاهرها غافلا عن قبح باطنها، و القرينة الثانية تذكرة لكونها مع هذه الخسّة و الحقارة فی معرض الفناء و الزوال و الازوف و الانتقال، و كذلک الرّاغبون فيها و الخاطبون لها كما قال عزّ من قائل «كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّکَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ » (لا خير فی شیء من أزوادها إلاّ التّقوى) لأنه هو الذی يتقوّى به لسلوک سفر الآخرة و طیّ منازلها، و الوصول الى حظيرة القدس الّتی هی غنية كلّ طالب و منية كلی راغب، و لذلک امر بذلک ربّ العزّة بقوله:

«وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى ».

و قد تقدّم توضيح ذلک بما لا مزيد عليه فی شرح الخطبة الخامسة و السّبعين، و إنما جعله من أزواد الدّنيا لأنّ تحصيله إنما يكون فيها و الآخرة دار جزاء لا تكليف كما سبق بيانه فی شرح الخطبة الثانية و السّتين، و تقدّم ثمّة أيضا ما يوضح أنّ غير التقوى من أزواد الدّنيا لا خير فيها، و يشهد بذلک قوله سبحانه:

«اَلْمالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ الْباقِياتُ الصّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّکَ ثَواباً وَ خَيْرٌ أَمَلاً ».

(من أقلّ منها استکثر ممّا يؤمنه و من استکثر منها استکثر ممّا يوبقه) يعنى أنّ من ذهب فى الدّنيا و اکتفى بالقليل من متاعها طلب الکثير ممّا يوجب أمنه و نجاته فى الآخرة، و من رغب فيها طلب الکثير من متاعها استکثر مما يوجبه هلاکه فيها، لأنه ان کان من الحلال ففيه طول الحساب، و ان کان من الحرام ففيه أليم العذاب.

(و زال عمّا قليل عنه) إشارة إلى مفسدة اخرى فيما استکثره مضافة إلى ايجابه هلاکه و هى أنّه لم يبق له بل زال بعد حين قليل عنه.

ثمّ أشار عليه السّلام إلى مفاسد الرّکون اليها و الاعتماد عليها بقوله:(کم من واثق بها قد فجعته) بأنواع الأحزان (و ذى طمأنينة اليها قد صرعته) فى مصارع الهوان (و ذى ابّهة) و عظمة (قد جعلته حقيرا) مهينا (و ذى نخوة) و کبر (قد ردّته ذليلا) مستکينا (سلطانها دول) يتداوله السّلاطين بينهم يکون تارة لهؤلاء و لهؤلاء اخرى (و عيشها رنق) متکدّر(و عذبها اجاج)مالح(و حلوها صبر)مرّ استعار لفظى العذب و الحلو للذّاتها و لفظى الاجاج و المرّ لما يشوبها من الکدر و الأسقام و الجامع الاشتراک فى الالتذاذ و الايلام (و غذائها سمام) قاتلة (و أسبابها) أى حبالها (رمام) بالية (حيّها بعرض موت و صحيحها بعرض سقم) أراد به إشراف الأحياء بالممات و الأصحاء بالأسقام و قربهم منها (ملکها مسلوب و عزيزها مغلوب و موفورها منکوب و جارها محروب) أى وافر المال و صاحب الثروة فيها مثاب و جارها حريب أى مأخوذ منه جميع ماله هذا.

و لما حذّر من الدّنيا بذکر معايبها أکدّ ذلک بالتنبيه على السّابقين فيها و قال (أ لستم فى مساکن من کان قبلکم) لکونهم (أطول أعمارا) فقد لبث نوح عليه السّلام فى قومه ألف سنة الاّ خمسين عاما، و مثله کثير (و أبقى آثارا) کما يشهد به الهرمان

و الايوان و سدّ يأجوج و منارة الاسكندريّة و نحوها (و أبعد آمالا) لأنّ الأعمار إذا كانت أطول كانت الآمال أبعد لترتّب طول الأمل على طول العمر غالبا (و أعدّ عديدا) أى عدّد كثيرا من الجيوش (و أكثف جنودا) كفرعون و بخت نصر و غيرهما.

(تعبّدوا للدّنيا أىّ تعبّد) أى قصّروا هممهم فى الدّنيا و أظهروا العبوديّة و التذلل لها و أخذوها معبودا لهم و تعبّدوا الها كمال تعبّد (و آثروها أىّ إيثار) أى اختاروها على الآخرة تمام اختيار (ثمّ ظعنوا) و ارتحلوا(عنها بغير زاد مبلّغ)له إلى منزله(و لا ظهر)أى مركوب(قاطع)لطريقه و هما استعارتان للّطاعات و القربات المؤدية له إلى حظيرة القدس الموصلة إلى مجلس الانس (فهل بلغكم أنّ الدّنيا سخت لهم نفسا بفدية) استفهام على سبيل الانكار كما أشرنا إليه سابقا، و المراد أنها جادت(1) لهم حين ارتحالهم منها بطيب نفسها فداء ليكون عوضا عنهم حتّى لا يموتوا و لا يرتحلوا، أو أنها ما بذلت لهم نفسا بأن تكون فى هذا النفس فداء لهم (أو أعانتهم بمعونة أو أحسنت لهم صحبة) مع فرط محبّتهم لها و غاية رغبتهم اليها و شدّة انسهم بها (بل أرهقتهم بالفوادح) أى أغشتهم بالمثقلات (و أوهنتهم بالقوارع) أى أضعفتهم بالمحن و الدّواهى القارعات (و ضعضعتهم بالنوائب) و المصائب (و عفرتهم للمناخر) أى ألصقتهم على العفر و التراب لانوفهم (و وطئتهم بالمناسم) و الاخفاف و داستهم بالسّنابک و الاظلاف (و أعانت عليهم ريب المنون) أى كانت معينا لحوادث الدّهر عليهم (فقد رأيتم تنكّرها) و تغيّرها (لمن دان لها) و تقرّب بها (و آثرها) و اختارها على غيرها (و أخلد إليها) و اعتمد عليها (حتّى ظعنوا عنها لفراق الأبد) أى مفارقة دائمة لا عود بعدها (هل زوّدتهم إلاّ السّغب) و الجوع (أو أحلّتهم إلاّ الضنک) و الضّيق (أو نوّرت لهم إلاّ الظّلمة) أى جعلت الظلمة نورا لهم كما جعلت الجوع لهم زادا

ص:23

1- (1) الاول مبنى على جعل نفسا تميزا من قبيل طاب زيد نفسا، و الثانى على من جعله مفعول سخت لتضمّنه معنى بذلت و الأول أظهر منه

(أو أعقبتهم إلاّ الندامة) و الحسرة (أفهذه) الغدّارة الغرّارة (تؤثرون أم اليها تطمئنّون أم عليها تحرصون) مع ما رأيتم من مكائدها و جرّبتم من خياناتها (فبئست الدار لمن لم يتّهمها) فى نفسه (و لم يكن فيها على وجل منها) على عرضه فكانت موجبة لهلاكه و عطبه و أمّا المتّهم لها بالخديعة و الغرور و الخائف منها و الحذر فنعمت الدّار فى حقّه لكونه منها على و جل دائم و خوف لازم، فيأخذ حذره بعد عدّته و يقدم الزاد ليوم المعاد و يتزوّد لحال رحيله و وجه سبيله (فاعلموا و أنتم تعلمون) و استيقنوا (بأنكم تاركوها و ظاعنون) أى مرتحلون (عنها و اتّعظوا فيها بالّذين) كانوا قبلكم و (قالوا من أشدّ منّا قوّة) و عدّة و انتقلوا عن دورهم و (حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركبانا و انزلوا الأجداث) بعد الادعاث(1)(فلا يدعون ضيفانا)يعنى انهم انقطعت عنهم بعد ارتحالهم أسماء، الأحياء فلا يسمّون بالركبان و لا بالضيفان و كانت عادة العرب انهم إذا ركبوا يسمّون ركبانا، و إذا نزلوا يسمّون ضيفانا، و هؤلاء الأموات مع كون الجنائز حمولة لهم و كونهم محمولين عليها كالراكبين لا يطلق عليهم اسم الركب(2)،و كذلك هم مع نزولهم بالأجداث و القبور لا يطلق عليهم اسم الضيف و ان كان تسمية الضيف إنما هى بذلك الاسم باعتبار نزوله، و هذا الاعتبار موجود فيهم مأخوذ من ضافه ضيفا إذا نزل عنده فافهم (و جعل لهم من الصّفيح أجنان) أى من وجه الأرض العريض قبور(و من التراب أكفان)و فى بعض النسخ بدله أكنان، و هى السّتاير جمع الكن و هى السترة أى ما يستتر به، و على ذلك فالكلام على حقيقته، و على الرواية الاولى فلا بدّ من ارتكاب المجاز بأن يقال إنّ جعل التراب أكفانا لهم باعتبار إحاطته عليهم كالأكفان أو باعتبار المجاورة بينه و بينها، أو من أجل اندراس الكفن و انقلابه ترابا كما قيل، و الأظهر الأوّلان (و من الرفات) و العظام البالية (جيران فهم جيرة) أى جيران كما فى بعض

1- (1) الدعث المرض و الجمع ادعاث م

2- (2) الركب جمع راكب كالركبان منه.

النسخ (لا يجيبون داعيا و لا يمنعون ضيما) أى ظلما عن أنفسهم أو عمّن استجار بهم لانقطاع الاقتدار عنهم (و لا يبالون مندبة) أى لا يكترثون بالندب و البكاء على ميّت (إن جيدوا لم يفرحوا و إن قحطوا لم يقنطوا) يعنى أنّهم إن جادت السماء عليهم بالمطر لا يفرحون و ان احتبست عنهم المطر لا ييأسون كما هو شأن. الأحياء فانّهم يفرحون عند الخصب و يحزنون عند الجدب (جميع) أى مجتمعون (و هم آحاد) متفرّدون (و جيرة و هم أبعاد) متباعدون (متدانون لا يتزاورون و قريبون لا يتقاربون) إلى هذا المعنى نظر السّجاد عليه السّلام فى ندبته حيث قال:

و اضحوا رميما فى التراب و اقفرت مجالس منهم عطّلت و مقاصر

و حلّوا بدار لا تزاور بينهم و أنّى لسّكان القبور التزاور

فما أن ترى إلاّ جثى قد ثووا بها مسنمة تسفى عليه الأعاصر

و قال آخر:

لكلّ اناس معمر فى ديارهم فهم ينقصون و القبور يزيد

فكاين ترى من دار حيّ قد اخربت و قبر بأكنان التّراب جديد

هم جيرة الأحياء أما مزارهم فدان و أمّا الملتقى فبعيد

(حلماء قد ذهبت أضغانهم و جهلاء قد ماتت أحقادهم) يعنى أنهم بموتهم و انقطاع مادّة الحياة عنهم صار و احلماء جهلاء لا يشعرون شيئا فارتفع عنهم الضغن و الحقد و الحسد و ساير الصّفات النفسانيّة المتفرّعة عن الحياة، و توصيفهم بالحلم و الجهل فى تلك الحال من باب التوسّع و المجاز باعتبار أنهم لا يستفزّهم الغضب و لا يشعرون و إلاّ فالحلم هو الصّفح و الاناة و العقل و الجهل عدم العلم عمّن من شأنه أن يكون عالما و هما من صفات الأحياء كما لا يخفى.

(لا يخشى فجعهم و لا يرجى دفعهم) يعنى أنهم بارتفاع الاقتدار عنهم لا يخشون و لا يرجون فلا يخشى أحد من أن ينزل عليه بهم فجيعة و رزيّة و لا يرجو أحد أن يدفع بهم من نفسه نازلة و بلية (استبدلوا بظهر الأرض بطنا و بالسّعة ضيقا و بالأهل غربة و بالنّور ظلمة).

ضربوا بمدرجة الفناء قبائهم من غير أطناب و لا أوتاد

ركب أناخوا لا يرجّى منهم قصد لاتهام و لاّ انجاد

كرهوا النزول فانزلتهم وقعة للدّهر نازلة لكلّ مفاد(1)

فتهافتوا عن رحل كلّ مذلّل و تطاوحوا عن سرج كلّ جواد

بادون فى صور الجميع و انّهم متفرّدون تفرّد الأحياء

(فجاءوها كما فارقوها حفاتا عراتا) قيل:(2) انّ المراد بمجيئهم اليها فيها و بمفارقتهم لها خروجهم عنها، و وجه الشبه كونهمحفاتا عراتاو قيل(3) انّ المراد بمجيئهم اليها دفنهم فيها و بمفارقتهم لها خلقتهم منها كما قال تعالى:

«هُوَ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ تُرابٍ » و هو أقرب من الأوّل بل أقوى، لأنّ جملة فجاءوها معطوفة على جملة استبدلوا، و الفاء العاطفة موضوعة للتعقيب و الترتيب و لا ترتيب كما لا تعقيب بين مضمون الجملتين على الأوّل، و أمّا على الثانى فهو من قبيل عطف تفصيل المجمل على المجمل على حدّ قوله:

«وَ نادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِی مِنْ أَهْلِی » الآية و هاهنا لما ذكر عليه السّلام استبدا لهم بظهر الأرض بطنها عقّب ذلك ببيان تفصيل حالهم بأنّهم جاءوا اليها حالكونهم حافين عارين ليس لهم نعال و لا لبايس. و لكن ينبغى أن يعلم أنّ اللازم على هذا القول حمل المفارقة على الولادة حتّى يستقيم كونهم حفاتا عراتا.

أقول: و الأظهر عندى يرجع الضمير فى قوله فجاءوها كما فارقوها إلى ظهر الأرض، و التأنيث باعتبار المضاف إليه، فانه قد يكتسب المضاف المؤنث من المضاف إليه المذكر التأنيث إذا صحّت اقامته مقامه كما فى قوله: «كما شرقت صدر القناة من الدّم» و يراد بمجيئهم إليها بعثهم فيها و إعادتهم إليها بعد مفارقتهم لها

ص:26

1- (1) مفد الرجل فى ناعم عيش عاش و تنعم

2- (2) القائل الشارح البحرانى (ره)

3- (3) القائل الوبرى منه

كما قال تعالى:

«مِنْها خَلَقْناكُمْ وَ فِيها نُعِيدُكُمْ » و على هذا فالأنسب جعل حفاتا عراتا حالين من ضمير الجمع فى جاءوها لا فارقوها إلاّ أنّه يبعده قوله: (قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدّائمة و الدّار الباقية)إذ الظاهر كونه حالا من فاعلفارقوهامؤكّدة لعاملها كما أنّ حفاتا عراتامؤسّسة و إن أمكن توجيهه بأنّه على جعله حالا من ضميرجاءوهايكون فيه نحو من التوكيد أيضا، و يؤيّد ذلک أنّ الحياة الدائمةإنما هو بعد البرزخ و البعث.

فان قلت: هذا التوجيه ينافيه الضمير فى عنها، لأنّ ظعنهم على ما ذكرت إنما هو عن بطن الأرض، و الضمير فيجاءوهاكان راجعاظهر الأرض.

قلت: غاية الأمر يكون أنه من باب الاستخدام، و لا يقدح ذلک فى كونه حالا منه فافهم جيدا، و يقرّب ما ذكرناه من الوجه استشهاده عليه السّلام بالآية الشريفة أعنى قوله (كما قال سبحانه) أى فى سورة الأنبياء: يوم نطوى السّماء كطىّ السّجلّ للكتب (كما بدئنا أوّل خلق نعيده وعدا علينا إنّا كنّا فاعلين) فانّها مسوقة لبيان حال البعث و النشور، و معناها نبعث الخلق كما ابتدأناه، أى قدرتنا على الاعادة كقدرتنا على الابتداء.

روى فى الصّافى عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أنه قال: تحشرون يوم القيامة عراتا حفاتا كما بدئنا أوّل خلق نعيده، و قيل معناها كما بدأناهم فى بطون امّهاتهم حفاتا عراتا عز لا كذلک نعيدهم.

قال الطبرسىّ روى ذلک مرفوعا و هو يؤيّد القول الثانى أعنى قول من قال أنّ المراد بفارقوها خلقهم منها و ان كان لا يخلوعن دلالة على ما استظهرناه أيضا فليتأمل و قوله تعالى: وعدا، منصوب على المصدر أى وعدناكم ذلک وعدا علينا انجازه إنّا كنّا فاعلين ذلک لا محالة.

ص:27

تكملة

اعلم أنّ هذه الخطبة رواها المحدّث العلاّمة المجلسى «قد» فى البحار من كتاب مطالب السؤول لمحمّد بن طلحة باختلاف كثير أحببت ايرادها بتلك الطريق على عادتنا المستمرّة.

قال: قال عليه السّلام: احذّركم الدّنيا فانّها خضرة حلوة حفّت بالشّهوات و تخيبت بالعاجلة و عمّرت بالآمال و تزيّنت بالغرور و لا يؤمن فجعتها و لا يدوم خيرها، ضرّارة غدّارة غرّارة زايلة بايدة أكّالة عوّالة، لا تعدو إذا تناهت إلى امنيّة أهل الرّضا بها و الرّغبة فيها أن يكون كما قال اللّه عزّ و جلّ: «كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ » على أنّ امرأ لم يكن فيها فى حيرة «حبرة ظ» إلاّ أعقبته بعدها عبرة، و لم يلق من سرّائها بطنا إلاّ منحته من ضرّائها ظهرا، و لم تنله فيها ديمة رخاء إلاّ هتنت عليه مزنة بلاء، و حرىّ إذا أصبحت له متنصّرة أن تمسى له متنكّرة، فان جانب منها اعذوذب لامرء و احلولى، أمرّ عليه جانب و أوباه، و ان لقى امرء من غضارتها زوّدته من نوابئها تعبا، و لا يمسى امرء منها فى جناح أمن إلاّ أصبح فى خوافى خوف و غرور.

فانية فان من عليها من أقلّ منها استكثر مما تؤمنه و من استكثر منها لم تدم له و زال عما قليل عنه، كم من واثق بها قد فجعته و ذى طمأنينة اليها قد صرعته، و ذى خدع قد خدعته، و ذى ابّهة قد صيّرته حقيرا و ذى نخوة قد صيّرته خائفا فقيرا، و ذى تاج قد أكبّته لليدين و الفم، سلطانها دول، و عيشها رنق، و عذبها اجاج، و حلوها صبر، و غذائها سمام، و أسبابها رمام، حيّها بعرض موت، و صحيحها بعرض سقم، و منيعها بعرض اهتضام، عزيزها مغلوب، و ملكها مسلوب، و ضيفها مثلوب، و جارها محروب.

ثمّ من وراء ذلك هول المطلع و سكرات الموت و الوقوف بين يدى الحكم العدل ليجزى الّذين أساءوا بما عملوا و يجزى الذين أحسنوا بالحسنى، ألستم فى منازل من كان أطول منكم أعمارا و آثارا، و أعدّ منكم عديدا، و أكثف جنودا و أشدّ

منكم عنودا تعبّدوا الدّنيا أىّ تعبّد، و آثروها أىّ ايثار، ثمّ ظعنوا عنها بالصغار فهل يمنعكم أنّ الدّنيا سخت لهم بفدية أو أغنت عنهم فيما قد أهلكهم من خطب، بل قد أوهنتهم بالقوارع، و ضعضعتهم بالنوائب، و عفّرتهم للمناخر، و أعانت عليهم ريب المنون.

فقد رأيتم تنكّرها لمن دان بها و أجدّ اليها حتّى ظعنوا عنها بفراق ابدالى آخر المستند، هل أحلّتهم الاّ الضنک، أو زوّدتهم إلاّ التّعب، أو نورّت لهم إلاّ الظلمة، أو أعقبتهم إلاّ النّار، أ فهذه تؤثرون، أم على هذه تحرصون، أم إلى هذه تطمئنّون، يقول اللّه جلّ من قائل:

«مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَ هُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ أُولئِکَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى الآخِرَةِ إِلاَّ النّارُ وَ حَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ » فبئست الدار لمن لا يتّهمها و ان لم يكن فيها على و جل منها، اعلموا و أنتم تعلمون أنكم تاركوها لا بدّ فانما هى كما نعّتها اللّه لهو و لعب، و اتّعظوا بالذين كانوا يبنون بكلّ ريع آية تعبثون و يتّخذون مصانع لعلّهم يخلدون، و اتّعظوا بالّذين قالوا من أشدّ منّا قوّة، و اتّعظوا باخوانكم الّذين نقلوا إلى قبورهم لا يدعون ركبانا قد جعل لهم من الضّريح أكنانا و من التراب أكفانا و من الرّفات جيرانا، فهم جيرة لا يجيبون داعيا، و لا يمنعون ضيما، قد بادت أضغانهم، فهم كمن لم يكن و كما قال اللّه عزّ و جلّ:

«فَتِلْکَ مَساكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَ كُنّا نَحْنُ الْوارِثِينَ » استبدلوا بظهر الأرض بطنا، و بالسّعة ضيقا، و بالأهل غربة، جاءوها كما فارقوها بأعمالهم إلى خلود الأبد كما قال عزّ من قائل:

«كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنّا كُنّا فاعِلِينَ »

الترجمة

از جمله خطب شریفهٔ آن بزرگوار امام انام است در مذمّت دنیا و تحذیر خلایق از آن غدّار و بی وفا که فرموده:

أما بعد از حمد و ثناء خداوند ربّ الأرباب و صلوات بر سیّد ختمی مآب، پس بدرستی که من می ترسانم شما را از دنیا پس بتحقیق که آن شیرین است و سبز یعنی نفس لذّت می برد از آن بجهت حلاوت و خضرویت و طراوت آن در حالتی که أحاطه کرده شده است بخواهشات نفسانیة، و اظهار محبّت نموده است بطالبان خود بلذّتهای عاجلهٔ خود، و بشکفت آورده مردمان را بزیورهای قلیل و اندک، و آراسته گشته بامیدهای بی بنیاد، و آرایش یافته بباطل و فساد، دوام نمی یابد سرور آن، و ایمن نمی توان شد از درد و مصیبت آن، فریبنده ایست مضرّت رساننده تغییر یابنده ایست زایل شونده، موصوف است بفنا و هلاک، و متّصف است بکثرت خوردن مردمان و أخذ نمودن و هلاک کردن ایشان، تجاوز نمی کند وقتی که متناهی شد بنهایت آرزوی کسانی که راغب هستند در آن، و خوشنودند بآن از این که باشد حال آن بقراری که خداوند متعال بیان فرموده و وصف نموده در سوره کهف که فرموده:

مثل زندگانی دنیا همچه آبی است که نازل کردم آنرا از آسمان پس آمیخته شد بآن آب گیاه زمین پس برگشت آن گیاه خشک و درهم شکسته پس پراکنده می گرداند آنرا بادها و از بیخ بر میکند و هست خدا بهر چیز صاحب اقتدار محصّل مرام اینست که خدا تشبیه نموده صفت زندگانی دنیا را در بهجت و لذّت و سرور و شکفتگی آن که آخرش منتهی می شود بمرگ و هلاک بصفت گیاهی که می روید از زمین بسبب آبی که از آسمان نازل می شود که پنج روز سبز و خرّم و تر و تازه میباشد، و بعد از آن در زمان قلیلی خشک و شکسته می گردد، و بادها آن را از بیخ کنده و می پرانند.

بهار عمر بسی دلفریب و رنگین است ولی چه سود که دارد خزان مرگ از پی

ص:30

پس فرمود: نیست هیچ مردی از دنیا در سـرور و شادی مگر این که در پی در آورد او را بعد از آن شادی بگریه و زاری، و ملاقات نکرد هیچ أحـدی از خیر و منفعت دنیا بشـکمی مگر این که بخشـش نمود بآن از دشواری و مشـقت خود آتشـی را، و نبارید بأحدی در دنیا باران نرم آسانی و رفاهیّت مگر این که ریخته شد بر او باران بزرگ قطره از أبر بلا و مصـیبت، و سزاوار است زمانی که بامداد کند مر او را داد ستانندة آنکه شـبانگاه کند او را تغییر نماینده و ناخوش شمرنده، و اگر بسیار خوش و شیرین باشد جانبی از آن دنیا تلخ می گردد جانبی دیگر از آن، و ناخوشـی می آورد، نرسد هیچ مردی از طیب عیش و نعمت دنیا برغبت و ارادتی مگر این که پوشانید و بار کرد او را از حوادث و مصائب خود تعب و مشقّتی، و شبانگاه نکرد احدی از دنیا در بال امنیت و آسایش مگر این که صباح نمود بر پرهای دراز خوف و ترسی.

دنیا بسیار فریبنده است فریب است آنچه در او است، فنا یابنده است فانیست آن کسیکه بر او است، هیچ خیر و منفعتی نیست در چیزی از توشـهای دنیا مگر پرهیزکاری و تقوی، هر کس که انـدک نمود از لذایـذ دنیا و شـهوات آن بسـیار خواست از چیزی که ایمن گرداند او را از عذاب قیامت و هر کس که بسـیار خواست از شـهوات دنیا بسیار خواست از چیزی که هلاک نماید او را در آخرت و زایل شد بعد از اندک زمانی از آن.

بسا اعتماد کننـدهٔ بدنیا که دردمند ساخت او را، و بسا صاحب اطمینانی بسوی آن که در خاک هلاک انداخت او را، و بسا صاحب عظمتی که گردانیـد او را حقیر و بی مقدار، و بسا صاحب نخوتی که گردانید او را ذلیل و خوار، سـلطنت و پادشاهی آن دوران کننده است از دستی بـدستی، و عیش آن کـدر آمیز است و آب شـیرین آن شـور است و بیمزه، و حلاوتهـای آن تلـخ، و طعامهـای آن زهرهـای قاتـل است، و ریسـمانهای آن پوسیده است، زندهٔ آن در معرض مرگست و صحیح آن در معرض ناخوشی است، ملک و مال آن ربوده شده است، و عزیز آن مغلوب

است، و صاحب ثروت آن صاحب نکبت شده است، و همسایۀ آن ربوده شده از آن تمام مال او.

آیا نیستید شما در مسکنهای کسانی که بودند پیش از شما در حالتی که درازتر بودند از حیثیّت عمرها، و باقی تر بودند از حیثیّت اثرها، و دورتر بودند از حیثیّت آرزوها، و آماده تر بودند از حیثیّت شمار، و انبوه تر بودند از حیثیّت لشکر پرستیدند از برای دنیا پرستیدنی و برگزیدند آنرا چه برگزیدنی، پس از آن کوچ کردند از آن بدون توشه که بمنزل برساند، و بدون مرکبی که قطع مراحل نماید.

پس آیا رسید بشما که دنیا سخاوت ورزید از برای آنها از روی طیب نفس بفدیه دادن، و رها نمودن ایشان، یا آنکه یاری کرد ایشان را بمعاونتی، یا این که خوب نمود از برای ایشان صحبتی و معلوم است که هیچکدام از اینها ننمود بلکه پوشانید بایشان و بار نمود ایشان را کارهای سنگین، و ضعیف نمود بمحنتهای کوبنده و مضطرب کرد ایشان را بحوادث، و بخاک مالید ایشان را بسوراخهای دماغها، و لگدکوب کرد ایشان را بدستها و پایها، و اعانت نمود بضرر ایشان حادثات دوران را.

پس بتحقیق دیدید شما تغیر دنیا را مر آن کسی را که تقرّب جست بآن و برگزید او را و چسبید بآن تا این که کوچ کردند از آن بفراق دائمی آیا توشه داد ایشان را بغیر از گرسنگی، یا فرود آورد ایشان را غیر از تنگی، یا روشن کرد از برای ایشان غیر از تاریکی، یا آنکه از پی در آورد ایشان را غیر از پریشانی، آیا پس این دنیای بی اعتبار اختیار می کنید؟ یا بسوی آن مطمئن می باشید؟ یا بر او حریص می شوید؟ پس بد سرائی است آن از برای کسی که متّهم ندارد او را و نباشد در او بر ترس و هراس از آن.

پس بدانید و اعتقاد نمائید و شما عالم هستید بآن که شما ترک کننده آن هستید، و کوچ کننده اید از آن، و پند گیرید در آن به آن کسانی که گفتند که کیست

سخت تر از ما از حیثیّت قوت، برداشته شدند بسوی قبرهای خود، پس خوانده نشدند سواران، و فرود آورده شدند در قبور پس خوانده نشدند مهمانان، و گردانیده شد از برای ایشان از روی زمین قبرها و از خاک کفنها یا پوشاکها و از استخوانهای پوسیده همسایها، هستند که اجابت نمی کنند خواننده را، و ممانعت نمی کنند ظلم را، و باک نمی دارند از نوحه و زاری، اگر داده شدند باران شاد نگشتند، و اگر رسیدند بقحط و تنگی نومید نشدند.

اجتماع دارند و حال آنکه ایشان تنهایند، و همسایگانند و حال آنکه ایشان دورند، نزدیکند بیکدیگر و حال آنکه ایشان زیارت یکدیگر نمی توانند کنند، و خویشند بهمدیگر و حال آنکه اظهار خویشی نمی نمایند، حلیم هستند در حالتی که رفته است کینهای ایشان، نادانند در حالتی که مرده است جسدهای ایشان، ترسیده نمی شود از اندوه و مصیبت ایشان، و امید گرفته نمی شود دفع نمودن ایشان، عوض کردند بظاهر زمین باطن را، و بفراخی تنگیرا، و بانسیت غریبی را، و بنور و روشنی تاریکی را.

پس آمدند بروی زمین چنانچه مفارقت کردند از آن در حالتی که پا برهنگان و تن برهنگانند در حالتی که کوچ نمودند از آن با عملهای خودشان بسوی زندگانی دائمی و سرای باقی چنانکه فرموده است حق سبحانه و تعالی: همچنان که در ابتداء آفریدیم خلق را اعاده می کنیم ایشان را وعده کردیم آن را وعده کردنی در حالتی که بر ما است وفا کردن بآن بدرستی که ما کنندگانیم آنرا لا محاله وعده بعث و اعاده را داده و قادر هستیم بر انجاز آن وعده.

و من خطبة له علیه السّلام و هی المأة و الحادیة عشر

اشارة

من المختار فی باب الخطب

یذکر فیها ملک الموت و توفّیه الأنفس

هل یحسّ إذا دخل منزلا، أم هل تراه إذا توفّی أحدا، بل کیف

يتوفّى الجنين فى بطن أمّه، أ يلج عليه من بعض جوارحها، أم أجابته بإذن ربّها، أم هو ساكن معه فى أحشائها، كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله؟

اللغة

(توفّيه الأنفس) فى بعض النسخ على وزن التفعّل مصدر توفّاه اللّه أى قبض روحه و أماته، و فى بعض الاخرى توفية الأنفس وزان التّفعلة مصدر باب التفعيل و (يحسّ) بالبناء على المفعول و فى بعض النسخ بدله تحسّ به بصيغة الخطاب و (الجنين) الولد فى البطن و الجمع أجنّة (الأحشاء) جمع الحشاء و هو ما فى البطن من المعاء و غيره.

الاعراب

توفية الأنفس من اضافة المصدر إلى فاعله، و على ما فى بعض النسخ من توفيه الأنفس من اضافته إلى مفعوله، و قوله هل يحسّ استفهام على سبيل الانكار.

المعنى

اشارة

اعلم أنّ هذا الفصل على ما فى شرح البحرانى من خطبة طويلة ذكره عليه السّلام فى معرض التّوحيد و التنزيه للّه تعالى عن اطلاع العقول البشريّة على كنه وصفه و ما ظفرت بعد على هاهنا «عليها ظ»و قد ذكر فيها ملک الموت و توفية الانفس أى قبضه للأرواح على سبيل الاستطراد، و هو نوع من فنون البيان و هو أن تخرج بعد أن تمهّد ما تريد أن تمهده إلى الأمر الذى تروم ذكره فتذكره و كأنّک غير قاصد لذكره بالذّات بل قد حصل و وقع ذكره عن غير قصد فتمرّ به مرورا كالبرق الخاطف ثمّ تتركه و تنساه و تعود إلى ما مهّدته أوّلا كالمقبل عليه و كالملغى عمّا استطردت بذكره إذا عرفت ذلک فأقول :

ص:34

قوله:(هل يحسّ إذا دخل منزلا أم هل تراه إذا توفّى أحدا) تنبيه على عدم امكان الاحساس به فى دخول منازل المتوفّين و على عدم امكان رؤيته عند اماتة الناس، و ذلک لكونه جسما لطيفا هوائيا غير قابل للادراک بالحواس، و قال الشّارح البحرانى: و نبّه باستنكار الاحساس به على أنّه ليس بجسم، اذ كان كلّ جسم من شأنه أن يحسّ باحدى الحواس الخمس «انتهى»، و هو مبنىّ على كون الملائكة جواهر مجرّدة غير متحيّزة كما هو مذهب الفلاسفة، و تحقيق ذلک موكول الى محلّه.

ثمّ قال (بل كيف يتوفّى الجنين فى بطن امّه) و هو استعظام لأمره فى قبض روح الجنين، و الأقسام المتصوّرة فى كيفيّة ذلک القبض ثلاثة أشار إليها بقوله:

(أ يلج عليه من بعض جوارحها أم الرّوح أجابته باذن ربّها أم هو ساكن معه فى احشائها) و هذا التّقسيم حاصر لا يمكن الزيادة عليه. لأنّه اذا فرضناه جسما يقبض الأرواح الّتى فى الأجسام إمّا أن يكون مع الجنين فى جوف امه فيقبض روحه عند حضور أجله، أو خارجا عنها، و الثانى ينقسم قسمين: أحدهما أن يلج جوف امه لقبض روحه، و ثانيهما أن يقبضها من غير حاجة إلى الولوج إلى جوفها، و ذلک بأن يطيعه الرّوح و تكون مسخّرة له و منقادة لأمره إذا أراد قبضها امتدّت إليه.

و الاظهر الاقوى أن يكون توفية الجنين من قبيل القسم الأخير، و يدلّ عليه الرّواية الآتية للصّدوق فى الفقيه عن الصّادق عليه السّلام و غيرها أيضا، و على مذاق المعتزلة فهو من قبيل الوسط، لأنّهم قالوا: إنّ كيفيّة القبض و لوج الملک من الفم إلى القلب، لأنّه جسم لطيف هوائى لا يتعذّر عليه النفوذ فى المخارق الضيقة فيخالط الرّوح التى هى كالشبيهة بها، لأنّها بخارى، ثمّ يخرج من حيث دخل و هى معه، و يلزم عليهم أن يغوص الملک فى الماء لقبض روح الغريق تحت الماء و التزموا ذلک، و أجابوا بأنّه لا يستحيل أن يتخلّل الملک مسام الماء فانّ فى الماء مسام و منافذ كما فى غيره من الأجسام، و لو فرضنا أنه لا مسام فيه لم يبعد أن يلجه الملک فيوسع لنفسه مكانا كالحجر و السمک و نحوهما، و كالرّيح الشّديدة التى تقرع ظاهر

البحر فتقعره و تحفره، و قوّة الملک أشدّ من قوّة الرّيح.

و کيف کان فلما بيّن أنّ ملک الموت لا يمکن للانسان وصف حاله و عرفان صفته أردفه بالتنبيه على عظمة اللّه سبحانه بالنسبة إليه فقال (کيف يصف الهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله) يعنى أنه إذا عجز الانسان عن وصف مخلوق هو مثله فبالأولى أن يعجز عن وصف خالقه و إدراک ذات مبدعه الذى هو أبعد الأشياء عنه مناسبة.

تنبيه

فى بيان معنى الموت و ايراد بعض الأخبار الواردة فى وصف حال ملک الموت فأقول: قال الشّارح البحرانى أخذا من أبى حامد الغزالى فى کتاب احياء العلوم: إنّ الموت ليس إلاّ عبارة عن تغيّر حال، و هو مفارقة الرّوح لهذا البدن الجارى مجرى الآلة لذى الصّنعة، و إنّ الرّوح باقية بعده کما شهدت به البراهين العقلية بين مظانها، و الآثار النبويّة المتواترة، و معنى مفارقتها له هو انقطاع تصرّفها فيه لخروجه عن حدّ الانتفاع به. فما کان من الامور المدرکة لها تحتاج فى إدراکه إلى اللّه فهى منقطعة عنه بعد مفارقة البدن إلى أن تعاد إليه فى القبر أو يوم القيامة و ما کان مدرکا لها لنفسها من غير اللّه فهو باق معها يتنعّم به و يفرح أو يحزن من غير حاجة الى هذه الآلة فى بقاء تلک العلوم و الادراکات الکلية لها هناک.

قال الغزالى تعطل الجسد بالموت يضاهى تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه و بشدّة تقع فى الاعصاب تمنع نفوذ الرّوح فيها، فتکون الرّوح العالمة العاقلة المدرکة باقية مستعملة لبعض الأعضاء و قد استعصى عليها بعضها، و الموت عبارة عن استعصاء الاعضاء کلّها و کلّ الأعضاء آلات، و الرّوح هى المستعملة لها، فالموت زمانة مطلقة فى الأعضاء کلّها، و حقيقة الانسان نفسه و روحه و هى باقية، نعم تغيّر حاله من جهتين إحداهما أنه سلب منه عينه و اذنه و لسانه و يده و رجله و جميع أعضائه، و سلب منه أهله و ولده و أقاربه و ساير معارفه، و سلب منه خيله و دوابه و غلمانه و دوره و عقاره و ساير أملاکه، و لا فرق بين أن يسلب هذه الأشياء من الانسان أو يسلب

الانسان من هذه الأشياء، فانّ المؤلم هو الفراق، و الفراق يحصل تارة بأن ينهب مال الرّجل و تارة بأن يسلب الرّجل عن الملك و المال، و الألم واحد فى الحالتين و إنما معنى الموت سلب الانسان عن أمواله بازعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم، فان كان له فى الدّنيا شيء يأنس به و يستريح إليه و يعتدّ بوجوده فيعظم تحسّره عليه بعد الموت، و يصعب شقاؤه فى مفارقته و يلتفت إلى واحد واحد من ماله و جاهه و عقاره حتى إلى قميص كان يلبسه مثلا، و يفرح به، و إن لم يكن يفرح إلاّ بذكر اللّه و لم يأنس إلاّ به عظم نعيمه و تمّت سعادته، إذ خلى بينه و بين محبوبه و قطعت عنه العوائق و الشواغل المانعة له عن ذكر اللّه.

و الجهة الثانية أنه ينكشف له بالموت ما لم يكن له مكشوفا فى الحياة كما ينكشف للمتيقّظ ما لم يكن مكشوفا فى النوم، و النّاس نيام فاذا ماتوا انتبهوا، هذا و قد مضى الكلام فى شرح حالة الاحتضار و كيفيّة زهوق الروح و شرح حال الميت حينئذ فى التذييل الثالث من تذييلات الفصل السّابع من فصول الخطبة الثانية و الثمانين، و فى شرح الفصل الثانى من الخطبة المأة و الثمانية و مضى ثمة أيضا وصف حال ملك الموت و نورد هنا ما لم يسبق ذكره هناك فأقول:

روى فى الكافى باسناده عن اسباط بن سالم مولى أبان قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: جعلت فداك يعلم ملك الموت بقبض من يقبض؟ قال عليه السّلام: لا إنما هى صكاك(1) تنزل من السّماء اقبض نفس فلان بن فلان.

و عن زيد الشّحام قال: سئل أبو عبد اللّه عليه السّلام عن ملك الموت فقال: يقال:

الأرض بين يديه كالقصعة يمدّ يده منها حيث يشاء فقال عليه السّلام نعم.

و عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: ما من أهل بيت شعر و لا وبر إلاّ و ملك الموت يتصفّحهم فى كلّ يوم خمس مرّات.

و عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال سألته عن لحظة ملك الموت قال عليه السّلام

1- (1) الصكّ الكتاب الذى يكتب فى المعاملات و الاقارير، لغة

أما رأيت الناس يكونون جلوسا فتعتريهم السّكينة فما يتكلّم أحد منهم فتلك لحظة ملك الموت حيث يلحظهم.

و فى الفقيه قال الصّادق عليه السّلام: قيل لملك الموت عليه السّلام: كيف تقبض الأرواح و بعضها فى المغرب و بعضها فى المشرق فى ساعة واحدة؟ فقال: ادعوها فتجيبنى، قال: و قال ملك الموت عليه السّلام: إنّ الدّنيا بين يدىّ كالقصعة بين يدى أحدكم فيتناول منها ما شاء، و الدّنيا عندى كالدّرهم فى كفّ احدكم يقلّبه كيف يشاء.

بقى الكلام فى أنّ قابض الأرواح هل هو اللّه سبحانه، أم ملك الموت فقط، أم هو مع ساير الملائكة.

فأقول: الآيات فى ذلک كالرّوايات مختلفة، و وجه الجمع بينها امور اشير إليها فى أخبار أهل البيت عليهم السّلام.

ففى الفقيه و سئل الصادق عليه السّلام عن قول اللّه عز و جلّ:

«اَللّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها » و عن قوله تعالى: «قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَکُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ » و عن قوله تعالى «اَلَّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ » وَ «اَلَّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِى أَنْفُسِهِمْ » و عن قوله عزّ و جلّ «تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا » و عن قوله عزّ و جلّ: «وَ لَوْ تَرى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ ».

و قد يموت فى الساعة الواحدة فى جميع الآفاق ما لا يحصيه إلاّ اللّه عزّ و جلّ فكيف هذا؟ فقال عليه السّلام: إنّ اللّه تبارک و تعالى جعل لملک الموت أعوانا من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشّرطة له أعوان من الانس، فيبعثهم فى حوائجه فتتوفّاهم الملائكة و يتوفّاهم(1) ملک الموت من الملائكة مع ما يقبض هو و يتوفّاهم

1- (1) اى يقبض أرواحهم منهم.

اللّه من ملک الموت.

و فی الاحتجاج عن أمیر المؤمنین علیه السّلام أنّه سئل عن قول اللّه تعالی:

«اَللّهُ یَتَوَفَّی الْأَنْفُسَ حِینَ مَوْتِها » و قوله: «قُلْ یَتَوَفّاکُمْ مَلَکُ الْمَوْتِ » و قوله عزّ و جلّ: «تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا » و قوله تعالی «تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِکَةُ » فمرّة یجعل الفعل لنفسه، و مرّة لملک الموت، و مرّة للرّسل، و مرّة للملائکة فقال علیه السّلام: إنّ اللّه تبارک و تعالی أجلّ و أعظم من أن یتولّی ذلک بنفسه، و فعل رسله و ملائکته فعله، لأنّهم بأمره یعملون، فاصطفی من الملائکة رسلا و سفرة بینه و بین خلقه، و هم الذین قال اللّه فیهم:

«اَللّهُ یَصْطَفِی مِنَ الْمَلائِکَةِ رُسُلاً وَ مِنَ النّاسِ » فمن کان من أهل الطاعة تولّت قبض روحه ملائکة الرّحمة، و من کان من أهل المعصیة تولّت قبض روحه ملائکة النقمة، و لملک الموت أعوان من الملائکة الرّحمة و النقمة یصدرون عن أمره و فعلهم فعله، و کلّ ما یأتونه منسوب إلیه، و إذا کان فعلهم فعل ملک الموت ففعل ملک الموت فعل اللّه لأنّه یتوفّی الأنفس علی ید من یشاء، و یعطی و یمنع و یثیب و یعاقب علی ید من یشاء، و انّ فعل امنائه فعله کما قال:

«وَ ما تَشاؤُنَ إِلاّ أَنْ یَشاءَ اللّهُ » و فی التوحید بسند ذکره عن أبی معمر السّعدانی، أنّ رجلا أتی أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب علیه السّلام فقال: یا أمیر المؤمنین إنّی قد شککت فی کتاب اللّه المنزل قال له علیّ علیه السّلام: ثکلتک امّک و کیف شککت فی کتاب اللّه المنزل؟ قال:

لأنی وجدت الکتاب یکذب بعضه بعضا فکیف لا أشکّ فیه، فقال علیّ بن أبی طالب علیه السّلام إنّ کتاب اللّه لیصدق بعضه بعضا و لا یکذب بعضه بعضا، و أظنّک لم ترزق عقلا تنتفع به

فهات ما شككت فيه من كتاب اللّه - فذكر الرجل آيات مختلفة الظواهر و من جملتها الآيات التى قدّمناها - فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: إنّ اللّه تبارك و تعالى يدبّر الامور كيف يشاء، و يوكّل من خلقه من يشاء بما يشاء، أمّا ملك الموت فانّ اللّه يوكّله بخاصّة من يشاء، و يوكّل رسله من الملائكة خاصّة بمن يشاء من خلقه و الملائكة الذين سماهم اللّه عزّ ذكره، وكلهم بخاصة من يشاء من خلقه تعالى يدبّر الامور كيف يشاء و ليس كلّ العلم يستطيع صاحب العلم أن يفسّره لكلّ النّاس، لأنّ منهم القويّ و الضعيف، و لأنّ منه ما يطاق حمله و منه ما لا يطيق حمله إلاّ من يسهل اللّه حمله و أعانه عليه من خاصّة أوليائه، و إنّما يكفيك أن تعلم أنّ اللّه المحيي و المميت، و أنّه يتوفّى الأنفس على يدى من يشاء من خلقه من ملائكته و غيرهم، قال: فرّجت عنّى يا أمير المؤمنين امتع اللّه المسلمين بك.

الترجمة

از جمله خطب شريفه آن بزرگوار و سيد أبرار است كه ذكر فرمود در آن ملک الموت و قبض نمودن او روحها را.

آيا ادراک كرده مى شود بحواس زمانى كه داخل بشود منزلى، يا آيا مى بينى او را زمانى كه بميراند أحديرا بلكه چه نحو قبض ميكند روح بچه را در شكم مادر خودش، آيا داخل مى شود بر او از بعض أعضاء مادر او، يا آنكه روح بچه اجابت ميكند او را باذن پروردگار خود، يا آنكه ملک الموت ساكن است با آن بچه در آلات اندرون مادر، چگونه وصف ميكند معبود خود را كسى كه عاجز است از وصف مخلوقى كه مثل او است در امكان افتقار.

و من خطبة له عليه السّلام و هى المأة و الثانية عشر من

اشارة

المختار فى باب الخطب.

و أحذّركم الدّنيا فإنّها منزل قلعة و ليست بدار نجعة، قد تزيّنت بغرورها، و غرّت بزينتها، دار هانت على ربّها، فخلط حلالها بحرامها،

و خيرها بشـرّها، و حياتها بموتها، و حلوها بمرّها، لم يصفّها اللّه تعالى لأوليائه، و لم يضنّ بها على (عن خ) أعـدائه، خيرها زهيد، و شـرّها عتيد، و جمعها ينفد، و ملكها يسلب، و عامرها يخرب، فما خير دار تنقض نقض البناء، و عمر يفنى فناء الزّاد، و مدّة تنقطع انقطاع السّير، اجعلوا (فاجعلوا خ) ما افترض اللّه عليكم من طلبتكم، و اسألوه من أداء حقّه ما سألكم، و أسـمعوا دعوة الموت آذانكم قبل أن يـدعى بكم، إنّ الزّاهـدين فى الـدّنيا تبكى قلوبهم و إن ضـحكوا، و يشـتدّ حزنهم و إن فرحوا، و يكثر مقتهم أنفسـهم و إن اغتبطوا بما رزقوا، قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال، و حضرتكم كواذب الآمال، فصارت الدّنيا أملك بكم من الآخرة، و العاجلة أذهب بكم من الآجلة، و إنّما أنتم إخوان على دين اللّه مـا فرّق بينكم إلاّ خبث السّرائر، و سوء الضّمائر، فلا توازرون، و لا تناصـحون، و لا تباذلون، و لا توادّون، ما بالكم تفرحون باليسـير من الـدّنيا تـدركونه، و لا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه، و يقلقلكم اليسـير من الـدّنيا (حين خ) يفوتكم حتّى يتبيّن ذلك فى وجوهكم و قلّة صبركم عمّا زوى منها عنكم، كأنّها دار مقامكم و كأنّ متاعها باق عليكم، و ما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه بما يخاف

من عيبه إلاّ مخافة أن يستقبله بمثله، قد تصافيتم على رفض الاجل، و حبّ العاجل، و صار دين أحدكم لعقة على لسانه، صنع «صنيع» من قد فرغ من «عن خ» عمله، و أحرز رضى سيّده.

اللغة

(القلعـة) بالضمّ العزل و المال العاريـة أو مالا يروم و منزلنا منزل قلعة و قلعة و قلعة و زان همزة أى ليس بمسـتوطن أو لا تدرى متى تتحول عنه او لا تملكه و (النجعة) بالضمّ طلب الكلاء فى موضـعه و (يخرب) بالبناء على الفاعل مضارع باب فعل كفرح و فى بعض النسخ بالبناء على المجهول مضارع اخرب و فى بعضها يتخرّب مضارع باب التفعل مبنيا على الفاعل أيضا و (الطلبة) بفتح الطاء و كسر اللام ما طلبته و (مقته) مقتا أبغضه فهو مقيت و ممقوت.

و قوله (فلا توازرون) بفتح التاء من باب التفاعل بحذف احدى التائين، و فى بعض النسخ بضـمّها و كسـر الزّاء مضارع باب المفاعلة، و مثله الافعال الثلاثـة بعده و قوله (ما بالكم) فى بعض النسخ بدله مالكم و (اللّعقة) بالضمّ اسم لما يلعق أى تؤكل بالاصـبع أو بالملعقة و هى آلة معروفة.

الاعراب

جملة قد تزيّنت فى محل النّصب على الحال من الدّنيا، و فى بعض النسخ و قد تزيّنت بالواو، و الفاء فى قوله فخلط حلالها بحرامها فصيحة أى إذا كانت مهانـة على اللّه فخلط و فى بعض النسخ عن أعدائه بدل على أعدائه فلا بدّ من تضـمين معنى القبض أى لم يضـر بها قابضا لها عن أعـدائه، و قوله فمـا خير دار تنقض اه ما اسـتفهاميّة و اضافـة خير إلى دار بمعنى فى، أى منفعـة فى دار وصـفها كـذا، و من فى قوله: من طلبتكم للتبعيض، و يحتمل الزيادة على مـذهب الأخفش و الكوفيّين من تجويز زيادتها فى الايجاب اسـتدلالا بقوله تعالى: و «يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ »، و ذهب سيبويه

ص:42

إلى أنها فيه للتبعيض أيضا.

وقوله:و اسألوه من أداء حقه ما سألكم،اى اسألوا منه على الحذف و الايصال، و ما موصولة منصوبة المحلّ مفعول اسألوه و سألكم صلتها و العايد محذوف أى الّذى سأله منكم، و من أداء حقّه، بيان لما، كما فى قولك: عندى من المال ما يكفى، و انّما جاز تقديم من المبينة على المبهم فى هذا و أمثاله، لأنّ المبهم الذى فسّر بمن مقدّم تقديرا كأنّك قلت عندى شىء من المال ما يكفى، فالمبيّن بفتح الباء فى الحقيقة محذوف، و الّذى بعد من عطف بيان له، و المقصود بذلك تحصيل البيان بعد الابهام، لأنّ معنى أعجبنى زيد، أى شىء من أشيائه بلا ريب، فاذا قلت: كرمه أو وجهه، فقد تبيّنت ذلك الشّىء المبهم.

و الفاء فى قوله: فصارت الدّنيا فصيحة، و فى قوله: فلا توازرون، عاطفة مفيدة للسّببية نحو يقوم زيد فيغضب عمرو أى صار قيامه سببا لغضب عمرو، و جملة تفرحون و تدركونه و تحرمونه و يفوتكم فى محال النصب على الحال، و فى بعض النسخ حين يفوتكم، باضافة حين، و قلّة صبركم، بالجرّ عطف على وجوهكم.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة مسوقة للتنفير عن الدّنيا و الترغيب فى الآخرة، و نبّه على جهات النفرة بقوله (و احذّركم) من (الدّنيا) و الرّكون إليها و الاعتماد عليها و الاغترار بها و بزخارفها (فانها منزل قلعة) أى لا تصح للسّكنى و الاستيطان أو لا تدرى متى يكون لك منها التحوّل و الارتحال و المضىّ و الانتقال(و ليست بدار نجعة)يطلب فيها الكلاء و يروى من الظماء، و هو كناية عن انّها لا ينال فيها المراد و لا يوفّق فيها للسّداد (قد تزيّنت) للناس (بغرورها) و أباطيلها (و غرّت) المفتونين بها أى خدعتهم (بزينتها) و زخارفها.

و هى (دار هانت على ربّها) و اتصفت بالذّل و الهوان لعدم تعلّق العناية الالهية عليها بالذات و إنما خلقت لكونها وسيلة إلى غيرها.

قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: مرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بجدى أسك ملقى على مزبلة،

فقال لأصحابه: كم يساوى هذا؟ فقالوا: لعله لو كان حيّا يساو درهما، فقال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: و الذى نفسى بيده الدّنيا أهون على اللّه من هذا الجدى على أهله.

و قوله (فخلط حلالها بحرامها و خيرها بشرّها و حياتها بموتها و حلوها بمرّها) يعنى أنها من أجل حقارتها لم تكن خيرا محضا، بل كان كلّ ما يعدّ فيها خيرا مشوبا بشرّ يقابله، بخلاف الدّار الآخرة، فانها خير كلّها وصفو كلّها و لذلک (لم يصفّها اللّه لأوليائه) بل جعلهم فيها مبتلى بأنواع الغمص و المحن، و أصناف المصائب و الحزن فمشربهم فيها رنق و مترعهم فيها روغ (و لم يضنّ بها على أعدائه) بل أعطاهم فيها غاية المأمول، و منتهى المسئول، فحازوا نفايس الأموال و فازوا نهاية الآمال، و ليس عدم التّصفية للأولياء و عدم الضنّة بها فى حقّ الأعداء إلاّ اكراما للأوّلين و إضلالا للآخرين.

قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: إنّ المؤمن ليكرم على اللّه حتى لو سأله الجنّة بما فيها أعطاه ذلک من غير أن ينتقص من ملكه شيئا، و إنّ الكافر ليهون على اللّه حتى لو سأله الدّنيا بما فيها أعطاه ذلک من غير أن ينتقص من ملكه شيئا، و إنّ اللّه ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الغايب أهله بالطرف، و إنّه ليحميه الدّنيا كما يحمى الطّبيب المريض.

و فى رواية اخرى عنه عليه السّلام قال: ما كان من ولد آدم مؤمن إلاّ فقيرا و لا كافر إلاّ غنيّا، حتّى جاء إبراهيم فقال:

«رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا».

فصيّر اللّه فى هؤلاء أموالا و حاجة، و فى هؤلاء أموالا و حاجة.

و بالجملة فعدم تصفيتها للأولياء و جعلهم فيها مبتلى بأوصاف البلاء ليس إلاّ ليصبروا أيّاما قليلة و يصيروا إلى راحة طويلة، و عدم قبضها من الأعداء لهوانها عليه سبحانه

كهوانهم عنده و لو تساوى(1) عنده تعالى جناح بعوضة لما اعطى أعدائه منها حبّة و لا سقاهم منها شربة.

(خيرها زهيد) قليل (و شرّها عتيد) حاضر (و جمعها ينفد) و يفنى (و ملكها يسلب) و يؤخذ (و عامرها يخرب) و يهدم (فما خير دار) اى أىّ خير و منفعة فى دار(تنقض نقض البناء و عمر يفنى فناء الزاد و مدّة تنقطع انقطاع السير)لا يخفى حسن التشبيه فى القراين الثلاث و تمام المناسبة و الايتلاف بين طرفى التشبيه فى كلّ منها هذا.

و لمّا نبّه عليه السّلام على معايب الدّنيا و مساويها عقّبه بالأمر بأخذ ما هو لازم فيها فقال (اجعلوا ما افترض اللّه عليكم) من العقائد الحقّة و المعارف الالهيّة و العبادات الفرعيّة (من طلبتكم) أى من جملة ما تطلبونه أو نفس ما تطلبونه على زيادة من و على الثانى ففيه من المبالغة ما لا يخفى، يعنى أنّ اللاّزم عليكم أن يكون مطلوبكم فى الدّنيا الفرائض و أدائها و تكون همّتكم مقصورة فيها (و اسألوه من أداء حقّه ما سألكم) أى اسألوا منه سبحانه التّوفيق و التّسديد و الاعانة لما أمركم به و فرضه عليكم من أداء حقوقه الواجبة و تكاليفه اللاّزمة، فانّ الاتيان بالواجبات و الانتهاء عن السّيئات لا يحصل إلاّ بحول اللّه و قوّته و توفيقه و تأييده و عصمته، فيلزم على العبد أن يقرع باب الرّب ذى الجلال بيد الذلّ و المسكنة و السؤال لأن يسهّل له مشاقّ الأعمال، و يصرفه عما يورطه فى ورطة الضّلال، و يوقعه فى شدايد الأهوال، كما قال سيّد العابدين و زين السّاجدين سلام اللّه عليه و على آبائه و أولاده الطّاهرين فى دعاء يوم عرفة:

و خذ بقلبى إلى ما استعملت به القانتين، و استعبدت به المتعبّدين، و استنقذت به المتهاونين، و أعذنى مما يباعدنى عنك و يحول بينى و بين حظّى منك و يصدّنى

ص:45

1- (1) هذه العبارة مقتبس من الحديث النبوى قال (صلّى اللّه عليه و آله) لو كانت الدنيا عند اللّه تزن جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء منه

عمّا احاول لديک، و سهّل لی مسلک الخيرات اليک، و المسابقة إليها من حيث أمرت و المشاحة فيها على ما أوردت.

و فی دعاء الاشتياق إلى طلب المغفرة:

اللّهم و إنّک من الضعف خلقتنا، و على الوهن بنيتنا، و من ماء مهين ابتدئتنا و لا حول لنا إلاّ بقوّتک، و لا قوّة لنا إلاّ بعونک، فأيّدنا بتوفيقک، و سدّدنا بتسديدک و أعم أبصار قلوبنا عمّا خالف محبّتک، و لا تجعل لشیء من جوارحنا نفوذا إلى معصيتک.

و فی دعائه عليه السّلام فی ذکر التّوبة:

اللّهم انّه لا وفاء لی بالتوبة إلاّ بعصمتک، و لا استمساک بی عن الخطايا إلاّ عن قوّتک، فقوّنی بقوّة کافية، و تولّنی بعصمة مانعة، هذا.

و اطلاق السّؤال على الفرائض و الأوامر فی قولهما سألكممن باب المجاز بجامع الطّلب، أو أنّ الاتيان بلفظ السؤال لمجرّد المشاکلة بينه و بين قولهو اسألوهو هی من محسّنات البديع کما مرّ فی ديباجة الشرح و قوله (و اسمعوا دعوة الموت آذانکم قبل أن يدعى بکم) أراد به التهيّؤ للموت قبل حلول الفوت و الاستعداد له قبل نزوله، بأن يجعله نصب عينيه، يذکر شدّة ما يکون فی تلک الحال عليه من سکرة ملهثة و غمرة کارثة و أنّه موجعة و جذبة مکربة و سوقة متعبة.

ثمّ نبّه عليه السّلام على أوصاف خيرة العباد من العبّاد و الزّهاد لترمق أعمالهم و يقتدى لهم فی أفعالهم فقال:(إنّ الزاهدين فی الدّنيا) الرّاغبين فی الآخرة (تبکی قلوبهم) من خشية الحقّ (و إن ضحکوا) مداراة مع الخلق (و يشتدّ حزنهم) من خوف النار و غضب الجبّار (و إن فرحوا) حينا ما من الأعصار (و يکثر مقتهم) و بغضهم (أنفسهم) لکونها أمّارة بالسّوء و الفساد صارفة عن سمت السّداد و الرشاد فلا يطيعونها و لا يلتفتون إليها و لا يخلعون لجامها لتقتحم لهم فی العذاب الاليم و توردهم فی الخزی العظيم (و ان اغتبطوا) ای اغتبطهم الناس (بما رزقوا) من فوائد النّعم و عوائد المزيد و القسم.

ثمّ وبّخهم على ما هم عليه من حالة الغرّة و الغفلة فقال (قد غاب عن قلوبکم

ذكر الآجال) فلم تمهدوا فى سلامة الأبدان (و حضرتكم كواذب الآمال) فلم تعتبروا فى أنف الأوان (فصارت الدّنيا أملك بكم من الآخرة) لاستيلائها عليكم و نفوذ تصرّفها فيكم و اتّباعكم عليها اتّباع العبد على سيّده و المملوك على مولاه (و العاجلة أذهب بكم من الآجلة) لفرط محبّتكم لها و دخول حبّها شغاف قلوبكم فذهبت بقلوبكم كما يذهب المحبوب بقلب محبّه (و انّما أنتم اخوان مجتمعون على دين اللّه) و فطرته التى فطر النّاس عليها بقوله تعالى إنّما المؤمنون اخوة (ما فرّق بينكم إلاّ خبث السّرائر و سوء الضمائر) اى لم يفرّق بينكم إلاّ خبث البواطن و سوء العقائد و النّيات و من ذلک ارتفعت عليكم آثار التواخى و المودّة و لوازم المحبّة و الاخوّة (فلا توازرون و لا تناصحون و لا تباذلون و لا توادّون) أى لا يعين أحدكم صاحبه و لا يقويه و لا يناصحه و لا يبذل ماله له و لا يقوم بلوازم المودّة روى فى الكافى عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن إبراهيم ابن عمر اليمانى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: حقّ المسلم على المسلم أن لا يشبع و يجوع أخوه و لا يروى و يعطش أخوه و لا يكتسى و يعرى أخوه، فما أعظم حقّ المسلم على أخيه المسلم.

و قال أحبّ لأخيک المسلم ما تحبّ لنفسک و إذا احتجت فاسأله و إن سألک فاعطه، لا تملّه خيرا و لا يملّه لک، كن له ظهرا فانه لک ظهر، إذا غاب فاحفظه فى غيبته، و إذا شهد فزره و أجلّه و أكرمه فانه منک و أنت منه، فان كان عليک عاتبا فلا تفارقه حتّى تسئل سميحته(1) و إن أصابه خير فاحمد اللّه، و إن ابتلى فاعضده، و إن يمحل له فأعنه، و إذا قال الرّجل لأخيه: افّ انقطع ما بينهما من الولاية، و إذا قال: أنت عدوّى كفر أحدهما، فاذا اتّهمه انماث الايمان فى قلبه كما يماث الملح فى الماء.

و باسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: من حقّ المؤمن على أخيه المؤمن أن يشبع جوعته و يوارى عورته، و يفرّج عنه كربته، و يقضى دينه، فاذا مات خلفه

1- (1) تسلّ سخيمته «كذا فى الوسايل»

فى أهله و ولده.

أقول: قد استفيد من هذين الخبرين و غيرهما لم نورده شرايط الاخوّة بين المسلمين، و علم بذلک أنّ من لم يقم بوظايفها فليس هو فى الحقيقة بأخ لصاحبه، و لذلک قال الباقر و الصّادق عليهما السّلام فيما رواه عنهما فى الكافى: لم تتواخوا على هذا الأمر و إنما تعارفتم عليه.

ثمّ استفهم على المخاطبين على سبيل التقريع فقال (ما بالكم تفرحون باليسير من الدّنيا تدركونه و لا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه) مع أنّ هذا اليسير فان زائل و ذلک الكثير باق دائم (و يقلقلكم) أى يزعجكم (اليسير من الدّنيا يفوتكم حتّى يتبيّن ذلک) القلق و الاضطراب و يظهر أثره (فى وجوهكم و) فى (قلّة صبركم عمّا زوى) أى قبض (منها) أى من الدّنيا و خيرها و فضلها (عنكم) فتحزنون و تتأسّفون بذلک (كأنها دار مقامكم و كانّ متاعها باق عليكم)ثمّ ذمّهم على عدم كون محافظتهم على اخوانهم بظهر الغيب عن وجه الخلوص و الصّفاء و على عدم كون كتمانهم لعيوب اخوتهم لمجرّد ملاحظة الصّدقة و الاخاء فقال (و ما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه بما يخاف) الأخ منه (من عيبه إلاّ مخافة ان يستقبله) أخوه (بمثله) يعنى أنه لا مانع لأحد منكم من مواجهة أخيه باظهار عيوبه التى يخاف الأخ من إظهارها إلاّ مخافة أن يواجهه أخوه بمثل ما واجهه به، فيذكر مثالبه و يظهر معايبه، و هو اشارة إلى عدم مبالاتهم فى الدين و عدم خوفهم من اللّه سبحانه فى إذاعة سرّ المؤمنين مع أنّ حقّ المؤمن من المؤمن إذا رأى منه عيبا أو عرف منه ذنبا هو الاخفاء و الكتمان، لا الاذاعة و الاعلان، قضاء لحق الاخوّة و رعاية لوظيفة التقوى و المروّة قال اللّه سبحانه:

«إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ » و قال أبو عبد اللّه عليه السّلام من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه و هدم مروّته ليسقط من أعين الناس أخرجه اللّه من ولايته إلى ولاية الشّيطان فلا يقبله الشّيطان

رواه فی الکافی.

و فیه أیضا عن زید عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: فیما جاء فی الحدیث عورة المؤمن علی المؤمن حرام، قال: ما هو أن ینکشف فتری منه شیئا إنّما هو أن تروی علیه أو تعیبه.

ثمّ قال (قد تصافیتم علی رفض الآجل و حبّ العاجل) أی تواخیتم علی ترک الاخری و محبّة الدّنیا(و صار دین أحدکم لعقة علی لسانه)قال الشارح البحرانی استعار لفظ اللعقة لما ینطق به من شعار الاسلام و الدّین کالشّهادتین و نحوهما من دون ثبات ذلک فی القلب و رسوخه و العمل علی وفقه.

و قال الشارح المعتزلی: و أصل اللعقة شیء قلیل یؤخذ بالملعقة من الاناء یصف دینهم بالنزارة، و لم یقنع بأن جعله لعقة حتی جعله علی ألسنتهم فقط أی لیس فی قلوبهم (صنع من) أی صنعهم مثل صنیع من(قد فرغ من عمله و أحرز رضی سیّده)باتیان أوامره و أحکامه، و وجه التشبیه الاشتراک فی الاعراض من العمل.

الترجمة

از جملۀ خطبهای آن حضرت است در مذمّت دنیا و تنفیر مردمان از آن غدار بی وفا چنانچه فرموده:

و می ترسانم شما را از دنیا، پس بدرستی که آن منزلی است که قابل أخذ وطن نیست و نیست سرائی که طلب آب و گیاه کرده شود در آن، بتحقیق که آراسته شده بباطل خود، و فریب داده به آرایش خود، خانه ایست که ذلیل و خوار شده بر پروردگار خود، پس آمیخته حلال آنرا بحرام آن، و خیر آنرا بشرّ آن، و زندگانی آن را بمرگ آن، و شیرینی آن را بتلخ آن، صافی نفرموده است آنرا از برای دوستان خود، و بخیلی ننموده آن را بر دشمنان خود، خیر آن کم است، و شرّ آن حاضر است، و جمع شدۀ آن تمام می شود، و پادشاهی آن ربوده می شود، و آباد آن خراب می شود.

پس چه منفعت است در خانه ای که شکسته می شود چون شکسته شدن بنای

بی اعتبار، و در عمری که فانی می شود چون فانی شـدن توشه، و در مـدتی که منقطع می شود چون انقطاع رفتار، بگردانید آنچه که واجب نمود خداوند تعالی بر شما از جمله مطالب خود، و سؤال کنید از حق تعالی توفیق و اعانة آنچه را که خواهش فرموده از شما از أداء حق او، و بشنوانید دعوت مرگ را بگوشهای خودتان پیش از این که دعوت نمایند و بخوانند شما را بدار القرار.

بـدرستی صاحبان زهد در دنیا گریه میکند قلبهای ایشان و اگر چه خنده کنند بحسب ظاهر، و شدّت می یابد پریشانی ایشان و اگر چه شاد باشـند بر روی ناظر، و بسـیار می شود دشمنی ایشان با نفسهای خودشان و اگر چه غبطه کرده شوند و مردمان آرزوی نیکوئی حال ایشان را نمایند به آن چه که روزی داده شدند در این جهان.

بتحقیق که غائب شده از قلبهای شـما یاد کردن أجلها، و حاضـر شده شما را دروغهای آرزوها، پس گردید دنیا مالکتر و متصرّفتر شد بشما از آخرت، و دنیا برنده تر شد شـما را بسوی خود از عقبا، و جز این نیست که شما برادرانید بر دین خدای تعالی تفرقه نینداخته در میان شما مگر ناپاکی شـرها، و بدی اندیشـها، پس اعانت یکدیگر نمی کنید، و بار گردن یکدیگر را بر نمی دارید، و نصـیحت نمی کنید یکدیگر را، و بخشش نمی کنید بیکدیگر، و دوستی نمی ورزید با یکدیگر.

چیست شأن شما در حالتی که شاد می باشید باندکی از دنیا در حالتی که در می یابید آنرا، و محزون نمی کند شما را بسیاری از آخرت در حالتی که محروم می شوید از آن، و مضـطرب می نماید شما را اندکی از متاع دنیا هنگامی که فوت می شود از شما تا آنکه ظاهر می شود أثر آن اضـطراب در بشـره رویهای شـما در کمی صبر و شکیبائی شما از آنچه پیچیده شده است از متاع دنیا از شما، گوئیا دنیا سرای اقامت شما است، و گوئیا متاع آن باقی است بر شما، و مانع نمی شود یکی از شما را از این که مواجهه کند برادر دینی خود را بچیزی که می ترسد برادر از عیب آن مگر ترس آنکه مواجهه نمایـد برادر او بـا او با مثل گفتار او، بتحقیق که دوستی ورزیـده ایـد با یکـدیگر بر ترک آخرت و بر محبّت دنیا، و گردیده است دین یکی از شما آنچه که بیکار

لیسیده می شود بر زبان، و عمل نمودید ترک در امورات اخروی مثل کار کسی که فارغ شود از عمل خود، و فراهم آورده باشد خوشنودی و رضای مولای خود را.

و من خطبة له علیه السّلام و هی المأة و الثالثة عشر من المختار

اشارة

فی باب الخطب

الحمد للّه الواصل الحمد بالنّعم، و النّعم بالشّکر، نحمده علی آلائه کما نحمده علی بلائه، و نستعینه علی هذه النّفوس البطاء عمّا أمرت به، السّراع إلی ما نهیت عنه، و نستغفره ممّا أحاط به علمه، و أحصاه کتابه علم غیر قاصر، و کتاب غیر مغادر، و نؤمن به إیمان من عاین الغیوب، و وقف علی الموعود، إیمانا نفی إخلاصه الشّرک، و یقینه الشّکّ، و نشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شریک له، و أن محمّدا عبده و رسوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، شهادتین تصعدان القول، و ترفعان العمل، لا یخفّ میزان توضعان فیه، و لا یثقل میزان ترفعان عنه، أوصیکم عباد اللّه بتقوی اللّه الّتی هی الزّاد، و بها المعاد، زاد مبلّغ، و معاد منجح، دعا إلیها أسمع داع، و وعیها خیر واع فأسمع داعیها، و فاز واعیها، عباد اللّه، إنّ تقوی اللّه حمت أولیاء اللّه محارمه، و ألزمت قلوبهم مخافته، حتّی أسهرت لیالیهم، و أظمأت هواجرهم، فأخذوا الرّاحة بالنّصب، و الرّیّ بالظّمآء، و استقربوا الأجل

فبـادروا العمـل، و كـذّبوا الأمـل، فلاـحظوا الأجل. ثمّ إنّ الـدّنيا دار فناء و عناء، و غير و عبر، فمن الفناء إنّ الـدّهر موتر قوسه، و لا تخطى سهامه، و لا توسـى جراحه، يرمى الحيّ بالموت، و الصّـحيح بالسّـقم، و النّاجى بالعطب، آكل لا يشـبع، و شارب لا ينقع، و من العناء أنّ المرء يجمع مـا لاـ يأكـل، و يبنى مـا لاـ يسـكن، ثمّ يخرج إلى اللّه لا مالا حمل، و لا بناء نقل، و من غيرها أنّك ترى المرحوم مغبوطا، و المغبوط مرحومـا، ليس ذلك إلاّ نعيما زلّ، و بؤسا نزل، و من عبرها أنّ المرء يشـرف على أمله، فيقتطعه حضور أجله، فلا أمل يـدرك، و لا مؤمّل يترك، فسـبحان اللّه ما أغرّ سـرورها، و أظمأ ريّها، و أضحى فيئها، لا جاء يردّ، و لا ماض يرتدّ، فسبحان اللّه ما أقرب الحيّ من الميّت للحاقه به، و أبعد الميّت من الحيّ لانقطاعه عنه، إنّه ليس شـىء بشرّ من الشرّ إلاّ عقابه، و ليس شىء بخير من الخير إلا ثوابه، و كلّ شىء من الدّنيا سماعه أعظم من عيانه، و كلّ شىء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه، فليكفكم من العيان السّماع، و من الغيب الخبر. و اعلموا أنّ ما نقص من الدّنيا و زاد فى الآخرة خير ممّا نقص من الآخرة و زاد فى الدّنيا، فكم من منقوص رابح، و مزيد خاسر، إنّ

الّذی أمرتم به أوسع من الـذی نهيتم عنه، و مـا أحلّ لكم أكثر ممّا حرّم عليكم، فـذروا ما قلّ لما كثر، و ما ضاق لما اتّسع، قـد تكفّل لكم بـالرّزق، و أمرتم بالعمـل، فلاـ يكوننّ المضـمون لكم طلبه أولى بكم من المفروض عليكم عمله، مع أنّه و اللّه لقـد اعترض الشّكّ و دخل اليقين حتّى كأنّ الّـذی ضـمن لكم قـد فرض عليكم، و كأنّ الّذی فرض عليكم قد وضع عنكم، فبادروا العمل، و خافوا بغتة الأجل، فإنّه لا يرجا من رجعـة العمر ما يرجى من رجعـة الرّزق، ما فات اليوم من الرّزق رجى غدا زيادته، و ما فات أمس من العمر لم يرج رجعته، الرّجاء مع الجائى، و اليأس مع الماضى، «اِتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ».

اللغة

(البطاء) على وزن الفعال من بطوء بطئا كقرب ضـدّ السّـراع و (غادره) مغادرة و غـدارا تركه و بقاه و (المعاد) بالـدال المهملـة مصدر بمعنى العود أى الرّجوع إلى اللّه سبحانه، و فى بعض النسخ بالذال المعجمة بمعنى الملاذ و (النجح) بالضم الظفر بالمطلوب و انجح زيد صار ذا نجـح فهو منجـح و (أسـمع واع) بناء أفعل ههنا من الرباعى أى أشدّ اسـماعا، مثل قولهم ما أعطاه للمال و ما أولاه للمعروف و هذا المكان أقفر من غيره، أى أشـدّ اقفارا، و فى بعض الرّوايات: و احسن واع، بـدله و (الظماء) محرّكة العطش أو شدّته و (الهواجر) جمع الهاجرة و هو كالهجر و الهجيرة نصف النهار أو من عند زوال الشمس إلى العصر، لأنّ الناس يستكنون فى بيوتهم كأنهم قد تهاجروا، و شدّة الحرّ.

و (الرّى) بالكسر اسم من روى من الماء و اللبن ريّا و (الغير) اسم من

ص:53

غيره جعله غير ما كان و حوّله و بـدله و غير الدهر وزان عنب احداثه المغيرة و (موتر) من باب الافعال أو التفعيل و كلاهما مرويّان يقال: أو تر القوس أى جعـل لها وترا و وترها توتى را شـدّ وترها، و الوتر محرّكـة شـرعة القوس و معلقها و الجمع أوتار و (أسـى) الجرح اسوا واسـى داواه، اسوت بين القوم أصـلحت و (أضحى) فيئها من ضحى الرجل إذا برز للشمس و (العيان) بالكسر المعاينة يقال لقيه عيانا أى معاينة لم يشكّ فى رؤيته إيّاه و (دخل اليقين) أى تزلزل كما فى قوله: كنت أرى اسـلامه مـدخولا، أى متزلزلا و (الرجعة) الرّجوع و (التقاة) الخوف و أصله تقية و زان تهمة.

الاعراب

ايمانا بالنصب بدل من ايمان الأوّل، و جملة تصعدان صفة للشهادتين، و جملة لا يخف آه تحتمل الوصفية أيضا و الحالية لوقوعها بعد نكرة مخصّصة بالوصف، و داعيها فاعل اسمع، و واعيها فاعل فاز، و الباء فى قوله بالنصب و بالظماء للمقابلة، و أكل بالرفع خبر لمبتدأ محذوف، و قوله لا ـ مالا ـ حمل، لا للنّفى و ما لا منصوب بفعل محـذوف يفسّـره ما بعـده، و جملـة المنفى حال من فاعل يخرج، و طلبه بالرفع بـدل اشـتمال من المضمون و ليس فاعلا له على حدّ قولهم: جاءنى المضروب أخوه، و ذلک لأنّ الرزق حصوله مضمون لا طلبه كما هو ظاهر، و يحتمل أن يكون رفعه بالابتداء و أولى بكم خبره، و جملة المبتدأ و الخبر فى محلّ النصب خبرا ليكون، و الأول أحسن و أنسب.

المعنى

اعلم أنّ الغرض بهذه الخطبة الشريفة الأمر بملازمة التقوى و التنفير عن الدّنيا و الترغيب فى العقبا افتتحها بالحمد و الثناء فقال:

(الحمـد للّه الواصل الحمـد بالنّعم و النّعم بالشـكر) المراد بوصل أحـدهما بالآخر شـدّة الارتباط بينهما، فيكون التكرير للتأكيد أو أنه أراد بوصل الحمد بالنّعم ايجابه الحمد عليها و أمره به عند حصولها، و بوصل النّعم بالشّكر جعل

الشكر سببا لمزيدها كما قال: لئن شكرتم لأزيدنّكم، و هذا هو الأظهر، و لذا اختار الشّكر على الحمد لمحا للآية الشريفة.

(نحمده على آلائه كما نحمده على بلائه) و هذا من باب التشبيه المقلوب و الغرض منه عايد إلى المشبّه به و هو ايهام أنّه أتمّ من المشبّه و ان كان الحمد على الآلاء أكثر و أشهر، و مثله قوله:

و بدا الصّباح كأنّ غرّته وجه الخليفة حين يمتدح

فانه قصد ايهام أنّ وجه الخليفة أتمّ فى الوضوح و الضّياء من الصّباح و ان كان الأمر بحسب الواقع بالعكس هذا، و فيه ارشاد للعباد على القيام بوظايف الحمد عند السّراء و الضرّاء، و الملازمة بمراسم التّحيّة و الثناء فى حالتى الشدّة و الرّخاء لأنّ الرضاء بالقضاء و الصّبر على البلا يوجبان الثواب الجميل و الأجر الجزيل فى العقبى فبذلك الاعتبار البلاء منه سبحانه أيضا نعمة توجب الحمد للّه تعالى قال:

«وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْ ءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَراتِ وَ بَشِّرِ الصّابِرِينَ » الآيات.

و فى رواية الكافى عن داود بن فرقد عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال إنّ فيما أوحى اللّه تعالى إلى موسى بن عمران يا موسى بن عمران ما خلقت خلقا أحبّ إلىّ من عبدى المؤمن، و انى انما أبتليه لما هو خير له، و أزوى عنه لما هو خير له، و أنا أعلم بما يصلح عليه عبدى، فليصبر على بلائى و ليشكر نعمائى و ليرض بقضائى اكتبه فى الصّديقين عندى إذا عمل برضائى و أطاع أمرى (و نستعينه على هذه النفوس) المايلة بمقتضى جبلّتها إلى المفاسد و المقابح و الراغبة عن المنافع و المصالح (البطاء عمّا امرت به) من العبادات و الطّاعات (السّراع إلى ما نهيت عنه) من المعاصى و السّيئآت (و نستغفره ممّا أحاط به علمه و أحصاه كتابه) من صغاير الذّنوب و كبايرها و بواطن السّيئات و ظواهرها و سوالف الزّلاّت و حوادثها (علم غير قاصر) عن شىء و لا يعزب عنه ممّا فى الأرض و السّماء من شىء (و كتاب

غير مغادر) شیء أی لا یغادر و لا یبقی صغیرة و لا کبیرة إلاّ أحصیها.

(و نؤمن به) أی نصدّقه بقول مقول و عمل معمول و عرفان بالعقول و اتّباع الرّسول (ایمان من عاین الغیوب) و شاهد بعین الیقین الغیب المحجوب عن غمرة الموت و سکرته و ضیق القبر و ظلمته و طول البرزخ و وحشته و عقبات السّاعة و دواهیها و أهوال القیامة و شدائدها (و وقف) أی اطّلع (علی الموعود) من الرّفد المرفود و الطلح المنضود و السّدر المخضود و الظل الممدود و غیرها ممّا وعد به المتّقون، أو النّار ذات الوقود و القیح و السّدید و العذاب الشّدید و نزل الحمیم و تصلیة الجحیم و نحوها ممّا وعد به المجرمون.

و انّما خصّ ایمان المعاین الواقف بالبیان لکونه أقوی درجات الایمان، فانّ من الایمان ما یکون بحسب التقلید، و منه ما یکون بحسب البرهان و هو علم الیقین، و أقوی منه الایمان بحسب الکشف و المشاهدة، و هو عین الیقین و ذلک هو الایمان الخالص.

و فی الکافی باسناده عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول:

إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم صلّی بالنّاس الصّبح فنظر إلی شابّ فی المسجد و هو یخفق و یهوی برأسه مصفرا لونه و قد نحف جسمه و غارت عیناه فی رأسه فقال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: کیف أصبحت یا فلان؟ قال: أصبحت یا رسول اللّه موقنا، فعجب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من قوله و قال: إنّ لکلّ یقین حقیقة فما حقیقة یقینک؟ فقال:

إنّ یقینی یا رسول اللّه هو الّذی أخزننی و أسهر لیلی و أظمأ هو اجری فعزفت نفسی عن الدّنیا و ما فیها حتّی کأنی أنظر إلی عرش ربّی و قد نصب للحساب و حشر الخلایق لذلک و أنا فیهم، و کأنّی انظر إلی أهل الجنّة یتنعّمون فی الجنّة و یتعارفون علی الأرائک متّکؤون، و کأنّی أنظر إلی أهل النّار و هم فیها معذّبون مصطرخون، و کأنّی الآن أسمع زفیر النّار یدور فی مسامعی، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لأصحابه: هذا عبد نوّر اللّه قلبه بالایمان، ثمّ قال له: ألزم ما أنت علیه، فقال الشاب: ادع اللّه لی یا رسول اللّه أن ارزق الشّهادة معک، فدعی له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

فلم يلبث أن خرج فى بعض غزوات النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فاستشهد بعد تسعة نفر و كان هو العاشر.

و حيث كـان ايمـانه عليه السّلام من أقوى درجـات الايمان و أعلى مراتبه، موصوفا بالخلوص و اليقين كما قال: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينـا اتبعه بقوله:(ايمانا نفى اخلاصه الشّرك و يقينه الشّک) أما نفى اخلاصه للشّرک فواضـح، و أما نفى يقينه للشّک فلأنّ اليقين عبارة عن الاعتقاد بأنّ الأمر كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن أن لا يكون إلاّ كذا، فهو مناف للشكّ لا محالة.

(و نشـهد أن لاـ إله إلاّ اللّه وحـده لا شـريک له، و أنّ محمـّدا صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم عبـده و رسوله) و قـد مضـى تفصـيل ما يتعلّق بالشّهادتين فى شرح الفصل الثّانى من الخطبة الثانية و لا حاجة إلى الاعادة.

(شـهادتين تصعدان القول) أى الكلم الطّيب (و ترفعان العمل) أى العمل الصّالح و إنما تكونان كذلک إذا كانتا صادرتين عن صميم القلب و وجه اليقين و خلوص الجنان فتكونان حينئذ فاتحة الاحسان و عزيمة الايمان تصـعدان الكلمات الطيّبات، و ترفعان الأعمال الصّالحات، و تزيـدان فى الـدّرجات، و تكفّران الخطيات و أمّا الصّادرة عن مجرّد اللّسان فلا فايـدة فيها إلاّ تطهير ظاهر الانسان، و خيرها زهيد و نفعها فقيد هذا.

و فى قوله (لاـ يخفّ ميزان توضـعان فيه و لاـ يثقـل ميزان ترفعان عنه) دلالـة على أنّ لهما مدخليـة فى ثقل الميزان و خفّته بوضـعهما فيه و رفعهما عنه.

و يشهد به صريحا فى الجملة ما قدّمنا روايتها فى شرح الفصل الثّانى من الخطبة الثانية، من ثواب الأعمال عن أبى سعيد الخدرى عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:

قال اللّه جلّ جلاله لموسـى بن عمران: يا موسى لو أنّ السّماوات، و عامريهنّ عندى و الأرضين السبع فى كفّة و لا إله إلاّ اللّه فى كفة مالت بهنّ لا إله إلاّ اللّه.

ثمّ وصّى عليه السّلام العباد بما لا يزال يوصى به فقال:(اوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه

التی هی) الذّخیرة و (الزاد و بها) المرجع و (المعاد زاد) یتقوّی به إلی طیّ منازل الآخرة و سلوک سبیل الجنان (مبلّغ) إلی غایة الرّضوان (و معاد منجح) یصادف عنده الفوز و النجاح و ینال به منتهی الارباح (دعا الیها) أی إلی التقوی (أسمع داع و وعاها) أی حفظها (خیر واع) یحتمل أن یکون المراد بأسمع داع هو اللّه سبحانه، لأنّه أشدّ المسمعین اسماعا، و قد دعی إلیها کثیرا و ندب إلیها فی غیر واحد من الکتب السّماویّة و غیر آیة من الآیات القرآنیّة و من جملتها قوله سبحانه:

«وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّٰادِ التَّقْوىٰ ».

و بخیر واع هو الأنبیاء و المرسلون أو الاعمّ منهم و من سایر المسارعین إلی داعی اللّه الّذین هم أفضل القوابل الانسانیّة، و أن یکون المراد بأسمع داع رسول اللّه و بخیر واع نفسه علیه السّلام.

و یؤیّده قوله تعالی: اذن واعیة، بما روی فی الکافی عن الصادق علیه السّلام قال:

لما نزلت هذه الآیة قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: هی اذنک یا علی.

(فاسمع داعیها) أی لم یبق أحد من المکلّفین إلاّ أسمعه تلک الدّعوة (و فاز واعیها) المتدبّر فیها الآخذ بها.

ثمّ نبّه علی آثار التقوی و خواصّها فی الأولیاء فقال (عباد اللّه إنّ تقوی اللّه حمت) أی منعت (أولیاء اللّه) من حماه سبحانه و هو (محارمه) کما قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ألا و إنّ لکلّ ملک حمی و انّ حمی اللّه محارمه فمن رتع حول الحمی أوشک أن یقع فیه، أی قرب أن یدخله (و الزمت قلوبهم مخافته) و خشیته(حتی اسهرت لیالیهم و اظمأت هواجرهم)نسبة السّهر إلی اللّیالی و الظماء إلی الهواجر من باب التوسّع و المجاز علی حدّ قولهم: نهاره صائم و لیله قائم، و المراد أنّ التقوی و شدّة الخوف أوجبت سهرهم فی اللّیالی للقیام إلی الصّلاة و الدّوام علی المناجاة و عطشهم فی الهواجر لملازمتهم بالصّیام و الکفّ عن الشراب و الطعام، فهم عمش العیون من

البكاء ذبل الشفاه من الدعاء حدب الظهور من القيام خمص البطون من الصّيام، صفر الوجوه من السهر، عليهم غبرة الخاشعين.

(فأخذوا الراحة) فى الاخرى (بالنصب) و التعب فى الدّنيا (و الرّى) من عين سلسبيل (بالظّماء) و العطش فى زمان قليل (و استقربوا الأجل فبادروا العمل و كـذبوا الأمل فلاحظوا الأجل) يعنى أنهم عـدوّا الآجال أى مـدّة الأعمار قريبا، فسارعوا إلى الأعمال الصّالحـة و تهيّأوا زاد الآخرة، و أنهم كذّبوا الآمال الباطلة و لـم يغترّوا بالامنيّات العاطلة فلاحظوا الموت.

و بمـا ذكرنـا ظهر أنّ الأجـل فى الفقرة الاـولى بمعنى مـدّة العمر، و فى الثانيـة بمعنى الموت، فلا تكرار كما ظهر أنّ الفاء فى قوله: فبادروا، للسّ ببية مفيـدة لسـببيّة ما قبلها لما بعـدها، و أمّا فى قوله فلاحظوا فيحتمل أن تكون كـذلك أى لا فادة سـببيّة ما قبلها لما بعدها، و يحتمل العكس فيكون مفادها مفاد لام التعليل كما فى قولك أكرم زيدا فانّه فاضل، يعنى أكرمه لكونه فاضلا، فيدلّ على أنّ فضله علّة لاكرامه.

و الاحتمالان مبنيّان على أنّ الدّنيا و الآخرة ضرّتان متضادّتان فبقدر التّوجّه إلى إحداهما يغفل عن الاخرى و طول الأمل انّما ينشأ من حبّ الـدّنيا و الميـل إليها، فلحاظ الآخرة أعنى الاجل و ما بعـده و الالتفات إليها و التوجّه لها يسـتلزم الاعراض عن الـدّنيا و عن الآمال الباطلة المتعلّقة بها لا محالة، و هو معنى تكذيبها كما أنّ انتزاع محبّة الدّنيا عن القلب و عدم الاغترار بآمالها يستلزم ملاحظة الآخرة، فبين الأمرين ملازمـة فى الحقيقـة يكون تكذيب الآمال سـببا لملاحظة الآخرة و باعتبار آخر يكون ملاحظة الآخرة علّة لتكذيب الآمال و أعنى بالعلية و السّببيّة الارتباط و الملازمة و ان لـم تكن تامة فافهم جيدا.

و يمكن أن يراد بالأجل فى الفقرة الاولى الموت، و فى الثانيـة مـدّة العمر عكس ما قـدّمنا و يحتاج حينئذ إلى نوع تكلّف، بأن يراد بملاحظة الأجل ملاحظة

قصر مدّة العمر و قلّتها حتّى يستفهم العلية المستفادة من الفاء فتدبّر.

ثمّ انّه عليه السّلام وصف الدّنيا بأوصاف منفّرة و عن الركون إليها فقال (ثمّ انّ الدّنيا دار فناء و عناء و غير و عبر) أى دار موصوفة بالفناء و المشقة و التغيّر و الاعتبار (فمن الفناء انّ الدّهر موتر قوسه) شبّه الدّهر بالرامي بالقوس على سبيل الاستعارة بالكناية، و الجامع بينهما أنّ الدّهر يرمى بمصائبه و حوادثه المستندة إلى القضاء الالهى الذي لا يتغيّر و لا يتبدّل، كما أنّ الرامي يرمي بسهامه الغير الخاطئة، و ذكر القوس تخييل، و ذكر الايتار ترشيح (و) رشّح ثانية بقوله (لا تخطي سهامه و) ثالثة بأنه (لا توسى جراحه) أى لا تداوى و لا تصلح.

و لما جعل الدّهر بمنزلة الرامى بيّن كيفيّة رميه بقوله (يرمى الحىّ بالموت و الصحيح بالسّقم و الناجي بالعطب) و الهلاك و قوله (آكل لا يشبع و شارب لا ينقع) يعني أنّ الدهر آكل لا يشبع من أكل لحوم الناس و افنائهم، و شارب لا يروى من شرب دمائهم، و هو من باب التّشبيه البليغ على حدّ قولنا زيد أسد، لا الاستعارة كما توهّمه البحراني، لأنّ مبنى الاستعارة على تناسى التشبيه مبالغة كما في قولك رأيت أسدا يرمى، فيلزمه أن لا يؤتي بطرفى التّشبيه معا في الكلام، لأنّ الاتيان بهما يبطل ذلك الغرض، و قد تقدّم تحقيقه في ديباجة الشرح.

(و من العناء) أى من عناء الدّنيا و مشقّتها (أنّ المرء يجمع) فيها (ما لا يأكل و يبنى ما لا يسكن) لا يزال مشغولا بالجمع و البناء حتى تتمّ المدّة و تقضى (ثمّ يخرج إلى الله سبحانه) فيدع ما جمع و يذر ما بنى يأكله الأعقاب و الأبناء و يسكنه الأباعد و الأعداء (لا مالا حمل) ه إلى محطّه[1](و لا بناء نقل) ه إلى مخطّه و في هذا المعنى قال الشّاعر:

هبك بلّغت كلّما تشتهيه و ملكت الزّمان تحكم فيه

هل قصارى الحياة إلاّ الممات يسلب المرء كلّ ما يقتنيه

ص:60

1- المحط و المخط بالحاء المهملة و الخاء المعجمة معا القبر، منه

(و من غيرها) أى تغيّر الدّنيا و انقلابها (انّك ترى المرحوم مغبوطا و المغبوط مرحوما) يعنى ترى من يرحمه الخلايق بسبب الضّر و الفقر و المسكنة يصير فى زمان قليل موصوفا باليسار و الرّخاء و السعة فيغبطونه بذلك، و ترى من يغبطه الخلائق بالعزّ و المنعة و الغنى يصير عمّا قليل مبتلا بالذلّ و الفقر و العناء، فيرحمونه لأجل ذلك.

و (ليس ذلك إلاّ نعيما زلّ و بؤسا نزل) أى ليس كون المغبوط مرحوما إلاّ بنعيم انتقل من المغبوط إلى غيره، أو شدّة نزلت عليه و فقر و سوء حال حلّ به (و من عبرها أنّ المرء يشرف على أمله فيقتطعه حضور أجله) أى يطلع على أمله و يعلو عليه بحيث يكاد يدركه فيحضر إذا أجله و يقتطعه عنه و يحول بينه و بينه (فلا أمل يدرك و لا مؤمّل يترك) ثمّ تعجب من بعض حالات الدّنيا و أطوارها و قال(فسبحان اللّه ما أغرّ سرورها و أظماء ريّها و أضحى فيئها)أراد بالرّى استتمام لذّتها و بفيئها الرّكون إلى قنياتها و الاعتماد عليها، أى أىّ شىء أوجب لكون سرورها سببا للغرور، و كون ريّها سببا للعطش و ظلّها سببا للحرارة، فانّ الضحى هى وقت ارتفاع الشّمش و عنده تكون الحرارة.

و نسبة الغرور إلى السرور و الظماء إلى الرّى و الضحى إلى الفىء باعتبار أنّ سرورها و لذّاتها و زخارفها هى الصّوارف عن العمل للآخرة، و الشواغل عن الاقبال إلى اللّه سبحانه، فكان سرورها أقوى سبب للاغترار بها، و ريّها من آكد الأسباب للعطش فى الآخرة و الحرمان من شراب الأبرار، و فيئها من أقوى الدواعى إلى إيراده فى حرّ الجحيم و تصلية الحميم.

و يحتمل أن يكون المراد باظماء ريّها أنّ الارتواء منها لا ينقع و لا ينفع من الغلة، بل يزيد فى العطش كمن شرب من الماء المالح و الاجاج، فيكون كناية عن كون الاكثار منها سببا لمزيد الحرص عليها،و كذا يكون المراد باضحاء فيئها أنّ من طلب الراحة فيها اعتمادا على ما جمعها منها لا يجد فيها الراحة و لا ينجو به من حرارة الكبد و فرط المحبة إلى جمعها و تحصيلها و إكثارها، بل هو دائما فى

التّعب و العطب للتحصيل و الطلب إلى أن يموت فيكفن و يخرج فيدفن (لا جاء يردّ) به أراد به الموت (و لا ماض يرتد) أزاد به الميّت.

ثمّ تعجب ثانية و قال (فسبحان اللّه ما أقرب الحىّ من الميّت للحاقه به و أبعد الميّت من الحىّ لانقطاعه عنه) و هو من أفصح الكلام و أحسنه فى تأدية المرام يعرف ذلك من له دراية فى صناعة البيان و إحاطة بلطايف فنّ المعان.

ثمّ نبّه على شدّة عقاب الآخرة و عظم ثوابها بقوله(إنّه ليس شىء بشرّ من الشرّ إلاّ عقابه و ليس شىء بخير من الخير إلاّ ثوابه)قال الشارح البحرانى: يحتمل أن يريد الشرّ و الخير المطلقين و يكون ذلک للمبالغة إذ يقال للأمر الشريف:

هذا أشدّ من الشديد و أجود من الجيد، و يحتمل أن يريد شرّ الدّنيا و خيرها، فانّ أعظم شرّ فى الدّنيا مستحقر فى عقاب اللّه، و أعظم خير فيها مستحقر بالنسبة إلى ثواب اللّه، انتهى.

و الاحتمال الأوّل أظهر، و عليه فالمراد انه ليس شىء يكون أشرّ الأشياء، إلاّ عقاب ذلک الشّىء، و لا شىء يكون أعظم الأشياء خيرا إلاّ ثواب ذلک الشىء.

إلاّ أنّ الاحتمال الثانى يؤيّده قوله (و كلّ شىء من الدّنيا) خيرا كان أو شرّا (سماعه أعظم من عيانه) أما خيرها فلأنّ الانسان لا يزال يحرص على تحصيل الدّرهم و الدّينار وساير القنيات الدّنيويّة، و يكون قلبه مشغولا بتحصيلها مسرورا بانتظار وصولها، فاذا وصل إليها هانت عليه و ارتفع وقعها لديه كما يشهد به التجربه و الوجدان، و أمّا شرّها فلأنّ أعظم شرّ يتصوّرها الانسان بالسّماع و يستهوله و يستنكره ممّن يفعله هو صورة القتل و الجرح، فاذا وقع فى مثل تلک الأحوال و اضطرّ إلى المخاصمة و القتال سهل عليه ما كان يستصعبه منها، و هو معنى قوله فى بعض كلماته الآتية: إذا هبت أمرا فقع فيه.

(و كلّ شىء من الآخرة) ثوابا كان أو عقابا (عيانه أعظم من سماعه) فانّ جلّ الخلق بل كلّهم إلاّ الصّدّيقين إذا سمعوا أحوال الآخرة خيرها و شرّها إنما يتصوّرونها كأحوال الدّنيا و يزعمونها مثلها و يقيسونها إليها، بل بعضهم يتوهّمونها

أهون منها مع أنّه لا نسبة لها إليها و لذلک قال عزّ من قائل فی طرف الثواب:

أعددت لعبادی الصّالحين ما لا عين رأت و لا اذن سمعت و لا خطر على قلب بشر، و فی طرف العقاب.

«كَلاّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلاّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلاّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ الْيَقِينِ ».

حيث جعل الرّؤية بالعين أعلى المراتب لأنّه يحصل بها ما لا يحصل بغيرها، و أمّا الصّدّيقون فلا تفاوت لهم بين السّماع و العيان، فقد قال سيّدهم و رئيسهم: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا.

و حيث كانت أهوال الآخرة و شدايدها أعظم من أن تعبّر باللّسان و تدرک بالآذان و يطّلع عليها على ما هی عليها قبل خروج الأرواح من الأبدان (فليكفكم من العيان السّماع و من الغيب الخبر) أی ليكفكم من معاينة تلک الأهوال سماعها و ممّا غاب عنكم منها انبائها، و مما حجب منها أخبار المخبرين الصّادقين باخبارها لتأخذوا لها عدّتها و تهيّئوا لها جنّتها.

(و اعلموا أنّ ما نقص من الدّنيا و زاد فی الآخرة خير ممّا نقص من الآخرة و زاد فی الدّنيا) لأنّ ما يزاد للآخرة فهو باق دائم و ما يزاد للدّنيا فهو فان زائل و أيضا فی زيادة الدّنيا طول الحساب و العقاب، و فی زيادة العقبى مزيد الفوز و الثواب (فكم من منقوص رابح) كما قال سبحانه:

«إِنَّ اللّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِی بايَعْتُمْ بِهِ وَ ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » و قال: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ »

«أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَ اللّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَ اللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ » (و) كم من (مزيد خاسر) لقوله سبحانه: «وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هذا ما كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ » و قوله تعالى: «وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ » الآية.

ثمّ قال(إنّ الّذى امرتم به أوسع ممّا نهيتم عنه و ما احلّ لكم أكثر مما حرّم عليكم)الأظهر أنّ الجملة الثانية توكيد للأولى فيكون المراد بالمأمور به فى الأولى مطلق ما رخّص فى ارتكابه فيعمّ الواجب و المندوب و المكروه و المباح بالمتساوى الطّرفين و بالنّهى عنه فيها ما نهى عنه نهى تحريم، و أوسعيّة الثانى بالنسبة إلى الأوّل على ذلك واضحة لأنّ المنهىّ عنه قسم واحد و المأمور به أقسام أربعة لا يقال: الأمر حقيقة فى الوجوب على ما حقّق فى الأصول فكيف يعمّ الأقسام؟ لأنّا نقول: سلّمنا إلاّ أنّه إذا قامت قرينة على المجاز لا يكون بأس بحمل اللفظ عليه و القرينة فى المقام موجودة و هى الأوسعيّة و العلاقة هى اشتراك ساير الأقسام مع الواجب فى أنّ كلا منها مأذون فيها مرخّص فى فعلها و تناولها، و يدلّ على كثرة الحلال بالنسبة إلى الحرام صريحا قوله سبحانه:

«خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ».

فانّ كلمة ما مفيدة للعموم و لفظ الجميع تأكيد لها، و اللاّم للانتفاع فيدلّ على جواز الانتفاع بجميع ما فى الأرض.

فان قلت: إنّ الآية لا تفيد العموم لأنّ شرط حمل المطلقات على العموم أن لا يكون المقام مقام الاجمال بل يكون مقام البيان، و ههنا ليس كذلك إذا المقصود بيان أنّ فى خلق الأشياء منفعة لكم للايمان «للايماء ظ» أنّ جميع الأشياء مما ينتفع بها.

قلت: فيه بعد ما عرفت أنّ الموصول مفيد للعموم لا سيّما مع التوكيد بلفظ الجميع إنّ الآية واردة فى مقام الامتنان المقتضى للتعميم كما لا يخفى، فيدلّ على إباحة الانتفاع و حلّه بجميع ما فى الأرض فيكون الأصل الأوّلى فى الجميع هو الحلّ و الاباحة إلى أن يقوم دليل على الحظر و الحرمة، فيحتاج إلى تخصيص ما ثبتت حرمته من عموم الآية، و يدلّ عليه أيضا قوله سبحانه:

«قُلْ لا أَجِدُ فِي ما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ».

فانّ تخصيص المحرّمات بما بعد إلاّ دليل على أنّ غير المستثنى ليس حراما، و عدم وجدان النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دليل على عدم وجود الحرمة واقعا، و يدلّ عليه أيضا قوله سبحانه: «أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ »، فانّ الطيّب هو ضدّ الخبيث الذى يتنفّر عنه الطّبع فيكون، المراد بالطّيبات ما تستلذّها الطباع فيدلّ على حلّية جميع المستلذّات و يخصّص بما دلّ على حرمة بعضها بالخصوص، و هذه الآيات تدلّ على إباحة جميع ما لم يقم دليل على حرمته، و لذا استدلّ بها الاصوليّون فى مسألة الحظر و الاباحة على أنّ الأصل الأوّلى فى الأشياء هو الاباحة.

و مثلها فى الدّلالة عليها قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: كلّ شىء مطلق حتّى يرد فيه نهى، إلاّ أنّ ذلك يدلّ على الاباحة الظاهريّة فيما شكّ فى إباحته و حرمته، و هذه على

الاباحة الواقعية، فمعناه أنّ كلّ شىء مرخّص فيه من قبل الشارع حتّى يرد فيه نهى، فالناس فى سعة مما لم يعلم بورود نهى فيه.

ثمّ انّ اصالة الاباحة كما تجرى فى الأعيان مثل التفاح و نحوه بقوله: خلق لكم ما فى الأرض جميعا، فيباح الأفعال المتعلّقة بها كذلك تجرى فى الأفعال كالغنا مثلا- ان فرض عدم قيام دليل على حرمته لقوله: احلّ لكم الطيبات، فالأصل المذكور يجرى فى القسمين المذكورين من دون تأمّل.

و ربّما يقال: باختصاص اصالة الاباحة بالأعيان و أنّ الأصل الدّال على حلّية الأفعال يسمّى باصالة الحلّ فهما أصلان ناظران إلى موردين و نحن نقول إنّ ذلك لا بأس به إذ لا مشاحة فى الاصطلاح لكن لا يختصّ أحدهما بالحجّية دون الآخر ضرورة أنّ الأدلة وافية بحجّيتهما معا و ان كانا مختلفى المورد.

و على ذلك فيمكن أن لا- يجعل العطف فى كلامه عليه السّلام تفسيريّا بأن يكون المراد بما امرتم به و ما نهيتم عنه الأعيان المباحة و المنهيّة، و بما حلّ و ما حرّم الأفعال المحلّلة و المحرّمة.

و كيف كان فلمّا أفصح عن كون المباح أوسع من المنهىّ و الحلال أكثر من الحرام أمر بترك المحرّمات و المنهيّات فقال (فذروا) أى اتركوا (ما قلّ لما كثر و ما ضاق لما اتّسع) يعنى أنّه بعد ما كان الحرام قليلا و الحلال كثيرا فلا حرج عليكم فى ترك الأوّل و أخذ الثانى، و لا عسر فى ذلك و كذلك المباح و المحظور نعم لو كان الأمر بالعكس لكان التكليف أصعب، و لكنّه سبحانه منّ على عباده بما بين السّماء و الأرض، و جعل الملّة سمحة سهلة، و ما جعل فى الدّين من حرج علما منه بضعف النفوس عن القيام بمراسم عبوديّته بمقتضى الجبلّة البشريّة، فسبحان اللّه ما أعظم مننه و أسبغ نعمه و أوسع كرمه.

ثمّ نهى عن تقديم طلب الرّزق على الاشتغال بالعبادة و ترجيحه عليه فقال (قد تكفّل لكم بالرّزق و أمرتم بالعمل) أما الأمر بالعمل فواضح، و أمّا التكفّل بالرّزق فقد تقدّم الكلام فيه و فى معنى الرّزق بما لا مزيد عليه فى شرح الفصل الأوّل من فصول

الخطبة التسعین (فلا یکون المضمون لکم طلبه أولی بکم من المفروض علیکم عمله) و هذا یدلّ صریحا علی المنع من ترجیح الطّلب علی العمل حسب ما اشرنا إلیه، و لا دلالة فیه علی ترک الطّلب بالکلیّة، بل المستفاد من الرّوایات الکثیرة کراهة ذلک مثل الأول.

منها ما رواه فی الکافی باسناده عن عمر بن یزید قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام رجل قال لأقعدنّ فی بیتی و لاصلّینّ و لأصومنّ و لأعبدنّ ربّی فأما رزقی فسیأتینی فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام: هذا أحد الثلاثة الّذین لا یستجاب لهم.

و فیه عن معلّی بن خنیس قال سأل أبو عبد اللّه علیه السّلام عن رجل و أنا عنده فقیل أصابته الحاجة، فقال: ما یصنع الیوم؟ قیل فی البیت یعبد ربّه، قال: فمن أین قوته؟ قال: من عند بعض اخوانه، فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام: و اللّه للّذی یقوته أشدّ عبادة منه.

ثمّ وبّخهم بقوله (مع أنّه و اللّه لقد اعترض الشّک و دخل الیقین) أی اعترض الشّک فی المضمون و المفروض و تزلزل الیقین بضمان المضمون و بفرض المفروض (حتّی کأنّ الّذی ضمن لکم قد فرض علیکم) فبالغتم فی تحصیله و طلبه و الجدّ له (و کأنّ الّذی فرض علیکم قد وضع عنکم) فتوانیتم فیه و لم تبالوا به (فبادروا العمل) المأمور به قبل حلول الموت (و خافوا بغتة الأجل) و فجأة الفوت (فانه لا یرجی من رجعة العمر) و عوده (ما یرجی من رجعة الرّزق) هذا فی مقام التعلیل للمبادرة إلی العمل و ترجیحه علی طلب الرزق بیانه:

أنّ العمر ظرف للعمل و ما فات و مضی منه فلا یعود و لا یرجی عوده و یفوت العمل کسایر الزّمانیّات المتعلّقة به بفواته لا محالة و لا یمکن استدراکه بعینه فاذا وجب المبادرة إلیه و الاتیان به و إلیه اشیر فی قوله علیه السّلام:

ما فات مضی و ما سیأتیک فأین قم فاغتنم الفرصة بین العدمین

و قال آخر:

إنّما هذه الحیاة متاع و السّفیه الغویّ من یصطفیها

ما مضى فات و المؤمّل غيب ذلک السّاعة الّتى أنت فيها

و أمّا الرزق فهو مقسوم و ما نقص منه فى الماضى أمكن جبرانه فى الغابر، و إليه أشار بقوله (ما فات اليوم من الرزق رجى غدا زيادته و ما فات أمس من العمر لم يرج اليوم رجعته) لأنّ العمر عبارة عن زمان الحياة و مدّته و الزّمان كمّ متّصل غير قارّ الذات، و الجزء الثّانى منه عادم للجزء الأوّل، و الجزء الثّالث عادم للجزء الثانى و هكذا فلا يمكن رجوع الجزء الأوّل بعد مضيّه أبدا، و هذا بخلاف الرّزق كالمآكل و المشارب و الأموال، فانّ الانسان إذا فاته شىء منها قدر على ارتجاعه بعينه إن كان عينه باقية، و ما لا يبقى عينه يقدر على اكتساب مثله، نعم يشكل ذلک لو عممنا الرزق بالنّسبة إلى التّنفس فى الهواء، فانه كالعمل أيضا من الزّمانيات لا يمكن استدراكه، اللّهم إلاّ أن يقال إنّه فرد نادر، و نظر الامام عليه السّلام فى كلامه إلى الأفراد الشائعة و الأعمّ الأغلب، فانّ ساير أفراد الرّزق عموما قابل للاستدراک.

و قوله عليه السّلام (الرّجاء مع الجائى و اليأس مع الماضى) مؤكّد لما سبق و أراد بالجائى الرّزق و بالماضى العمر.

و لما أمرهم بالمبادرة إلى العمل مخافة بغتة الأجل أكّد ذلک بالأمر بملازمة التقوى فقال (فاتّقوا اللّه حقّ تقاته) أى حقّ تقواه و ما يجب منها و هو استفراغ الوسع فى القيام بالواجبات و الاجتناب عن المحرّمات(و لا تموتنّ إلاّ و أنتم مسلمون)و هو اقتباس من الآية فى سورة آل عمران قال تعالى:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ »الآية.

قال فى مجمع البيان معناه و اتّقوا عذاب اللّه أى احترسوا و امتنعوا بالطاعة من عذاب اللّه كما يحقّ، فكما يجب أن يتّقى ينبغى أن يحترس منه، و ذكر فى قوله حقّ تقاته وجوه أحدها أن يطاع فلا يعصى و يشكر فلا يكفر و يذكر فلا ينسى، و هو المروىّ عن أبى عبد اللّه عليه السّلام و ثانيها أنه اتّقاء جميع معاصيه و ثالثها أنّه المجاهدة فى اللّه و أن لا تأخذه فيه لومة لائم و أن يقام له بالقسط فى الخوف و الأمن و قوله:

«وَ لا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ».

معناه لا تتركوا الاسـلام و كونوا عليه حتّى إذا ورد عليكم الموت صادفكم عليه، و انما قال بلفظة النّهى عن الموت من حيث إنّ الموت لا بدّ منه و إنمـا النّهى فى الحقيقـة عن ترك الاسـلام لأـن لاـ يهلكوا بالانقطاع عن التّمكّن منه بالموت إلاّ أنه وضع كلام موضع كلام على جهة التّصـرّف و الابدال بحسن الاسـتعارة و زوال اللّبس و روى عن أبى عبد اللّه عليه السّـلام: و أنتم مسلّمون، بالتشديد و معناه مستسلمون لما أتى به النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم منقادون له، و اللّه الموفّق.

الترجمة

از جمله خطب شريفۀ آن حضرت است در تنبيه بر تقوى و پرهيزكارى و تزهيد از اين جهان فانى باين قرار كه مى فرمايد:

حمد بيقياس معبود بحقّيرا سـزاست كه وصل كننده است حمد را بنعمتها، و پيوند كننده است نعمتها را بشـكر، حمد مى كنيم بر نعماء او همچنان كه سـپاس مى كنيم بر بلاء او، و طلب اعانت مى كنيم از او بر اين نفسـهائى كه دير حركت كننـده انـد از آنچه مأمور شـده اند بأو شتابنـده انـد بسوى آنچه نهى گشـته انـد از آن، و اسـتغفار مى كنيم از او از آنچه كه احاطه كرده بأو علم آن، و شـمرده است او را كتاب آن علمى كه كوتاه نيست از چيزى، و كتابى كه ترك كننده نيست چيزى را و ايمان مى آوريم او را مثال ايمان كسـى كه ديده باشد غيبها را بعين اليقين، و واقف بشود بچيزى كه وعده داده شده است از أحوال يوم الدّين، ايمانى كه نفى كند اخلاص آن شرك را از دلها، و زايل نمايد يقين او شكّ را از قلبها، و شـهادت مى دهيم باين كه نيست هيـچ معبود بحقّى بجز خـدا در حالتى كه يكتا است شـريك نيست او را، و باين كه محمّد بن عبد اللّه صـلّى اللّه عليه و آله بندۀ پسـنديده و پيغمبر برگزيده او است، شهادتينى كه بلند مى گردانند گفتار پاكيزه را و رفع ميكنند عمل صالح را در حالتى كه سـبك نمى شود ميزانى كه نهاده شوند آن دو شـهادت در او و سـنگين نمى شود ميزانى كه برداشته شوند آن دو شهادت از آن.

ص:69

وصيّت ميكنم شما را اى بندگان خدا بتقوى و پرهيزكارى از خدا چنان پرهيزكارى كه آن است توشه راه آخرت و با او است رجوع بحضرت ربّ العزّة، چنان توشۀ كه رساننده است بمقصود، و رجوعى كه ادراک كننده است مطلوب را دعوت نمود بسوى آن تقوى شنوانندە ترين دعوت كنندگان، و حفظ نمود و نگاه داشت آنرا بهترين نگاه دارندگان، پس شنوانيد دعوت كننده آن، و فايز شد نگاه دارنده آن.

اى بندگان خدا بدرستى كه تقوى و پرهيزكارى از خداى تعالى حفظ نمود دوستان خدا را از محرّمات آن، و لازم گردانيد قلبهاى ايشان را ترس او را تا اين كه بيدار گردانيد آن ترس شبهاى ايشان را بجهة عبادت، و تشنه ساخت روزهاى گرم ايشان را بجهة روزها و كثرت طاعت، پس فرا گرفتند استراحت آخرت را بعوض چند روزها زحمت، و سيرابى را بعوض تشنگى، و نزديک شمردند مدّت عمر را، پس مبادرت نمودند بسوى أعمال صالحه، و تكذيب نمودند آرزوهاى باطله را، پس ملاحظه كردند مرگ را.

پس بدرستى كه دنيا دار فنا و مشقّت و تغيّر و عبرت است، پس از جمله فناء دنيا اين است كه روزگار بزه كرده كمان خود را، خطا نمى كند تيرهاى او، و دوا كرده نمى شود زخمهاى او، مى اندازد زنده را بمرگ، و تندرست را به بيمارى، و رستگار را بهلاكت و گرفتارى، خورنده ايست كه سير نمى شود، و آشامنده ايست كه سيراب نمى باشد، و از جمله مشقّتهاى دنيا اين است كه بدرستى كه مرد جمع ميكند چيزى را كه نمى خورد، و بنا ميكند چيزى را كه ساكن نمى شود، پس بيرون مى رود بسوى خدا در حالتى كه نه مالى باشد كه برداشته باشد، و نه بنائى باشد كه نقل نمايد.

و از جمله تغيّرات دنيا اين است كه تو مى بينى فقير عاجزيكه خلايق بحال او رحم مى نمايند غبطه برده شده بجهة ثروت و مال، و كسى كه بحال او غبطه مى نمايند رحم شده بجهة فقر وفاقه يعنى در اندک زمانى پريشانى فقير برفاه حال مبدّل مى شود و رفاه حال غنى بفقر

تبدیل می یابد، نیست این حال یعنی تبدّل حال غنی به پریشانی مگر نعمتی که منتقل شده باشد، و شدّتی که فرود آمده باشد.

و از جملهٔ عبرتهای دنیا اینست که مرد مشرف و نزدیک می شود بادراک آرزوی خود پس جدا میکند او را حاضر شدن مرگ او، پس سبحان اللّه چه چیز سبب غرور گردانیده شادی دنیا را، و تشنه ساخته سیرابی دنیا را، و گرم گردانیده سایه دنیا را، نه آینده باز گردانیده می شود نه بر گذشته رجوع می نماید.

پس سبحان اللّه چه چیز غریب و عجیب باعث شده بر نزدیکی زنده از مرده بجهة سرعت لحوق او بآن، و چه چیز باعث شده بدوری مرده از زنده بجهة بریده شدن او از آن، بدرستی که نیست بدتر از بد مگر عقاب آن، و نیست بهتر از خوب مگر ثواب آن، و هر چیز از دنیا شنیدن آن بزرگتر است از دیدن آن، و هر چیزی از آخرت دیدن او بزرگتر است از شنیدن آن، پس باید که کفایت نماید شما را از دیدن امور اخروی شنیدن آن، و از غیبها خبر او، و بدانید آن چیزی که ناقص شود از دنیا و زیاده شود بر آخرت بهتر است از چیزی که ناقص شود از آخرت و زاید شود بر دنیا، پس بسا کم شده ایست که باعث ربح و منفعت است، و بسا زیاده ایست که باعث ضرر و خسارت.

بدرستی که آن چیزی که خداوند شما را أمر فرموده بآن فراخ تر است از چیزی که نهی فرموده خدا شما را از آن، و چیزی که حلال شده از برای شما أکثر است از چیزی که حرام شده بر شما، پس ترک نمائید چیزی که اندک است از برای چیزی که بسیار است، و چیزی که تنگ است از برای چیزی که وسعت دارد، بتحقیق که کفالت شده است از برای شما بروزی، و مأمور شده اید بعمل، پس باید نباشد چیزی که ضمانت شده است از برای شما طلب کردن آن اولی بشما از چیزی که فرض و واجب شده است بر شما عمل آن.

با وجود این بحق خدا پیش آمده است شما را شک در ضمان روزی و مدخول

و متزلزل شده است يقين در فرض ربّ العالمين حتى اين كه گويا آنچه كه ضمانت شده براى شما واجب كرده شده است بر شما و چيزى كه فرض كرده بر شما انداخته شده است از گردن شما، پس بشتابيد بسوى عمل، و بترسيد از ناگهان رسيدن أجل، پس بدرستى كه اميد گرفته نمى شود از باز گشتن عمر آنچه كه اميد گرفته مى شود از باز گشتن روزى، آنچه كه فوت شده است امروز از روزى اميد گرفته مى شود فردا افزونى آن، و آنچه كه فوت شده است ديروز از عمر اميد گرفته نمى شود امروز بازگشتن آن، اميد با آينده است كه روزى فردا است، و نوميدى با گذشته است كه عمر ديروزى است بس، و بترسيد از خدا حق تقوى و ترسكارى، و مميريد مگر در حالتى كه شما هستيد مسلمان و تسليم داريد حكم ملك منّان.

و من خطبة له عليه السّلام فى الاستسقاء و هى المأة و الرابعة

اشارة

عشر من المختار فى باب الخطب

و هى ملتقطة من خطبة طويلة اوردها الصدوق فى الفقيه باختلاف كثير ناتى بها بعد الفراغ من شرح ما رواه السيد (ره) فى الكتاب لكثرة فوائدها و مزيد عوايدها أللّهمّ قد انصاحت جبالنا، و أغبرت أرضنا، و هامت دوابّنا، «و تحيرت فى مرابضها خ»، و عجّت عجيج الثّكالى على أولادها، و ملّت التّردّد فى مراتعها، و الحنين إلى مواردها، أللّهمّ فأرحم أنين الانّة، و حنين الحانّة، أللّهمّ فارحم حيرتها فى مذاهبها، و أنينها فى موالجها، أللّهمّ خرجنا إليك حين اعتكرت علينا حدابير السّنين، و أخلفتنا مخائل الجود، فكنت الرّجاء للمبتئس و البلاغ للملتمس،

ص:72

ندعوک حین قنط الأنام، و منع الغمام، و هلک السّوام، ألاّ تؤاخذنا بأعمالنا، و لا تأخذنا بذنوبنا، و انشر علینا رحمتک بالسّحاب المنبعق، و الرّبیع المغدق، و النّبات المونق، سحا وابلا تحیی به ما قد مات، و تردّ به ما قد فات، ألّلهمّ سقیا منک محییة مرویة تامّة عامّة طیّبة مبارکة هنیئة مریئة مریعة زاکیا نبتها، ثامرا فرعها، ناضرا ورقها، تنعش بها الضّعیف من عبادک، و تحیی بها المیّت من بلادک. ألّلهمّ سقیا منک تعشب بها نجادنا، و تجری بها وهادنا، و تخصب بها جنابنا، و تقبل بها ثمارنا، و تعیش بها مواشینا، و تندی بها أقاصینا و تستعین بها ضواحینا، من برکاتک الواسعة، و عطایاک الجزیلة علی بریّتک المرملة، و وحشک المهملة، و أنزل علینا سماء مخضلّة مدرارا هاطلة، یدافع الودق منها الودق، و یحفز القطر منها القطر، غیر خلّب برقها، و لا جهام عارضها، و لا قزع ربابها، و لا شفّان ذهابها حتّی یخصب لإمراعها المجدبون، و یحیا ببرکتها المسنتون، فإنّک تنزل الغیث من بعد ما قنطوا، و تنشر رحمتک، و أنت الولیّ الحمید.

قال السید رضی (ره) قوله (انصاحت) جبالنا أی تشقّقت من المحول یقال انصاح الثوب إذا انشقّ و یقال أیضا انصاح النبت و صاح و صوح إذا جفّ و یبس کلّه بمعنی، و قوله (هامت دوابنا) أی عطشت و الهیام العطش و قوله (حدابیر السنین)

جمع حدبار و هى الناقة التى انضاها السّير فشبّه بها السّنة التى فشا فيها الجدب قال ذو الرّمة:

حدابير ما تنفکّ إلاّ مناخة على الخسف أو ترمى بها بلدا قفرا

و قوله (و لا قزع ربابها) القزع الصـغار المتفرّقة من السّـحاب، و قوله (و لا شـفان ذهابها) فانّ تقديره و لا ذات شـفّان ذهابها و الشفان الريح الباردة، و الذهاب الأمطار الليّنة فحذف ذات لعلم السامع به

اللغة

(الاستسـقاء) استفعال بمعنى طلب السّقى مثل الاستمطار لطلب المطر و استسقيت فلانا إذا طلبت منه أن يسقيک و قد صار حقيقة شرعية أو متشـرّعة فى طلب الغيث بالـدّعاء (و هامت دوابنا) يجوز أن يكون من الهائم بمعنى المتحيّر و (ثكلت) المرأة ولدها ثكلا من باب تعب فقـدته و الاسم الثكل و زان قفل فهى ثاكل و قـد يقال ثاكلـة و ثكلى و الجمع ثواكل و ثكالى و فى بعض النسخ الثكلى بدل الثكالى و (أنّ) الرجل انّا و أنينا تأوّه و (الحنين) الشّوق و شدّة البكاء و (الآنّة الحانّة) الشّاة و النّاقة يقال ماله آنّة و لا حانّة.

و (عكر) على الشـىء يعكر عكرا و عكورا و اعتكر كرّوا نصـرف، و العكـار الكرار العطـاف، و اعتكر الظلاـم اختلط و (الجود) بفتـح الجيم المطر الغزير، و فى بعض النسـخ الجود بضم الجيم و (قنط) يقنط من بابى ضـرب و تعب و فى لغة من باب قعد فهو قانط و قنوط (و انبعق) السّـحاب انبعج و انفرج بالمطر و (المغدق) من اغدق الشـجر إذا ظهرت ثمرته و (السّح) بالضّم الصّب و السّيلان من فوق و (السّقيا) و زان فعلى بالضّم مؤنثة اسم من سـقاه اللّه الغيث أنزله له و (مروية) من باب الافعال أو التفعيل و منه يوم التروية لثامن ذى الحجّة لأنّ الماء كان قليلا بمعنى فكانوا يرتوون من الماء لما بعد.

و (تعشب) بفتـح المضارعـة مضـارع عشب و زان تعب أو بضـمّها من باب الافعال يقال عشب الارض و اعشـبت أى نبتت فهى عشـيبة و عاشبة و معشبة أى كثيرة العشب

ص:74

و يقـال اعشـبت الأـرض أيضـا أى انبتت العشب فتكون الهمزة للتعديـة و العشب بالضمّ الكلاء الرطب فى أوّل الربيع، و فى بعض النسـخ تعشب بالبناء على المفعول.

و (النجـاد) بكسـر الأوّل جمع نجـد و هو ما ارتفع من الأرض و يجمع أيضا على نجود كفلس و فلوس و (الوهاد) بكسـر الأول أيضا جمع الوهـد و هى المنخفضة من الارض و (خصب) الأرض من باب ضـرب و علم و اخصـبت أى اتّصـفت بالخصـيب و هو بكسـر الخا كثرة العشب و رفاغة العيش و (الجناب) بفتح الجيم الفناء بالكسـر و هو سعة امام البيت أو ما امتدّ من جوانبه، و يطلق الجناب على الجانب من كلّ شىء أيضا و (أرمل) فلان أى افتقر و فقد زاده.

و (اخضـله) المطر أى بلّه و السّـماء المخضلة أى تخضل النبت و تبلّه، و فى أكثر النسخ مخضلّة و زان مبيضّة من اخضلّ النبت اخضلالا أى ابتلّ و (حفزه) كضـربه دفعه بشدّة (البرق الخلّب) المطمع المخلف و السـحاب (الجهام) الذى لا ماء فيه و (العارض) السـحاب الذى يعترض فى افق السّـماء و (القزع) محركة قطع من السّـحاب متفرّقة جمع قزعة، و (الرّباب) بفتح الأوّل السّحاب الأبيض و (الذّهاب) بكسر الـذال جمع الذّهبـة بالكسـر أيضا المطرة الضّـعيفة و (مرع) الوادى بالضّم مراعة أخصب بكثرة الكلاء فهو مريع و الجمع امرع و أمرع مثل يمين و ايمن و أيمن.

و أرض محل - و محول - و محلـة و ممحل و ممحلة أى اتّصـفت بالجذب و انقطاع المطر - و انضاها السـير أى هزلها و - الحدابير - فى بيت ذى الرّمـة مما لم يـذكره إلاّ السـيد (ره)، و الموجود فى كتب الأدبيّـة حراجيج و هكذا روى الشارح المعتزلى عن ابن الخشاب، و هى جمع حرجوج الناقة الضّامرة و - الخسف - الذلّ و البلد القفر لا ماء فيه و لا نبات.

الاعراب

منع الغمام فعل لم يسمّ فاعله رعايـة للأدب و اسـتكراها لاضافة المنع إلى اللّه سـبحانه و هو منبع النعم و مبدء الجود و الكرم، و فى بعض النّسخ منع الغمام بصيغة

المعلوم فلا بدّ من حذف المتعلّق أى منع الغمام من المطر، و سحّا منصوب على المصدر أى تسحّ سحّا، و جملة تحيى به منصوبة المحلّ على الحال من فاعل نشر و سقيا منک، منصوب على المصدر أيضا و نجادنا بالرفع فاعل تعشب و يروى بالنّصب فيكون مفعولا له بناء على كونه من باب الافعال متعدّيا حسبما مرّ فى بيان اللغة.

و قوله على بريّتک ظرف لغو متعلّق بالجزيلة أو الواسعة على التنازع، و سماء مخضلة تأنيث الوصف رعاية للفظ الموصوف و إن كان المعنى مذكّرا، و جملة يدافع الودق منصوبة المحلّ صفة لسماء أو حال منها لكونها نكرة موصوفة أو من ضمير هاطلة، و الوجهان جاريان فى نصب غير خلب.

و أمّا بيت ذى الرّمة فقد اعترض عليه غير واحد من علماء الأدبية بكونه مخالفا للقواعد النحوية حيث أنّ شرط الاستثناء المفرّغ أن يكون فى الكلام الغير الموجب و هذا الشرط مفقود هنا، لأنّ تنفکّ الناقصة مثل زال نفيها اثبات و اثباتها نفى فكما لا يجوز أن يقال ما زال زيد إلاّ قائما، فكذلک لا يجوز ما تنفکّ إلاّ مناخة، و لذلک قال الاصمعى: إنّ ذا الرّمة غلط فى ذلک إذ لا يقال جاء زيد إلاّ راكبا.

و اجيب بوجوه: الاول أنّ الرواة غلطوا فيه و أنّ الرواية الصحيحة إلاّ مناخة بالتنوين أى شخصا الثانى انّ تنفکّ تامّة بمعنى تنفصل فنفيها نفى أى ما تنفصل عن التّعب أو ما تخلص منه و مناخة حال من الضمير فى تنفک أى لا تنفصل منه فى حالة من حالات إلاّ فى حالة الاناخة الثالث أنها ناقصة و الخبر على الخسف و مناخة حال.

قال ابن هشام: و هذا فاسد لبقاء الاشكال إذ لا يقال جاء زيد إلاّ راكبا يعنى أنّ الاشكال الذى هو وقوع الاستثناء المفرّغ فى الايجاب لا يرتفع بهذا الجواب بل هو باق بحاله.

و قد يعترض عليه بأنّ الاستثناء المفرّغ يقع فى الايجاب بشرطين كما صرّح به ابن الحاجب أحدهما أن يكون المستثنى فضلة لا عمدة، الثانى أن تحصل به فائدة فلا يجوز ضربت إلاّ زيدا إذ من المحال أن يضرب جميع الناس إلاّ زيدا، و يجوز قرئت إلاّ يوم كذا، لجواز أن يقرأ فى جميع الأيام إلاّ فى ذلک اليوم و على

هذا فيرتفع الاشكال و لا يبقى بحاله لأنّ مناخة إذا كان خبرا كان عمدة و أمّا إذا كان حالا كان فضلة و كان الكلام مفيدا الرابع أنّ إلاّ زائدة ذهب إليه ابن جنّى و حكى عن الاصمعى كما ذهب إليه ابن مالک قوله:

أرى الدّهر الاّ منجنونا بأهله و ما صاحب الحاجات إلاّ معذّبا

هذا، و قوله: من برکاتک، بدل من قوله: منک، أى سقيا من برکاتک، و مخضلة صفة لسماء و التانيث باعتبار لفظ الموصوف و إن کان باعتبار معناه أعنى المطر مذکرا، و جملة يحفر القطراه عطف تفسير.

المعنى

اشارة

اعلم أنّ هذه الخطبة کما ذکره السّيده (ره) خطب عليه السّلام بها فى الاستسقاء أى فى مقام طلب السّقيا و توفير المياه، قال شيخنا الشهيد طاب ثراه، و الاستسقاء أنواع أدناه الدّعاء بلا صلاة، و لا خلاف صلاة، و أوسطه الدّعاء خلف الصّلاة، و أفضله الاستسقاء برکعتين.

و کيفيّته على ما وردت فى الأخبار و نبّه عليها علمائنا الأخيار أن يخرج النّاس بعد التوبة و ردّ المظالم و تهذيب الأخلاق و صوم ثلاثة أيّام يکون ثالثها يوم الاثنين، و يبرزوا فى الثالث إلى الصّحراء و إن کانوا بمکّة فالى المسجد الحرام حفاة مشاة و نعالهم فى أيديهم بسکينة و وقار متخشّعين مخبتين مستغفرين، و يخرجون الشّيوخ و الصّبيان و البهايم و أهل الزّهد و الصّلاح، فاذا حضروا فى المصلّى ينادى المؤذّنون بدل الأذان، الصّلاة ثلاثا، فيصلّى الامام بالنّاس رکعتين: يقرأ فى الاولى بعد الحمد سورة بالجهر ثمّ يکبّر خمسا و يقنت عقيب کلّ تکبيرة و يدعو فى القنوت بالاستغفار و طلب الغيث و إنزال الرحمة، و من المأثور فيه: اللّهمّ اسق عبادک و امائک و بهائمک و انشر رحمتک و أحى بلادک الميّتة، ثمّ يکبّر السادسة و يرکع و يسجد السجدتين ثمّ يقوم إلى الرکعة الثانية فيفعل مثل ما فعل فى الاولى إلاّ أنّ التکبيرات فيها أربع و يقنت أربعا أيضا عقيب التکبيرات، ثمّ يکبّر الخامسة و يرکع و يسجد و يشهد و يسلّم.

ص:77

فلما فرغ من الصلاة يصعد المنبر و يحوّل ردائه فيجعل الذى على يمينه على يساره و الذى على يساره على يمينه تأسّيا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و سئل الصّادق عليه السّلام عن تحويل النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رداه إذ استسقى قال عليه السّلام: علامة بينه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بين أصحابه يحول الجدب خصبا، و يخطب بخطبتين ثمّ يستقبل القبلة فيكبّر اللّه مائة تكبيرة رافعا بها صوته، ثمّ يلتفت إلى يمينه فيسبّح اللّه مائة مرّة رافعا بها صوته، ثمّ يلتفت إلى يساره فيهلّل اللّه مائة تهليلة رافعا بها صوته، ثمّ يستقبل الناس بوجهه فيحمد اللّه مائة رافعا بها صوته و الناس يتابعونه فى الأذكار دون الالتفات إلى الجهات، فان سقوا، و إلاّ عادوا ثانيا و ثالثا من غير قنوط بانين على الصوم الأوّل ان لم يفطروا و إلاّ فبصوم مستأنف إذا عرفت ذلک فنقول :إنّ من أفضل الخطب المأثورة فى هذا المقام و أفصحها ما خطب إمام الانام عليه السّلام و هو قوله (اللّهمّ قد انصاحت جبالنا) أى تشقّقت من المحل و الجدب (و اغبرت ارضنا) أى صارت كثير الغبار بانقطاع الأمطار (و هامت دوابنا) أى عطشت و تحيّرت فى مرابضها و مباركها من الظّماء و فقدان النّبات و الكلاء.

(و عجّت) أى صرخت مثل (عجيج الثكالى على أولادها) يحتمل رجوع الضمير إلى الثكالى و رجوعه إلى الدّواب و الأوّل أظهر (و ملت التردّد فى مراتعها و الحنين إلى مواردها) و ذلک لأنّها أكثرت من التردّد فى مراتعها المعتادة فلم تجد فيها نبتا ترعاه فملت من التردّد و كذلک لم تجد ماء فى الغدران و الموارد المعدّة لشربها، فحنت إليها و ملت من الحنين، و يئست من الانين.

(أللهمّ فارحم أنين الآنّة) من الشياة (و حنين الحانّة) من النّوق (اللّهمّ فارحم حيرتها فى مذاهبها) و مسالكها (و أنينها فى موالجها) و مداخلها و إنما ابتدء عليه السّلام بذكر الدوّاب و الأنعام لأنها أقرب إلى الرّحمة و مظنة الافضال بها على المذنبين من الامّة.

و يرشد إلى ذلک ما فى منتخب التوراة، يابن آدم كيف لا ـ تجتنبون الحرام، و لا اكتساب الآثام، و لا تخافون النيران، و لا تتّقون غضب الرّحمن، فلو لا مشايخ ركّع، و أطفال رضّع، و بهائم رتّع، و شباب خشّع، لجعلت السّماء فوقكم حديدا

و الأرض صفصفا، و التراب رمادا، و لا انزلت عليكم من السماء قطرة، و لا أنبتّ لكم من الأرض حبّة، و يصبّ عليكم العذاب صبّا.

و فى النبوى لو لا أطفال رضّع، و شيوخ ركّع، و بهائم رتّع لصّب عليكم العذاب صبّا.

و فى الفقيه عن حفص بن غياث عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنّه قال: إنّ سليمان ابن داود عليه السّلام خرج ذات يوم مع أصحابه ليستسقى فوجد نملة قد رفعت قائمة من قوائمها إلى السّماء و هى تقول: اللّهمّ إنا خلق من خلقك لاغناء بنا عن رزقك، فلا تهلكنا بذنوب بنى آدم، فقال سليمان لأصحابه: ارجعوا فقد سقيتم بغيركم.

و روى الرازى عن رجل أنّه قال: أصاب النّاس فى بعض الأزمنة قحط شديد فأصروا يستسقون، فلم يستجب لهم، قال الراوى: فأتيت وقتئذ إلى بعض الجبال فاذا بظبية قلقة من كثرة العطش و شدّة الهيام مبادرة نحو غدير هناك، فلما وصلت إلى الغدير و لم تجد فيها ماء تحيرت و اضطربت و رفعت رأسها إلى السّماء تحرّكه و تنظر إليها، فبينما هى كذلك رأيت سحابة ارتفعت و أمطرت حتّى امتلاء الغدير فشربت منه و ارتوت ثمّ رجعت.

ثمّ قال عليه السّلام (اللهمّ خرجنا إليك حين اعتكرت) أى تكرّرت(علينا حدابير السّنين)تشبيه السّنين بالحدابير من باب تشبيه المعقول بالمحسوس و وجه الشّبه عقلى، و هو أنّ الحدابير كما تتعب راكبها فكذلك السّنون تتعب أهلها كما لا يخفى.

(و اخلفتنا مخائل الجود) أى الامارات التى توقع الجود فى الخيال و أراد بها البرق و السّحاب الّتى يظنّ أنّها تمطر و ليست بماطرة، فكأنها وعدت بالمطر فأخلفت و لم تف بوعده (فكنت الرجاء للمبتئس) أى ذى البؤس الحزين (و البلاغ للملتمس) أى كفاية للطالب المسكين (ندعوك حين قنط الانام) و يأس (و منع الغمام) و حبس (و هلك السوام) أى الابل السائمة الرّاعية.

(ألاّ تؤاخذنا بأعمالنا و لا تأخذنا بذنوبنا) قال الشارح المعتزلى: الفرق بين المؤاخذة و الأخذ أنّ الأول عقوبة دون الثانى لأنّ الأخذ هو الاستيصال و المؤاخذة عقوبة

أقول: إن كان نصّ بـذلک من أهل اللغـة فلا بأس، و إلاّ فقولهم زيادة المبانی تـدلّ علی زيادة المعانی يفيـد عكس ما قاله، و كيف كان ففی كلامه عليه السّلام دلالة علی أنّ للذّنوب و المعاصـی مدخليّة فی منع اللّطف و الرّحمة و اسـتحقاق المؤاخذة و السـخطة، و سـرّ ذلک أنّ الجود الالـهی لاـ بخل فيه و لا مانع له من قبله سـبحانه و إنما يصل إلی الموادّ بحسب القابليـة و الاسـتعداد، و المنهمكون فی المعاصـی راغبون عن اللّه تعالی و عن تلقّی آثار رحمته، فهم لانهماكهم فی الفساد اسـقطوا أنفسـهم عن الاستعداد، و حریّ بمن كان كذلک أن يمنع من الفيوضات و يحرم من البركات.

و قد روی فی الأخبار أنّ كلاّ من أصناف الذّنوب تورث نوعا خاصّا من المؤاخذات الدّنيوية، مثل ما رواه فی الفقيه عن عبد الرحمن بن كثير عن الصادق عليه السّلام أنه قال:

إذا فشت أربعـة ظهرت أربعة إذا فشا الزّنا ظهرت الزلازل، و إذا امسـكت الزكاة هلكت الماشـية، و إذا جار الحاكم فی القضاء أمسک المطر من السماء، و إذا خفرت(1) الذّمة نصر المشركون علی المسلمين.

و فی الكافی عن أبان عن رجل عن أبی جعفر عليه السّلام قال قال رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم خمس إن أدركتموهنّ فتعوّذوا باللّه منهنّ: لم تظهر الفاحشـة فی قوم قـطّ حتی يعلنوها إلاّ ظهر فيهم الطاعون و الأوجاع التی لم تكن فی أسـلافهم الـذين مضوا، و لـم ينقصوا المكيال و الميزان إلاّ اخذوا بالسـنين و شدّة المؤنة و جور السلطان، و لـم يمنعوا الزّكاة إلاّ منعوا القطر من السماء و لو لا البهائم لم يمطروا، و لـم ينقضوا عهـد اللّه و عهـد رسوله إلاّ سـلّط اللّه عليهم عدوّهم و أخذوا بعض ما فی أيديهم، و لـم يحكموا بغير ما أنزل اللّه إلاّ جعل اللّه بأسهم بينهم.

و عن أبی حمزة عن أبی جعفر عليه السّلام قال وجـدنا فی كتاب رسول اللّه صـلّی اللّه عليه و آله و سـلّم إذا ظهر الزّنا من بعـدی كثر موت الفجـأة، و إذا طفّف المكيـال و الميزان أخـذهم اللّه بالسـنين و النقص، و إذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها من الزّرع و للثمار و المعادن كلّهـا، و إذا جـاروا فی الأحكـام تعـاونوا علی الظلم و العـدوان، و إذا نقضوا العهـد سـلّط اللّه عليهم عـدوّهم، و إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال فی أيدی الأشرار، و إذا

1- (1) خفر خفورا و خفرا نقض عهده و غدره كأخفره، قاموس.

لم يأمروا بالمعروف و لم ينهوا عن المنكر و لم يتبعوا الأخيار من أهل بيتى سلّط اللّه عليهم شرارهم فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم.

ثمّ قال عليه السّلام (و انشر علينا رحمتك بالسّحاب المنبعق) أى المنفرج بالمطر و السّائل الكثير السّيلان (و الربيع المغدق) المظهر للثمر (و النيات المونق) المعجب (سحّا) أى صبّا (وابلا) أى مطرا شديدا (تحيى به ما قد مات و تردّ به ما قد فات) من الزرع و النّبات (اللّهمّ سقيا منك محيية) للموات (مروية) للنّبات (تامّة) ثمراتها (عامة) بركاتها (طيّبة مباركة هنيئة مريئة مريعة) أى سائغة لذيذة خصيبة واسعة (زاكيا ناميا (نبتها ثامرا فرعها) أى يكون فرعها ذا ثمر (ناضرا ورقها) أى يكون ورقها ذا نضرة و حسن و بهجة (تنعش) و ترفع (بها الضعيف من عبادك و تحيى بها الميّت من بلادك اللّهمّ سقيا منك تعشب بها نجادنا) أى تنبت بها أراضينا المرتفعة (و تجرى بها و هادنا) أى تسيل بها أراضينا المنخفضة المطمئنّة (و تخصب بها جنابنا) أى تكثر بها عشب فنائنا و جوانبنا (و تقبل بها ثمارنا و تعيش بها مواشينا و تندى) أى تنتفع بها (أقاصينا) و أباعدنا (و تستعين بها ضواحينا) و نواحينا (من بركاتك الواسعة و عطاياك الجزيلة) العظيمة الكثيرة (على بريّتك المرملة) المفتقرة (و وحشك المهملة) المرسلة التى لا راعى لها و لا صاحب يشفق بها (و أنزل علينا سماء مخضلّة) مبتلّة (مدرارا هاطلة) أى كثيرة الدّرور متتابعة (يدافع الودق منها الودق و يحفز القطر منها القطر) أراد بذلك كثرتها و شدّتها و كونها أعظم و أغزر.

و أكّد ذلك بقوله (غير خلب برقها و لا جهام عارضها و لا قزع ربابها و لا شفّان ذهابها) أى لا يكون برقها مطمعا مخلفا، و لا سحابها المعترض فى افق السّماء خاليا من الماء، و لا سحابها الأبيض قطعا متفرقة، و لا أمطارها اللّينة الضعيفة ذات ريح باردة بالزرع و النبت مضرّة و أراد بذلك كلّه عموم نفعها و كثرة منفعتها (حتى يخصب لامراعها المجدبون) أى يتّصف أهل الجدب بالخصب و رفاغة العيش لكثرة كلائها (و يحيى ببركتها المسنتون) الذين أصابتهم السنة و جهد القحط

(فانّک تنزل الغیث من بعد ما قنطوا و تنشر رحمتک) و هذا اشارة إلى حسن الظنّ باللّه و عدم القنوط و الیأس من روح اللّه (و أنت الولیّ) للنعم و الاحسان و (الحمید) بالکرم و الامتنان و أنت على کلّ شیء قدیر و بالاجابة حقیق جدیر.

تکملة

ینبغی أن نورد تمام تلک الخطبة على ما فی الفقیه و نتبعها بتفسیر بعض ألفاظها الغریبة، فأقول: قال الصّدوق (ره): و خطب أمیر المؤمنین علیه السّلام فی الاستسقاء فقال:

الحمد للّه صابغ النّعم، و مفرّج الهمّ، و باریء النّسم، الذی جعل السماوات لکرسیّه عمادا، و الجبال للأرض أوتادا، و الأرض للعباد مهادا، و ملائکته على أرجائها، و عرشه على أمطائها، و أقام بعزّته أرکان العرش، و أشرق بضوئه شعاع الشّمس، و أحیا بشعاعه ظلمة الغطش الدیاجیر، و فجر الأرض عیونا، و القمر نورا و النّجوم بهورا ثمّ علا فتمکّن، و خلق فأتقن، و أقام فتهیمن، فخضعت له نخوة المستکبر، و طلبت إلیه خلّة المتمسکین «المتمکن خ»، اللّهم فبدرجتک الرفیعة و محلّتک المنیعة و فضلک السابغ، و سبیلک الواسع، أسئلک أن تصلّی على محمّد و آل محمّد کما دان لک، و دعا إلى عبادتک، و وفا بعهدک، و أنفذ أحکامک، و اتّبع أعلامک، عبدک و نبیّک و أمینک على عهدک إلى عبادک القائم بأحکامک، و مؤیّد من أطاعک و قاطع عذر من عصاک، اللهمّ فاجعل محمّدا أجزل من جعلت له نصیبا من رحمتک، و أنضر من أشرق وجهه بسجال عطایاک، و أقرب الأنبیاء زلفة یوم القیامة عندک، و أوفرهم حظّا من رضوانک، و أکثرهم صفوف امّة فی جنانک، کما لم یسجد للأحجار، و لم یعتکف للأشجار، و لم یستحلّ السباء، و لم یشرب الدّماء.

اللّهمّ خرجنا إلیک حین فاجأتنا المضایق الوعرة، و ألجأتنا المحابس العسرة و عضّتنا علائق الشّین، و تأثلت علینا لواحق المین، و اعتکرت علینا حدابیر السنین و أخلفتنا مخائل الجود، و استظمأنا لصوارخ القود، و کنت رجاء المبتئس، و الثقة للملتمس، ندعوک حین قنط الأنام، و منع الغمام، و هلک السّوام، یا حیّ یا قیّوم،

عدد الشجر و النجوم، و الملائكة الصّفوف، و العنان المكفوف، ألا تردّنا خائبين و لا تؤاخذنا بأعمالنا، و لا تخاصمنا بذنوبنا، و انشر علينا رحمتک بالسّحاب المنساق و النبات المونق، و امنن على عبادک بتنويع الثمرة، و أحى بلادک ببلوغ الزّهرة، و اشهد ملائكتک الكرام السفرة، سقيا منک نافعة دائمة غزرها واسعا درّها، سحابا وابلا، سريعا عاجلا تحيى به ما قد مات و تردّ به ما قد فات، و تخرج به ما هو آت.

اللهمّ اسقنا غيثا مغيثا ممرعا طبقا مجلجلا متتابعا خفوقه، منبجسة بروقه، مرتجسة هموعه، و سيبه مستدّر، و صوبه مستطر، لا تجعل ظلله علينا سموما، و برده علينا حسوما، وضوئه علينا رجوما، و مائه أجاجا، و نباته رمادا رمددا.

اللّهمّ انّا نعوذ بک من الشّرک و هواديه، و الظلم و دواهيه، و الفقر و دواعيه يا معطى الخيرات من أماكنها، و مرسل البركات من معادنها، منک الغيث المغيث و أنت الغياث المستغاث، و نحن الخاطئون و أهل الذنوب، و أنت المستغفر الغفار، نستغفرک للجهالات من ذنوبنا، و نتوب إليک من عوامّ خطايانا اللهمّ فأرسل علينا ديمة مدرارا، و اسقنا الغيث و اكفا مغزارا، غيثا واسعا و بركة من الوابل نافعة، تدافع الودق بالودق، و يتلو القطر منه القطر، غير خلّب برقه و لا مكذب رعده، و لا عاصفة جنائبه، بل ريّا يقصّ بالرّىّ ربابه، و فاض فانضاع به سحابه، جرى آثار هيدبه جنابه، سقا منک مجلبة «محيية خ» مروية مفضلة محفلة زاكيا نبتها، ناميا زرعها، ناضرا عودها، ممرعة آثارها، جارية بالخصب و الخير على أهلها، تنعش بها الضّعيف من عبادک، و تحيى بها الميّت عن بلادک، و تنعم بها المبسوط من رزقک، و تخرج بها المخزون من رحمتک، و تعمّ بها من نأى من خلقک حتى يخصب لا ـ مراعها المجدبون، و يحيى ببركتها المسنتون، و تترع بالقيعان غدرانها، و تورق ذرى الآكام زمراتها، و يدهام بذرى الآجام شجرها، و يستحقّ علينا بعد اليأس شكرا منّة من مننک مجللة، و نعمة من نعمک مفضلة على بريّتک المرملة، و بلادک المعرنة، و بهائمک المعملة، و وحشک المهملة

اللهم منک ارتجاؤنا، و إليک مآبنا، فلا تحبسه علينا لتبطنک سرائرنا، و لا تؤاخذ بما فعل السّفهاء منّا، فانّک تنزل الغيث من بعد ما قنطوا و تنشر رحمتک و أنت الولیّ الحميد.

ثمّ بکی عليه السّلام فقال: سيّدی صاحت جبالنا، و اغبرت أرضنا، و هامت دوابنا و قنط الناس منّا أو من قنط منهم، و تاهت البهائم، و تحيّرت فی مراتعها، و عجّت عجيج الثّکالی علی أولادها، و ملّت الدّوران فی مراتعها حين حبست عنها قطر السّماء، فدقّ لذلک عظمها، و ذهب لحمها و ذاب شحمها، و انقطع درّها.

اللهمّ ارحم أنين الآنّة، و حنين الخانّة، ارحم تحيّرها فی مراتعها، و أنينها فی مرابضها، هذا.

و يعجبنی أن اردف هذه الخطبة الشريفة بخطبتی السيّدين الجليلين الامامين الهمامين النّورين النّيرين أبی محمّد الحسن و أبی عبد اللّه الحسين عليهما و علی جدّهما و أبيهما و الطيبين من آلهما صلوات اللّه و سلامه ملاء الخافقين، ليعلم أنّ کلامهما تالی کلام أبيهما فی الفصاحة، و أنّ الکلّ قد بلغ الغاية فی البراعة و البلاغة.

وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ «كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِي السَّماءِ تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها ».

قال فی الفقيه: و جاء قوم من أهل الکوفة إلی علیّ عليه السّلام فقالوا يا أمير المؤمنين ادع لنا بدعوات فی الاستسقاء، فدعا علیّ عليه السّلام الحسن و الحسين عليهما السّلام فقال:

يا حسن ادع، فقال الحسن عليه السّلام:

اللهمّ هيّج لنا السحاب بفتح الأبواب، بماء عباب، و رباب بانصباب و انسکاب يا وهاب، و اسقنا مطبقة مغدقة مونقة، فتح اغلاقها، و سهل اطلاقها، و عجل سياقها بالأندية فی الأودية يا وهّاب، بصوب الماء يا فعّال، اسقنا مطرا قطرا ظلا مظلاّ طبقا مطبقا عاما معما رهما بهما رحيما رشا مرشا واسعا کافيا عاجلا طيبا مبارکا سلاطح بلاطح يناطح الأباطح مغدودقا مطبوقا مغرورقا، و اسق سهلنا و جبلنا،

و بدونا و حضرنا، حتی ترخص به أسعارنا، و تبارک به فی ضیاعنا و مدننا أرنا الرزق موجودا و الغلا مفقودا، آمین ربّ العالمین.

ثمّ قال للحسین علیه السّلام: ادع، فقال الحسین علیه السّلام اللهمّ معطی الخیرات من مظانها، و منزل الرحمات من معادنها، و مجری البرکات علی أهلها، منک الغیث المغیث، و أنت الغیاث و المستغاث، و نحن الخاطئون و أهل الذنوب، و أنت المستغفر الغفار، لا إله إلاّ أنت، اللهمّ أرسل السماء علینا دیمة مدرارا، و اسقنا الغیت و اکفا مغزارا، غیثا مغیثا واسعا مسبغا مهطلا مریئا مریعا غدقا مغدقا عبابا مجلجلا-صحا صحصا حابسا بساسا مسبلا عاما ودقا مطفاحا، تدفع الودق بالودق دفاعا و یطلع القطر منه القطر غیر خلّب البرق، و لا مکذب الرعد، تنعش بها الضعیف من عبادک، و تحیی به المیت من بلادک، و تستحق علینا مننک آمین ربّ العالمین.

فما تمّ کلامه علیه السّلام حتّی صبّ اللّه الماء صبا، فسئل سلمان الفارسی فقیل یا أبا عبد اللّه هذا شیء علماه؟ فقال (رض) ویحکم ألم تسمعوا قول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حیث یقول: اجریت الحکمة علی لسان أهل بیتی.

بیان

«النّسم» جمع النّسمة محرکة و هی الانسان و «الأرجاء» جمع الرّجاء و هی الناحیة و «الأمطاء» جمع المطاء و هو الظهر و الضمیر فی ضوئه راجع إلی العرش کما روی أن نور الشّمس من نور العرش و «غطش» اللّیل أظلم، قال الطریحی و فی الحدیث اطفأ بشعاعه ظلمة الغطش أی ظلمة الظلام و «الدیاجیر» جمع الدّیجور و هو الظلام و لیلة دیجور أی مظلمة و «البهور» المضیء و «المهیمن» من أسمائه تعالی القائم علی خلقه بأعمالهم و آجالهم و أرزاقهم و قیل: الرّقیب علی کلّ شیء.

و «النخوة» بالفتح فالسّکون الافتخار و التعظم و «الخلّة» الفقر و الخصاصة و «المستمسکین» الطّالبون للمسکة و هو بالضم ما یمسک الأبدان، من الغذاء و الشراب، و فی بعض النسخ المتمسّکین أی المعتصمین به و «السّجال» دلو عظیم مملوّة، و الکاف فی قوله «کما لم یسجد» للتعلیل علی حدّ قوله تعالی: و اذکروه

كما هديكم، أى لأجل هدايتكم.

و «السّباء» بالكسر و المدّ الخمر و «الوعر» ضدّ السهل و «العسرة» الصّعبة الشّديدة و «الشّين» خلاف الزّين، و قيل ما يحدث فى ظاهر الجلد من الخشونة يحصل به تشويه الخلقة و «تأثّلت» علينا أى اجتمعت و «المين» الكذب و «القود» بالفتح الجمل المسن و هو الذى جاوز فى السن الباذل، قال الطريحى: و فى حديث الاستسقاء و استظماءنا لصوارخ القود، أى ظمأنا من ظمأ ظماء مثل عطش عطشا و زنا و معنى و القود الخيل.

و قوله «عدد الشجر» من متعلّقات ندعوک قال الجوهرى «عنان» السّماء هو ما عنّ لک منها أى بدا إذا رفعت رأسک و «زهر» النّبات نوره الواحدة زهرة کتمر و تمرة و قد تفتح الهاء و «الغزر» شدة النفع و عمومه و «غيثا مغيثا» أى مطرا نافعا و «ممرعا» أى خصيبا واسعا و «طبقا» أى مغطيا للأرض ما لئالها كلّها، من قولهم غيم طبق أى عام واسع أى من طبق الغيم تطبيقا إذا أصاب بمطره جميع الأرض و مطر طبق أى عام.

و «مجلجلا» أى مشتملا على الجلجلة و هو صوت الرعد و «خفق» المطر خفوقا إذا سمع دوىّ جريه و «منبجسة بروقه» أى منفجرة بروقه بالماء من الانبجاس و هو الانفجار قال سبحانه:

«فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً ».

و «مرتجسة هموعه» الهموع بالضّم السّيلان أى يكون هموعه مشتملة على الرّجس و هو بالفتح الصّوت الشديد من الرّعد يقال رجست السّماء رعدت شديدا و تمخضت و «السّيب» بالفتح مصدر ساب أى جرى و مشى مسرعا، و بالكسر مجرى الماء و «الصّوب» الانصباب و «المستطر» المنتشر و «الظلل» جمع الظلة و هى ما وارى الشّمس منه من السّحاب و «الحسوم» بالضّم الشؤم و «رماد رمدد» كز برج و درهم كثير دقيق جدّا أو هالک و «الهوادى» الأوائل جمع الهادى

ص:86

و «الـدّواهى» جمع الدّاهية و هى النائبة و المصـيبة و «عوامّ خطايانا» و زان دواب و الظّاهر أنّه جمع عام قال فى القاموس: و التعويم وضـع الحصـيد قبضة فاذا اجتمع فهى عامة و الجمع عام و «درّ» السـماء بالمطر درّا درورا فهى مدرار و «و كف» البيت يكف قطر، و كف البيت بالمطر سال و «عاصـفة جنائبه» قال الطريحى كانّه يريـد الرّياح الجنوبية فانها تكثر السّـحاب و تلحق روادفه بخلاف الشـمالية فانها تمزقه و «الرّى» بالكسـر اسم من روى من الماء ريّا و ريّا بالفتح و الكسـر و «يقص بالرّى» أى يرجع و «الفيضان» السّيلان و «الانضياع» التحرّک أو من انضاع الفرخ بسط جناحيه إلى امّه لتزقّه و «الهيـدب» السـحاب المتدلى و «الجناب» الفناء و الناحية و «محفلة» من حفل الماء و اللبن اجتمع و الوادى بالسـيل جـاء بملىء جنبيه و السـماء اشـتدّ مطرها و «من نأى من خلقک» أى من تباعـد منهم عن ذكر اللّه من النّاى و هو البعد.

«و تترع بالقيعـان غـدرانها» أى تملاـء، و القيعـان جمع القيعـة و هى كالقاع ما اسـتوى من الأرض، و الغـدران جمع الغـدير و هو النهر و «الآكام» كأعناق جمع اكمه و هو التّلّ الصّـغير و «الزمرة» الجماعـة و الباء فى قوله «بـذرى الآجام» للظرف و «بلادک المعرنة» من عرنت الـدّار عرانا بعدت و ديار عران و عارنة بعيدة «و بهائمک المعملة» أى المعدّة للعمل يقال ناقة عملة كفرحة بيّنة العمالة فارهة و العوامل لبقر الحرث و «لتبطنک سـرائرنا» مصـدر باب التفعل أى لوقوفک على بواطن سـرائرنا و «عباب» الماء معظمه و «اسـقنا مطبقـة مغدقـة مونقـة» المطبقـة السّـحابة بعضـها على بعض و المغدقة بالغين المعجمة و الدّال المهملة الكثيرة الغزيرة، و المونقة المفرحة من الانق و هو الفرح و السّرور أو المعجبة.

و «الأنديـة» جمع الندى و هو المطر و «الظلّ» من السّـحاب ما وراى الشّـمس منه أو سواده و «المظلّ» صاحب الظلّ و «طبقا مطبقا» أى مطرا عاما مغطيا للأرض و «عاما معمّا» أى مطرا شاملا يعمّ بخيره قال فى القاموس يقال عمّهم

بالعطية و هو معمّ خيّر بكسر أوّله يعمّ بخيره و عقله و «رهما» وزان عنب جمع رهمة بالكسر و هى المطرة الدّائمة و يقال الرهمة أشدّ دفعا من الدّيمة.

و «البهيم» الخالص الذى لم يشبه غيره و «الرّحيم» مبالغة فى الرّاحم من رحمت زيدا رحمة رقفت له و حننت و «رشّت» السّماء امطرت و أرشّت بالهمزة لغة و منه مرشّا و رشّ الماء صبّه قليلا قليلا و «سلاطح بلاطح يناطح الأباطح» السلاطح بالضّم و زان علابط العريض، قال الفيروز آبادى و سلاطح بلاطح اتباع، و قال الطريحى السّلطح الصلطح الضخم و البلطح كبلاح الذى يضرب بنفسه الأرض، و السلاطح و الصّلاطح كعلابط العريض و قوله عليه السّلام فى الاستسقاء: سلاطح بلاطح يناطح الأباطح يريد كثرة الماء و قوّته و فيضانه و حينئذ فلا حاجة إلى جعل بلاطح من الاتباع كشيطان ليطان انتهى.

و «نطحه» نطحا ضربه و أصابه بقرنه و «الأباطح» جمع الأبطح و هو مسيل واسع فيه دقاق الحصى و «الديمة» بالكسر المطر يدوم فى سكون بلا رعد و برق أو تدوم خمسة أو ستّة أو سبعة أو يوما و ليلة و «مهطلا» أى متتابعا من الهطل و هو تتابع المطر المتفرّق العظيم القطر و «صحّا صحصاحا» الصحّ بالضم البراءة من كلّ عيب و صحصاحا قال الطريحى كأنّه أراد مستويا متساويا و «بسّا بساسا» البس بالفتح ارسال الماء و تفريقها فى البلاد و البساس مبالغة فيه و «مطفاحا» من طفح الأناء امتلاء و ارتفع و طفاح الأرض ملاءها هذا.

و اللّه العالم بحقايق كلام أوليائه عليهم السّلام.

الترجمة

از جمله خطب شريفۀ آن مقتداى كونين و پيشواى ثقلين است در مقام خواستن باران.

بار خدايا شكافته شد كوههاى ما از خشكى، و گرد آلود شد زمين ما و بسيار تشنه شد چهارپايان ما، و متحير شدند در محلّهاى خوابيدن خود، و ناله كردند مثل نالۀ زنان بچه مرده بر فرزندان خود، و ملال آوردند از تردّد نمودن در

چراگاههای خود.

بار خدایا رحم کن برنالۀ ناله کنندگان، و اشتیاق و فغان مشتاقان.

بار خدایا پس رحم کن بر حیرت و سرگردانی ایشان در مواضع رفتن ایشان و رحمت فرما بر نالۀ ایشان در مکانهای در آمدن ایشان.

بـار خـدایا بیرون آمـدیم بسوی تو در حینی که مختلـط شـد بر ما شتران لاغر قحط سالها، و وعـده خلافی کرد ما را علامتهای باران، پس هستی تو امیـد مر اندوهگین را و رساننده بمطلوب التماس کننده حزین را، می خوانیم ترا در زمانی که نا امید شدند مردمان، و ممنوع شـد از باریدن ابرهای آسـمان، و هلاک شد چرندگان این که مؤاخذه نکنی بر عملهای ما، و اخذ نکنی ما را بگناهان ما، و نشر کن بر ما رحمت بی نهایت خود را بأبرهای منفجر بباران سخت و با شدّت، و با بهار ظاهر کننده میوه ها، و با نبات و گیاه تعجب آورنده خلقها در حالتی که بریزد بر ما ریختنی بباران فراوان که زنده سازی بآن آنچه که مرده، و باز گردانی بآن آنچه که فوت گشته.

بار خدایا آب ده ما را آب دادنی از جانب خود که زنده سازد زمین مرده را و سـیراب گرداننده باشد و متصف شود بتمامی و عموم منفعت و پاکیزگی و ببرکت و گوارائی و وسعت، در حالتی که نمو کننده باشد گیاه آن، میوه دهنده باشد شاخ آن، تر و تازه باشد برگ آن که بلند نمائی بآن، و قوّت دهی عاجز و ذلیل را از بندگان خود، و زنده سازی بآن مرده را از شهرهای خود.

بار خـدایا آب ده ما را آب دادنی از نزد خود که پرگیاه شود بآن زمینهای بلنـد ما، و جاری شود بآن زمینهای نشـیب ما، و بفراخ سالی در آید بسـبب آن اطراف و جوانب ما و روی آورد و اقبال کند بجهة آن میوهای ما، و زندگانی نماید بآن چهار پایان ما، و نمناک بشود بآن جماعتی که از ما دورند، و اسـتعانت جویند بآن مردمانی که در نواحی ما هسـتند از برکتهای با وسـعت خودت و عطاهای بزرگ خودت بر مردمان صاحب احتیاج خود، و حیوانات وحشی بی صاحب خود، و نازل کن بر ما باران تر کننده بارندۀ بسیار ریزان که دفع کند باران بزرگ قطره

دیگر را از غایت شدّت، و برانگیزاند قطرها از آن قطرهای دیگر را در حالتی که نباشد برق آن طمع آورنده و خلف کننده، و نه ابر پهن شده در کنار آسمان آن خالی از آب، و نه ابرهای سفید آن پارهای کوچک کوچک، و نه بارانهای نرم آن صاحب بادهای خنک، تا آنکه فراخ سالی یابند بجهة بسیاری گیاههای آن قحط یا بندگان، و زنده شوند ببرکت آن سختی کشیدگان، پس بدرستی که تو فرو فرستی باران را از پس آنکه نومید میشوند مردمان، و پراکنده می سازی رحمت خود را بر عالمیان، و توئی ولیّ نعمتها، و ستوده در صفتها

و من خطبة له علیه السّلام و هی المأة و الخامسة عشر من المختار

اشارة

فی باب الخطب

أرسله داعیا إلی الحقّ، و شاهدا علی الخلق، فبلّغ رسالات ربّه غیر وان و لا مقصّر، و جاهد فی اللّه أعدائه غیر واهن و لا معذّر، إمام من اتّقی، و بصر من اهتدی. منها: و لو تعلمون ما أعلم ممّا طوی عنکم غیبه إذا لخرجتم إلی الصّعدات تبکون علی أعمالکم، و تلتدمون علی أنفسکم، و لترکتم أموالکم لا حارس لها و لا خالف علیها، و لهمّت کلّ امرء منکم نفسه، لا یلتفت إلی غیرها، و لکنّکم نسیتم ما ذکّرتم، و أمنتم ما حذّرتم، فتاه عنکم رأیکم، و تشتّت علیکم أمرکم، و لوددت أنّ اللّه فرّق بینی و بینکم، و ألحقنی بمن هو أحقّ بی منکم، قوم و اللّه میامین الرّأی، مراجیح الحلم، مقاویل بالحقّ، متاریک للبغی، مضوا قدما علی

الطّريقـة، و أوجفوا على المحجّ ة، فظفروا بـالعقبى الدّائمـة، و الكرامـة الباردة، أمّا و اللّه ليسـلّطنّ عليكم غلام ثقيف الـذّيّال الميّال، يأكل خضـرتكم، و يـذيب شـحمتكم، ايه أبا وذحـة. قال السـيد (ره) اقول: الوذحـة الخنفساء و هـذا القول يؤمى به الى الحجاج و له مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره

اللغة

(الوانى) الفاتر الكال و (المعـذّر) بالتّثقيل الـذى يعتذر من تقصـيره بغير عذر كما قال تعالى: و جاء المعذّرون من الأعراب و (الصّ عدات) جمع الصّ عد و هو جمع صـعيد قـال الشارح المعتزلى: الصّ عيد التّراب و يقال وجه الأرض و الجمع صـعد و صـعدات كطريق و طرق و طرقات، و عن النهاية فيه ايّاكم و القعود بالصّ عدات هى الطّرق و هى جمع صـعد و صـعد جمع صعيد كطريق و طرق و طرقات و قيل هى جمع صعدة كظلمة و هى فناء باب الدّار و ممرّ النّاس بين يديه، و منه الحديث لخرجتم إلى الصّعدات تجأرون.

و (الالتـدام) ضـرب النساء وجوههنّ فى النّياحـة (و لهمّت كلّ امرء) قال الشارح المعتزلى أى أذابته و انحلته، هممت الشّ حم أى اذبته، و يروى: و لا ـ همّت كـلّ امرء و هو أصـحّ من الرّوايـة الاـولى، أهمّنى الأـمر اذا حزننى، انتهى. و فيه نظر لأنّ همّ أيضا يكون بمعنى أهمّ قال الفيروز آبادى: همّه الأمر همّا حزنه كأهمّه فاهتمّ و السقم جسمه أذا به و أذهب لحمه و الشّحم أذابه فانهمّ ذاب.

(و مراجيـح) الحلم قـال الجوهرى: راجحته فرجحته أى كنت ارزن منه و منه قوم مراجيـح الحلم و (المقاويـل) جمع مقوال و (المتاريـک) جمع متراک و (قدما) بالضّم و بضـمّتين و (الذّيال) هو الذى يجرّ ذيله على الأرض تبخترا يقال: ذأل فلان من باب منع ذألا و ذألانا تبختر و (الخضرة) بفتح الخاء و كسر الضّاد الزّرع، و البقلة الخضراء و الغضّ، و قال فى القاموس (الوذح) محرّكة ما

تعلّق بأصواف الغنم من البعر و البول الواحدة بها و الجمع و ذح كبدن، و قال الشارح المعتزلى فى قول السيّد (ره): الوذحة الخنفساء و لم اسمع هذا من شيخ من أهل الأدب و لا وجدته فى كتاب من كتب اللّغة و لا أدرى من أين نقل الرّضىّ ذلک

الاعراب

داعيا و شاهدا و غير وان و غير واهن، منصوبات على الحال، و امام خبر محذوف المبتدأ، و كلّ منصوب على المفعول و الفاعل نفسه، و ايه اسم فعل يراد به الاستزادة أى زدوهات، قال فى القاموس: ايه بكسر الهمزة و الهاء و فتحها و تنوّن المكسورة كلمة استزادة و استنطاق، و قال الطريحىّ ايه اسم سمّى به الفعل لأنّ معناه الأمر يقال للرجل زد اذا استزدته من حديث أو عمل ايه بكسر الهاء، قال ابن السّكيت فان وصلت نوّنت فقلت ايه حديثا، و إذا أردت التبعيد بايه قلت أيها بفتح الهمزة بمعنى هيهات، و من العرب من يقول ايهات و هو فى معنى هيهات.

و فى كتاب شرح الاثبات: إذا قلت ايه بغير تنوين فكان مخاطبک كان فى حديث ثمّ أمسک فأمرته بالشروع فى الحديث الذى كان فيه أى هيهات الحديث، فإذا قلت أيه بالتنوين فكأنّک أمرته ابتداء بأن يحدّث حديثا أى هات حديثا.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة على ما يستفاد من شرح البحرانى ملتقطة من خطبة طويلة خطب عليه السّلام بها فى الكوفة لاستنهاض أصحابه إلى حرب الشام و ما ظفرت بعد على تمامها، و ما أورده السيّد (ره) منها فى الكتاب يدور على فصلين:

الاول فى ذكر ممادح النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ذكر بعض أوصافه الجميلة و نعوته الجليلة، و هو قوله (أرسله داعيا إلى الحقّ) بالحكمة و الموعظة الحسنة (و شاهدا على الخلق) يوم القيامة كما قال تعالى:

«وَ شاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ » فقد فسر الشّاهد بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و المشهود بيوم القيامة

أمّا الأوّل فلقوله تعالى:

«فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِکَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً» و أمّا الثّانى فلقوله تعالى: «وَ ذلِکَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ».

و قد تقدّم تحقيق هذه الشّهادة بما لا مزيد عليه فى شرح الخطبة الحادية و السّبعين فتذكّر.

(فبلّغ رسالات ربّه) سبحانه (غير وان) فى الابلاغ (و لا مقصّر) فى الانذار (و جاهد فى اللّه) تعالى (أعدائه غير واهن) فى الجهاد (و لا معذّر) من قتال الانجاد و هو (امام من اتّقى) لأنّه قدوة المتّقين فى كيفيّة سلوك سبيل التّقوى و الصّلاح (و بصر من اهتدى) لأنّه نور المتهدين فى المسير إلى طريق الخير و الفلاح كما يهتدى بالبصيرة إلى سبيل الرشاد و يسلک بها نحو القصد و السّداد يهتدى بالبصر إلى الجادّة الوسطى و الطريق المستقيم.

و الفصل الثانى اخبار عن الغيب و اظهار لما يبتلى به أهل الكوفة بسوء أعمالهم و قبح فعالهم و هو قوله عليه السّلام (و لو تعلمون ما أعلم ممّا طوى) و اخفى (عنكم غيبه) و باطنه (إذا لخرجتم إلى الصّعدات) أى خرجتم عن البيوت و تركتم الاستراحة و الجلوس على الفرش للقلق و الانزعاج و جلستم فى الطريق أو على التراب (تبكون على أعمالكم) التى كان الواجب تركها (و تلتدمون على أنفسكم) للتقصير فيما يجب عليكم فعله (و لتركتم أموالكم لا حارس لها) يحرسها (و لا خالف عليها) يستخلفها (و لهمّت كلّ امرىء منكم نفسه) أى أذابته أو حزنته لا يلتفت إلى غيرها (و لكنّكم نسيتم ما ذكّرتم و أمنتم ما حذّرتم) أراد بذلک ما ذكّرهم عليه السّلام به ممّا فيه نظام امورهم و تحذيرهم مما أوجب إدالة الأعداء منهم و تسلّط الولاة السّوء عليهم، و هو النّفاق و تشتّت الأهواء، و اختلاف الآراء.

(فتاه) (1) أى ضلّ و تخيّر أو هلک و اضطرب (عنکم رأيکم) أى عقلکم و تدبيرکم (و تشتّت عليکم أمرکم) بغلبة العدوّ على بلادکم.

ثمّ تمنّى مفارقتهم بقوله (و لوددت أنّ اللّه فرّق بينى و بينکم و ألحقنى بمن هو أحقّ) و أحرى (بى منکم) أراد به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و حمزة و جعفر و من لم يفارق الحقّ من الصّحابة (قوم و اللّه ميامين الرأى) و مبارک الآراء (مراجيح الحلم) و ثقال الحلوم لا يستخفنّهم جاهلية الجهلاء (مقاويل بالحقّ متاريک للبغى) أى أکثرون قولا بالحقّ و الصّدق و ترکا للبغى و الظلم (مضوا قدما) أى متقدّمين (على الطريقة) الوسطى (و أوجفوا) أى أسرعوا (على المحجّة) البيضاء غير ملتفتين عنها (فظفروا) و فازوا (بالعقبى الدائمة و الکرامة الباردة) التى ليس فيها تعب و لا مشقة حرب.

و لمّا حذّرهم عمّا طوى عنهم غيبه أراد التنبيه ببعض ذلک المطوى و التّصريح ببعض ما يلحقهم من الفتن العظيمة فقال عليه السّلام:(أما و اللّه ليسلّطنّ عليکم) و فى الايماء بحرف التنبيه و القسم و النون ما لا يخفى من التأکيد لوقوع المخبر به أى لا محالة يسلّط عليکم (غلام ثقيف) أراد به الحجّاج بن يوسف بن الحکم بن أبى عقيل ابن مسعود من بنى ثقيف(الذّيال)الذى يجرّ ذيله على الأرض تبخترا و هو کناية عن کثرة نخوته (الميّال) کثير الظلم و الميل عن الحقّ (يأکل خضرتکم و يذيب شحمتکم) أراد بذلک أخذ الأموال و تعذيب الأبدان و استيصال النّفوس و وقوع ذلک الخبر على ما أخبر عليه السّلام به مشهور و فى الکتب مسطور و قد تقدّم شطر من فعله بأهل العراق فى شرح الخطبة الخامسة و العشرين.

و روى فى البحار من الخرائج أنّ الأشعث بن قيس استأذن على علىّ عليه السّلام فردّه قنبر فأدمى أنفه، فخرج علىّ عليه السّلام و قال: ما ذاک يا أشعث أما و اللّه لو بعبد ثقيف مررت لاقشعرّت شعيرات استک، قال: و من غلام ثقيف؟ قال، غلام يليهم لا يبقى بيت من العرب إلاّ أدخلهم الذّلّ، قال: کم يلى؟ قال عشرين إن بلغها، قال الراوى: ولى الحجّاج سنة خمس و سبعين و مات خمس و تسعين.

ص:94

1- (1) تاه فلان يتيه إذا تحيّر و اضطرب و تاه يتوه اذا هلک و اضطرب عقله منه.

ثمّ قال علیه السّلام(ایه أبا وذحة)أی زد و هات ما عندک أبا الخنفساء علی ما ذکره الرّضیمن تفسیرالوذحة بالخنفساء،قال الشارح المعتزلی: إنّ المفسّرین بعد الرّضی (ره) قالوا فی قصّة هذه الخنفساء وجوها:

منها أنّ الحجّاج رأی خنفساء تدبّ إلی مصلاّه فطردها فعادت، ثمّ طردها فعادت، فأخذ بها بیده و حذف بها فقرصته قرصا و رمت یده منه و رما کان فیه حتفه قالوا: و ذلک لأنّ اللّه تعالی قد قتله بأهون مخلوقاته کما قتل نمرود بن کنعان بالبقّة التی دخلت فی أنفه فکان فیها هلاکه.

و منها أنّ الحجّاج کان اذا رأی خنفساء تدّب قریبة منه یأمر غلمانه بابعادها و یقول: هذه وذحة من وذح الشّیطان، تشبیها بالبعرة المعلّقة بأذناب الشّاة.

و منها أنّ الحجّاج قد رأی خنفسات مجتمعات فقال: و اعجبا لمن یقول إنّ اللّه خلق هذه، قیل: فمن خلقها أیّها الأمیر؟ قال: الشّیطان، إنّ ربّکم لأعظم شأنا أن یخلق هذه الوذح، فنقل قوله هذا إلی الفقهاء فی عصره فأکفروه و منها أنّ الحجّاج کان مثفارا أی ذا ابنة، و کان یمسک الخنفساء حیّة لیشفی بحرکتها فی الموضع حکاکه، قالوا: و لا یکون صاحب هذا الدّاء إلاّ شانیا مبغضا لأهل البیت، قالوا: و لسنا نقول کلّ مبغض فیه هذا الداء، و إنّما قلنا کلّ من به هذا الدّاء فهو مبغض، قالوا: و قد روی أبو عمرو الزّاهد و لم یکن من رجال الشیعة فی أمالیه و أحادیثه عن السّیاری عن أبی خزیمة الکاتب قال: ما فتّشنا أحدا فیه هذا الدّاء إلاّ وجدناه ناصبیّا.

قال أبو عمر و أخبرنی العطانی عن رجاله قالوا سئل جعفر بن محمّد عن هذا الصّنف من النّاس فقال: رحم منکوسة یؤتی و لا یأتی و ما کانت هذه الخصلة فی ولیّ اللّه قطّ، و لا تکون أبدا، و إنما یکون فی الکفّار و الفسّاق و النّاصب للطّاهرین.

أقول: و یدلّ علی ذلک و یؤیّده:

ما رواه فی الکافی عن أحمد عن علیّ بن أسباط عن بعض أصحابنا عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: ما کان فی شیعتنا فلم یکن فیهم ثلاثة أشیاء: من یسأل فی کفّه

و لم يكن فيهم أزرق أخضر، و لم يكن فيهم من يؤتى فى دبره.

و عن أحمد عن جعفر بن محمّد الأشعرى عن ابن القداح عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: جاء رجل إلى أبى، فقال: يابن رسول اللّه إنّى ابتليت ببلاء فادع اللّه لى، فقيل له: انّه يؤتى فى دبره، فقال: ما أبلى اللّه عزّ و جلّ بهذا البلاء أحدا له فيه حاجة، ثمّ قال أبى: قال اللّه عزّ و جلّ، و عزّتى و جلالى لا يقعد على استبرقها و حريرها من يؤتى فى دبره.

و فى البحار من الخصال للصّدوق عن أبيه عن سعد عن البرقىّ عن عدّة من أصحابنا عن علىّ بن أسباط عن بعض أصحابه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: ما ابتلى اللّه به شيعتنا فلن يبتليهم بأربع: بأن يكون لغير رشدة، أو أن يسألوا بأكفّهم، أو أن يؤتوا أدبارهم، أو أن يكون فيهم أزرق.

و فيه منه عن ابن الوليد عن محمّد العطّار عن أحمد بن محمّد عن أبى عبد اللّه الرازى عن ابن أبى عثمان عن أبيه عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام، قال: أربع خصال لا يكون فى مؤمن: لا يكون مجنونا، و لا يسأل عن أبواب النّاس، و لا يولد من الزّنا، و لا ينكح فى دبره و فيه من قرب الاسناد عن محمّد بن عيسى عن القداح عن جعفر عن أبيه عليه السّلام قال: جاء رجل إلى علىّ عليه السّلام فقال: إنى لاحبكم أهل البيت، قال: و كان فيه لين، قال:

فأثنى عليه عدّة فقال عليه السّلام له: كذبت ما يحبّنا مخنّث و لا ديّوث و لا ولد زنا و لا من حملت به امّه فى حيضها، قال: فذهب الرّجل، فلمّا كان يوم صفّين فهى مع معاوية و حكى المحدّث الدّربندى قال: كنت «كان ظ» ابن ستّة عشر من أولاد بعض علماء بلدنا معروفا بهذا الفعل الشّنيع، فبينا أنا مع جمع نكثر السّرور و الفرح فى يوم العيد الغدير دنا منّى هذا الشخص، و قال: ما لک كأنى أراک تظنّ أنّ اللّه قد أعطاک فى هذا اليوم سلطنة الدّنيا؟ قلت: إنّ كرامة اللّه على محبّى أمير المؤمنين و سيّد الوصيّين عليه السّلام فى هذا اليوم الشريف أعظم من سلطنة الدّنيا،

فقال: ناشدتک باللّه هل تحبّ علیّ بن أبی طالب؟ فقلت: ویلک هل یوجد أحد اتّصف بالاسلام و لا یحبّ أمیر المؤمنین علیه السّلام؟ فقال: و اللّه أنا لا احبّه، فقلت الحمد للّه الذی لم یدخل مثلک النجس الخبیث المخنّث فی حزب محبّی الأطیب الأطهر أمیر المؤمنین و لعنة اللّه علیک و علی أمثالک من المخنّثین، قال: فلم یمض علی ذلک إلاّ مدّة قریبة من مدّة سنة أن اختار الشرک و أظهر الکفر و دخل فی مذهب النّصرانیة.

و فی الأنوار النّعمانیة للمحدّث الجزایری (ره) عن جلال الدّین السیوطی فی حواشی القاموس عند تصحیح لغة الابنة قال: و کانت فی جماعة فی الجاهلیة أحدهم سیّدنا عمر، و قال ابن الأثیر و هو من أجلاّء علماء العامة: زعمت الرّوافض أنّ سیّدنا عمر کان مخنّثا، کذبوا و لکن به داء دواؤه ماء الرّجال.

ثمّ قال الجزائری: و لم أر فی کتب الرّافضة مثل هذا نعم روی العیاشی منهم حدیثا حاصل معناه أنّ لفظ أمیر المؤمنین قد خصّ اللّه به علیّ بن أبی طالب و لهذا لم تسمّ الرافضة أئمّتهم بهذا الاسم و من سمّها نفسه به غیر علیّ بن أبی طالب علیه السّلام فهو ممّا یؤتی فی دبره، و هو شامل لجمیع المتخلّفین من الامویّة و العبّاسیّة لعنهم اللّه انتهی.

و قد أوردنا روایة العیاشی مع غیرها فی دیباجة الشرح فی نور ألقاب أمیر المؤمنین علیه السّلام فتذکر، و فی أخبار کثیرة من طریق أهل البیت علیهم السّلام أنّ هؤلاء لا خیر فیهم و فی بعضها أنّه لا یبتلی به أحد للّه فیه حاجة.

ثمّ قال الشّارح المعتزلی بعد ذکر ما أوردنا من کلامه فی تفسیر أبا وذحة:

فهذا مجموع ما ذکره المفسّرون و ما سمعته من أفواه النّاس فی هذا الموضع، و یغلب علی ظنّی أنّه أراد معنی آخر، و ذلک أنّ عادة العرب أن تکنّی الانسان إذا أرادت تعظیمه بما هو مظنّة التعظیم کقولهم: أبو الهول و أبو المقدام و أبو المغوار فاذا أرادت تحقیره و الغضّ منه کنّته بما یستحقر و یستهان به کقولهم فی کنیة یزید ابن معاویة لعنه اللّه یعنون القرد و کقولهم فی کنیة سعید بن حفص البخاری المحدّث أبو القارد و کقولهم للطّفیلی: أبو لقمة «إلی أن قال» فلما کان أمیر المؤمنین علیه السّلام

يعلم من حال الحجاج نجاسته بالمعاصى و الذنوب التى لو شوهدت بالبصر لكانت بمنزلة البعر الملتصق بشعر الشّاة كنّاه أبا وذحة.

و يمكن أن يكنّيه بذلک لدمامته فى نفسه و حقارة منظره و تشويه خلقته فانّه کان قصيرا دميما نحيفا أخفش العينين معوج الساقين قصير السّاعدين مجدور الوجه أصلع الرّأس فكنّاه عليه السّلام بأحقر الأشياء و هو البعرة.

و قد روى قوم هذه اللّفظة بصيغة اخرى فقالوا ايه أبا ودجة، قالوا: واحدة الأوداج كنّاه بذلک لأنّه کان قتّالا يقطع الأوداج بالسّيف، و رواه قوم أبا وحرة و هى دويبة تشبه الحرباء قصير الظّهر شبهته بها قال: و هذا و ما قبله ضعيف و ما ذكرناه أقرب إلى الصواب.

الترجمة

از جمله خطب بليغه آن بزرگوار و امام أبرار است در نعت حضرت خاتم الأنبياء و مذمت أهل كوفه بجهة سنگينى از جهاد أعداء و اعلام ايشان بفتنۀ حجّاج بى ايمان چنانچه فرمود كه:

فرو فرستاد خداوند آفريدگار رسول مختار را در حالتى كه خواننده بود مردمان را بسوى حق، و گواه بود بر خلق، پس رسانيد پيغامهاى پروردگار خود را در حالتى كه سستى ننمود در أداء پيغام، و تقصير كننده نبود در تبليغ أحكام، و جهاد كرد در راه خداى متعال با أعداء ربّ ذو الجلال در حالتى كه سست نبود در قتال، و عذر خواهى نكرد بعذر ناموجه از مقاتله ابطال پيشواى صاحبان تقوى است، و بينائى طالبان هدايت.

و اگر بدانيد آنچه من مى دانم از چيزى كه كتمان شده از شما غيب آن در آن هنگام هر آينه خارج مى شديد بسوى راهها يعنى ترک استراحت مى كرديد در خانه ها در حالتى كه گريه مى كرديد بر عملهاى خودتان، و مى زديد بر نفسهاى خود، و هر آينه ترک مى نموديد مالهاى خود را در حالتى كه هيچ مستحفظى نباشد آنها را، و هيچ جانشينى نباشد بر آنها، و هر آينه محزون و غمگين مى ساخت يا اين كه

می گداخت هر مردی را از شـما نفس او که أصلا التفات نمی کند بغیر خود، و لیکن شما فراموش گردید چیزی را که پند داده شدید بآن، و ایمن گشتید از چیزی که ترسانیده شدید از آن، پس حیران گشت از شما اندیشه و تدبیر شما، و پراکنده شد بر شما کار شما، هر آینه دوست می دارم این که خدای تعالی جدائی افکند میان من و میان شـما، و لا حق نماید مرا بکسانی که ایشان سزاوارترند بمن از شما، ایشان قومی بودند قسم بخدا که صاحبان رأی مبارک بودند و موصوفان بافزونی بردباری بسـیار سخن گوینده بودند براستی، و زیاد ترک کننده بودند ظلم و گمراهی را گذشتند در حالتی که پیش قدم بودند بر راه راست، و شتافتند بر طریقهٔ درست و فایز شدند بآخرت بی نهایت، و بکرامت خالی از زحمت.

آگاه باشـید قسم بخدا هر آینه البته مسلّط می شود بر شما پسری از قبیله ثقیف یعنی حجاج بن یوسف ثقفی که کشنده باشد دامن خود را بر زمین از روی غرور و نخوت، و عدول کننده باشد از راه عدالت که می خورد زراعت شما را، و می گذارد پیه شما را، زیاده کن و بیاور آنچه که در پیش تو است ای پدر جعل.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأة و السادس عشر من

اشارة

المختار فی باب الخطب.

فلاـ أموال بـذلتموها للّـذی رزقهـا، و لاـ أنفس خـاطرتم بهـا للّـذی خلقهـا، تکرمون باللّه علی عباده، و لا تکرمون اللّه فی عباده، فاعتبروا بنزولکم منازل من کان قبلکم، و انقطاعکم عن أوصل إخوانکم.

اللغة

(خاطرتم بها) من المخاطرة و هی ارتکاب ما فیه خطر و هلاک و تکرمون ()

ص:99

الأوّل من باب فعل و الثانی من باب افعل یقال کرم الرجل کرما من باب حسن عزّ و نفس فهو کریم.

الاعراب

أموال و أنفس منصوبـان علی الاشـتغال، و اللاـّم فی الـذی رزقها تحتمل الصـّلة و التعلیل، و فی للـّذی خلقها للتّعلیل لا غیر کما هو غیر خفیّ، و انقطاعکم عطف علی نزولکم.

المعنی

اعلم أنّ مـدار هذا الفصل علی التوبیخ بالبخل بالأموال و الأنفس، و الأمر بالاعتبار بتقلّبات الدّهر و تغیّرات الزّمان فلا مهم أوّلا بترک بذل الأموال (فلا أموال بـذلتموها للّذی رزقها) لا یخفی ما فی التّعبیر بهذه العبارة من اللطف و النکتة و هو أنّ التّعبیر بقوله: للّذی رزقها فیه من زیادة تقریر الغرض المسوق له الکلام ما لیس فی التعبیر بقوله للّه کما فی قوله:

أعبّاد المسیح یخاف صحبی و نحن عبید من خلق المسیحا

فانه أدلّ علی عـدم خوفهم النصاری من أن یقول نحن عبیـد اللّه، و ذلک لأنّ غرضه علیه السّـلام لومهم و توبیخهم علی البخل و الامساک عن بـذل الأـموال و التعبیر بـالموصول آکـد فی افادة ذلک المطلوب لـدلالته علی اتّصافهم بغایـة البخل حتی انّهم یمسـکون أموالهم عن معطیها و رازقها فضلا عن غیره، فیستحقّون بذلک غایة اللّوم و المذمّة و مثله قوله (و لا أنفس خاطرتم بها للّذی خلقها) فانّه أدلّ علی البخل بالأـنفس و أثبت لـذلک الغرض، فـانهم إذا لم یخاطروا بأنفسـهم و لم یلقوا بها إلی المهالک لرضاء الخالق مع کونه أحقّ و أولی بها منهم، فکیف لغیره ثمّ أکـّد التّوبیـخ بقوله (تکرمون باللّه علی عباده و لا تکرمون اللّه فی عباده) و لـذلک وصل هذا الکلام بما سـبق و لم یفصـل بالعاطف، لکون ذلک أو فی بتأدیة المراد ممّا سبق، یعنی أنّکم تتنافسون و تظهرون العزّو الشّرف علی عباد اللّه

ص:100

تعالى باللّه سبحانه أى بما خوّلكم و أعطاكم و منحكم من النّعم الدّنيويّة و الاخروية و لا تكرمون اللّه و لا تطيعونه فى الاحسان إلى عباده و الافضال عليهم، بل بنعمته تبخلون، و عن عباده تمسكون (فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم) من طحنتهم الآجال و ضاق بهم المجال و ارتهنوا بالأعمال كما قال عزّ من قائل:

«وَ سَكَنْتُمْ فِي مَساكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنا بِهِمْ وَ ضَرَبْنا لَكُمُ الْأَمْثالَ ».

(و انقطاعكم عن أوصل اخوانكم) حتى انتقلوا إلى ضيق المضجع و وحشة المرجع، فستصيرون مثلهم و تنزلون منزلتهم، فاسلكوا مسلك العاجلة حميدا، و قدّموا زاد الآجلة سعيدا.

الترجمة

از جملۀ كلام بلاغت نظام آن امام است در توبيخ و عتاب مذمّت أصحاب بر عدم بذل أموال در راه ذو الجلال فرموده.

پس هيچ مالهاى دنيا را بذل نكرديد براى كسى كه روزى شما گردانيد آنها را و هيچ جانها در مهالک نيفكنديد براى كسى كه خلق كرد آنها را، كريم و عزيز شويد بسبب خدا بر بندگان خدا، و گرامى نمى داريد خدا را در بندگان خدا، پس عبرت بگيريد بنازل شدن خودتان بمنزلهاى كسانى كه بودند پيش از شما، و ببريدن خود از أقرب برادران خود.

و من كلام له عليه السّلام و هو المأة و السابع عشر من المختار

اشارة

فى باب الخطب

أنتم الأنصار على الحقّ، و الإخوان فى الدّين، و الجنن يوم

ص:101

البأس، و البطانة دون النّاس، بكم أضرب المدبر، و أرجو طاعة المقبل، فأعينونى بمناصحة جليّة من الغشّ، سليمة من الرّيب، فواللّه إنّى لأولى النّاس بالنّاس.

اللغة

(الجنن) جمع الجنّة و هى ما استترت به من سلاح و (بطانة) الرّجل خاصّته و أصحاب سرّه و (خليّة) فى بعض النسخ بالجيم و فى بعضها بالخاء.

الاعراب

دون ظرف إما بمعنى عند أو بمعنى سوى، و الفاء فى قوله: فأعينونى فصيحة

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام على ما رواه الشارح المعتزلى من المداينى و الواقدى قاله أمير المؤمنين عليه السّلام للأنصار بعد فراغه من حرب الجمل، و الغرض بذلك مدح أصحابه و استمالة قلوبهم إلى مناصحته فقوله عليه السّلام:(أنتم الأنصار على الحقّ) أى النّاصرون لى و المعينون على الحقّ الذّابون عن الباطل (و الاخوان فى الدّين) لقوله سبحانه: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ »(و الجنن) و التّرس (يوم البأس) أى يوم الشّدة و الحرب (و البطانة) أى خاصّتى و خالصتى الذين لا اطوى عنكم سرّى (دون النّاس) أى عندهم يعنى أنّكم عندهم معروفون باختصاصى، أو أنتم البطانة لى سوى النّاس أى ليس لى بطانة غيركم (بكم أضرب المدبر) عن الحقّ (و أرجو طاعة المقبل) يعنى من أقبل إلىّ إذا رأى أخلاقكم الحميدة أطاعنى بصميم قلبه، و يمكن أن يراد بالمقبل من كان من شأنه الاقبال و الطاعة، و إذا كنتم بهذه المثابة (فأعينونى بمناصحة جليّة) أى صافية أو خالية (من الغشّ) و التدليس (سليمة من الرّيب) أى سالمة من الشّك فى استحقاقى للخلافة و الولاية (فواللّه انى لأولى النّاس بالنّاس) و أحقّ بالامامة.

ص:102

الترجمة

از جمله کلام آن حضرتست در مدح أصحاب خود که فرموده:

که شـما یاری کنندگانید بر راه راست، و برادرانید در دین، و سپرهائید در روز سـختی و شدّت، و خواص منید در نزد مردمان، باعانت شـما می زنم پشت گردانـنده از حق را، و بوجود شـما امیـد می دارم رو آورنـده را پس اعانت نمائید بنصـیحت کردنی که خالی است از نقص و عیب، و سالم است از شک و ریب، پس قسم بخدا که بدرستی من بهترین مردمانم بمردمان، و أولایم بایشان از دیگران.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأة و الثامن عشر من المختار

اشارة

فی باب الخطب

و قد جمع النّاس و حضّهم علی الجهاد فسکتوا ملیّا

فقال علیه السّـلام: ما بالکم أ مخرسون أنتم؟ فقال قوم منهم: یا أمیر المؤمنین إن سـرت سـرنا معک. فقال علیه السّلام: ما بالکم لا سدّدتم لرشـد، و لا هدیتم لقصد، أ فی مثل هذا ینبغی لی أن أخرج، إنّما یخرج فی مثل هذا رجل ممّن أرضاه من شـجعائکم و ذوی بأسـکم، و لا ینبغی لی أن أدع الجند و المصـر و بیت المال و جبایة الأرض و القضاء بین المسلمین و النّظر فی حقوق المطالبین، ثمّ أخرج فی کتیبة اتّبع أخری، أتقلقل تقلقل القدح فی الجفیر الفارغ، و إنّما أنا قطب الرّحی تدور علیّ و أنا بمکانی، فإذا فارقته اسـتحار مدارها، و اضطرب ثفالها، هذا لعمر اللّه الرّأی السّوء،

ص:103

و اللّه لو لا رجائى الشّهادة عند لقائى العدوّ لو قد حمّ لى لقائه لقرّبت ركابى، ثمّ شخصت عنكم، و لا أطلبكم ما اختلف جنوب و شمال، طعّانين، عيّابين، حيّادين، روّاغين، و إنّه لا غناء فى كثرة عددكم مع قلّة اجتماع قلوبكم، لقد حملتكم على الطّريق الواضح الّتى لا يهلك عليها إلاّ هالک، من استقام فإلى الجنّة، و من زلّ فإلى النّار.

اللغة

(الملىّ) الهواء من الدّهر و الساعة الطويلة من النّهار قال تعالى: و اهجرنى مليّا، و (مخرسون) اسم مفعول من أخرسه اللّه و (سدّدتم) بالتخفيف و التشديد و (الشجعاء) جمع شجيع و فى بعض النسخ شجعانكم بالنّون و هو بالضّمّ و الكسر جمع شجاع و (الكتيبة) القطعة العظيمة من الجيش و (القدح) بالكسر السّهم قبل أن يراش و ينضل و (الجفير) الكنانة و قيل وعاء للسّهام أوسع من الكنانة و (استحار مدارها) قال الشّارح المعتزلى: اضطرب و لم نجده بهذا المعنى فى اللغة و الظّاهر من استحار إذا لم يهتد بسبيله يقال استحار السّحاب أى لم يتجه جهة، و عن الجوهرى المستحير سحاب ثقيل متردّد ليس له ريح تسوقه و (الثفال) كالكتاب و الغراب الحجر الأسفل من الرّحى و (الرّكاب) كالكتاب أيضا الابل التى يسار عليها.

الاعراب

مليّا منصوب على الظرف، و قوله: و اللّه لو لا رجائى الشهادة جواب القسم، قوله: لقرّبت ركابى، و هو سادمسدّ جواب لو لا، و جملة لو قدحمّ لى لقائه، شرطيّة معترضة بين القسم و جوابه كما فى قوله:

لعمری و ما عمری علیّ بهین لقد نطقت بطلا(1) علیّ الأقارع

و جواب لو محذوف بدلالة سیاق الکلام علیه أی لو قدحمّ لی لقائه لقیته و دخول قد فی شرط لو نادر، و مثله ما رواه فی حواشی المغنی من صحیح البخاری قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: لو قد جاء مال البحرین قد أعطیتک هکذا هکذا، و اختلف فی المرفوع بعد لو لا و أنّ رفعه لما ذا، قال ابن هشام لو لا تدخل علی جملة اسمیّة ففعلیّة لربط امتناع الثانیة بوجود الاولی، نحو لو لا زید لأکرمتک، أی لو لا زید موجود إلی أن قال، و لیس المرفوع بعد لو لا فاعلا بفعل محذوف، و لا بلولا لنیابتها عنه، و لا بها أصالة، خلافا لزاعمی ذلک، بل رفعه بالابتداء، و طعانین مع المنصوبات الثلاثة بعدها حالات من ضمیر الخطاب فی قوله أطلبکم، و جملة لقد حملتکم جواب لقسم محذوف، و الطریق یذکّر و یؤنث و لذا اتی بصفة أوّلا بالتذکیر و ثانیا بالتّأنیث جریا علی اللّغتین.

المعنی

إنّ هذا الکلام قاله أمیر المؤمنین علیه السّلام بعد انقضاء أمر صفّین و النهروان فی بعض غارات أهل الشام علی أطراف العراق،(و قد جمع النّاس و حضّهم) أی حثّهم (علی الجهاد فسکتوا ملیّا) أی ساعة طویلة (فقال علیه السّلام) توبیخا لهم علی تثاقلهم (ما بالکم أ مخرسون أنتم) فلا تنطقون (فقال قوم منهم یا أمیر المؤمنین علیه السّلام ان سرت) إلی العدوّ (سرنا معک فقال علیه السّلام: ما بالکم لا سددتم لرشد و لا هدیتم لقصد) دعاء علیهم بعدم الاستقامة و السّداد لما فیه الصّلاح و الرّشاد و عدم الاهتداء للقصد أی الأمر المعتدل الذی لا یمیل إلی أحد طرفی الافراط و التفریط.

(أ فی مثل هذا ینبغی لی أن أخرج) استفهام علی سبیل التوبیخ و الانکار، و الاتیان باسم الاشارة للتحقیر کما فی قوله تعالی: «أَ هذَا الَّذِی یَذْکُرُ آلِهَتَکُمْ »

ص:105

1- (1) بطلا صفة لمحذوف أی نطقا بطلا أی باطلا و الاقارع جمع اقرع و هو الذی ذهب شعر رأسه من آفة، منه.

(انما يخرج فى مثل هذا رجل ممّن ارضاه من شجعانكم و ذوى بأسكم) و شجاعتكم.

ثمّ أشار عليه السّلام إلى وجوه الفساد فى خروجه بنفسه بقوله (و لا ينبغى لى أن أدع الجند و المصر و بيت المال و جباية الأرض) أى جمع مـا فيهـا و خراجها (و القضاء بين المسـلمين) و فصل خصوماتهم (و النظر فى حقوق المطالبين) و دفع ظلاماتهم و غير ذلك مما فيه نظام الدولة و انتظام المملكة و مهام العباد و قوام البلاد (ثم اخرج فى كتيبة أتبع) فى كتيبة (أخرى أتقلقل) أى أضـطرب(تقلقل القدح فى الجفير الفـارغ)من السـهام، و الغرض التّشبيه فى اضـطراب الحال و الانفصال عن الجنود و الاعوان بالقـدح الـذى لا يكون حوله قـداح تمنعه من التّقلقل و لا يستقرّ مكانه.

و قال الشارح البحرانى: شـبّه خروجه معهم بالقـدح فى الجفير، و وجه الشّ به أنّه كان قـد نفد الجيش و أراد أن يجهّز من بقى من النّاس فى كتيبة اخرى فشـبّه نفسه فى خروجه فى تلك الكتيبة وحده مع تقدم أكابر جماعة و شجعانها بالقدح فى الجفير الفارغ فى كونه يتقلقل، و فى العرف يقـال للشـريف إذا مشـى فى حاجـة ينوب فيها من هو دونه و ترك المهام التى لا تقوم إلاّ به ترك المهمّ الفلانى و مشـى يتقلقل على كذا، و الأشـبه ما ذكرنا (و إنما أنا قطب الرّحى تدور علىّ و أنا بمكانى) شبّه عليه السّلام نفسه بالقطب و امور الامارة و الخلافة المنوطة عليه بـالرحى و وجه الشّ به دوران تلـك الا ـمور عليه دوران الرّحى على القطب كمـا أشـار إليه بقوله:تـدور علىّ،و هو من قبيل التشبيه المجمل المقرون بذكر وصف المشبّه به كما فى قولها: هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها.

و قوله(فـاذا فـارقته اسـتحار مـدارها و اضـطرب ثفالها)إشارة إلى الغرض من التشبيه و هو فساد الامور المـذكورة و اضـطرابها بمفارقته عليه السّ لام لها و انتقاله عليه السّ لام عن مكانه، و كـذلک يبطل الغرض المقصود منالرّحابارتفاع قطبها و انتفائه، و معنى اسـتحار مـدارهاعلى تفسير الشّارح المعتزلى اضطراب دورانها و خروجه عن الحركة

المستديرة إلى المستقيمة، و على ما قدّمنا من عدم مجيء الاستحارة بمعنى الاضطراب فالأنسب أن يكون كناية عن الوقوف عن الحركة و يكون اضطراب ثفالها كناية عن عدم تأتى الغرض المطلوب منه.

و لما نبّه على فساد ر أيهم أكّد ذلك بالقسم البارّ و قال (هذا لعمر اللّه الرأى السّوء) ثمّ أقسم باستكراهه لهم و استنكافه منهم و نفرة طبعه عن البقاء معهم إلاّ أنّ له مانعا عن ذلك و هو قوله (و اللّه لو لا رجائى) لقاء اللّه ب (الشهادة عند لقائى العدوّ لو قد حمّ) و قدّر (لى لقائه لقرّبت ركابى ثمّ شخصت عنكم) و فارقتكم غير متأسّف عليكم (فلا أطلبكم) سجيس اللّيالى (ما اختلف جنوب و شمال) تبرّما من سوء صنيعتكم و قبح فعالكم و مخالفتكم لأوامرى حالكونكم (طعّانين) على النّاس (عيّابين) عليهم (حيّادين) ميّالين عن الحقّ (روّاغين) عن الحرب روغ الثّعلب (و انّه لا غناء) و لا نفع (فى كثرة عددكم مع قلّة اجتماع قلوبكم) و نفاقكم (لقد حملتكم على الطريق الواضح التى لا يهلك عليها) أى كائنا عليها أو بسببها (إلاّ هالك من استقام) و اعتدل و لزم سلوكها (ف) مرجعه (إلى الجنّة) بنفس مطئنّة (و من زلّ) و عدل عنها (ف) مصيره (إلى النّار) و بئس القرار.

الترجمة

از جملۀ كلام بلاغت اسلوب آن امام است در حالتى كه جمع كرده بود مردمان را و ترغيب مى فرمود ايشان را بر جهاد، پس ساكت شدند زمان درازى، پس فرمود كه چيست شما را آيا گنگ ساخته اند شما را پس گفتند طايفۀ از ايشان أى مولاى مؤمنان اگر سير بفرمائيد سير مى كنيم با تو، پس فرمود كه:

چه مى شود شما را موفّق نباشيد بر راه قويم و هدايت نيابيد بر طريق مستقيم آيا در مثل اين كار مختصر سزاوار است مرا كه بيرون بروم بكار زار، جز اين نيست كه خارج ميشوند درمانند اين امر مردى از كسانى كه پسند من بوده باشد از دليران شما، و صاحبان قوت و شجاعت شما، و سزاوار نيست مرا كه ترك كنم لشكر را و شهر را

و بیت المال و خراج گرفتن زمین را، و حکم نمودن در میان مسلمانان و نظر کردن در حقهای طلب کنندگان حقوق را، بعد از آن خارج شوم در طایفه از لشکر که متابعت نمایم طایفۀ دیگر را، جنبش نمایم مثل جنبش نمودن تیر بی پر در تیردان خالی از تیر، و جز این نیست که من مثل قطب آسیا هستم که می گردد آن آسیا بر من و من در جای باشم، پس هنگامی که من جدا شوم از آن متحیّر و سرگردان شود دوران آن، و مضطرب گردد سنگ زیرین آن.

این که شما می گوئید قسم بخدا بد رأیی است و اندیشه کج است، و بخدا سوگند اگر نبود امیدواری من بشهادت در حین ملاقات دشمن اگر مقدر بشود از برای من ملاقات آن هر آینه نزدیک می گردانیدم شتر سواری خود را بعد از آن رحلت می کردم از شما پس طلب نمی کردم شما را أبدا مادامی که اختلاف دارند باد جنوب و شمال در حالتی که هستید طعن نمایندگان مردمان، عیب جویندگان، برگردندگان از راه حق، ترسندگان، و بدرستی هیچ منفعتی نیست در کثرت عدد و شماره شما با وجود کمی اجتماع قلبهای شما، هر آینه بتحقیق که حمل نمودم شما را بر راه روشن و آشکار که هلاک نمی شود بر آن مگر هلاک شونده گمراه، کسی که مستقیم شد بر آن راه پس رجوع آن بسوی بهشت است، و کسی که لغزید از آن راه پس بازگشت آن بسوی آتش است.

قال الشارح المحتاج الی غفران اللّه تعالی و رحمته، المتوسل الی اللّه سبحانه برسول اللّه و عترته سلام اللّه علیه و علیهم ما اختلف اللیل و النهار و الجنوب و الشمال: هذا هو المجلد الثالث(1) من مجلّدات شرح النهج، قد یسّر اللّه اتمامه و أحسن بالخیر ختامه، و یتلوه انشاء اللّه سبحانه المجلّد الرّابع، و هذه هی النسخة الأصل التی کتبتها بیمینی، و المرجّو من اللّه سبحانه أن یبثها فی صحایف الحسنات، و یجعلها ممحاة للسّیئآت بفضله الواسع، و کرمه السّابغ، و بمحمّد و آله الطاهرین، و کان الفراغ سلخ شهر ذی القعدة الحرام 1306

1- (1) هذا علی حسب تجزأة المصنف قدس سره کما فی الطبعة الاولی.

بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمـد للّه الـذى هـدانا إلى نهـج الحقّ و منهج الصّواب، و الاعتصام بالعروة الوثقى و الحبل المتين فى المبدأ و المآب، و الصّلاة و السّلام على من آتاه الحكم و فصل الخطاب، و بعثه ليتمّ مكارم الأخلاق و محاسن الآداب، شجرة الاصطفاء و ثمرة الاجتباء شريف الحسب و كريم الأنساب، ختم الأنبياء و أنف البطحاء نخبة العرب و شامخ الالقاب، و على أوصيائه الـذين هم أعلام التوحيد و منار التفريد و عندهم علم الكتاب، و أهل الذكر المسئولون المؤيّدون فى كلّ فصل و باب، و المعصومون المسدّدون فى الشيب و الشباب، و إليهم حشر الخلائق و نشرهم و إليهم الاياب و عليهم الحساب، و بولايتهم تقبل الأعمال و تنال الآمال و يفاز عظيم الزلفى و حسن الثواب.

يا بنى أحمد ناديكم اليوم و أنتم غدا الرّد جوابى

ألف باب اعطيتم ثمّ افضى كلّ باب منها إلى ألف باب

لكم الأمر كلّه و إليكم ولد يكم يؤل فصل الخطاب

لا سيّما أعظم النعيم و النّباء العظيم و الصّراط المستقيم ابو الأئمة الأطهار الأطياب، هادى الامم و كاشف الظلم و سيّد العرب و العجم و العبيد و الأرباب، علم الهدى و كهف الورى و طود النهى و بحر السدى و ماطر السحاب، من أحبّه سعد مولده و طاب، و من أبغضه ضلّ سعيه و خسر و خاب.

و بعد فهذا هو المجلّد الرابع من مجلّدات منهاج البراعة فى شرح نهج البلاغة املاء راجى عفو ربه الغنى حبيب اللّه بن محمد بن هاشم الهاشمى العلوى الموسوى أعطاه اللّه كتابه بيمناه، و جعل عقباه خيرا من اولاه، و أسأله سبحانه من نواله، أن يمنّ علىّ باكماله، بجاه محمّد و آله.

فأقول: قال السّيد رضى اللّه عنه:

و من كلام له عليه السّلام و هو المأة و التاسع عشر من المختار

اشارة

فى باب الخطب

تاللّه لقد علّمت تبليغ الرّسالات، و إتمام العدات، و تمام الكلمات، و عندنا أهل البيت أبواب الحكم، و ضياء الأمر، ألا و إنّ شرائع الدّين واحدة، و سبله قاصدة، من أخذ بها لحق و غنم، و من وقف عنها ضلّ و ندم، اعملوا ليوم تذخر له الذّخائر، و تبلى فيه السّرائر، و من لا ينفعه حاضر لبّه، فعازبه اعجز، و غائبه أعوز، و اتّقوا نارا حرّها شديد، و قعرها بعيد، و حليتها حديد، و شرابها صديد، ألا و إنّ اللّسان الصّالح يجعله اللّه للمرء فى النّاس خير من مال يورثه من لا يحمده.

اللغة

(علّمت) فى أكثر النّسخ على صيغة المجهول من باب التفعيل و فى بعضها بالتخفيف على المعلوم، قال الشّارح المعتزلى: و الرّواية الاولى أحسن و (الحكم) فى أكثر النسخ بالضمّ و سكون الكاف و فى بعضها بالكسر و فتح الكاف جمع الحكمة و (عزب) الشّىء من باب قعد بعد عنّى و غاب و (عوز) الشّىء كفرح إذا لم يوجد و الرجل افتقر و أعوزه الدهر أفقره.

الاعراب

قوله عليه السّلام: و عندنا أهل البيت فى أكثر النّسخ بالجرّ، و فى بعضها بالنصب أمّا الثانى فعلى الاختصاص، و أمّا الأوّل فعلى كونه بدلا من ضمير المتكلّم كما يراه بعض علماء الأدبية أو على أنه عطف بيان كما هو الأظهر.

ص:110

فان قلت: صرّح الأدبيّون بأنّ عطف البيان إنّما يؤتى به لا يضاح متبوعه و ههنا المتبوع أعرف من التابع فكيف يجوز الاتباع؟ قلت: هذا مبنىّ على الأغلب و إلاّ فقد يؤتى بالبيان لقصد المدح كما قاله المحقّق التفتازانى، حيث قال: فائدة عطف البيان لا تنحصر فى الايضاح لما ذكر صاحب الكشاف أنّ البيت الحرام فى قوله تعالى: جعل اللّه الكعبة البيت الحرام قياما للنّاس، عطف بيان جىء به للمدح لا للايضاح كما تجىء الصّفة لذلك، انتهى و جملة تذخر له الذّخائر مجرورة المحلّ على الوصف، و جملة يجعله اللّه فى محلّ النصب على الحال أو الوصف، و جملة يورثه من لا يحمده وصفيّة.

المعنى

اعلم أنّ المقصود بهذا الكلام كما يفهم من سياقه الاشارة إلى وجوب اتباعه و ملازمته و التمسك بذيل ولايته و اتباع الطّيبين من عترته و ذريّته، و وجوب أخذ معالم الدّين و أحكام الشّرع المبين عنهم عليهم السّلام، و عقّبه بالأمر بأخذ الزاد ليوم المعاد، و لذلك ذكر جملة من فضائله المخصوصة به المفيدة لتقدّمه على غيره، و الدّالة على وجوب تقديمه نظرا إلى قبح ترجيح المرجوح على الرّاجح، و غير خفىّ على الذّكىّ البصير أنّ كلا من هذه الخصائص برهان واضح و شاهد صدق على اختصاص الخلافة و الولاية بهم عليهم السّلام و على أنّها حقّ لهم دون غيرهم.

و افتتح كلامه بالقسم البارّ تحقيقا للمقصد فقال:(تاللّه لقد علّمت تبليغ الرسالات) أى علّمنيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بتعليم من اللّه سبحانه و أعلمنيه بأمر منه تعالى، لا أنّه علمه بوحى كما توهمه بعض الغلات، لأنّ الأئمة عليهم السّلام محدّثون، و الرسالة هو الاخبار عن مراد اللّه تعالى بكلامه بدون واسطة بشر، و المراد أنّه عليه السّلام علمه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إبلاغ ما جاء به إلى الخلق على اختلاف ألسنتهم و تعدّد لغاتهم سواء كان ذلك فى حال حياة الرّسول كبعثه صلّى اللّه عليه و آله له عليه السّلام بسورة برائة إلى أهل مكة و عزله لأبى بكر معلّلا بقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: امرت أن لا يبلغها إلاّ أنا أو رجل منّى و بعثه له إلى الجنّ و نحو ذلك، أو بعد وفاته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقد كان هو و أولاده الطاهرون

سلام اللّه عليهم أوعية علم النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و حملة سرّه و حفظة شرعه مؤدّين له إلى امّته و كان عمدة نشر الأحكام و انتشار مسائل الحلال و الحرام و انفتاح باب العلم فى زمنهم عليهم السّلام و كانوا مأمورين بالتّبليغ و الانذار، كما كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مأمورا بذلك و يشهد بذلك ما رواه الكلينى و الطبرسى و العياشى عن الصّادق عليه السّلام فى قوله تعالى: و أوحى إليّ هذا القرآن لانذركم به و من بلغ الآية، قال: و من بلغ أن يكون اماما من آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و فى غاية المرام عن الصّدوق باسناده عن يزيد «بريد ظ» بن معاوية العجلى قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام: انّما أنت منذر و لكلّ قوم هاد، فقال: المنذر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عليّ الهادى، و فى كلّ وقت و زمان امام منّا يهديهم إلى ما جاء به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و فيه أيضا عن الصّدوق مسندا عن أبى هريرة قال: دخلت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد نزلت هذه الآية: إنّما أنت منذر و لكلّ قوم هاد، فقرأها علينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: أنا المنذر، أ تعرفون الهادى؟ قلنا: لا يا رسول اللّه، قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو خاصف النعل، فطولت الأعناق اذ خرج علينا عليّ عليه السّلام من بعض الحجر و بيده نعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثمّ التفت إلينا و قال: ألا إنّه المبلّغ عنّى و الامام بعدى و زوج ابنتى و أبو سبطى، ففخرا نحن أهل بيت أذهب اللّه عنّا الرجس و طهّرنا تطهيرا من الدّنس الحديث.

و فى البحار عن بصائر الدرجات باسناده عن انس بن مالك خادم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يا على أنت تعلّم النّاس تأويل القرآن بما لا يعلمون، فقال عليّ عليه السّلام: ما ابلغ رسالتك بعدك يا رسول اللّه، قال: تخبر النّاس بما اشكل عليهم من تأويل القرآن.

و فيه أيضا من كشف الغمة من كتاب محمّد بن عبد اللّه بن سليمان مسندا عن أنس قال: كنت أخدم النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال لى يا أنس بن مالك: يدخل عليّ رجل امام المؤمنين، و سيّد المسلمين و خير الوصيّين، فضرب الباب فاذا عليّ بن أبى طالب عليه السّلام فدخل بعرق فجعل النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يمسح العرق عن وجهه و يقول: أنت تؤدّى عنّى

أو تبلغ عنى، فقال: يا رسول اللّه أو لم تبلغ رسالات ربّک؟ فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: بلى و لكن أنت تعلم النّاس.

(و إتمام العدات) أى انجازها يحتمل أن يكون المراد بها ما وعده اللّه سبحانه فى حقّه، فقد علّمه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأن اللّه سيفى به بما انزل عليه فى القرآن حيث قال: أ فمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه.

روى فى غاية المرام عن الحسن بن أبى الحسن الدّيلمى باسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى هذه الآية قال: الموعود علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، وعده اللّه أن ينتقم له من أعدائه فى الدنيا، و وعده الجنّة له و لأوليائه فى الآخرة.

و لكنّ الأظهر أن يراد بها العدات و العهود التى عاهد عليها اللّه سبحانه، و يشهد به قوله تعالى: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ». فقد روت الخاصّة و العامّة أنّها نزلت فى علىّ عليه السّلام و جعفر و حمزة.

روى فى غاية المرام عن علىّ بن يونس صاحب كتاب صراط المستقيم قال:

قال: روى المفسّرون أنها نزلت فى علىّ و حمزة، و لا ريب أنه لمّا قتل حمزة اختصّت بعلىّ فامن منه التبديل بحكم التنزيل و روى اختصاصها بعلىّ عليه السّلام ابن عبّاس و الصّادق عليه السّلام و أبو نعيم.

و فيه أيضا عن محمّد بن العباس الثقة فى تفسيره فيما نزل فى أهل البيت عليهم السّلام باسناده عن جابر عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السّلام عن محمّد بن الحنفية رضى اللّه عنه قال: قال علىّ عليه السّلام: كنت عاهدت اللّه و رسوله أنا و عمّى حمزة و أخى جعفر و ابن عمّى عبيدة بن الحارث على أمر وفينا به للّه و رسوله، فتقدمنى أصحابى و خلفت بعدهم لما أراد اللّه عزّ و جلّ، فأنزل اللّه سبحانه فينا:

«مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ » حمزة و جعفر و عبيدة «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ».

أنا المنتظر و ما بدّلت تبديلا.

أو يراد بها مواعيد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم التى وعدها للنّاس فقد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أنت وصيّى و وارثى و قاضى دينى و منجز عدتى، و علّمه صلّى اللّه عليه و آله كيفيّة أدائها و من أين يؤدّيها.

و قد روى فى غاية المرام، عن محمّد بن علىّ الحكيم الترمذى من أعيان علماء العامة فى كتابه المسمّى بفتح المبين من كتاب الأوصال قال: و روى أنّ أمير المؤمنين كرم اللّه وجهه قد أدّى سبعين ألفا من دينه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و كان أكثره من الموعود.

و فيه أيضا من كتاب ثاقب المناقب قال: حدّثنى شيخى أبو جعفر محمّد بن حسين الشهرابى فى داره بمشهد الرّضا عليه السّلام باسناده إلى عطا عن ابن عباس رضى اللّه عنه قال: قدم أبو الصمصام العيسى إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أناخ ناقته على باب المسجد و دخل و سلّم و أحسن التسليم ثمّ قال: أيكم الفتى الغوى الذى يزعم أنه نبىّ؟ فوثب إليه سلمان الفارسى «رض» فقال: يا أخا العرب أما ترى صاحب الوجه الأقمر، و الجبين الأزهر، و الحوض و الشفاعة، و التواضع و السكينة، و المسألة و الاجابة، و السّيف و القضيب، و التكبير و التهليل، و الأقسام و القضية، و الأحكام الخفيّة، و النّور و الشرف، و العلوّ و الرّفعة، و السخاء و الشجاعة و النجدة، و الصّلاة المفروضة و الزكاة المكتوبة، و الحجّ و الاحرام، و زمزم و المقام، و المشعر الحرام، و اليوم المشهود، و المقام المحمود، و الحوض المورود، و الشفاعة الكبرى، و ذلک مولانا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

فقال الأعرابىّ: إن كنت نبيّا فقل متى تقوم الساعة و متى يجىء المطر و أىّ شىء فى بطن ناقتى و أىّ شىء اكتسب هذا و متى أموت؟ فبقى صلّى اللّه عليه و آله ساكتا لا ينطق بشىء فهبط الأمين جبرئيل فقال: يا محمّد اقرء:

«إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحامِ وَ ما تَدْرِي نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ »

«إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » قال الأعرابى: مدّ يدک فأنا أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، و اقرّ أنّک رسول اللّه، فأىّ شىء لى عندک إن آتيک بأهلى و بنى عمّى مسلمين؟ فقال له النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لک عندى ثمانون ناقة حمر الظهور، بيض البطون، سود الحدق، عليها من طرايف اليمن و نقط (1) الحجاز.

ثمّ التفت النبىّ صلّى اللّه عليه و آله إلى علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و قال صلّى اللّه عليه و آله: اكتب يا أبا الحسن بسم اللّه الرّحمن الرّحيم أقرّ محمّد بن عبد اللّه بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد المناف و أشهد على نفسه فى صحّة عقله و بدنه و جواز أمره أنّ لأبى الصّمصام عليه و عنده و فى ذمّته ثمانين ناقة حمر الظهور، بيض البطون، سود الحدق عليها من طرايف اليمن و نقط الحجاز، و أشهد عليه جميع أصحابه.

و خرج أبو الصّمصام إلى أهله، فقبض النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقدم أبو الصّمصام و قد أسلم بنوعيس كلّها، فقال أبو الصّمصام: ما فعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ قالوا: قبض، قال:

فمن الوصىّ بعده؟ قالوا ما خلف فينا أحدا، قال: فمن الخليفة بعده؟ قالوا: أبو بكر فدخل أبو الصمصام المسجد فقال: يا خليفة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إنّ لى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله دينا ثمانين ناقة حمر الظهور، بيض البطون، سود الحدق عليها من طرائف اليمن و نقط الحجاز، فقال أبو بكر يا أخا العرب سألت ما فوق العقل، و اللّه ما خلف فينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لاصفراء و لا بيضاء، خلف فينا بغلته الذلول، و درعه الفاضلة فأخذها علىّ بن أبى طالب، و خلف فينا فدكا فأخذناها بحقّ، و نبينا محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا يورث.

فصاح سلمان: كردى و نكردى و حق أمير بردى، ردّ العمل إلى أهله ثمّ مدّ يده إلى أبى الصّمصام فأقامه إلى منزل علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و هو يتوضّأ وضوء الصّلاة، فقرع سلمان الباب، فنادى علىّ عليه السّلام: ادخل أنت و أبو الصّمصام العيسى

1- (1) لم أجد لفظ النقط فى كتب اللغة و الظاهر انه تحريف من النساخ و الصحيح نمط الحجاز و هو ثوب من صوف ذو ألوان و يقال أيضا لما يفرش من مفارش الصوف الملوّنة، منه.

فقال أبو الصّمصام: اعجوبة و ربّ الكعبة، من هذا الذى سمّانى و لم يعرفنى؟ فقال سلمان الفارسى «رض»: هذا وصىّ رسول اللّه، هذا الـذى قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أنا مدينة العلم و علىّ بابها فمن أراد العلم فليأت الباب، هذا الذى قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: علىّ خير البشر فمن رضى فقد شكر و من أبى فقد كفر، هذا الذى قال اللّه تعالى فيه:

«وَ جَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ».

هذا الّذى قال اللّه تعالى فيه: «أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ » و هذا الّذى قال اللّه تعالى فيه: «أَ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَ عِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لا يَسْتَوُونَ » هذا الّذى قال اللّه تعالى فيه: «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ». هذا الّذى قال اللّه تعالى فيه: «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ » الآية.

هـذا الّذى قال اللّه تعالى فيه: «إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » هذا الذى قال اللّه عزّ و جلّ فيه: «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ » ادخل يا أبا الصمصام و سلّم عليه، فدخل و سلّم عليه، ثمّ قال: إن لى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثمانين ناقة حمر الظهور، بيض البطون، سود الحدق، عليها من طرائف اليمن و نقط الحجاز، فقال عليه السّلام أمعك حجّة؟ قال: نعم، و دفع الوثيقة

فقال علیه السّلام: ناد یا سلمان فی الناس: ألا من أراد أن ینظر إلی قضاء دین رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فلیخرج إلی خارج المدینة.

فلمّا کان بالغد خرج النّاس، و قال المنافقون: کیف یقضی الدین و لیس معه شیء غدا یفتضح من أین له ثمانون ناقة حمر الظهور، بیض البطون، سود الحدق علیها من طرائف الیمن، و نقط الحجاز فلما کان الغد اجتمع الناس و خرج علیّ علیه السّلام فی أهل بیته و محبّیه و فی الجماعة من أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و أسرّ الحسن علیه السّلام سرّا لم یدر أحد ما هو.

ثمّ قال: یا أبا الصمصام امض مع ابنی الحسن إلی کثیب الرّمل، فمضی و معه أبو الصّمصام، و صلّی رکعتین عند الکثیب، و کلّم الأرض بکلمات لا یدری ماهی، و ضرب علی الکثیب بقضیب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، فانفجر الکثیب عن صخرة ململمة مکتوب علیها سطران، علی الأوّل لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه، و علی الآخر لا إله إلاّ اللّه و علیّ ولیّ اللّه، و ضرب الحسن علیه السّلام تلک الصّخرة بالقضیب فانفجرت عن خطام ناقة، فقال الحسن علیه السّلام: قدیا أبا الصّمصام، فقاد، فخرج منها ثمانون ناقة حمر الظهور، بیض البطون، سود الحدق، علیها من طرائف الیمن، و نقط الحجاز، و رجع إلی علیّ علیه السّلام فقال علیه السّلام: استوفیت حقک یا أبا الصّمصام؟ فقال: نعم، فقال علیه السّلام: سلّم الوثیقة، فسلّمها إلیه فخرقها فقال: هکذا أخبرنی ابن عمّی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إنّ اللّه عزّ و جلّ خلق هذه النّوق فی هذه الصخرة قبل أن یخلق ناقة صالح بألفی عام، ثمّ قال المنافقون: هذا من سحر علیّ قلیل.

قال صاحب ثاقب المناقب: و یروی هذا الخبر علی وجه آخر و هو ما روی أبو محمّد الادریسی عن حمزة بن داود الدیلمی عن یعقوب بن یزید الانباری عن أحمد ابن محمّد بن أبی نصر عن حبیب الأحول عن أبی حمزة الثّمالی عن شهر بن حوشب عن ابن عبّاس قال:

لمّا قبض النّبی صلّی اللّه علیه و آله و جلس أبو بکر نادی فی النّاس: ألا من کان له علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عدة أو دین فلیأت أبا بکر و لیأت معه شاهدین، و نادی علیّ علیه السّلام بذلک

على الاطلاق من غير طلب شاهدين، فجاء أعرابىّ متلثم متقلدا سيفه متنكنا كنانته و فرسه لا يرى منه إلاّ حافره، و ساق الحديث و لم يذكر الاسم و القبيلة، و كان ما وعده مأئة ناقة حمراء بأزمتها و أثقالها موقّرة ذهبا و فضّة بعبيدها.

فلما ذهب سلمان بالأعرابى إلى أمير المؤمنين عليه السّلام قال له حين بصربه: مرحبا بطالب عدة والده من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: فقال: ما وعد أبى يا أبا الحسن؟ قال: إنّ أباک قدم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: أنا رجل مطاع فى قومى إن دعوتهم أجابوک، و إنّى ضعيف الحال فما تجعل لى إن دعوتهم إلى الاسلام فأسلموا فقال صلّى اللّه عليه و آله: من أمر الدّنيا أم من أمر الآخرة؟ قال: و ما عليک أن تجمعهما بى يا رسول اللّه و قد جمعهما اللّه لا ناس كثيرة، فتبسّم النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و قال: اجمع لک خير الدّنيا و الآخرة، أما فى الآخرة فأنت رفيقى فى الجنة، و أمّا فى الدّنيا فما تريد؟ قال: مأئة ناقة حمر بأزمتها و عبيدها موقرة ذهبا و فضّة، ثمّ قال: و إن دعوتهم فأجابونى و قضى علىّ الموت و لم ألقک فتدفع ذلک إلى ولدى قال: نعم على أنى لا أراک و لا ترانى فى دار الدّنيا بعد يومى هذا، و سيجيبک قومک، فاذا حضرتک الوفاة فليصر ولدک إلى وليّى من بعدى و وصيّى، و قد مضى أبوک و دعا قومه فأجابوه و أمرک بالمصير إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إو إلى وصيّه، وها أنا وصيّه و منجز وعده.

فقال الأعرابى: صدقت يا أبا الحسن، ثمّ كتب عليه السّلام له على خرقة بيضاء و ناول الحسن عليه السّلام، و قال: يا أبا محمّد سر بهذا الرجل إلى وادى العقيق و سلّم على أهله و اقذف الخرقة و انتظر ساعة حتّى ترى ما يفعل، فان دفع إليک شىء فادفعه إلى الرجل، و مضيا بالكتاب.

قال ابن عباس: فسرت من حيث لم يرنى أحد، فلما أشرف الحسن عليه السّلام على الوادى نادى بأعلى صوته السّلام عليكم أيّها السكان البررة الأتقياء أنا ابن وصىّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أنا الحسن بن علىّ سبط رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ابن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و رسوله إليكم، و قد قذف الخرقة فى الوادى فسمعت من الوادى صوتا لبّيک لبّيک يا سبط رسول اللّه و ابن البتول و ابن سيد الاوصياء سمعنا و أطعنا انتظر ليدفع إليک،

فبينا أنا كذلک إذ ظهر غلام لم ادر من اين ظهر و بيده زمام ناقة حمراء تتبعها ستة فلم يزل يخرج غلام بعد غلام فى يد كلّ غلام قطار حتّى عددت مأئة ناقة حمراء بأزمتها و أحمالها، فقال الحسن عليه السّلام خذ بزمام نوقک و عبيدک و مالک و امض يرحمک اللّه هذا و قد روى هذا الحديث بطرق آخر من العامة و الخاصّة نحوا ممّا رويناه.

و أما قوله:(و تمام الكلمات) فقد فسره الشارح المعتزلى بتأويل القرآن و بيانه الذى يتمّ به، قال: لأنّ فى كلامه تعالى المجمل الذى لا يستغنى عن متمّم و مبيّن يوضحه أقول: إذا كان متمّم القرآن و مبيّنه هو أمير المؤمنين عليه السّلام و لم يمكن الاستغناء فيه عنه عليه السّلام، فكيف يمكن معذلک تقديم أحلاف العرب الذين لا يعرفون من القرآن إلا اسمه عليه و ترجيحهم عليه، فانّ القرآن هو إعجاز النبوّة و أساس الملّة و عماد الشريعة، فلا بد أن يكون القيّم به و العارف له و الحافظ لأسراره، هو الحجّة لا غير كما هو غير خفيّ على الذكى ذى الفطنة.

ثمّ أقول الذى عندى أنه يجوز أن يراد بالكلمات الكلمات القرآنية خصوصا أعنى الآيات و ما تضمّنته من التأويل و التنزيل و المفهوم و المنطوق و الظهر و البطن و النكات و الأسرار، و ما فيها من الناسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه و العام و الخاص و المطلق و المقيّد و المجمل و المبيّن و الأمر و النهى و الوعد و الوعيد و الجدل و المثل و القصص و الترغيب و الترهيب إلى غير ذلک، فانّ تمام ذلک و كلّه عند أمير المؤمنين عليه السّلام و العلم بجميع ذلک مخصوص به و بالطاهرين من أولاده سلام اللّه عليهم حسبما عرفته تفصيلا و تحقيقا فى التّذييل الثّالث من تذييلات الفصل السابع عشر من فصول الخطبة الاولى.

و أن يراد بها مطلق كلمات اللّه النازلة على الأنبياء و الرّسل فى الكتب السماوية و الصّحف الالهيّة، و قد مضى ما يدلّ على معرفتهم بتمام هذه فى شرح الفصل الرابع من فصول الخطبة الثانية عند قوله عليه السّلام: و كهف كتبه.

و أن يراد بها الأعمّ من هذه أيضا، و هو الأنسب باقتضاء عموم وظيفتهم عليهم السّلام، فيكون المراد بها ما ورد فى غير واحد من الأخبار من أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله علّم عليا كلمة تفتح ألف كلمة و ألف كلمة يفتح كلّ كلمة ألف كلمة، و عبّر عنها فى أخبار اخر بلفظ الباب و فى بعضها بلفظ الحديث و فى طايفة بلفظ الحرف.

مثل ما رواه فی غایة المرام عن المفید مسندا عن أبی حمزة الثمالی عن علیّ ابن الحسین علیهما السّلام قال: علّم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علیا کلمة تفتح ألف کلمة، و ألف کلمة یفتح کلّ کلمة ألف کلمة.

و فیه عن المفید أیضا باسناده عن عبد الرّحمن بن أبی عبد اللّه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: علّم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علیّا حرفا یفتح ألف حرف کلّ حرف منها یفتح ألف حرف.

و فیه أیضا عن محمّد بن الحسن الصّفار مسندا عن أبی حمزة الثّمالی عن أبی إسحاق السّبیعی قال: سمعت بعض أصحاب أمیر المؤمنین علیه السّلام ممّن یثق به یقول: سمعت علیّا علیه السّلام یقول: إنّ فی صدری هذا العلما جمّا علّمنیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لو أجد له حفظة یرعونه حقّ رعایته و یروونه عنّی کما یسمعونه منّی إذا لأودعتهم بعضه، یعلم به کثیرا من العلم مفتاح کلّ باب و کلّ باب یفتح ألف باب.

و فیه أیضا عن محمّد بن علیّ الحکیم الترمذی عن صاحب الینابیع قال: سأل قوم من الیهود عمر فی زمن خلافته عن مسائل بشرط إن أجابهم أو غیره من أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم آمنوا به صلّی اللّه علیه و آله و قالوا:

ما قفل السماء و ما مفتاح ذلک القفل؟ و ما القبر الجاری؟ و من الرّسول الذی وعظ قومه و لم یکن من الجنّ و لا من الانس؟ و من الخمسة الذین یسیرون فی الأرض و لم یخلقوا فی أرحام الامهات؟ و ما یقول الدّیک فی صوته؟ و الدّراج فی هدیده؟ و القمری فی هدیره؟ و الفرس فی صهیله؟ و الحمار فی نهیقه؟ و الضفدع فی نقیقه؟ فأطرف عمر زمانا ثمّ رفع رأسه قال لا أدری، فقالوا: علمنا أنّ دینکم باطل، فغدا سلمان «ض» جدّا و أخبر علیا بالقصّة فأتی فلما رآه استقبله و عانقه و أخبره بالقصّة فقال کرّم اللّه وجهه لا تبال فانّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علّمنی ألف باب من العلم کان یتشعّب منه ألف باب آخر، قال عمر فاسألوه عنها، فقال فی جوابهم:

أمّا قفل السّماء فهو الشرک، و أمّا مفتاح ذلک القفل فقول لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، قالوا: صدق الفتی، ثمّ قال: و أمّا القبر الجاری فهو الحوت الذی

كان يونس فى بطنه حيث دار به فى سبعة أبحر، و أمّا الرّسول الذى لم يكن من الجنّ و الانس فنملة سليمان كما قال اللّه تعالى:

«قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ ».

و أمّا الخمسة الذين لم يخلقوا فى أرحام الامّهات فآدم، و حوّا، و ناقة صالح، و كبش إبراهيم، و ثعبان موسى، و أمّا الديک فيقول: اذكروا اللّه أيّها الغافلون، و أمّا الدرّاج فيقول: الرّحمن على العرش استوى، و أمّا القمرى فيقول: اللّهمّ العن مبغضى محمّد و آل محمّد، و أمّا الفرس فيقول عند الغزو: اللهمّ انصر عبادک المؤمنين على عبادک الكافرين، و أمّا الحمار فيلعن العشّار و لا ينهق إلاّ فى وجه الشيطان، و أمّا الضفدع فيقول: سبحان ربّى المعبود فى لجج البحار.

و روى أنّهم كانوا ثلاثة فآمن منهم اثنان، و قام ثالثهم فسأل عن أصحاب الكهف و عن أسمائهم و أسماء كهفهم و اسم كلبهم، فأخبر بكلّها علىّ رضى اللّه عنه كما رواه عنه صاحب الكشاف فى تفسير سورة الكهف، و قصّ قصّتهم، فآمن اليهودى.

ثمّ قال عليه السّلام:(و عندنا أهل البيت أبواب الحكم) يجوز أن يراد بالحكم على رواية ضمّ الحاء و سكون الكاف القضاء و الفصل بين الناس فى الخصومات و الدعاوى، و أن يراد به الحكم الشرعى الفرعى أعنى خطاب اللّه المتعلّق بأفعال المكلّفين.

فعلى الاول فالظاهر أنّ المراد بأبوابه هو طرقه و وجوهه، فانهم عليهم السّلام كانوا عالمين بها عارفين بتمامها يحكمون فى القضايا الشخصية على ما يقتضيه المصلحة الكامنة الظاهرية أو الواقعيّة.

ففى بعضها كانوا يحكمون بظاهر الشريعة على ما يقتضيه اليمين و البيّنة، و هو المراد بما روى عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنه قال: انّما أنا بشر مثلكم و إنما تختصمون إلىّ و لعلّ بعضكم يكون أعرف بحجّته من بعض فأقضى له على نحوما أسمع منه فمن قضيت له بشىء من حقّ أخيه فلا يأخذه فانما اقطع له قطعة من النار.

و فى بعضـها بمرّ الحقّ على وجه التّـدبير و اسـتخراج وجه الحيلـة و الاحتيال فى اعمال الحقّ و اسـتخراج الافراد بالحقوق الباطنة بلطايف الفكر كما كان يفعله أمير المؤمنين عليه السّـلام فى أيام خلافة عمرو غيرها كثيرا، مثل قضائه فى المرأة التى اسـتودعها رجلان وديعة، و فى المرأة التى توفّى عنها. زوجها و ادّعى بنوها أنّها فجرت و فى الجارية التى افتضـتها سـيّدتها اتهاما و رميا لها بالفاحشة حسبما تقدّم تفصيل ذلك كلّه فى شرح الفصل الثانى من فصول الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقية.

و مثل ما رواه عنه فى الفقيه قال: قال أبو جعفر عليه السّـلام: توفّى رجل على عهـد أمير المؤمنين و خلّف ابنا و عبدا فادّعى كلّ واحد منهما انه الابن و أنّ الآخر عبد له فأتيا أمير المؤمنين عليه السّـلام فتحا كما إليه، فأمر أمير المؤمنين أن يثقب فى حايط المسجد ثقبتان، ثمّ أمر كلّ واحـد منهما أن يدخل رأسه فى ثقب، ففعلا، ثمّ قال: يا قنبر جرّد السـيف و أشار إليه لا تفعل ما آمرك به، ثمّ قال عليه السّـلام اضـرب عنق العبد العبد قال فنحّى العبد رأسه فأخذه أمير المؤمنين عليه السّلام و قال للآخر أنت الابن و قد اعتقته و جعلته مولى لك.

و فى بعضـها بالحكم الواقعى المحض و به يحكم القايم من آل محمّـد سـلام اللّه عليه و عليهم بعد ظهوره، و هو المعبّر عنه بحكم داود و آل داود فى الأخبار، فانّ داود عليه السّلام كان يعمل زمانا على مقتضى علمه بالوحى من دون أن يسأل عن البيّنة، ثمّ إنّ بنى إسرائيل اتّهموه لبعده عن طور العقل، فرجع إلى العمل بالبينات، و قد رويناه فى شـرح الفصل المذكور من الخطبة الشقشـقية عن الساباطى قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام بما تحكمون إذا حكمتم؟ فقال: بحكم اللّه و حكم داود الحديث، و قد مضى ثمّة أخبار اخر بهذا المعنى.

و كان أمير المؤمنين عليه السّلام يحكم بهذا الحكم احيانا، مثل ما روى عنه فى محاكمة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مع الاعرابى.

قال فى الفقيه: جاء أعرابىّ إلى النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فادّعى عليه سبعين درهما ثمن ناقة باعها منه، فقال صلّى اللّه عليه و آله قد أوفيتک، فقال: اجعل بيننا و بينک رجلا يحكم بيننا

فأقبل رجل من قريش فقال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم: احكم بيننا، فقال للأعرابى: ما تدّعى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم؟ قال: سـبعين درهما ثمن ناقـة بعتها منه، فقال: ما تقول يا رسول اللّه؟ قال: قـد أوفيته، فقال للأعرابى: ما تقول؟ قال: لم يوفنى، فقال لرسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم: أ لک بيّنـة على أنک قـد أوفيته؟ قال: لا، قال للأعرابى: أ تحلف أنک لم تسـتوف حقک و تأخـذه؟ فقال: نعم، فقال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله: لأتحاكمنّ مع هـذا إلى رجل يحكم بيننا بحكم اللّه عزّ و جلّ، فأتى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله علىّ بن أبى طالب عليه السّـلام و معه الأعرابى فقال علىّ عليه السّـلام: مالک يا رسول اللّه؟ فقال: يا أبا الحسن احكم بينى و بين هذا الأعرابى، فقال علىّ عليه السّـلام: يا أعرابى ما تدّعى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟ قال: سبعين درهما ثمن ناقة بعتها منه، فقال: ما تقول يا رسول اللّه؟ فقال: قـد أوفيته ثمنها، فقال: يا أعرابى اصـدق رسول اللّه فيما قال؟ قال: لا، ما أوفانى شيئا، فأخرج علىّ عليه السّـلام سيفه فضـرب عنقه، فقال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم: لم فعلت ذلک يا على؟ فقال: يا رسول اللّه نحن نصـدّقک على أمر اللّه و نهيه و على أمر الجنّـة و النار و الثواب و العقاب و وحى اللّه عزّ و جلّ، و لا نصـدّقک فى ثمن ناقة هذا الاعرابى، و إنّى قتلته لأنّه كذّبک لمّا قلت له اصدق رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فيما قال فقال لا ما أوفانى شـيئا، فقال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله أصبت يا علىّ فلا تعد إلى مثلها، ثمّ التفت صلّى اللّه عليه و آله إلى القرشى و كان قد تبعه فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: هذا حكم اللّه لا ما حكمت به.

و فى رواية محمّد بن بحر الشّـيبانى عن أحمد بن الحارث قال: حدّثنا أبو أيوب الكوفى قال: حدّثنا إسـحاق بن وهب العلاّف قال: حدّثنا أبو عاصم النبال عن ابن جريح عن الضحاک عن ابن عبّاس قال:

خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من منزل عايشة فاستقبله أعرابىّ و معه ناقة فقال:

يا محمّد تشرى هذه النّاقة؟ فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله: نعم بكم تبيعها يا أعرابى، فقال:

بمأتى درهم، فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله: بل ناقتک خير من هذا، قال: فما زال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يزيد حتى اشترى الناقة بأربعمائة درهم، قال: فلمّا دفع النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم إلى أعرابى الدّراهم ضرب الأعرابى يده إلى زمام الناقة فقال: الناقة ناقتى و الدّراهم دراهمى فان

كان لمحمّد شىء فليقم البيّنة، قال: فأقبل رجل فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أترضى بالشّيخ المقبل؟ قال: نعم يا محمّد، فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: تقضى فيما بينى و بين هذا الاعرابى فقال: تكلّم يا رسول اللّه، فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: الناقة ناقتى و الدّراهم دراهم الاعرابى فقال الاعرابى: بل الناقة ناقتى و الدّراهم دراهمى إن كان لمحمّد شىء فليقم البيّنة، فقال الرّجل: القضيّة فيها واضحة يا رسول اللّه، و ذلك أنّ الاعرابى طلب البيّنة، فقال له النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: اجلس فجلس، ثمّ أقبل رجل آخر فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أترضى يا أعرابى بالشيخ المقبل؟ فقال: نعم يا محمّد، فلمّا دنى قال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله: اقض فيما بينى و بين هذا الأعرابى، فقال تكلّم يا رسول اللّه فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: الناقة ناقتى و الدّراهم دراهم الأعرابى، فقال الأعرابى: بل الناقة ناقتى و الدّراهم دراهمى إن كان لمحمّد شىء فليقم البيّنة، فقال الرّجل: القضيّة فيها واضحة يا رسول اللّه لأنّ الأعرابى طلب البيّنة، فقال النّبى صلّى اللّه عليه و آله: اجلس حتّى يأتى اللّه عزّ و جلّ بمن يقضى بينى و بين الأعرابى بالحقّ، فاقبل علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أترضى بالشّاب المقبل؟ فقال: نعم، فلمّا دنى قال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله: يا أبا الحسن اقض فيما بينى و بين الأعرابى، فقال: تكلّم يا رسول اللّه، فقال النّبى صلّى اللّه عليه و آله: الناقة ناقتى و الدّراهم دراهم الأعرابى، فقال الأعرابى، بل الناقة ناقتى و الدّراهم دراهمى إن كان لمحمّد شىء فليقم البيّنة، فقال علىّ عليه السّلام: خلّ بين النّاقة و بين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقال الأعرابى: ما كنت بالّذى أفعل أو يقيم البيّنة، قال فدخل علىّ عليه السّلام منزله فاشتمل على قائم سيفه ثمّ أتا فقال خلّ بين النّاقة و بين رسول اللّه قال ما كنت بالذى أفعل أو يقيم البيّنة، قال: فضربه علىّ ضربة فاجتمع أهل الحجاز على أنه رمى برأسه و قال بعض أهل العراق: بل قطع عضوا منه قال فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ما حملك على هذا يا علىّ؟ فقال: يا رسول اللّه نصدّقك على الوحى من السماء و لا نصدّقك على أربعمائة درهم، قال الصدوق (ره) بعد رواية هذين الحديثين انهما غير مختلفين لأنهما فى قضيّتين و كانت هذه القضيّة قبل القضيّة التى ذكرتها قبلها، هذا.

و قد تقدّم فى شرح الكلام الثّامن و الخمسين ما ينفعك فى هذا المقام.

و على الثانى أى على كون المراد بالحكم الأحكام الشرعية فالمراد بأبوابه هو طرق الافتاء و وجوه بيان المسائل على ما تقتضيه المصلحة فيفتون بعض الناس بالحكم الواقعى و بعضهم بالتقيّة حقنا لدمائهم أو لدماء السائلين حسبما تقدّم تفصيل ذلك أيضا فى شرح الكلام الثامن و الخمسين فى بيان وجوه التفويض فتذكر.

و كيف كان فقد وضح و ظهر ممّا قرّرنا أنّ الأئمة عليهم السّلام عندهم أبواب الحكم بأىّ معنى اخذ الحكم و أنهم عارفون بها محيطون بأقطارها، و هذا الوصف مخصوص بهم لا يوجد فى غيرهم، لأنّ معرفة المصالح الكامنة لا يحصل إلاّ بتأييد الهى و قوّة ربّانية مخصوصة بأهل العصمة و الطهارة.

و لذلک أى لقصد الاختصاص و التخصيص قدّم عليه السّلام المسند و قال:و عندنا أبواب الحكم (و ضياء الأمر) و المراد بالأمر إمّا الولاية كما كنّى به عنها كثيرا فى اخبار أهل البيت عليهم السّلام، و فى قوله تعالى و اولى الأمر منكم،و الضياء حينئذ بمعناه الحقيقى أى عندنا نور الامامة و الولاية، و إمّا الأوامر الشرعيّةفالضياءاستعارة للحقّ لأنّ الحقّ يشبه بالنور كما أنّ الباطل يشبه بالظلمةقال سبحانه:

«اَللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ » فالمقصود أنّ الأئمة عليهم السّلام عندهم حقّ الأوامر الشرعية و التّكاليف الالهية، و إليه اشير فى قوله سبحانه:

«أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ».

و إمّا مطلق الامور المقدّرة فى الكون كما قال تعالى:

«تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ » أى تنزّل إلى ولىّ الأمر بتفسير الامور على ما تقدّم تحقيقه بما لا مزيد عليه فى شرح

الفصل الرابع من فصول الخطبة الثانية.

ثمّ انه عليه السّلام بعد ما ذكر جملة من فضايله و فضائل آله الطّاهرين سلام اللّه عليهم أجمعين أردف ذلک بالاشارة إلى وجوب اتّباعهم و أخذ معالم الدّين عنهم عليهم السّلام فقال (ألا و إنّ شرايع الدّين) و طرقه أى قواعده و قوانينه (واحدة و سبله قاصدة) أى معتدلة مستقيمة و هى ما دلّ عليها أهل بيت العصمة و الطهارة، لأنهم أولياء الدّين و أبواب الايمان و امناء الرّحمن و الأدلاّء على الشريعة و الهداة إلى السنة (من أخذ بها) و اتّبع أئمة الهدى سلک الجادّة الوسطى و (لحق) بالحقّ (و غنم) النعمة العظمى (و من وقف عنها) و انحرف عن الصراط الأعظم و السّبيل الأقوم و أخذ فى أمر الدين بطرق الأقيسة و وجوه الاستحسانات العقلية، أو رجع فيه إلى الهمج الرعاع و أئمة الضّلال العاملين فيه لعقولهم الفاسدة و آرائهم الكاسدة (ضلّ و ندم) و قد تقدّم فى شرح الكلام السادس عشر و السابع عشر و الثامن عشر ما ينفعک فى هذا المقام.

ثمّ أمر بتحصيل الزاد ليوم المعاد فقال عليه السّلام (اعملوا ليوم تذخر له الذخائر) و هى الأعمال الصّالحة (و تبلى فيه السرائر) الغرض بالوصف إمّا تخصيص الموصوف أو التهويل حثا بالعمل كما فى قوله سبحانه:

«فِی يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ».

و الجملة الثانية مأخوذة من الكتاب العزيز قال تعالى: يوم تبلى السرائر، أى تختبر و السرائر: ما أسرّ القلوب من العقائد و النيات و غيرها و ما خفى من الأعمال قال الطبرسى: و السّرائر أعمال بنى آدم و الفرائض ما أوجبت عليه و هى سرائر فى العبد تختبر تلک السرائر يوم القيامة حتّى يظهر خيرها و شرّها.

و عن معاذ بن جبل قال: سألت النبيّ ما هذه السرائر التى تبلى بها العباد يوم القيامة؟ قال صلّى اللّه عليه و آله سرائركم هى أعمالكم من الصّلاة و الزكاة، و الصيام و الوضوء و الغسل من الجنابة و كلّ مفروض لأنّ الأعمال كلّها سرائر خفيّة فان شاء قال صلّيت و لم يصلّ، و إن شاء قال توضّأت و لم يتوضّ، فذلک قوله: يوم تبلى السرائر هذا.

و لما كان كمال القوّة العملية لا يحصل إلاّ بكمال القوّة النظرية أردفه بقوله (و من لا ينفعه حاضر لبّه فعازبه) أى بعيده (أعجز و غايبه أعوز) أى أعدم للمنفعة يعنى أنّ من لا ينفعه لبّه الحاضر و عقله الموجود فهو بعدم الانتفاع بما هو غير حاضر و لا موجود عنده من العقل أولى و أحرى.

و قيل فى تفسيره وجوه اخر: الاول من لا يعتبر بلبّه فى حياته فأولى بأن لا ينتفع به بعد الموت الثانى أنّ من لم يعمل بما فهم و حكم به عقله وقت امكان العمل فأحرى أن لا ينتفع به بعد انقضاء وقته بل لا يورثه إلاّ ندامة و حسرة الثالث أنّ من لم يكن له من نفسه رادع و زاجر فمن البعيدان نيز جر و يرتدع بعقل غيره و موعظة غيره كما قيل: و زاجر من النفس خير من عتاب العواذل.

و لما حثّ بالعمل أكّده بالتحذير من النار فقال (و اتّقوا نارا حرّها شديد و قعرها بعيد و حليتها حديد و شرابها صديد) لا يخفى ما فى هذه الفقر من حسن الخطابة حيث ناط بكلّ لفظة ما يناسبها و يلايمها لو نيطت بغيرها لم تلائم، و الاضافة فى القرينة الاولى على أصلها، و فى الأخيرة لأدنى المناسبة، و فى الوسطين تحتمل الأول و الثّانى،و استعارة الحلية للقيود و الاغلالمن باب التحكم، و القرينة الاخريمأخوذة عن قوله سبحانه:«يُسْقى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ »، و هو القيح و الدّم، و قيل: هو القيح كأنه الماء فى رقته و الدّم فى شكله، و قيل: هو ما يسيل من جلود أهل النار و كيف كان فتوصيف النار بهذه الأوصاف الأربعة للتحذير و الترهيب منها كما أنّ فى ذكر حلية أهل الجنّة و شرابهم فى قوله تعالى:

«وَ حُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً ».

ترغيبا و تشويقا إليها ثمّ قال(ألا و إنّ اللّسان الصالح)اى الذكر الجميل تسمية للشىء باسم مسبّبه (يجعله اللّه للمرء فى الناس خير له من مال يورثه من لا يحمده) و قد مرّ نظير هذه العبارة فى الفصل الثانى من فصلى الخطبة الثالثة و العشرين، و المراد أنّ تحصيل مكارم الأخلاق

و محاسن الأفعال من البـذل و الانفاق و نحوهما مما يوجب الثناء الجميل فی الـدّنيا و الثواب الجزيل فی العقبا خير من تحصـيل المال و جمعه و توريثه من لا يشـكره عليه أی وارثه الـذی لا يعـد ذلک الايراث فضـلا و نعمـة لايجابه العـذاب الأليم و الندم الطويل و هو شاهد بالعيان معلوم بالوجدان

الترجمة

از جمله كلام بلاغت فرجام آن امام أنام است كه فرموده:

قسم بخداونـد بتحقيق كه تعليم كرده شده ام من برسانيدن رسالتها را، و تمام كردن وعدها را، و تمامی كلمه ها را، و نزد ما أهل بيت اسـت بابهای أحكام، و روشـنی امورات، آگاه باشـيد و بدانيد كه طرق دين يكی است، و راههای آن معتدل و مسـتقيم است، هر كه فرا گرفت آنرا رسيد بمقصد و غنيمت يافت، و هر كه وا ايستاد از آن گمراه شد و بضلالت و ندامت شتافت، عمل نمائيد از برای روزی كه ذخيره كرده می شود از برای آن روز ذخيرها، و امتحان كرده می شود در آن روز عقايد صـحيحه و فاسده و نيات حقّه و باطله، و كسـی كه فائده نبخشد او را عقل او كه حاضر است پس عقلی كه بعيد است از او عاجزتر است از نفع بخشيدن، و عقلی كه غائب است از آن عادم تر است منفعت را، و بترسـيد از آتشـی كه گرمی آن سخت است، و ته آن دور است، و زينت آن آهن است، و شراب آن زردابست، بدانيد كه بدرستی كه زبان خوشی كه بگرداند او را خداوند تعالی از برای مرد در ميان خلق بهتر است مر او را از مالی كه ارث بگذارد آنرا بكسی كه ستايش نكند او را بكثير و قليل آن و لنعم ما قيل:

كسی كو شد بنام نيک مشهور پس از مرگش بزرگان زنده دانند

ولی آنرا كه بد فعل است و بدنام اگر چه زنده باشد مرده خوانند

و قال آخر:

سعديا مرد نكو نام نميرد هرگز مرده آنست كه نامش بنكوئی نبرند

ص:128

و من كلام له عليه السّلام و هو المأة و العشرون من المختار

اشارة

فی باب الخطب

و قـد قام اليه رجل من أصـحابه فقال نهيتنا عن الحكومـة ثمّ أمرتنا بها فما ندرى أىّ الامرين أرشد، فصـفق (عليه السـلام) احدى يديه على الاخرى ثمّ قال هـذا جزاء من ترک العقدة، أما و اللّه لو أنّى حين أمرتكم بما أمرتكم به حملتكم على المكروه الّذى يجعل اللّه فيه خيرا فإن استقمتم هديتكم، و إن اعوججتم قوّمتكم، و إن أبيتم تداركتكم، لكانت الوثقى و لكن بمن و إلى من؟ أريد أن أداوى بكم و أنتم دائى كناقش الشّوكـة بالشّوكة و هو يعلم أنّ ضـلعها معها، ألّلهمّ قد ملّت أطبّاء هذا الدّاء الدّوىّ، و كلّت النّزعة بأشـطان الرّكىّ، أين القوم الّذين دعوا إلى الإسـلام فقبلوه، و قرءوا القرآن فـأحكموه، و هيجوا إلى الجهـاد فولهوا وله اللّقاح إلى أولادها، و سـلبوا السّـيوف أغمادها، و أخـذوا بأطراف الأرض زحفا زحفا، و صـفّا صـفّا، بعض هلک، و بعض نجى، لا يبشّـرون بالأحياء، و لا يعزّون عن الموتى، مره العيون من البكاء، خمص البطون من الصّـيام، ذبل الشّـفاه من الدّعاء، صـفر الألوان من السّهر، على وجوههم «عليهم خ» غبرة الخاشعين، أولئک إخوانى الذّاهبون، فحقّ لنا أن

نظماء إليهم، و نعض الأيـدى على فراقهم، إنّ الشّـيطان يسـنّى لكم طرقه، و يريد أن يحلّ دينكم عقدة عقدة، و يعطيكم بالجماعة الفرقة «و بالفرقة الفتنة خ»، فاصدفوا عن نزغاته و نفثاته، و اقبلوا النّصيحة ممّن أهداها إليكم، و اعقلوها على أنفسكم.

اللغة

(العقدة) بالضمّ الرأى و الحزم و النظر فى المصالح و ما تمسكه و توثقه و (نقش الشوكة) إذا استخرجها من جسمه و به سميّ المنقاش الذى ينقش به و (الضـلع) محرّكـة الميل و الهوى و ضـلعک مع فلان أى ميلک و هواک قال الفيروزآبادى، قيل و القياس تحريكه، لأنهم يقولون ضلع مع فلان كفرح و لكنهم خفّفوا انتهى.

و يستفاد منه جواز القرائة بفتح اللاّم و سكونها معا، الأوّل على القياس لكونه مصدر ضلع من باب فرح، و الثانى على التخفيف.

و (الدّاء الدوى) الشديد كقولهم يسـيل السّـيل و شعر شاعر و (النزعة) جمع نازع كمردة و مارد و هو الذى يستقى الماء و (الأشطان) جمع الشّـطن كالأسباب و السّبب و هو الجهل و (الرّكى) جمع الرّكية و هى البئر و فى بعض النسخ: فولهوا اللّقاح، باسقاط لفظة الوله و (اللّقاح) بكسر اللاّم الابل الواحدة لقوح كصبور و هى الحلوب أو التى نتجت هى لقوح إلى شهرين أو ثلاثة، ثمّ هى لبون و (زحف) اليه كمنع زحفا و زحوفـا و زحفانـا مشـى، و الزحف أيضـا الجيش لأنّـهم يزحفون إلى العـدوّ و يمشون و (الصّف) مصـدر كالتصـفيف و يقال أيضا للقوم المصطفين.

و (المره) بضمّ الميم و سـكون الراء مرض فى العين بـترک الكحـل من مرهت عينه كفرحت فسـدت بترک الكحـل و (خمص البطن) مثلّثة خلاه (ذبل) الشـىء ذبولا من باب قعد قلّ نضارته و ذهب ماؤه و (الظماء) محرّكة شدّة العطش و (سنّاه) تسنية فتحه و سهله و (الفرقة) و فى بعض النسخ بكسر الفاء و هو الطائفة

ص:130

من الناس و الجمع فرق كسدرة و سدر و فى بعضها بالضّم و هو اسم من فارقته مفارقته و فراقا.

الاعراب

أما حرف استفتاح يبتدء بها الكلام و تدخل كثيرا على القسم كما هنا، و قوله و اللّه لو أنّى، لو حرف شرط، و أنّى حملتكم، واقع موقع الشرط لكون أنّ بالفتح فاعلا لفعل محذوف يفسّره قوله: حملتكم، و هذا أعنى تقدير الفعل بعد لو التى يليها أنّ هو مذهب المبرّد، و قال السيرافى: الـذى عندى أنّه لا يحتاج إلى تقدير الفعل و لكن انّ يقع نائبة عن الفعل الذى يجب وقوعه بعدلو لأنّ خبر انّ إذا فعل ينوب لفظه عن الفعل بعدلو، فاذا قلت لو أنّ زيدا جائنى، فكأنّک قلت لو جائنى زيد.

و قوله: حين أمرتكم، متعلّق بحملتكم و التّقـدّم للتوسّع، و جواب لو محـذوف اسـتغناء عنه بجواب القسم و هو قوله: لكـانت الوثقى، و انما جعلناه جوابا للقسم دون لو بحكم علماء الأدبية، قال نجم الأئمة: إذا تقدّم القسم أوّل الكلام و بعده كلمة الشرط سواء كانت إن، أو لو، أو لو لاـ أو اسم الشـرط، فالأكثر و الأولى اعتبار القسم دون الشـرط فيجعل الجواب للقسم، و يسـتغنى عن جواب الشـرط لقيام جواب القسـم مقامه، نحو:

«وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللّهِ خَيْرٌ ».

و تقول: و اللّه أن لو جئتنى لجئتک، و اللاّم جواب القسم لا جواب لو و لو كانت جواب لو لجاز حـذفها و لا يجوز فى مثله، و كـذا تقول: و اللّه لو جئتنى ما جئتک، و لا تقول لما جئتک، و لو كان الجواب للو لجاز ذلک، انتهى.

و قوله عليه السّلام: ممّن و إلى من، حذف متعلّقهما بقرينة المقام و ستعرفه فى بيان المعنى،و قولهأين القومأين كلمة استفهام استعملت هنا مجازا فى التحسّر و التأسّف على السّلف الماضين، و هو من باب تجاهل العارف، و أغمادها منصوب بنزع الخافض أو بدل من السيوف،و أخذوا بأطراف الأرض،إمّا من باب القلب أى أخذوا الأرض بأطرافها كما تقول: أخذوا بزمام النّاقة، أو الباء زائدة، أى أخذوا على النّاس

أطراف الأرض أى حصروهم.

و زحفا زحفا و صـفا صـفا، منصوبان على الحال من فاعل أخذوا، أى زحفا بعد زحف و صـفا بعد صف، أى ذوى صـفوف كثيرة و لا يمنع جمودهمـا إمّـا لعـدم اشتراط الاشـتقاق فى الحـال، أو لامكـان التأويل المشـتق بناء على الاشتراط، و يجوز انتصابهما على المصـدر، أى يزحفون زحفا و يصطفون صفا.

و التنوين فى قوله: بعض هلك و بعض نجا، للتعويض، أى بعضـهم هلك و بعضـهم نجا، و كذلک اللاّم فى قوله: لا يبشّرون بالأحياء و لا يعزّون بالموتى، و جملة اولئک اخوانى الذّاهبون، استينافية بيانية، و الباء فى قوله: و يعطيكم بالجماعة الفرقة للمقابلة و العوض.

المعنى

اشارة

اعلم أنّ صدر هذا الكلام الشّـريف مسوق لدفع شـبهة الخوارج، و عقّبه بالتضـجّر و الاشـتكاء منهم و بالتأسّف على السّلف الصالحين من رؤساء الدّين، و ختمه بالموعظة و النّصح لهم، و ينبغى أن نذكر أولا شبهة الخوارج، ثمّ نتبعها بما يدفعها.

فأقول: قد تقدّم فى شـرح الخطبة الخامسة و الثلاثين عند ذكر كيفية التحكيم بدء أمر الخوارج، و عرفت هناک أنّ أول خروجهم كان بصفّين بعـد عقـد الصّـلح، و ذلک أنّ أهل الشّام لما رأوا عقيب ليلـة الهرير أنّ أمارات الفتـح و الظفر و علامات القهر و الغلبة قد ظهرت و لاحت لأهل العراق، فعـدلوا عنـد ذلک عن القراع إلى الخداع، و بدّلوا القتال بالاحتيال، و رفعوا المصاحف على الرّماح بخديعة ابن النابغة، و نادوا اللّه اللّه يا معشـر العرب فى البنات و الأبناء، و الـذّرارى و النساء، هـذا كتاب اللّه بينكم و بيننا، فلما رأى ذلک أهل العراق و سـمعوه، رفعوا أيـديهم عن السـيوف، و تركوا الجهـاد، و أصـرّوا على التحكيم، و كلّمـا منعهم أمير المؤمنين عليه السّـلام و نهـاهم عن ذلک و حثّهم على الجهاد، لـم يزددهم منعه إلاّ تقاعدا و تخاذلا، و لما رأى تخاذلهم و قعودهم عن الحرب و اصـرارهم على الصلح و المحاكمة و قولهم له: يا على أجب القوم إلى

كتاب اللّه و إلاّ قتلناک كما قتلنا ابن عفان، أجابهم إليه كرها لا رغبة، و جبرا لا اختيارا.

ثمّ لما كتب صحيفة الصلح على ما تقدّم تفصيلها، و قرءها أشعث بن قيس على صفوف أهل العراق، فنادى القوم لا حكم إلاّ اللّه لا لک يا على و لا لمعاوية، و قد كنا زللنا و أخطأنا حين رضينا بالحكمين، قد بان لنا خطائنا فرجعنا إلى اللّه و تبنا فارجع أنت و تب إلى اللّه كما تبنا، فقال علىّ عليه السّلام و يحكم أبعد الرّضا و الميثاق و العهد نرجع؟ أ ليس اللّه قد قال: أوفوا بالعقود، فأبى علىّ عليه السّلام أن يرجع، و أبت الخوارج إلاّ تضليل الحكم و الطعن فيه.

فمن ذلک نشأت الشبهة لهم، و اعترضوا عليه عليه السّلام و قال له عليه السّلام بعضهم:

(نهيتنا عن الحكومة ثمّ أمرتنا بها فما ندرى أىّ الأمرين أرشد) محصّله أنه إن كانت فى الحكومة مصلحة فما معنى النهى عنها أوّلا، و إن لم تكن فيها مصلحة فما معنى الأمر بها ثانيا، فلا بدّ من أن يكون أحد الأمرين خطاء.

و لما كان هذا الاعتراض غير وارد عليه عليه السّلام، و كان الخطاء منهم لا منه، تغيّر عليه السّلام (فصفق احدى يديه على الاخرى) فعل المتغيّر المغضب،(ثمّ قال هذا جزاء من ترک العقدة) يجوز أن يكون المشار إليه بهذا الجهل و الحيرة التى يدلّ عليها قولهم فما ندرى أىّ الأمرين أرشد، فيكون ترک العقدة منهم لا منه عليه السّلام، و المعنى أنّ هذا التحيّر جزائكم حيث تركتم العقده و الرأى الأصوب المقتضى للثبات على الحرب و البقاء على القتال، و أصررتم على اجابة أصحاب معاوية إلى المحاكمة، فوقعتم فى التّيه و الضلال، و يجوز ابقائه على ظاهره و هو الألصق بقوله بعد ذلک: لو حملتكم على المكروه لكانت الوثقى، فالمراد أنّ هذا جزائى حين تركت العقدة، أى هذا الاعتراض مما يترتب على ترک العقدة.

فان قلت: فعلى هذا يتّجه اعتراضهم عليه حيث ترک العقدة.

قلت: لا، لأنّ تركه لها كان اضطرارا لا اختيارا، و لا عن فساد رأى كما يدلّ عليه صريح قوله فى الخطبة الخامسة و الثلاثين: و قد كنت أمرتكم فى هذه

الحکومـة أمری و نخلت لکم مخزون رأیی لو کـان یطـاع لقصـیر أمر، فأبیتم علیّ إباء المخالفین الجفاة و المنابـذین العصاة اه، و قوله علیه السّلام هنا: و لکن بمن و إلی من، و من المعلوم أنّ ترک الأصـلح إذا لـم یمکن العمل بالأصـلح مما لا فساد فیه، و لا ریب فی عدم امکان حربه علیه السّلام بعد رفعهم المصاحف و افتراق أصـحابه و نفاق جیشه علی ما سمعت و الحاصل أنّ الاعتراض إنما کان یرد علیه لو کان ترکه العقدة طوعا و اختیارا لا جبرا و اضـطرارا، فظهر من ذلک کلّه أنّ المصـلحة الکامنة کانت فی النهی عن الحکومة و لما نهاهم عنها فلم ینتهوا و أصـرّوا علی المخالفـة أجابهم الیها، خوفا من شقّ عصا الجماعة، و حقنا لدمه، فکانت المصـلحة بعد المخالفة و الاصـرار و ظهور النفاق و الافتراق فی الاجابة إلیها.

و إلی هذا یشـیر بقوله (أما و اللّه لو أنّی حین) ما (أمرتکم بما أمرتکم به) من المصالحة و التحکیم اجابة لکم و قبولا لمسألتکم مع إصرارکم فیهـا اغـترارا منکم بمکیـدة ابن النّابغـة، و افتتانـا بخـدیعته، ترکت الالتفـات إلیکم و لـم اجب إلی مـأمولکم (حملتکم) أی ألزمتکم (علی المکروه الـذی) هو الثبـات علی الحرب و الجدّ فی الجهاد حیث کرهته طباعهم و تنفروا عنها بطول المـدّة بهم و أکل الحرب أهلها و هو الذی (یجعل اللّه فیه خیرا کثیرا) و هو الظفر و سلامة العاقبة کما نطق به الکتاب العزیز حیث قال:

«کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِتالُ وَ هُوَ کُرْهٌ لَکُمْ وَ عَسی أَنْ تَکْرَهُوا شَیْئاً وَ هُوَ خَیْرٌ لَکُمْ ».

ثمّ لمـا کـان الوجوه المتصوّرة من أحوالهم حین حملهم علی المکروه و فرض أمرهم بالجهاد ثلاثـة أشار إلیها و أردف کلّ وجه بما یترتّب علیه و هو قوله، (فان استقمتم) و أطعتم أمری (هدیتکم) إلی وجوه مصالح الحرب و طرق

الظفر و الغلبة (و إن اعوججتم) أى رفع منكم بعض الاستواء، و يسير من العصيان بقلّة الجدّ و فتور العزم و الهمة (قوّمتكم) بالتأديب و الارشاد و التحريص و التشجيع و النّصح و الموعظة (و إن أبيتم) و عصيتم (تداركتكم) إمّا بالاستنجاد بغيركم من أهل خراسان و الحجاز و غيرهم من القبايل ممّن كان من شيعته، أو ببعضكم على بعض، و إمّا بما يراه فى ذلك الوقت من المصلحة التى تحكم بها الحال الحاضرة (لكانت) العقدة (الوثقى) و الخصلة المحكمة (و لكن بمن) كنت استعين و أنتصر (و إلى من) كنت أركن و أعتمد.

و بذلك يعلم أنه لو حملهم على المكروه كان منهم الاباء و الامتناع، و التمرّد و العصيان، و هو ثالث الوجوه المتصوّرة من حالهم و إنه حينئذ لا يمكن له تداركهم لأنّ الاستنجاد من أهل البلاد النائية من الشّيعة لم يكن فيه ثمرة، لأنهم إلى أن يصلوا إليه كانت الحرب قد وضعت أوزارها، و كان العدوّ قد بلغ غرضه.

و الاستنجاد ببعضهم على بعض كان من قبيل ناقش الشوكة بالشوكة كما يشير إليه قوله(اريد أن اداوى بكم و أنتم دائى)استعار لفظ الداء و الدواء لفساد الامور و صلاحها، أى اريد أن اصلح بكم الامور و اعالجها، و أنتم المفسدون لها(كناقش الشوكة بالشوكة و هو يعلم أنّ ضلعها)و هواها(معها)و هو مثل يضرب لمن يستعان به على خصم و كان ميله و هواه مع الخصم و أصله أنّ الشوكة: إذا نشبت فى عضو من أعضائك من يدك أو رجلك أو غيرهما، فانها لا يمكن استخراجها بشوكة اخرى مثلها، فانّ الاولى كما انكسرت فى عضوك و بقيت فى لحمك فكذلك الثانية تنكسر، لأنّ ميلها معها، و المقصود أنّ طباع بعضكم يشبه طباع بعض و يميل إليها كما يميل الشوكة إلى مثلها.

ثمّ اشتكى إلى اللّه سبحانه و قال(اللّهم قد ملت أطباء هذا الدّاء الدّوى)الشديد أراد به داء الجهالة التى كانت فى أصحابه و ما هم عليه من مخالفته و عصيانه، و مرض الحيرة و الغفلة عن ادراك وجوه المصلحة، و استعار لفظ الأطباء لنفسه و أعوانه، أو له و لساير من دعا الى اللّه سبحانه من الأنبياء و الرسل و الأوصياء و الخلفاء، فانّهم الأطباء

الالهيّون معالجون لأسقام القلوب و أمراض الجهالات و الذنوب، و قد مضى توضيح ذلك فى شرح الفصل الأول من الخطبة المأة و الثامنة.

(و كلّت النزعة بأشطان الرّكىّ) أى أعيت المستقين من الآبار بالأشطان و الحبال، و هو من قبيل الاستعارة المرشحة حيث شبّه نفسه بالنازع من البئر فاستعار له لفظه، ثمّ قرن الاستعارة بما يلايم المستعار منه أعنى الأشطان و الرّكىّ، و الجامع أنّ من يستقى من البئر العميقة لاحياء الموات الوسيعة كما يكلّ و يعجز عن الاستقاء و يقلّ تأثير استقائه فيها، فكذلک هو عليه السّلام استخرج من علومه الغزيرة لاحياء القلوب الميتة و قلّ تأثير موعظته فيها و عجز عن احيائها، و قد مرّ فى شرح الفصل الأوّل من فصول الخطبة الثالثة تشبيه علومهم عليهم السّلام بالماء و تأويل البئر المعطلة و القصر المشيد بهم، فالقصر مجدهم الذى لا يرتقى و البئر علمهم الذى لا ينزف.

ثمّ تأسّف على السّلف الماضين من رؤساء الدّين كحمزة و جعفر و سلمان و أبى ذر و المقداد و عمّار و نظرائهم و تحسّر على فقدهم فقال (أين القوم الذين دعوا إلى الاسلام فقبلوه) بأحسن القبول (و قرءوا القرآن فأحكموه) أى جعلوه محكما و أذعنوا بكونه من اللّه و أنّ المورد له رسول اللّه، و تدبّروا فى معانيه و عملوا بمضامينه و أخذوا تأويله و تنزيله ممّن نزل فى بيته.

(و هيجوا إلى الجهاد فولهوا وله اللّقاح إلى أولادها) أى اشتاقوا إلى الجهاد اشتياق النّاقة المرضعة إلى أولادها، و على النسخة الثّانية التضمّنة لسقط لفظ الوله فالمعنى أنهم جعلوا اللّقاح و الهة إلى أولادها لركوبهم اياها عند خروجهم إلى الجهاد (و سلبوا السّيوف) من (أغمادها) و جفونها أو سلبوا أغماد السّيوف منها (و أخذوا بأطراف الأرض) أى أخذوا الأرض بأطرافها و تسلّطوا عليها، أو أخذوا على النّاس أطرافها و حصروهم و ضيّقوا عليهم (زحفا زحفا و صفّا صفّا) يعنى حالكونهم جيشا بعد جيش و صفّا بعد صفّ (بعض هلک و بعض نجا) كما أخبر اللّه تعالى عنهم بقوله: فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدّلوا تبديلا.

ثمّ أشار إلى انقطاع علائقهم من الدّنيا بقوله (لا يبشّرون بالأحياء و لا يعزّون

ص:136

عن الموتى) يعنى إذا ولـد لهم ولـد فهم لا يبشّ رون به و إذا مات منهم أحد فهم لا يعزّون عنه، أو أنهم لشدّة ولههم إلى الجهاد لا يفرحون ببقاء حيّهم حتّى يبشّ روا به، و لا يحزنون لقتل قتيلهم حتّى يعزّوا عنه، و هذا هو الأظهر سـيما على ما فى بعض النسخ من لفظ القتلى بدل الموتى.

ثمّ أشار إلى مراتب زهدهم و خوفهم و خشيتهم من اللّه تعالى فقال (مره العيون من البكاء خمص البطون من الصيام ذبل الشفاة من الدّعاء صفر الأـلوان من السّ هر) أراد أنهم من شـدّة بكائهم من خوف اللّه سـبحانه صارت عيونهم فاسـدة، و من كثرة صـيامهم ابتغاء لمرضاة اللّه صارت بطونهم ضامرة، و من المواظبـة على الـدّعاء ظلّت شـفاههم قليلـة النداوة و النظارة، و من المراقبة على التهجد و القيام باتت ألوانهم متغيّرة مصفرّة.

(عليهم غبرة الخاشـعين) و سيماء الخائفين (اولئک اخوانى الذاهبون فحقّ لنا) و خليق بنا (أن نظماء) و نشتاق (إليهم) أسفا عليهم (و نعضّ الأيدى على فراقهم) حسرة على فقدانهم قال الشّارح المعتزلى بعد أن ذكر أنّ المشار إليه بأولئک من كان فى بدء الاسلام و خموله و ضعفه أرباب زهد و عبادة و شـجاعة كمصـعب بن عمير و سعد بن معاذ و جعفر ابن أبى طالب و عبد اللّه بن رواحة و كعمّار و أبى ذر و المقداد و سلمان و خباب و جماعة من أصحاب الصفة ما هذا لفظه:

و قد جاء فى الأخبار الصحيحة أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال إنّ الجنّة لتشتاق إلى أربعة: علىّ، و عمّار، و إبى ذر، و المقداد، و جاء فى الأخبار الصّ حيحة أيضا أنّ جماعة من أصحاب الصفّة مرّ بهم أبو سفيان بن حرب بعد الاسلام فعضّوا أيديهم عليه و قالوا وا أسفاه كيف لـم تأخذ السـيوف مأخذها من عنق عدوّ اللّه، و كان معه أبو بكر فقال لهم: أ تقولون هذا لسـيّد البطحاء؟ فرفع قوله إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأنكره و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأبى بكر انظر لا تكون أغضبتهم فتكون قد أغضبت ربک، فجاء أبو بكر

إليهم و ترضاهم سألهم أن تستغفروا له، فقالوا: غفر اللّه لک.

أقول: إذا كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد أنكر ما صدر من أبى بكر فى حقّ أهل الصّفة مع أنه لم يكن بشىء يعبأ به فكيف لا ينكر ما صدر عنه فى حقّ أمير المؤمنين من غصبه عليه الخلافة مع أنّ نسبة أهل الصفة إليه ليست إلاّ نسبة الرّعية إلى السّيد و العبد إلى المولى، و إذا كان غضبهم موجبا لغضب الرّب فكيف لا يوجب غضبه عليه السّلام غضبه سبحانه؟ و قد قال تعالى: من أهان لى وليّا فقد بارزنى بالمحاربة ثمّ أقول: انظر إلى تزوير هذا اللّعين كيف ترضى أهل الصفّة فيما قال مع أنه لو كان ذنبا فلم يكن إلاّ من صغاير الذّنوب و هينات السيئات و لم يطلب الرّضا من علىّ المرتضى فيما فعل فى حقه من الظلم و الخطاء مع كونه من عظائم الجرائر و موبقات الكبائر، و لم يسأل الاستغفار من فاطمة الزّهراء عليها السّلام بنت خاتم الأنبياء مع ما فعل فى حقّها من الظلم و الأذى، حيث غصب منها فدك و ألجأها إلى الخروج من قعر بيتها إلى الملاء، و ألبسها ثوب الصّغار و الصماء مع أنّ هذا كان أولى بسؤال الاستغفار فأولى.

ثمّ العجب من الشارح مع روايته لهذه الأحاديث الفاضحة و حكمه بصحّتها كيف يركن إلى أبى بكر و يتّخذه وليّا؟ بلى من لم يجعل اللّه له نورا فما له من نور.

ثمّ نبّههم عليه السّلام على مكائد الشيطان و تدليساته و على أنّ غرض هذا اللّعين أن يصدفهم عن منهج الرشاد و السداد إلى وادى التيه و الفساد فقال (إنّ الشّيطان يسنى لكم طرقه) أى يفتحها و يسهلها (و يريد أن يحلّ دينكم) الذى عقدتم و أحكمتموه فى صدوركم (عقدة) بعد (عقدة و يعطيكم بالجماعة الفرقة) أى يبدّل اجتماعكم بالافتراق و اتّفاقكم بالنفاق.

و غرضه من ذلک كما علمت أن يحيدهم عن جادّة الهداية إلى طريق الضلالة فيوقع بينهم الفتنة و العداوة كما قال فى بعض النسخ (و بالفرقة الفتنة – فاصدفوا) أى اعرضوا (عن نزعاته) و فساداته التى يفسد بها القلوب (و نفثاته) أى وساوسه التى

ینفث بها فی الصدور (و اقبلوا النصیحة ممّن أهداها إلیکم) أراد به نفسه علیه السّلام (و اعقلوها علی أنفسکم) أی اربطوها علیها و شدّوها بها کما یعقل البعیر الشموس بالعقال، و یشدّ الفرس الجموع بالوثاق

تکملة

هذا الکلام مرویّ فی الاحتجاج إلی قوله بأشطان الرکیّ، قال: احتجاجه علیه السّلام علی الخوارج لما حملوه علی التحکیم ثمّ أنکروا علیه ذلک و نقموا علیه أشیاء غیر ذلک، فأجابهم علیه السّلام عن ذلک بالحجة و بیّن لهم أنّ الخطاء من قبلهم بدأ و إلیهم یعود، روی أنّ رجلا من أصحابه قام إلیه فقال: نهیتنا عن الحکومة إلی آخر ما رواه کما فی الکتاب إلاّ أنّ فیه بدل: یجعل اللّه خیرا، جعل اللّه خیرا.

الترجمة

از جمله کلام آن پیشوای عالمیانست در آن حال که برخاست بسوی او مردی از أصحاب او، پس گفت نهی کردی ما را از حکومت حکمین پس از آن أمر کردی ما را بآن، پس نمی دانیم ما که کدام یک از این دو کار بهتر است، پس برهم زد آن حضرت یکی از دو دست خود را بر دست دیگر، پس از آن فرمود:

اینست جزای کسی که ترک کرده است رأی محکم و تدبیر متقن را، آگاه باشید بخدا سوگند اگر من در وقتی که أمر کردم شما را به آن چه أمر کردم شما را بآن حمل می نمودم بر چیزی که مکروه طبع شما بود که عبارت باشد از ثبات بر جهاد آن چنان مکروهی که می گردانید خداوند متعال در آن خیر و منفعتی را، پس اگر مستقیم می شدید هدایت می کردم شما را، و اگر کجی می نمودید راست می ساختم شما را و اگر امتناع می کردید تدارک امتناع شما را می نمودم هر آینه شده بود کار محکم و خصلت استوار، و لیکن با که معاونت می جستم و انتقام می کشیدم، و بکه اعتماد می کردم و خاطر جمع می شدم، می خواهم مداوا کنم و معالجه نمایم با شما و حال آنکه شما درد من هستید همچو کسی که بخواهد بیرون آورد خار را با خار دیگر و حال آنکه میداند که میل خار بخار است

بار پروردگارا بتحقیق ملال آورد طبیبهای این درد سخت، و عاجز شد کشندگان آب بریسمانهای چاه، کجایند گروهی که دعوت شدند باسلام پس قبول کردند او را، و خواندند قرآن را پس محکم نمودند آنرا، و برانگیخته شدند بسوی جهاد پس شوقمند شدند بآن مثل اشتیاق شتران شیرده بسوی اولاد خود، و کشیدند شمشیرها را از غلافهای آنها، و گرفتند أطراف زمین را بر مردمان دسته بدسته و صف بصف، بعضی از ایشان هلاک شدند، و بعضی نجات یافتند در حالتی که بشارت داده نمی شدند بر زندگان، و تعزیة کرده نمی شدند بر مردگان ایشان تباه چشمان بودند از شدّت گریه، و لاغر شکمان بودند از کثرت روزه خشک لبان بودند از بسیاری دعا و زاری، زرد رنگان بودند از زیادتی تهجّد و بیداری بر روی ایشانست غبارهای خشوع کنندگان، ایشان برادران روندگان منند، پس سزاوار است که مشتاق شویم بسوی وصال ایشان، و بگزیم انگشتان خود را بر حسرت و فراق ایشان، بدرستی که شیطان ملعون سهل و آسان می گرداند برای شما راههای خود را، و می خواهد که بگشاید دین شما را گره گره، و بدهد شما را بعوض جمعیت جدائی را، و بواسطهٔ جدائی فتنه و فساد را، پس اعراض نمائید از فسادهای او و از وسوسهای او، و قبول نمائید نصیحت را از کسی که هدیه کرد آن نصیحت را بسوی شما و به بندید آن نصیحت را بنفسهای خود.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأة و الاحد و العشرون

اشارة

من المختار فی باب الخطب.

قاله للخوارج و قد خرج الی معسکرهم و هم مقیمون علی انکار الحکومة فقال (علیه السلام):

أ کلّکم شهد معنا صفّین؟ فقالوا: منّا من شهد و منّا من لم یشهد، قال علیه السّلام: فامتازوا فرقتین فلیکن من شهد صفّین فرقة و من لم یشهدها

فرقة حتّى أكلّم كلاّ منكم بكلامه و نادى النّاس فقال عليه السّلام: أمسكوا عن الكلام و أنصتوا لقولى و اقبلوا بأفئدتكم إلىّ، فمن نشدناه شهادة فليقل بعلمه فيها. ثمّ كلّمهم عليه السّلام بكلام طويل منه:

أ لم تقولوا عند رفع المصاحف حيلة و غيلة و مكرا و خديعة إخواننا و أهل دعوتنا استقالونا و استراحوا إلى كتاب اللّه سبحانه فالرّأى القبول منهم، و التّنفيس عنهم؟ فقلت لكم: هذا أمر ظاهره إيمان، و باطنه عدوان، و أوّله رحمة، و آخره ندامة، فأقيموا على شأنكم، و ألزموا طريقتكم، و عضّوا على الجهاد بنواجذكم، و لا تلتفتوا إلى ناعق نعق، إن أجيب أضلّ، و إن ترك ذلّ، و قد كانت هذه الفعلة و قد رأيتكم أعطيتموها، و اللّه لئن أبيتها ما وجبت علىّ فريضتها، و لا حمّلنى اللّه ذنبها، و و اللّه إن جئتها إنّى للمحقّ الّذى يتّبع، و إنّ الكتاب لمعى ما فارقته مذ صحبته، فلقد كنّا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و إنّ القتل ليدور بين الاباء و الأبناء و الإخوان و القرابات، فما نزداد على كلّ مصيبة و شدّة إلاّ إيمانا و مضيّا على الحقّ، و تسليما للأمر و صبرا على مضض الجراح، و لكنّا إنّما أصبحنا نقاتل إخواننا فى

الإسلام على ما دخل فيه من الزّيغ و الاعوجاج، و الشّبهة و التّأويل فإذا طمعنا فى خصلة يلّم اللّه بها شعثنا، و نتدانا بها إلى البقيّة فيما بيننا، رغبنا فيها، و أمسكنا عمّا سواها.

اللغة

(المعسكر) بفتح الكاف محلّ العسكر، و عن النهاية (نشدتک) اللّه و الرّحم أى سألتک باللّه و بالرّحم، و قال الفيومى: نشدت الضالة نشدا من باب قتل طلبتها و نشدتک اللّه و باللّه نشدتک ذكرتک به و استعطفتک أو سألتک به مقسما عليک و (الغيلة) بالكسر الخديعة و (نفّس) تنفيسا فرّج تفريجا و (نعق) الرّاعى بغنمه ينعق من باب ضرب نعيقا صاح بها و زجرها و (الفعلة) بالفتح المرّة من الفعل و (المضض) كالألم لفظا و معنى و (جرحه) جرحا من باب نفع و الاسم الجرح بالضمّ و الجراحة بالكسر و جمعها جراح و جراحات بالكسر أيضا و (الخصلة) بفتح الخاء.

و (البقية) قال الشارح المعتزلى: هى الابقاء و الكف، و قال البحرانى (ره) بقاء ما بقى فيما بيننا من الاسلام، و فى البحار و الأظهر عندى أنه من الابقاء بمعنى الرّحم و الاشفاق و الاصلاح كما فى الصّحيفه: لا تبقى على من تضرّع إليها، و قال فى القاموس: أبقيت ما بيننا أى لم ابالغ فى افساده و الاسم البقية و اولو بقيّة ينهون عن الفساد أى ابقاء.

الاعراب

الهمزة فى قوله ألم تقولوا استفهاميّة للتقرير بما بعد النّفى كما قاله الزمخشرى فى قوله تعالى: ألم تعلم أنّ اللّه على كلّ شىء قدير، و الأظهر أنّها للانكار الابطالى المفيده لاثبات ما بعدها إذا دخلت على النفى، قال تعالى: «أَ لَيْسَ اللّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ »، أى كاف عبده.

و حيلـة و غيلـة و مكرا و خديعـة، منصوبـات على نزع الخافض، و إخواننا بالرّفع خبر محـذوف المبتـدأ، و الجملـة فى محلّ النصب مقول تقولوا، و اللاّم فى قوله: لئن أبيتها، لام ابتداء جيء بها تاكيدا للقسم، و جملة ما وجبت جواب القسم استغنى به عن جواب الشرط كما صرّح به علماء الأدبيّة.

قال ابن الحاجب: و إذا تقدّم القسم أوّل الكلام على الشرط لزمه المضيّ لفظا أو معنى، و كان الجواب للقسم لفظا مثل و اللّه إن ايتنى و إن لم تأتنى لاكرمنک و قال نجم الأئمـة إذا تقـدّم القسم أوّل الكلام ظاهرا أو مقـدّرا و بعـده كلمـة الشـرط فالأكثر و الأولى اعتبار القسم دون الشـرط، فيجعل الجواب للقسم و يسـتغنى عن جواب الشـرط لقيام القسم مقامه كما فى قوله تعالى: «لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ » الآية، و قد تقدّم حكاية ذلک الكلام عنه فى شرح الكلام السابق باختلاف يسير.

و منه يظهر الكلام فى قوله: و و اللّه إن جئتها إنّى للمحقّ الـذى آه، قال نجم الائمـة: جواب القسم إذا كان جملـة اسـمية مثبتـة يصـدّر بان مشـدّدة أو مخفّفـة أو باللاّم و هـذه اللاّم لام الابتـداء المفيـدة للتأكيـد لا فرق بينها و بين إنّ إلاّ من حيث العمل، و إنما اجيب القسم بهما لأنهمـا مفيـدان لتأكيـد الـذى لأجله جاء القسم، و قال فى موضع آخر من شـرح الكافيـة فى تحقيق أنّ إنّ المكسورة مع جزئيها فى تقـدير الجملـة و لـذلک دخلت اللاّم فى خبرها دون المفتوحـة: اعلم أنّ هـذه اللاّم لام الابتداء المذكورة فى جواب القسم و كان حقّها أن تدخل أول الكلام، و لكن لما كان معناها و معنى إنّ سواء أعنى التوكيد و التحقيق، و كلاهما حرف ابتداء كرهوا اجتماعهما فأخّروا اللاّم و صدّروا إنّ لكونها عاملة و العامل حرّى بالتقديم على معموله و خاصّة إذا كان حرفا إذ هو ضعيف العمل آه.

و جملة يلمّ اللّه بها شعثنا فى محلّ الجرّ صفة لخصلة، و جملة رغبنا جواب اذا طمعنا

المعنى

اشارة

اعلم أنه قد تقدّم فى التذييل الثانى من شرح الخطبة السادسة و الثلاثين كيفية قتال الخوارج و جملة من احتجاجاته عليه السّلام معهم، و هذا الكلام أيضا قاله للخوارج احتجاجا عليهم (و قد خرج إلى معسكرهم) أى محلّ عسكرهم و محطه (و هم مقيمون على انكار الحكومة) عليه (فقال عليه السّلام) لهم (أ كلّكم شهد معنا صفّين) و حضرها (فقالوا منّا من شهد و منّا من لم يشهد قال عليه السّلام فامتازوا) أى تفرّدوا (فرقتين فليكن من شهد صفّين فرقة و من لم يشهدها فرقة حتى اكلّم كلاّ منكم بكلامه) الذى يليق به و فيه اسكاته و رفع شبهته (و نادى الناس فقال امسكوا عن الكلام و انصتوا لقولى و اقبلوا بأفئدتكم إلىّ) و تدبّروا فيما أقول (فمن نشدناه) أى سألنا منه (شهادة فليقل بعلمه فيها) و لا يكتمها.

(ثمّ كلّمهم عليه السّلام بكلام طويل، منه أ لم تقولوا) أى قد قلتم (عند رفع المصاحف) بتدليس ابن العاص اللّعين (حيلة و غيلة و مكرا و خديعة) هؤلاء (اخواننا) فى الدّين و الاسلام (و أهل دعوتنا) أى دعاهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى الاسلام فأجابوه (استقالونا و استراحوا إلى كتاب اللّه سبحانه) أى طلبوا منا الاقالة و رفع اليد عمّا كنّا عليه من المحاربة و القتال، و سألوا الراحة بالرّجوع إلى كتاب اللّه و العمل بما يقتضيه (فالرأى القبول عنهم) لملتمسهم (و التنفيس عنهم) لكربتهم.

(فقلت لكم) تنبيها على حيلتهم و ارشادا إلى خديعتهم و ايقاظا لكم من نوم الغفلة و الجهالة (هذا) أى رفعهم المصاحف (أمر ظاهره ايمان) لتسليمهم ظاهرا الرجوع إلى الكتاب و ايهامهم العمل بما فيه من الأحكام (و باطنه عدوان) إذ كان مقصودهم به الحيلة و الظلم و الغلبة و الخديعة (و أوّله رحمة) منكم لهم (و آخره ندامة) عليكم منهم.

(فأقيموا على شأنكم) و ما أنتم فيه من القتال و براز الأبطال(و الزموا طريقتكم و عضّوا على الجهاد بنواجذكم)و هو كناية عن المبالغة فى الثبات عليه

ص:144

(و لا تلتفتوا إلى ناعق نعق) أراد به معاوية أو عمرو بن العاص حيث كان رفع المصاحف بتدبيره (إن اجيب أضلّ) من أجاب (و إن ترك ذلّ) و خاب (و قد كانت هذه الفعلة) و هى الرضا بالحكومة (و قد رأيتكم اعطيتموها) و أقدمتم عليها.

ثمّ أراد رفع شبهتهم بقوله:(و اللّه لئن أبيتها ما وجبت علىّ فريضتها و لا حملنى اللّه ذنبها و و اللّه ان جئتها إنّى للمحقّ الذى يتّبع و ان الكتاب لمعى ما فارقته مذ صحبته) يعنى أنّ الحكومة على تقدير امتناعى عنها لم تكن واجبة حتى تجب علىّ فريضتها أى الأحكام الواجبة بسببها و المترتّبة عليها و ما كنت مذنبا بترك الواجب، و على تقدير إقدامى عليها لم تكن محرّمة حتى تكونوا باتّباعكم إيّاى فى الاقدام عليها مرتكبين للحرام، فانّى أنا المحقّ الذى أحقّ أن يتّبع و يقتدى، و انّ كتاب اللّه سبحانه لمعى لفظا و معنى لا افارقه و لا يفارقنى، فلا اقدم على أمر مخالف للقرآن موجب للعصيان.

فان قلت: المعلوم من حاله عليه السّلام حسبما ظهر من الروايات المتقدّمة فى شرح الخطبة الخامسة و الثلاثين أنه امتنع من الحكومة أولا و حثّ أصحابه على الجهاد و الثبات عليه، و يدلّ عليه أيضا الكلام الذى نحن بصدد شرحه، ثمّ لما رأى إصرارهم فى الاجابة إلى أهل الشام و البناء على التحكيم رضى عليه السّلام به و بنا عليه، فقد كان الاباء أولا و البناء ثانيا من فعله عليه السّلام، و كان عالما بذلك، فما معنى الاتيان بالشرط المنبئ عن الشكّ؟ قلت إنما أتى بالشرط مع جزمه و علمه به تجاهلا لاقتضاء المقام التجاهل و الابهام، و ذلك لأنّ أصحابه عليه السّلام كانوا فرقتين فرقة ترى التحكيم واجبا، و هم جلّ أصحابه و هم الذين أشار إليهم فى هذا الكلام بقوله: أ لم تقولوا عند رفع المصاحف إخواننا و أهل دعوتنا استقالونا و استراحوا إلى كتاب اللّه فالرأى القبول منهم و التنفيس عنهم، و فرقة تراه حراما و الاقدام عليه معصية، و هم الخوارج الذين قالوا لا حكم إلاّ للّه و لا حكم إلاّ اللّه، فأجمل الكلام و أبهم المرام لاقتضاء المقام، و ساق المعلوم مساق المجهول اسكاتا للفريقين، فانه لو صرّح بما يوافق رأى إحدى الفرقتين تبرّئت

عنه الفرقة الاخرى و انجرّ الأمر إلى الفساد كما مرّ نظيره فى كلامه الذى قاله فى قتل عثمان: لو أمرت به لكنت قاتلا أو نهيت عنه لكنت عاصيا، و هو الثلاثون من المختار فى باب الخطب.

و محصّل جوابه عليه السّلام عن انكارهم للتحكيم يعود إلى أنّه امام مفترض الطاعة و أنّ الأمر إليه و هو ولىّ الأمر لو رأى المصلحة فى الاباء منه كان الاباء واجبا، و لو رآها فى الاجابة إليه كانت الاجابة واجبة، و على التقديرين فاللاّزم عليهم التسليم و الانقياد لا الانكار و الاعتراض، و الاقتداء و المتابعة لا الرّد و الامتناع فان قلت: فلم أكّد الكلام فى جانب الاباء بتأكيدين أعنى القسم و اللاّم و فى الجانب الآخر أتى بأربع تأكيدات و هو القسم و إنّ و اللام و اسميّة الجملة، حيث قال: و و اللّه ان جئتها إنّى للمحقّ، بل و أكّد خامسا بالوصف و قال: الذى يتّبع.

قلت: النكتة فى ذلك أنّ مخاطبته بهذا الكلام لما كانت مع الخوارج الزاعمين لكون الاقدام على الحكومة معصية و حراما دون الاباء، و كانوا مصرّين على انكارها استدعى المقام زيادة التأكيد ردّا لزعم المخاطبين، و ابطالا لانكارهم و لهذه النكتة أيضا أتى بالموصول تفخيما لشأنه، و جعله وصفا تأكيدا لحقيقته، و أكّد سادسا بقوله: و انّ الكتاب لمعى، اشارة إلى أنّه لا يرد و لا يصدر فى شىء من الأبواب إلاّ بحكم الكتاب، و هذه التحقيقات فى هذا المقام من لطايف البلاغة قصرت عنها أيدى الشارحين و للّه الحمد.

ثمّ رغّب عليه السّلام فى التأسّى بالسّلف الماضين من خيار الصحابة بقوله:

(فلقد كنّا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أنّ القتل ليدور بين الآباء و الأبناء و الاخوان و القرابات فما نزداد على كلّ مصيبة و شدّة) أصابتنا و ابتلينا بها (إلاّ ايمانا و مضيّا إلى الحقّ و تسليما للأمر) و رضا بالقضاء (و صبرا على مضض الجراح) أى وجع الجراحات و ألمها و قد تقدّم نظير هذه الفقرات منه عليه السّلام فى الكلام الخامس و الخمسين.

و محصّ له أنا إذا قاتلنا بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كنّا له مسلمين و لأمره مطيعين و منقادين، و لا يزداد ما نزل بنا من المصائب إلاّ نورا و ايمانا، و تسليما و اذعانا، فلا بدّ لكم أن تكونوا كذلک، و أن تردّوا الأمر إلى ولىّ الأمر، و لا تكونوا له مخالفين، و عن حكمه متمرّدين. ثمّ أكّد ابطال انكارهم للحكومة بقوله:(و لكنّا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا فى الاسلام) أراد به أهل الشام، و اطلاق المسلم عليهم لاقرارهم ظاهرا بشهادة أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و إن كانوا محكومين بكفرهم لبغيهم على الامام المفترض الطاعة يعنى انا إنما قاتلناهم (على ما دخل فيه) أى الاسلام منهم (من الزّيغ) أى العدول عن الحقّ (و الاعوجاج) عن الصّراط المستقيم (و الشبهة) فى الدّين (و التأويل) للكتاب المبين (فاذا طمعنا فى خصلة) أراد بها الحكومة (يلمّ اللّه به شعثنا) أى يجمع اللّه بها تفرّقنا و انتشار امورنا (و نتدانا بها إلى البقية فيما بيننا) أى نتقرّب بتلک الخصلة إلى الاصلاح و الاشفاق و الرّحم و ترک الفساد فيما بيننا (رغبنا فيها و أمسكنا عمّا سواها) و حاصله أنّ مقصودنا بالذات من قتال هؤلاء لم يكن محض استيصال النفوس و اراقة الدماء بهوى الأنفس و العناد، و إنما المقصود إرجاعهم عن الضلال إلى الهدى، و من الفساد إلى الرّشاد، فاذا رجونا حصول ذلک الغرض و امكان التّوسل إليه بالحكومة لا بدّ لنا من المصير إليها و الكفّ عن إراقة الدّماء كما نبّه عليه السّلام على ذلک فى كلامه الرابع و الخمسين بقوله: فواللّه ما وقعت الحرب يوما إلاّ و أنا أطمع أن تلحق بى طائفة لتهتدى بى و تعشو إلى ضوئى و ذلک أحبّ إلىّ من أن أقتلها على ضلالها و إن كانت تبوء بآثامها.

تنبيه

قد اسقط فى أكثر نسخ الكتاب قوله: و قد كانت هذه الفعلة، إلى قوله:

مذ صحبته و من جملة تلک النسخ نسخة الشّارح المعتزلى قال فى الشرح: هذا الكلام ليس يتلو بعضه بعضا و لكنه ثلاثة فصول لا تلتصق أحدها بالآخر، و هذه عادة الرضىّ

ص:147

ينتخب من جملة الخطبة الطويلة كلمات فصيحة يوردها على سبيل التتالى و ليست متتالية حين تكلّم بها صاحبها، آخر الفصل الأول قوله: و إن ترك ذلّ، و آخر الفصل الثانى قوله: على مضض الجراح، و الفصل الثالث ينتهى إلى آخر الكلام، هذا.

و روى ذلک الكلام له عليه السّلام فى الاحتجاج عن قوله: ألم تقولوا، إلى آخر الكلام مثل ما فى أكثر النسخ باسقاط ما سقط إلاّ أنّ فيه بدل قوله على شأنكم على نيّاتكم و لا تلتفتوا إلى ناعق فى الفتنة نعق إن اجيب أضلّ و إن ترک أذّل، و اللّه العالم

الترجمة

از جملهٔ کلام بلاغت نظام آن حضرت است که گفته است آنرا بخوارج نهروان در حالتی که بیرون رفته بود بسوی لشکرگاه ایشان، و ایشان ایستاده بودند بر انکار حکومت حکمین پس فرمود:

آیا همه شما حاضر بودید با ما در صفین؟ پس گفتند: بعضی از ما حاضر شده بود و بعضی از ما حاضر نشده بود، فرمود: پس جدا شوید از یکدیگر بدو فرقه پس باید باشد کسانی که حاضر صفّین شده بودند یک فرقه، و جماعتی که حاضر نبودند در آن معرکه یک فرقه دیگر تا آنکه تکلّم بکنم با هر فرقه از شما بکلامی که لایق حال او باشد، و صدا کرد مردمان را پس فرمود که:

باز ایستید از حرف زدن، و ساکت شوید از برای شنیدن قول من، و متوجه باشید با قلبهای خودتان بسوی من پس هر کسی که طلب کنم از آن شهادتی را پس باید که بگوید بمقتضای علم خود در آن شهادت، بعد از آن تکلّم فرمود با ایشان بکلام دراز از جملهٔ آن کلام این است که گفت:

آیا نگفتید شما در هنگام برداشتن ایشان مصحفها را از روی حیله گری و تباه کاری و مکاری و فریفتن که: ایشان برادران مایند و کسانی هستند که دعوت شده اند باسلام و قبول کرده اند طلب کرده اند از ما اقاله و فسخ گذشته های را، و راحت جستند بسوی کتاب خدا، پس رأی صواب این است که قبول خواهش ایشان را بکنیم، و غم و اندوه ایشان را بر طرف سازیم، پس گفتم شما را که این کارشان کاریست ظاهر

آن ایمانست و باطن آن نفاق و عدوان، و أول آن ترّحم است از شما بایشان و آخر آن ندامت است و خسران. پس اقامت نمائید بر کار خودتان که عبارتست از محاربه دشمنان، و ثابت قدم بشوید بر راه خود، و بگزید بر بالای جهاد بدندانها، و التفات نکنید بسوی صدا کننده که صدا کرد یعنی معاویة اگر جواب داده شود آن صدا کننده بضلالت افکند جواب دهندهٔ خود را، و اگر ترک کرده شود یعنی جوابش را ندهند خوار و ذلیل گردد.

و بتحقیق که شد این یک کار یعنی رضای شما بحکومت حکمین، و بتحقیق دیدم شما را که عطا کردید آنرا و اقدام نمودید بآن بخدا سوگند هر آینه اگر من امتناع می کردم از آن واجب نمی شد بر من واجبات آن، و بار نمی کرد بر من خداوند گناه آنرا، و بخدا سوگند اگر میآمدم بسوی آن بدرستی و بتحقیق که منم محقّ و درستکار که تبعیت کرده میشوم، و بدرستی کتاب عزیز خدا با من است که جدا نشده ام من از آن از زمانی که مصاحب او شده ام پس بتحقیق که بودیم با حضرت رسول مختار صلوات اللّه علیه و آله در حالتی که کشتن دوران میکرد در میان پدران و پسران و برادران و خویشان، پس زیاده نمی کردیم ما بر بالای هر محنت و شدتی مگر ایمان را بخدا و گذشتن بر حق و منقاد شدن بر أمر و صبر کردن بر سوزش جراحتها، و لکن ما غیر از این نیست که گشتیم مقاتله می کنیم با برادران اسلامی خود بر آنچه داخل شده است در اسلام از جانب ایشان از لغزش و گمراهی و اشتباه و تأویل باطل، پس زمانی که طمع کردیم در خصلتی که جمع کند خداوند متعال بسبب آن خصلت پراکندگی ما را، و تقرب کنیم با یکدیگر بجهة آن خصلت بسوی مهربانی و شفقت در میان ما رغبت می کنیم در آن خصلت و دست برداریم از غیر آن

و من كلام له عليه السّلام و هو المأة و الثانى و العشرون من المختار

اشارة

فى باب الخطب

قاله للاصحاب فى ساعة الحرب و أىّ امرء منكم أحسّ من نفسه رباطة جاش عند اللّقاء، و راى من أحد من إخوانه فشلا، فليذبّ عن أخيه بفضل نجدته الّتى فضّل بها عليه كما يذبّ عن نفسه، فلو شاء اللّه لجعله مثله، إنّ الموت طالب حثيث، لا يفوته المقيم، و لا يعجزه الهارب، إنّ أكرم الموت القتل، و الّذى نفس ابن أبى طالب بيده لألف ضربة بالسّيف أهون علىّ من ميتة على الفراش.

اللغة

(ربطه) يربطه من بابى نصر و ضرب شدّه، قال الفيروز آبادى و رابط الجاش و ربيطه شجاع و ربط جاشه رباطه بالكسر أشدّ قلبه و اللّه على قلبه ألهمه الصبر و قوّاه و (النجدة) الشجاعة قال الشارح المعتزلى (الميتة) بالكسر هيئة الموت كالجلسة و الركبة هيئة الجالس و الراكب يقال مات فلان ميتة حسنة قال: و المروىّ فى نهج البلاغة بالكسر فى أكثر الروايات، و قد روى من موتة، و هو الأليق يعنى المرّة الواحدة ليقع فى مقابل الألف

الاعراب

أىّ شرطية مرفوعة على الابتداء، و جملة أحسن خبر، و جملة فليذبّ جواب و الباقى واضح.

ص:150

المعنى

اعلم أنّ هـذا الكلاـم (قاله عليه السّـلام للأصـحاب فى ساعـة الحرب) و لم أظفر بعـد على أنه أىّ حرب، و المقصود به امرهم بقضاء حقّ الاخوّة و رعاية شـرايط المواساة و المحبة و الذّب عن اخوانهم المسـلمين و حماية بيضة الاسلام و حوزة الدّين قال عليه السّلام (و أىّ امرء منكم أحسّ) أى علم و وجـد (من نفسه رباطـة جـاش) و قوّة قلب (عنـد اللّقاء) أى عنـد القتال و لقاء الأبطال (و رأى من أحـد من اخوانه المؤمنين (فشـلا) و جبنا (فليذبّ) أى ليدفع المكروه (عن أخيه بفضل نجدته) و شـجاعته (التى فضّل) أى فضّله اللّه (بها عليه كما يذبّ) و يدفع (عن نفسه) بنهاية الاهتمام و الجدّ (فلو شاء اللّه لجعله مثله) أى لجعل أخاه الجبان شجاعا مثله، و حيث آثره بتلك النعمة و تفرّد بهذه الفضـيلة و اختصّ بهـا و لم يجعـل أخوه مثله فلا بـدّ له من القيام بوظائف النعم و التشـكّر بالـدفع عن الآخر و ذلک ل (أنّ الموت طالب) للانسـان (حثيث) أى سـريع فى طلبه (لاـ يفوته المقيم و لاـ يعجزه الهارب) يعنى لا يخلص(1) منه الراضـى به المقيم له، و لاـ ينجو منه السّاخـط له الهـارب عنه، و مع ذلـک فلا ينبغى للعاقل أن يختار الفرار على القرار، و يؤثر البقاء على اللقاء، مع ايجابه العارفى الأعقاب، و النار يوم الحساب

ص:151

1- (1) قال الشاعر:ارى الموت لقيام الكرام و يصـطفيعقيلة مال الفاحش المتشـدّدارى العيش كنزا ناقصا كلّ ليلةو ما تنقص الايام و الدّهر ينفـدلعمرک ان الموت مـا أخطأ الفتيلكاء لطول المرخى و ثنياه باليـد يعنى ارى الموت يختار الكرام بالافناء و يصـطفى كريمـة مال البخيل بالابقاء أو انه يعم الجواد و البخلاء فيصـطفى الكرام و كرائم اموال البخلاء أى لا خلاص منه لواجد من الصـنفين فلا يجدى البخيل بخله و الجواد جوده و قوله فى البيت الثـالث لكـاء لطول المرخى الطول الحبـل الـذى يطول للدابـة لترعى فيه و الارخاء الارسال و الثنى الطرف و الجمع الاثناء يقول اقسم بحياتک ان الموت فى مـدة اخطائه الفتى بمنزلـة حبل طول للدابة ترعى فيه و طرفاه بيد صاحبه يريد انه لا يتخلص منه كما ان الدابة لا تفلت ما دام صاحبها اخذ بطرفى طولها منه

و أيضا قال (إنّ أكرم الموت القتل) حيث إنّه موجب للذكر الجميل فی الدّنيا و الأجر الجزيل فی العقبا و مع ذلک فلا يجوز للبصير تفويت هذا النفع الكثير على نفسه و الاقدام على الموت بحتف أنفه قال الشاعر:

و إن تكن الأبدان للموت انشئت فقتل امرء و اللّه بالسيف أفضل

ثمّ حاول عليه السّلام تحريص أصحابه و تحريضهم على الجهاد و الثبات عليه و جعل طباعهم مناسبة لطبيعته فقال(و الذی نفس ابن أبی طالب بيده لألف ضربة بالسّيف أهون علیّ)و أسهل(من ميتة على الفراش).

فان قلت: حلفه ذلک هل هو على الحقيقة أو من باب المجاز و المبالغة ترغيبا لأصحابه فی الجهاد؟ قلت: بل هو على حقيقته، لأنّه لفرط محبّته فی اللّه و منتهى شوقه إلى اللّه و غاية رغبته فی ابتغاء مرضات اللّه سبحانه كان فی أعلى مراتب الفناء فی اللّه و البقاء باللّه، فارغا عن نفسه فی جنب مولاه، و مع ذلک الحال لا تأثير فيه لضربات السيوف و طعنات الرّماح البتّة و يشهد بذلک ما رواه غير واحد من أنه عليه السّلام قد أصابت رجله الشريف نشابة فی غزوة صفّين و لم يطق الجرّاحون إخراجها من رجله لاستحكامها فيه، فلما قام إلى الصّلاة أخرجوها حين كونه فی السجدة، فلما فرغ من الصّلاة علم باخراجه و حلف أنه لم يحس ذلک أصلا و يؤيد ذلک ما عن الخرائج مسندا عن أبی جعفر عليه السّلام قال الحسين عليه السّلام قبل أن يقتل إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: يا بنیّ انّک ستساق إلى العراق و هی أرض قد التقى بها النّبيون و أوصياء النّبيين، و هی أرض تدعى غمور او أنک تستشهد بها و يستشهد معک جماعة من أصحابک لا يجدون ألم مسّ الحديد، و تلى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا نار كونی بردا و سلاما على إبراهيم، يكون الحرب عليک و عليهم سلما، الحديث وجه التأييد أنّ أصحاب الحسين عليه السّلام مع كونهم من أدنى عبيد أمير المؤمنين إذا لم يجدوا ألم الحديد بما فيهم من المحبّة و الشوق إلى لقاء الحقّ فكيف به عليه السّلام

مع خوضه فی بحار المعرفة و کماله فی مقام المحبّة.

هذا کلّه علی ما فی أکثر النسخ من روایة کلامه علیه السّلام کما أوردنا و فی نسخة الشارح المعتزلی هکذا: لألف ضربة بالسیف أهون من میتة علی فراش فی غیر طاعة اللّه، و علیه فلا اشکال أصلا لأنّ ألم السیوف دنیویّ، و المیتة علی الفراش بغیر الطاعة معقبة للألم الاخروی، و الأوّل أهون و أسهل من الثانی لا محالة و لعذاب الآخرة أشدّ و أبقی.

و العجب من الشارح أنه حمل ذلک علی المجاز و المبالغة حیث قال، بعد ایراد کلامه علیه السّلام علی ما حکینا من نسخته: الواجب أن یحمل کلامه إمّا علی جهة التحریض فیکون قد بالغ کعادة العرب و الخطباء فی المبالغات المجازیة، و إمّا أن یکون أقسم علی أنه یعتقد ذلک و هو صادق فیما اقسم لأنّه هکذا کان یعتقد بناء علی ما هو مرکوز فی طبعه من محبّة القتال و کراهیّة الموت علی الفراش، انتهی.

و فیه ما فیه.

الترجمة

از جمله کلام آن حضرتست که فرموده آنرا بأصحاب خود در ساعت جنگ و هر مردی از شما که احساس کند و بفهمد از نفس خود قوت قلب را هنگام ملاقات أعداء و ببیند از یکی از برادران خود ترس و جبن را پس باید که دفع نماید از برادر خود بزیادتی شجاعت خود که تفضیل داده شده بآن شجاعت ببرادر خود همچنان که دفع میکند از نفس خود، پس اگر می خواست خداوند تعالی هر آینه می گردانید او را در شجاعت مثل آن، بدرستی که مرگ طلب کننده است شتابان که فوت نمی شود از او اقامت کنندهٔ، و عاجز نمی کند او را گریزندهٔ، بدرستی که که گرامی ترین مرگ کشته شدن است، بحق آن کسیکه جان پسر أبی طالب بید قدرت او است هر آینه هزار ضربت با شمشیر سهل و آسان تر است بر من از مردن بر روی بستر.

و من كلام له عليه السّلام و هو المأة و الثالث و العشرون من

اشارة

المختار فى باب الخطب

و كأنّى أنظر إليكم تكشّون كشيش الضّباب، لا تأخذون حقّا، و لا تمنعون ضيما، قد خلّيتم و الطّريق، فالنّجاة للمقتحم، و الهلكة للمتلوّم.

اللغة

(كشت) الأفعى كشيشا من باب ضرب إذا صاتت من جلدها لا من فمها قال الشارح المعتزلى: الكشيش الصوت يشوبه خور مثل الخشخشة قال الراجز:

كشيش افعى اجمعت بعض فهى تحكّ بعضها ببعض

و عن النهاية كشيش الافعى صوت جلدها إذا تحرّكت، و قد كشت تكش و ليس صوت فمها لأنّ ذلك فصحيحها، و (الضبّ) دابة بريّة و جمعه ضباب بالكسر كسهم و سهام

الاعراب

جملة لا تأخذون آه فى محلّ النصب على الجال من فاعل تكشّون، و الطريق منصوب على المفعول معه

المعنى

اشارة

اعلم أنّ المستفاد من بعض نسخ النّهج أنّ هذا الكلام و كذلك الكلام الآتى كليهما من فصول الكلام السّابق، حيث إنّ العنوان فيه فى كلّ منهما بلفظ منه و فى بعضها عنوان ذلك بلفظ منه، و عنوان ما يتلوه بلفظ و من كلام له عليه السّلام و فى نسخة ثالثة العنوان فى كلّ منهما بلفظ منها، و الظاهر أنّه سهو من النساخ لأنّ العنوان فيما سبق حسبما عرفت بلفظ و من كلام له عليه السّلام فلا يناسبه ارجاع الضمير المؤنث إليه و لعلّ الأظهر أنّ كلاّ منها كلام مستقلّ لعدم ارتباط أحدها بالآخر، حيث إنّ الكلام السابق حسبما عرفت قاله للأصحاب فى ساعة الحرب للتحريض و التشجيع

ص:154

و هذا الكلام كما ترى وارد فى مقام التوبيخ و التقريع لهم، و الكلام الآتى وارد فى مقام تعليم رسوم الحرب، فلا مناسبة لأحدها مع الآخر لو لم يكن الوسط مصادّا لهما، اللّهمّ إلاّ أن يكون السيد (ره) قد اسقط ما يوجب الائتلاف و الارتباط على ما جرت عليه عادته فى الكتاب من الاسقاط و الالتقاط، و بعض فقرات هذا الكلام يأتى فى رواية الارشاد، و هو أيضا يخيّل كونه كلاما مستقلا، و ستطّلع فى شرح الكلام الآتى ما يفيد استقلاله أيضا.

و كيف كان فقد قال عليه السّلام لأصحابه (و كأنّى أنظر إليكم) بما فيكم من الجبن و الفشل (تكشّون كشيش الضباب) المجتمعة يعنى أنّ أصواتكم غمغمة بينكم من الهلع الذى قد اعتراكم، فهى أشبه شىء بأصوات الضباب، أو المراد بيان حالهم فى الازدحام و الهزيمة (لا تأخذون) للّه (حقّا و لا تمنعون ضيما) و ذلاّ (قد خلّيتم و الطريق) أى طريق الآخرة (فالنجاة للمقتحم و الهلكة للمتلوّم) أى النجاة فى الدنيا من العار و فى الآخرة من النار للداخل فى الجهاد و المقدم عليه، و الهلاک الدائم للمتوقف عن القتال المتثبّط فيه، أو أنّ النجاة من سيف الأعداء للمطرق المقدم، لانه مع اقدامه و تجلّده يرتاع له خصمه و ينخذل عنه نفسه و الهلاک بسيف الأعداء للمتثبط المتلوّم لأنّ نفس خصمه تقوى عليه و طمعه يزداد فيه كما هو مشاهد بالعيان و تشهد به التجربة و الوجدان و فى هذا المعنى قال:

ذق الموت ان شئت العلى و اطعم الرّدى قتيل الأمانى بالمنيّة مكتوب

خض الحتف تأمن خطة الخسف انما يبوح ضرام الخطب و الخطب مشبوب

تنبيه

يشبه أن يكون هذا الكلام ملتقطا من كلام له عليه السّلام رواه فى البحار من الارشاد قال: من كلامه صلوات اللّه عليه فى هذا المعنى(1) بعد حمد اللّه و الثناء عليه:

ما أظن هؤلاء القوم - يعنى أهل الشام - إلاّ ظاهرين عليكم، فقالوا له: بما ذا

1- (1) اى فى استنفار القوم الى الجهاد و استبطائهم عنه بعد بلوغ خبر مسير بسر بن ارطاة الى اليمن كما سبق اليه الاشارة فى الارشاد، منه

يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السّلام: أرى أمورهم قد علت، و نيرانكم قد خبت، و أراهم جادين، و أراكم و انين، و أراهم مجتمعين، و أراكم متفرّقين، و أراهم لصاحبهم مطيعين، و أراكم لى عاصين، أم و اللّه لئن ظهروا عليكم لتجدنّهم أرباب سوء من بعدى لكم، لكأنى أنظر اليهم و قد شاركوكم فى بلادكم، و حملوا إلى بلادهم فيئكم، و كأنى أنظر اليكم تكشّون كشيش الضباب، و لا تأخذون حقّا، و لا تمنعون للّه من حرمة، و كأنّى أنظر إليهم يقتلون صالحيكم، و يحيفون(1) قرائكم، و يحرمونكم، و يحجبونكم، و يدنون الناس دونكم. فلو قد رأيتم الحرمان و الاثرة و وقع السّيوف و نزول الخوف، لقد ندمتم و حسرتم(2) على تفريقكم فى جهادكم و تذاكرتم ما أنتم فيه اليوم من الخفض و العافية حين لا ينفعكم التذكار

الترجمة

از جملهٔ كلام آن امام أنام است كه فرمود:

گويا نظر ميكنم بسوى شما كه آواز مى كنيد در ازدحام نمودن بهزيمت و فرار همچو آواز نمودن پوستهاى سوسمار كه بر هم خورند در رفتار، در حالتى كه أخذ نمى كنيد بجهة خدا حقّى را، و منع نمى كنيد ذلّتى را، بتحقيق كه رها شده ايد با طريق آخرت، پس نجات مر كسى راست كه داخل شود بدون تأمّل در قتال و جهاد و هلاكت مر كسى راست كه توقّف كند از محاربهٔ أعداء.

و من كلام له عليه السّلام فى حثّ اصحابه على القتال و هو المأة

اشارة

و الرابع و العشرون من المختار فى باب الخطب

قاله للاصحاب فى صفين و قد رواه غير واحد باختلاف تعرفه انشاء الله فقدّموا الدّارع، و أخّروا الحاسر، و عضّوا على الأضراس فإنّه

1- (1) الحيف الجور و الظلم منه

2- (2) الحسرة أشد التهلف على الشىء الفائت تقول منه حسر على الشىء بالكسر يحسر حسرا فهو حسير، صحاح

أنبا للسّيوف عن الهام، و التووا فى أطراف الرّماح فإنّه أمور للأسنّة، و غضّوا الأبصار فإنّه أربط للجاش و أسكن للقلوب، و أميتوا الأصوات فإنّه أطرد للفشل، و رايتكم فلا تميلوها و لا تخلوّها و لا تجعلوها إلاّ بأيدى شجعانكم و المانعين الذّمار منكم، فإنّ الصّابرين على نزول الحقائق هم الّذين يحفّون براياتهم و يكتنفونها حفافيها و ورائها و أمامها، لا يتأخّرون عنها فيسلموها، و لا يتقدّمون عليها فيفردوها، أجزء امرء قرنه، و آسى أخاه بنفسه، و لم يكل قرنه إلى أخيه، فيجتمع عليه قرنه و قرن أخيه، و أيم اللّه لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآخرة، و أنتم لهاميم العرب، و السّنام الأعظم، إنّ فى الفرار موجدة اللّه و الذّلّ اللاّزم، و العار الباقى، و إنّ الفارّ لغير مزيد فى عمره، و لا محجوز بينه و بين يومه، من رائح إلى اللّه كالظمآن يرد الماء، الجنّة تحت أطراف العوالى، اليوم تبلى الأخبار، و اللّه لأنا أشوق إلى لقائهم منهم إلى ديارهم، أللّهمّ فإن ردّوا الحقّ فافضض جماعتهم، و شتّت كلمتهم، و أبسلهم بخطاياهم، إنّهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك يخرج منه النّسيم، و ضرب يفلق الهام، و يطيح العظام، و يندر السّواعد و الأقدام، و حتّى يرموا بالمناسر

تتبعها المناسر، و يرجموا بالكتائب، تقفوها الحلائب، و حتّى يجرّ ببلادهم الخميس يتلوه الخميس و حتّى تدعق الخيول فى نواحر أرضهم، و بأعنان مساربهم و مسارحهم. قال السيد ره: الدعق، الدقّ، اى تدقّ الخيول بحوافرها أرضهم، و نواحر أرضهم، متقابلاتها يقال: منازل بنى فلان تتناحر أى تتقابل.

اللغة

(الدارع) لابس الدّرع و (الحاسر) الذى لا درع عليه و لا مغفر و (نبا) السّيف عن الضريبة كلّ عنها و ارتد و لم يمض و (التوى) انعطف و (المور) التحريك و الاضطراب قال تعالى: يوم تمور السماء مورا، و (الذمار) بالكسر ما يلزمک حفظه و حمايته، و عن الجوهرى فلان حامى الذّمار أى إذا ذمر و غضب حمى و فى شرح المعتزلى الذّمار ما وراء الرّجل مما يحقّ عليه أن يحميه و سمّى ذمارا لأنّه يجب على أهله التذمّر له أى الغضب.

و (الحقائق) جمع الحقيقة بمعنى ما يحق للرّجل أن يحميه، أو بمعنى الراية كما ذكره فى القاموس و حكى عن الصحاح، و قال الشارح المعتزلى و تبعه غيره إنّ الحقائق جمع حاقة و هى الأمر الصعب الشديد، و منه قوله تعالى: الحاقّة ما الحاقّة يعنى السّاعة، و فى كونه جمعا لها نظر و (الحفاف) وزان كتاب الجانب و فى (امرء) ثلاث لغات: فتح الراء دائما و ضمّها دائما، و اختلافها باختلاف حركة الآخر، تقول: هذا امرء و رأيت امرأ و مررت بامرء و (القرن) بالكسر كفوک فى الشجاعة أو عامّ لكلّ كفو و (آس) أخاه بالهمزة أى جعله اسوة لنفسه و يجوز و اسيت زيدا بالواو و هى لغة ضعيفة و (اللّهاميم) جمع اللّهموم بالضم كعنقود و عناقيد الجواد من النّاس و الخيل و (سنام) الابل معروف و (الموجدة) الغضب و السخط و فى بعض النسخ (و الذّل اللاّذم) بالذّال المعجمة أيضا بمعنى اللازم بالزاء يقال: لذمت المكان أى لزمته و (العوالى) جمع

العالية و هى أعلى القناة أو رأسها أو نصفها الذى يلى السنان.

و (تبلى الأخبار) هنا بالبا الموحّدة و فى بعض النسخ بالياه المثنّاة التحتانيّة و (أبسلته) أسلمته إلى الهلكة و (النسيم) الريح اللينة، و فى بعض النسخ النسم أى طعن يخرق الجوف بحيث يتنفّس المطعون من الطعنة، و روى القشم بالقاف و الشين المعجمة و هو اللحم و الشحم و (فلقت) الشىء افلقه بكسر اللاّم فلقا شققته و (المناسر) جمع المنسر بفتح الميم و كسر السّين و بالعكس أيضا قطعة من الجيش تكون امام الجيش الأعظم و (الحلائب) بالحاء المهملة جمع حليبة و هى الطائفة المجتمعة من حلب القوم حلبا من باب نصر أى اجتمعوا من كلّ وجه و يقال احلبوا إذا جاءوا من كلّ أوب للنصرة و (الخميس) الجيش لأنه خمس فرق: المقدّمة، و القلب، و الميمنة و الميسرة، و الساقة و (المسارب) و (المسارح) جمع المسربة و المسرح و هو المرعى قال الشارح المعتزلى: (و نواحر أرضهم) قد فسّره الرضىّ و يمكن أن يفسّر بأمر آخر، و هو أن يريد أقصى أرضهم و آخرها من قولهم لآخر ليلة فى الشهر ناحرة و المسارب ما يسرب فيه المال الراعى، و المسارح ما يسرح فيه و الفرق بين سرح و سرب أنّ السروح إنما يكون فى أول النهار، و ليس ذلک بشرط فى السروب.

الأعراب

جملة لا يتأخرّون عنها آه، بدل من جملة يكتنفونها كما فى قوله تعالى:

«وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِکَ يَلْقَ أَثاماً يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ ».

و قوله: اجزء امرء قرنه آه، قال الشارح المعتزلى: من الناس من يجعل هذه الصيغة و هى صيغة الاخبار بالفعل الماضى فى معنى الأمر كأنه قال ليجزى كلّ امرء قرنه لأنه إذا جاز الأمر بصيغة الاخبار فى المستقبل جاز الأمر بصيغة الماضى، و قد جاز الأول نحو قوله:

ص:159

«وَ الْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ».

فوجب أن يجوز الثانى، و من النّاس من قال معنى ذلک هلاّ اجزء امرء قرنه فيكون تحضيضا محذوف الصّيغة، انتهى أقول: معنى التحضيض فى الماضى التوبيخ و اللّوم على ترک الفعل و فى المضارع الحضّ على الفعل و الطلب له، و هذا الكلام له عليه السّلام كما ترى وارد فى معرض الحثّ و الترغيب لا اللّوم و التوبيخ، فلا بدّ أن يجعل هلاّ هنا على تقدير حذفها حرف عرض،و قوله:من رائح إلى اللّهرائح خبر لمبتدأ محذوف و الجملة صلة من، و فى بعض النسخ الرائح إلى اللّه كالظمآن، و هو الأوفق، و يجوز على الأوّل كون خبر من لفظ كالظمآن و جملة يرد صفة للظمآن، و يجوز كون كالظمآن صفة لرائح و خبر من جملة يرد، و على ذلک فلا بدّ أن يراد بالماء الحياة الأبد على سبيل المجاز و فى بعض النسخ كالظمآن يرد إلى الجنّة، و هو يؤيّد كون جملة يرد خبرا كما هو ظاهر.

المعنى

اشارة

اعلم أنّ الشارح المعتزلى بعد تقطيعه فى الشرح هذا الكلام له عليه السّلام على فصول ثلاثة قال فى شرح الفصل الثّانى منه و هو قوله: اجزء امرء قرنه إلى قوله و ابسلهم بخطاياهم: و هذه الألفاظ لا يتلو بعضها بعضا و إنما هى منتزعة من كلام طويل انتزعها الرضىّ (ره) و اطرح ما عداها أقول: و ما ظفرت بعد على تمامه، و المستفاد من الروايات الآتية فى التكملة الآتية أنه ليس منتزعا من كلام واحد، بل منتزع من كلام متعدّد حسبما تطلع عليه و كيف كان فالغرض منه حثّ أصحابه على الجهاد و تحريضهم و تعليمهم آداب الحرب و رسومها قال عليه السّلام (فقدّموا الدارع) اللابّس للدّرع (و أخّروا الحاسر) العارى عنه لأنّ سورة الحرب و شدّتها تلتقى و تصادف، الأول فالأول، فوجب أن

يكون أوّل القوم مستلئما و يقدم المستلئم(1) على غير المستلئم (و عضّوا على الأضراس فانه أنبأ للسّيوف عن الهام) كما مضى توضيحه فى شرح الكلام الحادى عشر مع ما فيه من إظهار الغيظ و الخنق على الخصم (و التووا فى أطراف الرّماح فانّه أمور للأسنة) أى إذا وصلت إليكم أطراف الرماح فانعطفوا ليزلق و يتحرّك فلا ينفذ، و حمله الشارح البحرانى (ره) على الالتواء عند إرسال الرّمح و رميه إلى العدوّ بأن يميل صدره و يده فانّ ذلك أنفذ و ليس بشىء (و غضّوا الأبصار فانه أربط للجاش) و رواع القلب إذا اضطرب (و أسكن للقلوب) من الفزع و إنما أمرهم بغضّها لئلاّ يروا من العدوّ ما يهولهم و يدهشهم، و كيلا يرى العدوّ منهم جبنا و فشلا قد مضى ذلك أيضا فى شرح الكلام الحادى عشر (و أميتوا الأصوات) أراد به قلّة الكلام و ترك رفع الأصوات (فانه أطرد للفشل) و الجبن و الجبان يصيح و يرعد و يبرق كما مرّ فى الكلام التاسع (و رايتكم فلا تميلوها) لأنّ ميلها من أسباب انكسار العسكر، لأنهم ينظرون إليها (و لا تخلوها) من محام لها (و لا تجعلوها إلاّ بأيدى شجعانكم) لضعف الجبناء عن إمساكها.

كما ضعف الأوّل و الثّانى عن إمساكها يوم خيبر و انهزما بأقبح وجه، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لأعطينّ الراية غدا رجلا يحبّ اللّه و رسوله و يحبّه اللّه و رسوله كرّار غير فرّار يفتح اللّه عليه، فلما كان الغد طاولت الأعناق لها، و كلّ رجا أن يدفعها إليه فلم يدفعها إلاّ إلى أمير المؤمنين عليه السّلام، و فى هذا المعنى قال الشارح المعتزلى فى قصيدته التى قالها فى فتح خيبر:

و ما أنس لا أنس اللذين تقدّما و فرّهما و الفرّ قد علما حوب

و للراية العظمى و قد ذهبا بها ملابس ذلّ فوقها و جلابيب

يشلها من آل موسى شمردل طويل نجاد السيف اجيد يعبوب

إلى أن قال

دعا قصب العلياء يملكها امرؤبغير أفاعيل الدّنائة مقضوب

1- (1) استلئم لبس اللامة، منه.

يرى أنّ طول الحرب و البؤس راحة و انّ دوام السلم و الخفض تعذيب

فللّه عينا من رآه مبارزا و للحرب كأس بالمنيّة مقطوب

إلى آخر ما قال، و قوله (و المانعين الذّمار منكم) أى الذاتيّين عمّن يجب عليهم حفظه و حمايته، فانّ من كان كذلک لا يترک الراية حتى يظفر أو يقتل و علّله بقوله (فانّ الصّابرين على نزول الحقائق) أى نزول الرايات منازلها أو نزول ما يعرض لهم فى الحرب من الحالات التى يجب و يحقّ الحماية عنها، أو نزول الامور الصّعبة الشديدة كما ذكره الشارح المعتزلى (هم الذين يحفّون براياتهم) و يحيطون بها (و يكتنفونها حفا فيها) و جانبيها أى اليمين و اليسار (و ورائها و أمامها لا يتأخّرون عنها فيسلموها و لا يتقدّمون عليها فيفردوها) بل يلازمونها أشدّ الملازمة و يراقبونها كمال المراقبة و يحاربون حولها و يضربون خلفها و أمامها.

ثمّ قال (أجزء امرء قرنه و آسا أخاه بنفسه و لم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه و قرن أخيه) و هو أمر لهم بالمواساة يقول: ليجزى و ليكفى كلّ امرء منكم قرنه و كفوه و ليواس أخاه بنفسه، و لم يدع قرنه ينضمّ إلى قرن أخيه فيصيرا معا فى مقاومة الأخ المذكور، فانّ ذلک قبيح كاسب للآئمة، ناش عن دنائة الهمّة، إذ اولو العزم و ذوو الهمم العالية لا يرضى أحد منهم بأن يقاتل أخوه اثنين و هو ممسک يده قد خلّى قرنه إلى أخيه هاربا منه أو قائما ينظر إليه ثمّ أقسم بالقسم البارّ فقال (و أيم اللّه لئن فررتم من سيف العاجلة) لحبّ البقاء و الحياة(لا تسلموا من سيف الآخرة)أى من عذاب اللّه و عقابه سبحانه على فراركم و تخاذلكم، و تسميته العذاب بالسيف إما مبنىّ على الاستعارة أو على المشاكلة (و أنتم لهاميم العرب) أى ساداتها و أجوادها(و السنام الأعظم)أراد شرفهم و علوّ نسبهم على سبيل الاستعارة أو التشبيه البليغ لأنّ السنام أعلى أعضاء البعير و أرفعها (إنّ فى الفرار) من الجهاد (موجدة اللّه) سبحانه و غضبه يوم الحساب (و الذلّ اللاّزم و العار الباقى) فى الأعقاب (و انّ الفارّ لغير مزيد فى عمره و لا محجوز بينه و بين يومه) يعنى انّ

الفرار لا يزيد فى عمر الفارّ و لا يحجز بينه و بين اليوم الذى قدّر فيه موته كما قال تعالى فى حقّ المنافقين المعتلّين فى الرّجوع يوم الأحزاب بأن بيوتهم عورة:

«قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلاّ قَلِيلاً قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللّهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَ لا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً».

يعنى قل للّذين استأذنوك فى الرّجوع و اعتلّوا بأنّ بيوتهم يخاف عليها: لن ينفعكم الفرار من الموت أو القتل، إن كان حضر آجالكم فانه لا بدّ من واحد منهما و لا ينفعكم الهرب و الفرار، و إن لم يحضر آجالكم و سلمتم من الموت أو القتل فى هذه الوقعة لم تمتّعوا فى الدّنيا إلاّ أياما قلائل.

ثمّ أكّد الحثّ عليهم بالترغيب و التشويق فقال (من) هو (رائح إلى اللّه) و ذاهب إلى رضوان اللّه سبحانه (كالظمآن) العطشان (يرد الماء) و يروى غلته (الجنّة تحت أطراف العوالى) و أسنّة الرّماح و تحت ظلال السيوف (اليوم تبلى الأخبار) أى أخبار الحرب من الثبات و الفرار و يمتحن السرائر و الضمائر من الايمان و النفاق و الشجاعة و الجبن و غيرها، أو يمتحن الأخيار من الأشرار (و اللّه لأنا أشوق) و أرغب (إلى لقائهم) أى الأعداء (منهم إلى ديارهم) ثمّ دعا عليهم بقوله:

(أللّهم فان ردّوا الحقّ) و أرادوا إبطاله (فافضض جماعتهم و شتّت كلمتهم) أى بدّل اجتماعهم بالافتراق و اتّفاق قولهم بالاختلاف و النفاق الموجب للهزيمة (و أبسلهم بخطاياهم) أى اهلكهم و أسلمهم إلى الهلاك و لا تنصرهم بما اكتسبوا من الاثم و الخطاء كما قال سبحانه:

«وَ ذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَ لَهْواً وَ غَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَ ذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِما كَسَبَتْ لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللّهِ وَلِيٌّ وَ لا شَفِيعٌ وَ إِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْها أُولئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِما كَسَبُوا»

«لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْفُرُونَ» ثمّ أشار إلى جدّ الخصم فى الجهاد تهييجا لأصحابه على المقاومة و الثبات فقال عليه السّلام (انهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراک) متدارک متتابع يتلو بعضه بعضا (يخرج منه النسيم) و الريح اللينة لسعته كما قال الشاعر:

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر لها نفد لو لا الشعاع أضاها

ملكت بها كفّى فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها

يعنى أنّ هذه الطعنة لا تّساعها يرى الانسان المقابل لها ببصره ما وراها، و انه لو لا شعاع الدّم لبان منها الضوء (و ضرب يفلق الهام) و يشقق الرءوس (و يطيح العظام و يندر السواعد و الأقدام) أى يسقطها من مواضعها و محالها (و حتّى يرموا بالمناسر) و الجيوش (تتبعها المناسر) الاخر (و يرجموا) أى يغزوا (بالكتائب) و طوائف الجيوش (تقفوها) و تتبعها (الجلائب) و الطوائف الاخرى المجتمعة من كلّ صقع و ناحية لنصرها و المحاماة عنها (و حتّى يجرّ ببلادهم الخميس يتلوه) و يعقّبه (الخميس) الآخر (و حتّى تدعق الخيول) و تدقّ بحوافرها (فى نواحر أرضهم) أى متقابلاتها أو أواخرها (و بأعنان مساربهم و مسارحهم) أى أطراف مراعيهم و نواحيها

تكملة

هذا الكلام رواه المحدّث العلامة المجلسى (ره) بطرق متعدّدة و اختلاف كثير أحببت أن أورد ما رواه طلبا لمزيد الفائدة فأقول:

روى (قده) فى البحار من الكافى فى حديث مالک بن أعين قال: حرّض أمير المؤمنين عليه السّلام النّاس بصفّين فقال: انّ اللّه عزّ و جلّ قد دلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، و تشفى بكم على الخير، الايمان باللّه و الجهاد فى سبيل اللّه و جعل ثوابه مغفرة للذنب و مساكن طيبة فى جنّات عدن و قال جلّ و عزّ «إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ» فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص، فقدّموا الدارع و أخّروا الحاسر، و عضّوا

على النواجذ، فانه أبنا للسيوف عن الهام، و التووا على أطراف الرماح فانّه امور للأسنّة، و غضّوا الأبصار فانّه أربط للجاش و أسكن للقلوب، و أميتو الأـصوات فـانه أطرد للفشـل و أولى بالوقـار، و لا تميلوا براياتكم و لا تزيلوها، و لا تجعلوها إلاّ مع شـجعانكم، فانّ المانع للـذّمار و الصابر عند نزول الحقائق هم أهل الحفاظ، و لا تمثلوا بقتيل، و إذا وصـلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سـرّا «سترا ظ» و لا تدخلوا دارا، و لا تأخذوا شـيئا من أموالهم إلاّ ما وجدتم فى عسـكرهم، و لا تهيجوا امرأة بأذى و إن شـتمن أعراضـكم و سـببن امرائكم و صـلحائكم، فانهنّ ضعـاف القوى و الأنفس و العقول، و قـد كنا نؤمر بالكفّ عنهنّ و هنّ مشـركات و ان كان الرّجل ليتناول المرأة فيعيّر بها و عقبه من بعـده و اعلموا أنّ أهـل الحفـاظ هم الـذين يحفّون برايـاتكم و يكتنفونها، و يصـيرون حفافيها و ورائها و أمامها، و لا يضـيعونها و لا يتأخّرون عنها فيسـلموها و لاـ يتقـدّمون عليهـا فيفردوهـا رحم اللّه امرأ واسا أخاه بنفسه، و لم يكل قرنه إلى أخيه، فيجتمع عليه قرنه و قرن أخيه فيكتسـب بـذلك اللاّئمـة، و يأتى بدنائـة، و كيف لا يكون كذلك و هو يقاتل الاثنين، و هذا ممسك يده قد خلى قرنه على أخيه هاربا ينظر إليه و هذا فمن يفعله يمقته اللّه فلا تعرّضوا لمقت اللّه عزّ و جلّ فانما ممرّكم إلى اللّه و قد قال اللّه عزّ و جلّ:

«لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلاّ قَلِيلاً » و أيم اللّه لئن فررتـم من سـيوف العاجلة لا تسـلمون من سـيوف الآجلة، فاستعينوا بالصبر و الصّدق فانما ينزل النصر بعد الصّبر فجاهدوا فى اللّه حقّ جهاده و لا قوّة إلاّ باللّه.

و فى كلام له آخر

و إذا لقيتم هؤلاء القوم غدا فلا تقاتلوهم حتّى يقاتلونكم، فاذا بدءوا بكم فانهدوا إليهم و عليكم السكينة و الوقار، و عضّوا على الأضراس فانه أنبأ للسيوف

عن الهـام، و غضّوا الأبصـار، و مـدّوا جباه الخيول و وجوه الرّجال، و أقلّوا الكلام فانه أطرد للفشل، و أذهب بالوهل، و وطنوا أنفسـكم على المبارزة و المنازلـة و المجادلـة، و اثبتوا، و اذكروا اللّه عزّ و جلّ كثيرا فانّ المانع للـذمّار عنـد نزول الحقائق هم أهل الحفاظ الذين يحفّون براياتهم و يضـربون حافتيها و أمامها، و إذا حملتم فافعلوا فعل رجل واحد، و عليكم بالتحامى فانّ الحرب سجال لا يشدّون عليكم كرّة بعد فرّة، و لا حملة بعد جولة، و من ألقى اليكم السّلام فاقبلوا منه و استعينوا بالصّبر فانّ بعد الصّبر النّصر من اللّه عزّ و جلّ.

«إِنَّ الْأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ».

و فى البحار من الارشاد قال من كلامه عليه السّلام أيضا فى هذا المعنى أى فى تحضيضه على القتال يوم صفّين:

معشـر النّاس إنّ اللّه قد دلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم، و تشـفى بكم على الخير العظيم: الايمان باللّه و رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الجهاد فى سبيله، و جعل ثوابه مغفرة الذّنوب و مساكن طيّبة فى جنات عدن ثمّ أخبركم أنه «يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ » فقدّموا الدّارع و أخّروا الحاسـر و عضّوا على الأضراس فانّه أنبأ للسيوف عن الهام و التووا فى أطراف الرماح فانه أمور للأسـنّة، و غضّوا الأبصـار فـانه أربط للجاش و أسـكن للقلوب، و أميتوا الأصوات فانّه أطرد للفشل و أولى بالوقار، و رايتكم فلا تميلوها و لا تخلّوهـا و لا تجعلوها إلاّ فى أيـدى شـجعانكم، فانّ المانعين للـذّمار الصّابرين على نزول الحقائق أهل الحفاظ الـذين يحفّون براياتهم و يكتنفونها، رحم اللّه امرء منكم آسى أخاه بنفسه و لم يكل قرنه إلى أخيه فيجمع عليه قرنه و قرن أخيه فيكتسب بذلك اللائمة، و يأتى به دنائة و لا تعرّضوا لمقت اللّه، و لا تفرّوا من الموت فانّ اللّه تعالى يقول:

«قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلاّ قَلِيلاً » و أيم اللّه لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآجلة، فاستعينوا بالصبر و الصّلاة و الصّدق فى النّية فانّ اللّه تعالى بعد الصبّر ينزل النصر، هذا و قد مرّ أكثر الفقرات الأخيرة من هذا الكلام الذى نحن بصدد شرحه فى رواية نصر بن مزاحم عن الشّعبى فى شرح الخطبة الخامسة و الثّلاثين عند ذكر كيفية التحكيم فليراجع ثمة.

بيان ما لعله يحتاج إلى التفسير من ألفاظ الروايتين فأقول قال الجوهرىّ «رصّصت» الشىء رصّا ألصقت بعضه ببعض و منه بنيان مرصوص و «الحفاظ» بالكسر الذّب عن المحارم و «حفافيها» متعلّق بقوله: يكتنفونها أو بقوله: يصيرون أيضا على سبيل التنازع، قال فى البحار و فى بعض النسخ ورائها بدون العطف فهما الامام و الوراء و «نهد» الرّجل نهض و العدوّ صمد لهم.

و قوله عليه السّلام «و مدّوا جباه الخيول و وجوه الرّجال» قال فى البحار لعلّ المراد بهما تسوية الصّفوف و اقامتها راكبين و راجلين، أو كناية عن تحريكها و توجيهها إلى جانب العدوّ و «الوهل» الضعف و الفزع، و قوله «فانّ الحرب سجال» أى مرّة لنا و مرّة علينا، و أصله إنّ المستقين بالسجل يكون لكلّ واحد منهم سجلّ، و السجل الدلو الكبير و «السّلام» الاستسلام، و قد مرّ تفسير ساير ما يحتاج إلى التفسير فى شرح المتن

تذكرة

قد قدّمنا فى شرح الكلام الخامس و السّتين شطرا من وقايع صفّين، و أوردنا تمام وقايعها فى شرحه و شرح ساير الخطب المتقدّمة عليه حسبما مرّت الاشارة اليها هنالك، من أراد الاطلاع عليها فليراجع ثمّة

الترجمة

از جمله کلام بلاغت نظام آن جنابست در تحریص و ترغیب أصحاب خود بر مقاتله و محاربه معاویه و أصحاب او که فرموده:

پس مقدم دارید زره پوش را، و مؤخّر نمائید عاری از زره را، و بگزید بر دندانها یعنی دندانها را بالای همدیگر محکم بگذارید، پس بدرستی که استحکامی دندانها باز گرداننده تر است شمشیرها را از فرق، و پیچیده شوید در أطراف نیزها پس بتحقیق که آن پیچیدگی حرکت دهنده تر است نیزها را از نفوذ آنها، و فرو خوابانید دیده ها را پس بدرستی که آن موجب زیادتی ثبات دل بی آرام است و شدّت سکون قلبها است، و ترک کنید بلندی آوازها را پس بدرستی که آن راننده تر است جبن را.

و علم خودتان را پس میل ندهید آنرا و خالی نگذارید آنرا و مگردانید آنرا مگر بر دست شجاعان خودتان، و مگر بر دست کسانی که باز دارندگانند بی غیرتی را از شما در روز هیجا، پس بدرستی کسانی که صبر نماینده اند بر نزول حقیقة کارهائی که حقیق است بحمایت ایشان اشخاصی هستند که احاطه میکنند بعلمهای خود، و دور آنها را می گیرند از دو جانب چپ و راست آنها و از پس آنها و پیش آنها یعنی محافظت میکنند علمها را از چهار طرف و پس نمی افتند از آن علمها تا تسلیم کنند آنها را بر أعداء، و پیش نمی روند از آنها تا این که تنها گذارند آنها را باید که کفایت کند مرد کفو خودش را در کار زار، و مواساة کند با برادر خودش بنفس خود، و واگذار ننماید قرین و کفو خود را ببرادر خود تا مجتمع شود بر او قرین او و قرین برادر او، و بخدا سوگند اگر بگریزید شما از شمشیر دنیا سلامت نمانید از شمشیر آخرت و حال آنکه شما أشراف عرب هستید و کوهانهائی بزرگتر أرباب أدب می باشید، بدرستی که در گریختن از جنگ غضب پروردگار است، و ذلّت و خواری همیشگی است و عار و سرکوبی باقی است، و بدرستی که فرار کنندهٔ از جنگ زیاده کننده نیست در عمر خود، و باز داشته شده نیست میان خود و میان روز موعود خود

ص:168

کسی که رونده است بسوی آفریدگار مثل تشنه ایست که وارد شود بر آب بهشت عنبر سرشت، در زیر أطراف نیزهای بلند مقدار است، امروز آشکار می شود خبرها.

بار پروردگارا اگر رد کنند این قوم بد بنیاد حق را پس پراکنده نما جماعت ایشان را، و متفرّق گردان سخنان باطل ایشان را، و هلاک بگردان ایشان را بگناهان خودشان، ایشان هرگز زایل نمی شوند از موقفهای خودشان بی زدن نیزه پی در پی که خارج بشود از او بجهت گشادی او نسیم، و بی ضربتی که بشکافد کاسهٔ سر را و بیندازد استخوانها را و بیفکند بازوها و قدمها را، و تا آنکه انداخته شوند بلشکرهائی که مقدمهٔ لشکر دیگر باشند که تابع شود بایشان مقدّمة الجیش دیگر، و سنگسار شوند بلشکرهای گران که تبعیت نماید بایشان لشکران جمع شده از هر طرف تا آنکه کشیده شود بشهرهای ایشان سپاهی که در عقب آن باشد سپاهی دیگر، و تا آنکه بکوبند اسبان بسمهای خود در اواخر بلاد ایشان و بنواحی مراعی و چراگاههای ایشان، یعنی اگر جد و کوشش نشود در جهاد ایشان دست از طغیان خود بر نخواهند داشت

و من کلام له علیه السّلام فی التحکیم و هو المأة و الخامس

اشارة

و العشرون من المختار فی باب الخطب.

و رواه الطبرسی فی الاحتجاج الی قوله لاول البغی نحوه قال علیه السّلام إنّا لم نحکّم الرّجال و إنّما حکّمنا القرآن و هذا القرآن إنّما هو خطّ مسطور بین الدّفتین، لا ینطق بلسان و لا بدّ له من ترجمان، و إنّما ینطق عنه الرّجال، و لمّا دعانا القوم إلی أن نحکّم بیننا القرآن لم نکن الفریق المتولّی عن کتاب اللّه تعالی، و قد قال سبحانه فإن:

تنازعتم فى شىء فردّوه إلى اللّه و الرّسول، فردّه إلى اللّه أن نحكم بكتابه، و ردّه إلى الرّسول أن نأخذ بسنّته، فاذا حكم بالصّدق فى كتاب اللّه فنحن أحقّ النّاس به، و إن حكم بسنّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فنحن أولاهم به، و أمّا قولكم لم جعلت بينكم و بينهم أجلا فى التّحكيم فإنّما فعلت ذلك ليتبيّن الجاهل، و يتثبّت العالم و لعلّ اللّه أن يصلح فى هذه الهدنة أمر هذه الأمّة، و لا تؤخذ بأكظامها فتعجل عن تبيّن الحقّ، و تنقاد لأوّل الغىّ، إنّ أفضل النّاس عند اللّه من كان العمل بالحقّ أحبّ إليه و إن نقصه و كرثه من الباطل و إن جرّ إليه فائدة و زاده فأين يتاه بكم و من أين أتيتم، إستعدّوا للمسير إلى قوم حيارى عن الحقّ لا يبصرونه، و موزّعين بالجور و لا يعدلون به، جفاة عن الكتاب نكّب عن الطّريق، ما أنتم بوثيقة يعلق بها، و لا زوافر عزّ يعتصم إليها، لبئس حشّاش نار الحرب أنتم، أفّ لكم لقد لقيت منكم برحا يوما أناديكم و يوما أناجيكم، فلا أحرار صدق عند النّداء، و لا إخوان ثقة عند النّجاء.

اللغة

(دفّتا) المصحف جانباه المكتنفان به و (الترجمان) و زان زعفران و عنفوان و ريهقان مفسّر اللّسان باللّسان الآخر، و التاء أصلية و الألف و النّون زائدتان و الفعل ترجم و (التبيّن) يستعمل لازما و متعدّيا و (التثبّت) التأنّى فى الامور و (الهدنة)

ص:170

بالضمّ المصالحة و الدّعة و السكون و (الأكظام) جمع كظم كأسباب و سبب و مخرج النفس من الحلق و (كرثه) الغمّ من باب نصر و ضرب و أكرثه اشتدّ عليه و بلغ منه المشقة.

و (تاه) يتيه تيها تحيّر و ضلّ أو تكبّر و (اتيتم) بالبناء على المفعول و (أوزعته) بكذا ألهمته و قال الجوهرىّ أوزعته بالشىء أغريته به و (جفات) جمع جاف من جفا السرج عن ظهر الفرس نبا و ارتفع و (نكب) عن الطريق ينكب نكوبا من باب قعد عدل و (زافرة) الرّجل خواصّه و أنصاره و (الحشاش) بضمّ الحاء و تشديد الشين جمع حاش و هو الموقد للنار و يروى حشاش بالكسر و التخفيف و هو ما يحشّ به النار أى يوقد و (البرح) الشدّة و فى بعض النسخ بالتاء و هو الحزن و (النجاء) المناجاة مصدر ناجيته نجاء مثل صارعته صراعا و ضاربته ضرابا

الاعراب

قوله: بين الدّفتين، ظرف لغو متعلّق بقوله مسطور أو مستقرّ صفة لخطّ أو حال ضمير مسطور، و مثله فى احتمال الوصفية و الحالية جملة لا ينطق آه، و لعلّ اللّه أن يصلح آه لعلّ حرف موضوع للتوقّع و هو الترجّى للمحبوب و الاشفاق من المكروه و تنصب الاسم و ترفع الخبر مثل ساير الحروف المشبّهة بالفعل و يقترن خبرها كثيرا بأن كما فى هذا المقام و فى قوله:

لعلّك يوما أن تلمّ ملمّة عليك من اللاّء يدعنك أجدعا(1)

حملا لها على عسى لاشتراكهما فى الدلالة على التّرجّى على سبيل الانشاء فان قلت: أن تجعل مدخولها فى تأويل المصدر و عليه فكيف يصحّ الحمل فى قوله: لعلّ اللّه أن يصلح و قولك لعلّ زيدا أن يقوم إذ الحدث لا يكون خبرا عن الجثة.

قلت: هذا اشكال تعرّض له علماء الأدبيّة فى باب عسى و تفصّوا عنه بوجوه

1- (1) الاجدع بالجيم و الدال المهملة مقطوع الانف أى لعلك ان تنزل عليك نازلة من نوازل الدهر من اللاّء يتركنك بهذا الصفة من الجدع، منه

احـدها أن يقدر هنا مضاف إمّا فى الاسم أو فى الخبر، فمعنى عسـى زيد أن يقوم عسـى حال زيد أن يقوم أو عسـى زيد صاحب أن يقوم، و نوقش فيه بأنه تكلّف إذ لم يظهر هـذا المضاف إلى اللّفظ أبـدا لا فى الاسم و لا فى الخبر و ثانيها أنّ أن زائـدة، و ردّ بأنّ الزائد لا يلزم إلاّ مع بعض الكلم و لزومه مطردا فى موضع معيّن مع أىّ كلمـة كانت بعيد و ثالثها ما قاله الكوفيّون و هو أنّ أن مع الفعل فى محلّ الرّفع بدلا مما قبله بدل اشتمال كقوله تعالى:

«لا يَنْهاكُمُ اللّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ » إلى قوله:

«أَنْ تَبَرُّوهُمْ ».

أى لا ينهيكم اللّه عن أن تبرّوهم قال نجم الأئمـة: و الذى أرى أنّ هذا وجه قريب فيكون فى نحو يا زيدون عسـى أن يقوموا قد جاء بما كان بـدلا من الفاعل مكان الفاعل و المعنى أيضا يساعد على ما ذهبوا إليه، لأنّ عسـى بمعنى يتوقّع، فمعنى عسـى زيد أن يقوم أى يتوقّع و يرجا قيامه و إنما غلب فيه بدل الاشـتمال لأنّ فيه اجمالا ثمّ تفصـيلا و فى إبهام الشـىء ثمّ تفسيره وقع عظيم لذلك الشى فىء النفس و قوله و لا يؤخـذ باكظامها عطف على قوله يتبيّن، و قوله: حيارى و جفاة و نكب بالجرّ صـفة لقوم، و قوله ما أنتم بوثيقـة بالجرّ على حـذف المضاف أو الموصوف أى بـذوى وثيقـة أو بعروة وثيقـة، و الباء فى قوله و لا يعـدلون به إما بمعنى عن كما ذهب إليه الكوفيّون فى قوله تعالى: فاسـئل به خبيرا، أى عنه و يؤيّده ما فى بعض النسخ بدل به عنه أوصلة بمعناها الأصلى.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام قاله عليه السّـلام فى مقام الاحتجاج على الخوارج حيث أنكروا عليه التحكيم، و قد مضـى فى شرح الخطبة الخامسة و الثلاثين كيفية التحكيم و بدء خروج الخوارج، و فى شرح الخطبة السادسة و الثلاثين احتجاجاته عليه السّلام معهم من كتابى المناقب لابن شهر آشوب و كشف الغمة لعلىّ بن عيسى الإربلى، و نقول هنا

قـد روى الطبرسـى فى الاحتجـاج احتجاجه معهم نحو ما قـدّمناه من المناقب و لا بأس بايراده هنا لاختلاف الروايتين و توضـيحا للمقام و تأكيـدا لما تقدّم فأقول: قال (ره): و روى أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أرسل عبد اللّه بن العباس إلى الخوارج و كان بمرئى منهم و مسـمع قالوا له فى الجواب: إنّا نقمنا يابن عباس على صاحبک خصالا کلّها مکفرة موبقـة تدعوا إلى النار أمّا أولها فانّه محا اسـمه من امرة المؤمنين ثمّ کتب ذلک بينه و بين معاوية فاذا لم يکن أمير المؤمنين و نحن المؤمنون فلسنا نرضى بأن يکون أميرنا و أمّا الثانية فانه شکّ فى نفسه حيث قال للحکمين انظرا فان کان معاويـة أحقّ بها فاثبتاه و إن کنت أولى بها فاثبتانى فاذا هو شکّ فى نفسه و لم يـدر أهو حقّ أم معاوية فنحن فيه أشدّ شکا و الثالثة أنه جعل الحکم إلى غيره و قد کان عندنا أحکم الناس و الرابعة أنه حکم الرّجال فى دين اللّه و لم يکن ذلک إليه.

و الخامسة أنه قسم بيننا الکراع و السّلاح يوم البصرة و منعنا النساء و الذريّة.

و السادسة أنه کان وصـيّا فضـيّع الوصيّة قال ابن عبّاس قد سمعت يا أمير المؤمنين مقالة القوم و أنت أحقّ بجوابهم، فقال عليه السّلام: نعم، ثمّ قال: يابن عبّاس قل لهم ألسـتم ترضون بحکم اللّه و حکم رسوله صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم؟ قالوا: نعم، قال: ابدء بما بدءتم به فى بدء الأمر ثمّ قال عليه السّلام:

کنت أکتب لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الوحى و القضايا و الشروط و الأمان يوم صالح أبا سفيان و سهيل بن عمرو فکتبت: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم هذا ما اصـطلح عليه محمّد رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم أبا سفيان بن صخر بن حرب و سهيل بن عمرو فقال سهيل إنا لا نعرف الرّحمن الرّحيم، و لا نقرّ أنّک رسول اللّه، و لکن نحسب ذلک شـرفا لک أن تقدّم اسمک قبل أسمائنا و ان کنا أسنّ منک و أبى أسنّ من أبيـک، فـأمرنى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فقال اکتب مکان بسم اللّه الرّحمن الرّحيم: باسـمک اللهمّ، فمحوت ذلک و کتبت باسمک اللهمّ و محوت رسول اللّه و کتبت محمّد بن عبد اللّه، فقال لى: إنک تدعى إلى

مثلهـا فتجيب و أنت مكره و هكـذا كتبت بينى و بين معاويـة و عمرو بن العاص: هـذا ما اصـطلح عليه أمير المؤمنين و معاويـة و عمرو بن العاص فقالا: لقد ظلمناک إن أقررنا أنک أمير المؤمنين و قاتلناک، و لکن اکتب علىّ بن أبى طالب، فمحوت کما محى رسول اللّه، فان أبيتم ذلک فقد جحدتم، فقالوا: هذه لک خرجت منها قال:

و أمّـا قولکم انى شـككت فى نفسـى حيث قلت للحكمين انظرا فان كان معاويـة أحق بها منّى فأثبتاه، فانّ ذلک لم يكن شـكا منّى، و لكنى أنصفت فى القول قال اللّه تعالى:

«وَ إِنّا أَوْ إِيّاكُمْ لَعَلى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ » و لم يكن ذلک شكا و قد علم اللّه أنّ نبيّه على الحقّ قالوا: و هذه لک قال عليه السّلام:

و أمّا قولکم إنى جعلت الحکم إلى غيرى و قد كنت عندكم أحكم النّاس، فهذا رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد جعل الحكم إلى سعد يوم بنى قريظة و قد كان من أحكم الناس فقد قال اللّه تعالى:

«لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » فتأسّيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قالوا: و هذه لک بحجّتنا قال:

و أمّـا قولکم إنّى حكمت فى دين اللّه الرّجال، فما حكمت الرّجال و إنما حكمت كلام الربّ الـذى جعله اللّه حكما بين أهله، و قـد حكم اللّه الرّجال فى طائر فقال:

«وَ مَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ ».

فدماء المسلمين أعظم من دم طائر قالوا، و هذه لک بحجّتنا قال:

و أمّا قولکم إنّى قسـمت يوم البصـرة لما اظفر اللّه بأصـحاب الجمل الكراع و السلاح و منعتكم النساء و الذريّة فانى مننت على أهل البصرة كما منّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

على أهل مكّة و ان كان عدوّا علينا أخذناهم بذنوبهم و لم نأخذ صغيرا بكبير، و بعد فايّكم كان يأخذ عايشة فى سهمه؟ قالوا: و هذه لک بحجّتنا قال:

و أمّا قولكم إنى كنت وصيّا و ضيّعت الوصيّة فأنتم كفرتم و قدمتم عليّ و أزلتم الأمر عنّى، و ليس على الأوصياء الدّعا إلى أنفسهم إنما يبعث الأنبياء عليهم السّلام فيدعون إلى أنفسهم، و أمّا الوصىّ فمدلول عليه مستغن عن الدّعاء إلى نفسه و ذلک لمن آمن باللّه و رسوله و لقد قال اللّه تعالى:

«وَ لِلّٰهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً » فلو ترک الناس الحجّ لم يكن البيت ليكفر بتركهم إيّاه و لكن كانوا يكفرون بتركهم لأنّ اللّه قد نصبه لهم علما و كذلک نصبنى علما حيث قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا على أنت منّى بمنزلة هارون من موسى، أنت منّى بمنزلة الكعبة تؤتى و لا تأتى، فقالوا هذه لک بحجّتنا فادعونا، فرجع بعضهم و بقى منهم أربعة آلاف لم يرجعوا ممّن كانوا قعدوا عنه، فقاتلهم و قتلهم إذا عرفت ذلک فأقول: إنّه قد ظهر لک من هذه الرّواية و من رواية، المناقب المتقدّمة أنّ من جملة ما نقم الخوارج عليه عليه السّلام تحكيمه للرّجال، و من جملته أنه عليه السّلام ضرب للتحكيم أجلا معيّنا، فساق هذا الكلام دفعا لشبهتهم و قال فى ردّ الأوّل و دفعه: إنّ دعويكم عليّ بتحكيم الرجال غير صحيحة ل (أنا لم نحكّم الرجال و انما حكّمنا القرآن و هذا القرآن انما هو خطّ مسطور بين الدفّتين لا ينطق بلسان و لا بدّ له من مفسّر و ترجمان و إنما ينطق عنه) و يترجمه (الرجال و لما دعانا القوم) أى أهل الشام (إلى أن نحكّم بيننا القرآن) حسبما مرّ تفصيله فى شرح الخطبة الخامسة و الثلاثين (لم نكن الفريق المتولى عن كتاب اللّه سبحانه و قد) ذمّ اللّه أقواما على ذلک حيث قال: و إذا دعوا إلى كتاب اللّه ليحكم بينهم تولّوا إلاّ قليلا منهم و هم معرضون بل لا بدّ لنا من التسليم و الاجابة امتثالا لأمره تعالى حيث (قال عزّ من قائل فان تنازعتم فى شىء فردّوه إلى اللّه و الرّسول)

و لما كان الردّ إلى اللّه و الرّسول مجملا محتاجا إلى التفسير و البيان فسّره بقوله (فردّه إلى اللّه) سبحانه (أن نحكم بكتابه) العزيز (و ردّه إلى الرّسول أن نأخذ بسنّته) القويمة (فاذا حكم بالصدق فى كتاب اللّه) أى بقول مطابق للواقع لا بتفسيره عن رأى و اعتقاد فاسد (فنحن أحقّ الناس به) أى باللّه أو بكتاب اللّه أو بالحكم الصّدق المستنبط من الكتاب و لوجب بمقتضاه الحكم بخلافتنا و وجوب المتابعة لنا لأنّ اللّه سبحانه قد قال فيه:

«أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ » و قال: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ ».

(و إن حكم بسنّة رسول اللّه) بالحقّ لا بتأويله عن هوى النفس (فنحن أولاهم بها) أى بالسنّة و فى بعض النسخ به أى بالحكم الحقّ المستفاد من السنّة أو أولاهم بالرّسول لقوله فيه أنت منّى بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدى، و غيره مما قال فيه من الأخبار الدالة على أولويته عليه السّلام حسبما قدّمناها فى شرح الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقية و غيرها أيضا و محصّل جوابه عليه السّلام انه لما نقموا عليه بتحكيم الرّجال أجاب لهم بأنّ القوم لما رفعوا المصاحف على الرّماح و دعونا إلى كتاب اللّه سبحانه و العمل بحكمه لم يسعنا التّولّى و الاعراض و إن كان دعوتهم فى الظاهر ايمانا و فى الباطن كفرا و عدوانا، فأجبنا إليهم دعوتهم و رضينا بالتحكيم بالقرآن، و حيث إنّ القرآن خطّ مسطور محتاج إلى المفسّر و المترجم قرّرنا الرجلين لمسيس الحاجة إلى التفسير و الترجمة، فالحكم فى الواقع و الحقيقة هو القرآن لا الرّجلان، و انما وجودهما توصّلا إلى التفسير و البيان و حاجة إلى المفسر و التّرجمان، مع انه قد مرّ غير مرّة أنّ رضاه عليه السّلام بالتحكيم كان إجبارا و اضطرارا، لا رغبة و اختيارا، هذا

و لما كان هناك مظنّة أن يقال إنّك بعد ما رضيت بالحكمين و لو من باب الحاجة إلى الترجمة فهلاّ انفذت قولهما و لم لم ترض بحكمهما؟ فأجاب عليه السّلام عنه بأنّ الواجب علينا اتّباعهما لو كانا يحكمان فى السنّة و الكتاب بالصدق و الصّواب و لو حكما بالحقّ لكنّا به أحقّ، لكنهما حكما بالهوى و الخطاء فلا يجب علينا الرضاء و الاتباع و لا التنفيذ و الامضاء، هذا.

و العجب من الشّارح المعتزلى حيث ذكر فى هذا المقام سؤالا ـ و جوابا ملخّصه أنه إذا كان البناء على تفسير الرجلين و ترجمتهما و حكمهما فى واقعة أهل العراق و أهل الشام بما فى القرآن دلالة عليه فمن الجائز اختلافهما فى تفسيره و تأويله و استدلال كلّ منهما بدليل يوافق غرضه أو تفسير كلّ منهما لآية واحدة على ما يطابق رأيه، إذ ليس فيه نصّ صريح يحسم مادّة النزاع و يرفع الخلاف من البين.

و أجاب بأنّ الحكمين لو تأمّلا الكتاب حقّ التّأمّل لوجد فيه النّص الصريح على خلافة أمير المؤمنين، لأنّ فيه النصّ الصّريح على أنّ الاجماع حجّة و معاوية لم يكن مخالفا فى هذه المقدّمة و لا أهل الشام، و إذا كان الاجماع حجّة فقد وقع الاجماع لما توفى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على أنّ اختيار خمسة من صلحاء المسلمين لواحد منهم و بيعته يوجب لزوم طاعته و صحّة خلافته، و قد بايع أمير المؤمنين خمسة من صلحاء الصحابة بل خمسون، فوجب أن تصحّ خلافته، و إذا صحّت خلافته نفذت أحكامه، فقد ثبت أنّ الكتاب لو تؤمّل حق التأمّل لكان الحقّ مع أهل العراق و لم يكن لأهل الشام ما يقدح فى استنباطهم المذكور، انتهى كلامه هبط مقامه.

أقول: أما قوله إنّ الحكمين لو تأمّلا الكتاب لوجدا فيه النّص الصريح على خلافة أمير المؤمنين، فهو حقّ لا ريب فيه، لأنّ الآيات الدالّة على خلافته عليه السّلام كثيرة لا تحصى، و قد مضى جملة منها فى مقدّمات الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقية و أشرنا إلى بعضها هنا أيضا.

و أما قوله لأنّ فيه النّص الصّريح على حجيّة الاجماع، فلا يخفى ما فيه من الخبط و الخطاء، لانّه مع وجود النّص من القرآن على أصل الخلافة لا داعى

إلى إقامته النّص على حجّية الاجماع ثمّ الاستدلال به على خلافته، و إنما هو أشبه شىء بالأكل من القفاء و لعلّ الشارح إنما التزم به لأجل حماية الحمى و ذابّا عن الخلفاء، لأنّه لو التزم بوجود النّص على أصل الخلافة لم يجد بدّا من الالتزام ببطلان خلافة المتخلّفين كالالتزام ببطلان خلافة معاوية، و فى ذلك ابطال ما اختاره من المذهب و الدّين.

و بعد الغضّ عن ذلك أقول: أىّ نصّ صريح فى القرآن على حجّية الاجماع فانّ الآيات التى استدلّ بها الجمهور عليها من قوله سبحانه:

«وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلّى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ » و قوله: «وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً » و قوله: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » و قوله: «فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَ الرَّسُولِ ».

و غير ذلك مما استدلوا بها عليها جلّها بل كلّها غير خال عن المناقشة و الفساد كما نبّه عليه الفحول فى كتب الاصول، فانظر إلى كتابى التّهذيب و النّهاية للعلامة الحلّى طاب ثراه تجد صدق ما قلناه و بعد التنزل و التسليم أقول: غاية الأمر أنّ هذه الأدلّة من قبيل الظّواهر لا من قبيل النصوص، ثمّ لا أدرى ما ذا يريد بقوله: فقد وقع الاجماع لما توفى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى قوله: و صحّة خلافته، و أى شىء كان غرضه من اقحامه فى البين مع عدم ربطه بالدعوى و عدم الحاجة إليه فى اثبات المدّعى، لأنّه إذا دلّ الدليل من القرآن على حجّية الاجماع، و قام الاجماع على خلافة أمير المؤمنين فتثبت خلافته

من غير حاجـة إلى مقدّمة اخرى اللّهم إلاّ أن يقال بأنّ غاية ما دلّ عليه القرآن هو حجّية الاجماع و أما أنّ المعتبر فى حصول الاجماع على البيعـة هل هو اتفاق الكلّ أو يكفى اتفاق البعض و على الثانى فأقلّ ما يحصل به هل هو اتفاق سـبعة أو خمسة أو ثلاثة أم يكفى الاثنان كما ذهب إلى كلّ منها قوم، فهـذا شـىء لا دلالـة فى القرآن عليه فاحتيـج فى تعيين القدر المعتبر فى حصوله إلى دليل آخر فذكر هذه المقدّمة لاثبـات أنّ المعتبر فيه هو اتفـاق الخمسـة لاـ الزائـد، فعلى هـذا فلا تكون تلك المقدّمـة مسـتغنا عنها، اذ على فرض اعتبار اتفاق الكلّ فى حصوله لا ينهض هذا الدليل على اثبات المدّعى كما لا يخفى إلاّ انّه يتوجّه عليه أنه بعد اشتراط اعتبار الخمسة فى مقام الاختيار و البيعة لا بـدّله من الالتزام ببطلان خلافـة أبى بكر، لما قـد مرّ فى المقصد الثانى من المقدّمة الثانية من مقدّمات الخطبة الشقشـقية من أنّ خلافته لم تنعقـد إلاّ ببيعـة عمر و أبى عبيدة و سالم و لـم يكن هنالك خمسة نفر، و قد مضـى ثمّة حكاية كلام من صاحب المواقف و شارحه ينفعك ذكره فى هذا المقام و لو سلّمنا وجود خمسة أيضا حينئذ لما يجديه لاشتراطه فى الخمسة هنا أن يكونوا من صلحاء المسلمين، و من الواضح أنّ الصـلحاء يومئذ قد كانوا من المنكرين لخلافته لا المبايعين و إنما بايعه طغاة(1) طغام و عبيد كالأنعام و تخلّف عنه وجوه الصـحابة فى بيت أمير المؤمنين ثمّ أخرجوا ملبّبين و بايعوا مكرهين كما عرفت ذلک كلّه فى مقـدمات الخطبـة الشقشـقيّة و غيرها هـذا كلّه على التنزّل و المماشاة، و إلاّ فقد قـدّمنا فى مقـدّمات الخطبة المذكورة من أنّ الامامة لا تكون إلاّ بالنصّ من اللّه و رسوله لاشتراط العصـمة فيه التى لا يعرفها إلاّ اللّه و رسوله، و لا تنعقد ببيعة أجلاف العرب و لا أشرافها كما لا تبطل بعدم بيعتهم فافهم ذلک و اغتنم و بالهدى فاستقم، هذا

1- (1) الطغاة جمع الطاغى و الطغام بالطاء لمهملة و الغين المعجمة الاوغاد و السفلة من الناس منه،

و قـال عليه السّـلام فى ردّ الثـانى (و أما قولكم لم جعلت بينكم و بينهم أجلا فى التحكيم فانما فعلت ذلك ليتبيّن الجاهل) و يظهر له وجه الحقّ (و يتثبت العالم) و يطمئنّ قلبه (و لعلّ اللّه أن يصلح فى هذه الهدنة) و المصالحة (أمر هذه الامة) المفتونة (و) انما فعلته أيضا لئ (لا تؤخذ) الامة (بأكظامها) أى مجارى أنفاسها (فتعجل عن تبيّن الحقّ و تنقاد لأوّل الغيّ) و هو أوّل شبهة عرضت لهم من رفع المصاحف.

يعنى أنى لو أعجلت فى الأمر و تركت ضـرب الأجل بينى و بينهم و التنفيس عنهم لا لجأهم الارهاق و ضيق الخناق إلى البقاء على الجهل و العمى و الانقياد إلى الغيّ و الغوى و عدم ظهور وجه الحقّ و الهدى و هو مناف للغرض المطلوب للشارع و مخالف للمقصود (إنّ أفضل الناس عنـد اللّه) سبحانه (من) آثر الحقّ و (كان العمل بالحقّ أحبّ اليه و إن نقصه و كرثه) أى يوجب لنقصانه و يوقعه فى الشدّة و المشـقة (من الباطل و إن جرّ اليه فائـدة و زاده)ثمّ قال (فأين يتاه بكم) و تذهبون فى التيه و الحيرة (و من أين اتيتم) أى من أىّ وجه أتاكم الشـيطان و استحوذ عليكم، أو من أىّ المداخل دخلت عليكم الشبهة و الحيلة و الاستفهام على التعجّب.

ثمّ حثّهم على الجهاد و قال (اسـتعدّوا للمسير إلى قوم حيارى عن الحقّ) متحيّرين عنه (لا يبصرونه و موزعين) ملهمين (بالجور لا يعدلون به) أى عنه إلى غيره أو لا ـ يجعلون له مثلا ـ و عـديلا (جفاة عن الكتاب) بعيـدون عنه (نكب عن الطريق) أى عادلون عن طريق الهـدى إلى سمت الرّدى ثمّ وبّخهم على التثاقل و التساهل فقال (ما أنتم) (ب) عروة (وثيقـة يعلق) و يتمسك (بها) عند القتال (و لا زوافر عزّ يعتصم) و يلتجـاء (اليهـا) عنـد براز الأبطـال (لبئس حشـاش نار الحرب أنتم افّ لكم لقـد لقيت منكم ترحا) أى شـدّة و أذى (يوما اناديكم) جهارا للحثّ على الجهاد (و يوما اناجيكم) سرّا بتدبير امور الحرب و الارشاد إلى الرشاد (فلا أحرار صدق عند النداء) حتّى تنصرون و تحمون (و لا اخوان ثقة عند النجاء) حتّى تكتمون السرّ و تحفظون

الترجمة

از جملۀ کلام بلاغت نظام آن امام عالیمقام است در خصوص تحکیم عمرو عاص و أبی موسی اشعری و رد کردن شبهۀ خوارج فرمود که بدرستی ما حکم نگردانیدیم مردمان را، بلکه حکم قرار دادیم ما قرآن را و این قرآن جز این نیست که خطی است نوشته شده میان دو جلد که نطق نمی کند بزبان، و ناچار است مر او را از ترجمان، و جز این نیست که گویا می شود از آن مردمان، و هنگامی که دعوت کرد ما را قوم معاویه ملعون به آن که حاکم گردانیدیم در میان خود قرآن را نشدیم گروهی که اعراض نماید از کتاب خدا و حال آنکه خدا فرموده در کتاب مجید: فان تنازعتم فی شیء فردّوه إلی اللّه و الرسول، یعنی پس اگر نزاع کردید در چیزی از امور دنیا و آخرت پس ردّ کنید آنرا بسوی خدا و رسول، پس ردّ کردن شیء متنازع فیه بسوی خدا آنست که حکم کنیم با کتاب خدا، و رد کردن آن بسوی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم آنست که أخذ کنیم سنت و طریقۀ او را، پس اگر حکم کرده شود بصدق و راستی در کتاب خدا پس ما سزاوارترین مردمانیم بآن، و اگر حکم کرده شود بطریقۀ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم پس ما اولویّة داریم بآن.

و أما قول شما که چرا گردانیدی در میان خود و میان ایشان مدّتی معین در تحکیم، پس جز این نیست که کردم آنرا تا دانا شود جاهل، و تأمل نماید عالم و شاید که خداوند اصلاح نماید در این مدّت مصالحه أمر این امّت را، و بتنگی نیفتد و گرفته نشود مجاری نفس ایشان، پس شتابانیده شوند از دانستن حقّ، و گردن نهاده شوند مر اول گمراهی را، بدرستی أفضل مردمان در نزد خداوند تعالی کسی است که عمل کردن بحقّ محبوب تر باشد بسوی او اگر چه نقصان برساند باو، و اندوهگین نماید او را از عمل کردن بباطل اگر چه جلب منفعت کند بسوی او.

پس از کجا بحیرت افتاده شدید و از کجا آمده شدید یعنی از کجا آمد شیطان

ص:181

ملعون بسوی شما و مسلّط گردید بر شما مهیا شوید برای رفتن بسوی جهاد قومی که حیران و سرگردانند از راه حق که نمی بینند آن را، و الهام شدند بظلم و ستم که عدول نمی کنند از آن و دورانند از فهم مضامین کتاب، و اعراض کنندگانند از راه صواب.

نیستید شما صاحبان وثوق که تمسک بشود باو، و نه أعوان و أنصار عزّت که چنگ زده شود به آنها، هر آینه بد فروزندگان آتش حربید شما، دلتنگی باد شما را هر آینه ملاقات کردم از شما بشدّت و أذیّت، یک روزی صدا میکنم شما را از برای جنگ در راه خدا، و یک روز نجوی میکنم با شما از تدبیر امور أعداء، پس نیستید شما از مردانی که صفت آزادی و حمیّت در آنها هست در وقت نداء، و نه برادرانی که اعتماد می شود بر ایشان هنگام رازگوئی و نجوی.

و من کلام له علیه السّلام لما عوتب علی التسویة فی العطاء

اشارة

و تصییره الناس اسوة فی العطاء من غیر تفضیل اولی

السابقات و الشرف و هو المأة و السادس و العشرون

من المختار فی باب الخطب

و قد روی بطریق آخر علی اختلاف تطلع علیه أ تأمرونیّ أن أطلب النّصر بالجور فیمن ولّیت علیه، و اللّه ما أطور به ما سمر سمیر و ما أمّ نجم فی السّماء نجما، لو کان المال لی لسوّیت بینهم، فکیف و إنّما المال مال اللّه، ألا و إنّ إعطاء المال فی غیر حقّه تبذیر و إسراف، و هو یرفع صاحبه فی الدّنیا، و یضعه فی الآخرة، و یکرمه فی النّاس، و یهینه عند اللّه، و لم یضع امرؤ ماله فی غیر

حقّه و لا عند غير أهله إلاّ حرّمه اللّه شكرهم، و كان لغيره ودّهم، فإن زلّت به النّعل يوما فاحتاج إلى معونتهم فشرّ خدين، و ألئم خليل.

اللغة

(الأسوة) بالضمّ القدوة و تصيير النّاس اسوة التّسوية بينهم كأنّ كلاّ منهم قدوة صاحبه و (تأمرونّى) بالتّشديد أصله تأمرونني بنونين فاسكنت الاـولى و ادغمت فى الثّانيـة قال تعالى: أ فغير اللّه تأمرونّى أعبـد أيّها الجاهلون و (وليت) الشـىء و عليه وزان رضـيت إذا ملكت أمره و فى بعض النسخ وليّت بالبناء على المفعول من باب التّفعيل أى ولاتّى اللّه عليه و (طار) حول الشىء يطور طورا إذا حام.

و (ما سمر سمير) قال فى القاموس: السّمر محرّكة اللّيل و حديثه، و ما أفعله ما سمر سمير، أى ما اختلف اللّيل و النّهار، قال الطّريحى سمر فلان إذا تحدّث ليلا، و الاسامرة هم الّذين يتحدّثون ليلا، قال: و فى حديث علىّ عليه السّلام لا يكون ذلك ما سـمر سـمير أى ما اختلف اللّيل و النّهار، و المعنى لا يكون ذلك أبدا، و هو من كلام العرب يقولون: ما أفعله ما سمر السّمير قال الجوهرى: و ابنا سمير اللّيل و النّهار يسمر فيهما، تقول: ما أفعله ما سمر بنا سمير أى أبدا، و لا أفعله السّمر و القمر أى ما دام الناس يسمرون فى ليلة القمر، و فى شرح المعتزلى السّمير الدّهر و ابناه اللّيل و النهار و (الخدين) الصّديق من خادنت الرّجال أى صادقته

الاعراب

الباء فى قوله بالجور للمقابلة، و فى قوله زلّت به النّعل للتّعدية، و الباقى واضح.

المعنى

اعلم أنّ سـنّة رسول اللّه قـد كانت جاريـة فى تقسـيم بيت المال و الفىء و الصّدقات على العدل و التسوية من غير ترجيح و تفضـيل لاولى الشّرف و السّابقات على غيرهم و لما ولى أبو بكر حذا حذوه، و لمّا ولىّ عمر ترك السنّة و بنى فى العطية على

الترجيح و التفضيل حسب ما تطلع عليه بتفصيل، و لمّا ولىّ عثمان بلغ فى ذلک الغاية و أعطى الناس على ما يراه و سلک فى الاعطاء اليهم بمقتضى هواه حسب ما عرفته فى شرح الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقية.

فلمّا قام أمير المؤمنين عليه السّلام بالأمر و قد كان النّاس اعتادوا التّفضيل و الترجيح أزمنة متطاولة و مدّة متمادية و أرادوا التسوية فى العطيّة و العمل بسنّة الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شقّ ذلک على الناس و صعب عليهم تغيير العادة و كان ذلک سببا لنقض البيعة من زبير و طلحة و آكد أسباب تقاعد الناس عنه عليه السّلام و لحوقهم بمعاوية حيث رأوا منه الصّنيعة حسب ما عرفته فى شرح الخطبة الرابعة و الثلاثين.

فعند ذلک مشى إليه طائفة من أصحابه و سألوه تفضيل اولى السّابقات و الشرف فى العطاء أى تفضيل ذوى الخصال الحميدة من السّبق فى الاسلام و الهجرة و شهود الحروب من البدر و الأحزاب و سائر الخطوب و ذوى المجد و الشرف و المتّصفين بعلوّ الحسب و النّسب.

فلمّا سألوه ذلک أجابهم عليه السّلام بقوله:(أ تأمرونّى أن أطلب النّصر بالجور)استفهام على سبيل التقريع و التوبيخ: أى كيف تأمروننى أن أطلب النّصر منكم بالجور و الظلم (فى) حقّ (من ولّيت عليه) و ملكت أمره من المسلمين الذين لا سوابق لهم و لا شرف فى حسبهم و نسبهم بنقصهم فى العطاء عن غيرهم و بخسهم حقّهم كما فعله عمر و عثمان (و اللّه ما أطور به) و لا أحوم حومه (ما سمر سمير) و اختلف اللّيل و النّهار (و ما أمّ) و قصد (نجم فى السّماء نجما) أى دائما لأنّ النجوم لا يزال يقصد بعضها بعضا بحركتها.

(لو كان المال لى لسوّيت بينهم) تبعا لسيرة الرّسول و سنّته و قضاء لحقّ المواساة (فكيف و إنما المال مال اللّه) و الفقراء عيال اللّه فلا ينبغى إزواء ماله عن عياله و صرفه إلى غيره.

ثمّ نبّه عليه السّلام على مفاسد صرف المال فى غير أهله بقوله (ألا و إنّ إعطاء المال فى غير حقّه تبذير و إسراف) و قد نهى اللّه عنه و قال:

«إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ » و قال: «وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ».

(و هو يرفع صاحبه فى الدّنيا و يضعه فى الآخرة و يكرمه فى النّاس و يهينه عند اللّه) ثمّ نبّه على ما يترتّب على وضع المال فى غير محلّه فى الدّنيا بقوله (و لم يضع امرؤ ماله فى غير حقّه و لا عند غير أهله) رجاء للمكافاة و الجزاء أو توقّعا للشكر و الثناء (إلاّ حرّمه اللّه شكرهم و كان لغيره ودّهم فان زلّت به النّعل يوما) أى إذ اعثر و افتقر يوما (فاحتاج إلى معونتهم ف) هم إذا (شرّ خدين) و صديق (و ألئم خليل) و رفيق كما هو معلوم بالتجربة مشاهد بالعيان.

تنبيه

اشارة

قد أشرنا إلى أنّ أوّل من فتح باب التفضيل فى الصّدقات لاولى الشرف و السّابقات هو عمر بن الخطاب، فحذا حذوه عثمان بن عفّان، و تبعها معاوية بن أبى سفيان، فنبذوا كتاب اللّه وراء ظهورهم، و غيّروا سنّة رسول اللّه، و كان ذلک من أعظم المطاعن على فاتح الباب، حيث خالف السّنّة و الكتاب، و ترتّب على ذلک من المفاسد ما لا يحصى، و من البدعات ما لا تستقصى، و لا بأس باشباع الكلام فى هذا المرام تنبيها على ما ترتّب عليه من الهفوات و الآثام فأقول: قال الشارح المعتزلى فى شرح هذا الكلام، و اعلم أنّ هذه مسألة فقهيّة و رأى علىّ و أبى بكر فيه واحد، و هو التسوية بين المسلمين فى قسمة الفىء و الصّدقات، و إلى هذا ذهب الشّافعى، و أمّا عمر فانّه لما ولى الخلافة فضّل بعض النّاس على بعض: فضّل السّابقين على غيرهم، و فضّل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين، و فضّل المهاجرين كافّة على الأنصار كافّة، و فضّل العرب على العجم، و فضّل الصّريح على المولى، و قد كان أشار على أبى بكر أيّام خلافته فلم يقبل: و قال: إنّ اللّه لم يفضّل أحدا على أحد و لكنه قال: انّما الصّدقات للفقراء و المساكين، و لم يخصّ قوما دون قوم فلمّا أفضت إليه الخلافة عمل بما

كان أشار أوّلا قال: و قد ذهب كثير من فقهاء المسلمين إلى قوله، و المسألة محلّ اجتهاد و للامام أن يعمل بما يؤدّيه اليه اجتهاده و إن كان اتباع علىّ عليه السّلام عندنا أولى لا سيّما إذا عضده موافقة أبى بكر، و إن صحّ الخبر أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سوّى فقد صارت المسألة منصوصا عليها، لأنّ فعله عليه السّلام كقوله، انتهى أقول: كون المسألة منصوصة لا غبار عليها حسبما تعرفه، و الاجتهاد فى مقابل النّص باطل و قال الشّارح فى شرح الكلام المائتين و الأربعة و العشرين عند ذكر مطاعن عمر: إنّه كان يعطى من بيت المال ما لا يجوز حتّى أنّه كان يعطى عايشة و حفصة عشرة آلاف درهم فى كلّ سنة، و منع أهل البيت خمسهم الذى يجرى مجرى الواصل إليهم من قبل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و انه كان عليه ثمانون ألف درهم من بيت المال على سبيل القرض إلى أن قال: و نحن نذكر ما فعله عمر فى هذا الباب مختصرا نقلناه من كتاب أبى الفرج عبد الرحمن بن علىّ ابن الجوزى المحدّث فى أخبار عمر و سيرته.

روى أبو الفرج عن سلمة بن عبد الرحمن قال استشار عمر الصّحابة بمن يبدء فى القسم و الفريضة، فقالوا ابدء بنفسك، فقال بل أبدأ بآل رسول اللّه و ذوى قرابته فبدء بالعبّاس.

قال ابن الجوزى: و قد وقع الاتّفاق على أنّه لم يفرض لأحد أكثر ممّا فرض له، و روى أنه فرض له اثنا عشر ألفا و هو الأصحّ.

ثمّ فرض لزوجات رسول اللّه لكلّ واحدة عشرة آلاف، و فضّل عايشة عليهنّ بألفين فأبت فقال: ذلك بفضل منزلتك عند رسول اللّه فإذا أخذت فشأنك، و استثنى من الزوجات جويريه و صفيّة و ميمونة، ففرض لكلّ واحدة منهنّ ستة آلاف، فقالت عايشة: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يعدل بيننا، فعدل عمر بينهنّ و ألحق هولاء الثلاث بسايرهنّ

ثمّ فرض للمهاجرين الـذين شـهدوا بـدرا لكلّ واحد خمسة آلاف و لمن شـهدها من الأنصار لكلّ واحد أربعة آلاف، و قد روى انّه فرض لكلّ واحد ممن شهد بدرا من المهاجرين أو من الأنصار أو من غيرهم من القبائل خمسة آلاف.

ثمّ فرض لمن شهد احدا و ما بعدها إلى الحديبيّة أربعة آلاف، ثمّ فرض لكلّ من شهد المشاهد بعد الحديبيّة ثلاثة آلاف، ثمّ فرض لكلّ من شهـد المشاهـد بعـد وفاة رسول اللّه ألفين و خمسـمائة و ألفين و ألفا و خمسـمائة و ألفا واحدا إلى مأتين و هـم أهل هجر و مات عمر على ذلک قال ابن الجوزی و ادخل عمر فی أهل بـدر ممن لم يحضـر بدرا أربعة: و هـم الحسن و الحسـين و أبو ذر و سـلمان ففرض لكلّ واحد منهم خمسة آلاف.

قـال ابن الجوزی و روی السّـدی أنّ عمر كسـا أصـحاب النبیّ صـلّی اللّه عليه و آله و سـلّم فلم يرتض فی الكسوة ما يستصـلحه للحسن و الحسين عليهما السّلام فبعث إلى اليمن فاتی لهما بكسوة فاخرة، فلما كساهما قال: الآن طابت نفسی.

قال ابن الجوزی: فأمّا ما أعتمـده فی النساء فانّه جعل نساء أهل بـدر على خمسـمائة، و نساء من بعد بدر إلى الحديبيّة على أربعمائة، و نساء من بعد ذلک على ثلاثمأة، و جعل نساء أهل القادسيّة على مأتين ثمّ سوّى بين النساء بعد ذلک.

قال الشارح بعد رواية ما أوردنا: و لو لـم يدلّ على تصويب عمر فيما فعله إلاّ اجماع الصحابة و اتّفاقهم عليه و ترک الانكار لذلک، كان كافيا و قال ثمّة أيضا بعد ما ذكر جواب قاضـی القضاة عن ذلک الطّعن و اعتراض المرتضـی (ره) عليه بأنّ تفضيل الأزواج لا سبب فيهنّ يقتضی ذلک و إنّما يفضّل الامام فی العطاء ذوی الأسـباب المقتضـية لذلک مثل الجهاد و غيره من الامور العامّ نفعها للمسلمين ما لفظه: و كيف يقول المرتضـی ما جاز أن يفضّل أحدا إلاّ بالجهاد و قد فضّل الحسن و الحسـين على كثير من أكابر المهاجرين و الأنصار و هما صبيّان ما جاهـدا و لا بلغا الحلم بعد، و أبوهما أمير المؤمنين موافق على ذلک راض به غير منكر له، و هل فعل عمر ذلک إلاّ لقربهما من رسول اللّه؟ انتهى

ص:187

اقول لا يخفى ما فى ذلك من وجوه الكلام و ضروب الملام

اشارة

اما اولا فلأنّ كون القسم بالسّوية موافقا للسنّة و منصوصا عليه ممّا لا غبار عليه، و مخالفة عمر لها فى ابداع التفضيل و كونه بدعة لا خفاء فيه و يدلّ على ذلک ما رواه فى البحار من البخارى و مسلم و غيرهما بأسانيد عديدة أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال للأنصارى فى مقام التّسلية قريبا من وفاته: ستلقون بعدى اثرة فاصبروا حتّى تلقونى على الحوض، و هل يرتاب عاقل فى أنّ هذا القول بعد أن كان يسوى بين المهاجرين و الأنصار مدّة حياته إخبار بما يكون بعده من التّفضيل و يتضمّن عدم إباحته و عدم رضاه به و ما تقدّم آنفا فى رواية ابن الجوزى من قول عايشة لعمر انّ رسول اللّه كان يعدل بيننا و ما تقدّم أيضا فيكلام الشارح من قول أبى بكر لعمر إنّ اللّه لم يفضّل أحدا على أحد و لكنه قال:

«إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ ».

و لم يخصّ قوما دون قوم، و يفيده أيضا تسوية أمير المؤمنين فى التقسيم، و هو يدور مع الحقّ و الحقّ يدور معه حيثما دار، بنصّ الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما تظافرت به الروايات من طرق المخالف و المؤالف، و احتجاجه على المهاجرين و الأنصار لمّا كرهوا عدله فى القسمة بمخالفة التّفضيل للشريعة بما مرّ فى هذا الكلام الذى شرحناه بقوله: أتأمرونّى أن أطلب النصر بالجور، و قوله: ألا و إنّ إعطاء المال فى غير حقّه تبذير و إسراف، و احتجاجه على طلحة و الزبير بما يأتى إن شاء اللّه فى الكلام المأتين و الأربعة من قوله: و أما ما ذكرتما من أمر الاسوة فانّ ذلک أمر لم احكم أنا فيه برأى ولا وليته هوى منى بل وجدت أنا و أنتما ما جاء به رسول اللّه قد فرغ منه فلم احتج اليكما فيما قد فرغ اللّه من قسمه و امضى فيه حكمه فليس لكما و اللّه عندى و لا لغير كما فيهذا عتبى.

فلو كان رسول اللّه يقسّم على التفضيل لاحتجّ به عمر على أبى بكر و لأقام المهاجرون و الأنصار و طلحة و الزبير بذلک على أمير المؤمنين حجّة

و العجب من الشّارح أنه مع ذلك كلّه يشكّ فی کون المسألـة منصوصا عليها و مع ما قاله فی بعض كلامه من قوله فان قلت: إن أبا بكر قد قسّم بالسوية كما قسّمه أمير المؤمنين عليه السّلام و لم ينكروا عليه كما أنكروا على أمير المؤمنين عليه السّلام.

قلت: قسّم أبو بكر محتذيا بقسم رسول اللّه، فلما ولی عمر الخلافة و فضّل قوما على قوم ألفوا ذلک و نسوا تلک القسـمة الاولى و طالت أيام عمر و اشـربت قلوبهم حبّ المال و كثرة العطاء، و أمّا الـذين اهتضـموا فقنعوا و مرنوا على القناعـة و لـم يخطر لأحـد من الفريقين أنّ هـذا الحال تنقض و تتغيّر بوجه ما، فلمّا ولی عثمان أجرى الأمر على ما كان عمر يجريه فازداد وثوق العوام بـذلک، و من ألف أمرا شقّ عليه فراقه و تغيير العادة فيه، فلمّا ولیّ أمير المؤمنين أراد أن يردّ الأمر إلى ما كان فی أيّام رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و أبی بكر و قـد نسـی ذلک و رفض و تخلّل بين الزمانين اثنتان و عشرون سنة، فشقّ ذلک عليهم و أكبروه حتى حدث ما حدث من نقض البيعة و مفارقة الطاعة و للّه أمر هو بالغه، انتهى و أقول: مضافا إلى هـذا كلّه إنّه لو كان إلى جواز التّفضـيل و مصانعة الرّؤساء و الأشـراف للمصالح سبيل، لما عدل أمير المؤمنين إلى العـدل و التّسويـة مع ما رآه عيانا من تفرّق أصـحابه لـذلک، و تقاعد النّاس عنه و لحوقهم بمعاوية حيثما عرفته فی شـرح الخطبـة الرّابعـة و الثّلاثين، و من نقض طلحة و الزّبير بيعته حسـبما عرفته فيما تقدّم و تعرفه مفصّلا أيضا إنشاء اللّه تعالى فی شـرح الكلام المأتين و الأربعـة، و لما أختار فيه إراقـة الـدّماء و حـدوث الفتن، و لما كان يمنع عقيلا صاعا من برّ فيذهب إلى معاوية، إلى غير ذلک ممّا ترتّب عليه و أما ثانيا فلأنّ استدلال الشّارح على تصويب عمر فيما فعله باجماع الصحابة فيه:

أولاـ منع الاجمـاع إذ لم يجمع على ذلـک إلاّ أجلاف العرب و الخاضـمون لمال اللّه خضم الابل نبتـة الرّبيع، و النّاس أبناء الـدّنيا يحبّون المال حبّا جمّا

ص:189

و يأكلونه أكلا لمّا، فاذا وصل اليهم منه منافع جزيلـة و فوائـد جليلة و انتفعوا بها فى دنياهم و كانوا أهل يسار و ثروة بعد ما كانوا ذوى فقر و فاقة و خصاصة كيف ينكرون فعله.

و ثانيا منع حجّية ذلك الاجماع خصوصا مع مخالفته لسنّة الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أما ثالثا فلأنّ ما ذكره الشّارح فى الاعتراض على المرتضـى من عدم انحصار اسباب التفضيل فى الجهاد و جواز كون سببه رعاية القرابة من رسول اللّه مستدلاّ بتفضيل الحسنين عليهما السّلام مع رضاء أبيهما و عدم إنكاره له فيه:

انّ عدم انحصار السبب فى الجهاد على فرض جواز أصل التّفضيل مسلّم، و اعتراضه على المرتضى بذلك حقّ إلاّ أنّ أصل التّفضيل ممنوع كما عرفته، و رعاية عمر لقرابة رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم باطل إذ لو كان ملاحظا للقرابة لما منع بضعة الرّسول و ابنته البتول من حقّها كما هو ظاهر لا يخفى.

و أمّا رضاء أمير المؤمنين بتفضـيل الحسـنين عليهما السّلام فامّا أنه للتّقيّة، أو لأنّه لمّا حرمهم حقّهم من الخمس و الفىء و الانفال أخذا ما أخذا عوضا من حقوقهم.

قـال فى البحـار: و يمكن أن يقـال لمـّا كان أمير المؤمنين عليه السّـلام ولىّ الأمر فلعلّ ما أخـذا صـرفه فى مصارفه و كان الأخـذ من قبيل الاسـتنقاذ من الغاصب و الاسـتخلاص من السّارق، إذا عرفت ذلك فلنشـر إلى ما ترتّب على هذه البدعة و ما أثمرته هذه الشـجرة الملعونة فأقول:

قال العلامة المحدث المجلسى:

و اعلم أنّ أكثر الفتن الحادثة فى الاسـلام من فروع هذه البدعة، فانّه لو استمرّ النّاس على ما عوّدهم الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من العـدل و جرى عليه الأمر فى أيّام أبى بكر لما نكث طلحة و الزبير بيعة أمير المؤمنين عليه السّـلام، و لم تقم فتنة الجمل، و لم يسـتقرّ الأمر لمعاويـة، و لا تطرّق الفتور إلى أتباع أمير المؤمنين و أنصاره و لو كان المنازع له فى أوّل خلافة معاوية لدفعه بسـهولة، و لم ينتقل الأمر إلى بنى اميّة، و لم يحدث ما أثمرته تلك الشّجرة الملعونة من إراقة الدّماء المعصومة و قتل

الحسين و شيوع سبّ أمير المؤمنين على المنابر، ثمّ انتقال الخلافة إلى بنى العبّاس و ما جرى من الظلم و الجور على أهل البيت و على سائر أهل الاسلام و قد كان من الدّواعى على الفتن و الشرور بدعته الاخرى و هى الشّورى اذ جعل طلحة و الزبير مرشّحين للخلافة نظيرين لأمير المؤمنين عليه السّلام فشقّ عليهما طاعته و الصّبر على الاسوة و العدل، و هذا فى غاية الوضوح و قد روى ابن عبد ربّه فى كتاب العقد على ما حكاه العلاّمة عنه فى كشف الحقّ قال: إنّ معاوية قال لابن الحصين: أخبرنى ما الّذى شتّت أمر المسلمين و جماعتهم و فرّق ملائهم و خالف بينهم؟ فقال: قتل عثمان، قال: ما صنعت شيئا، قال: ما عندى غير هذا يا أمير المؤمنين قال: فأنا أخبرك أنّه لم يشتّت بين المسلمين و لا فرّق أهوائهم إلاّ الشّورى جعلها عمر فى ستّة ثمّ فسّر معاوية ذلك فقال: لم يكن من السّتّة رجل إلاّ هواها لنفسه و لقومه، و تطلّعت إلى ذلك نفوسهم، و لو أنّ عمر استخلف كما استخلف أبو بكر ما كان فى ذلك اختلاف، و قد تمّ اثارة الفتنة باغواء معاوية و عمرو بن العاص و اطماعهما فى الخلافة. و كان معاوية عامله على الشّام و عمرو بن العاص عامله و أميره على مصر، فخاف أن يصير الأمر إلى علىّ فقال لما طعن و علم أنّه يموت: يا أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تناصحوا فان لم تفعلوا عليكم عليها عمرو بن العاص و معاوية بن أبى سفيان روى ذلك ابن أبى الحديد ثمّ حكى عن شيخنا المفيد (ره) أنّه قال: كان غرض عمر بالقاء هذه الكلمة إلى النّاس أن تصل إلى عمرو بن العاص و معاوية فيتغلّبا على مصر و الشّام لو أفضى الأمر إلى علىّ عليه السّلام و بالجملة جميع ما كان و ما يكون فى الاسلام من الشّرور إلى يوم النشّور إنما أثمرته شجرة فتنته فغرس أصل الفتن يوم السقيفة، و ربى بما أبدعه من التفضيل فى العطاء و وضع الشّورى و غير ذلك، فهو السّهيم فى جميع المعاصى و الجرائم، و الحامل لجملة الأوزار و الآثام.

ص:191

تكملة

قد مرّ رواية هذا الكلام له عليه السّلام فى شرح الخطبة الرّابعة و الثّلاثين عن علىّ بن سيف المداينى باختلاف عرفته و رواه أيضا فى مجلدّ الفتن من البحار من كتاب الغارات لإبراهيم بن محمّد الثّقفى عن محمّد بن عبد اللّه بن عثمان عن علىّ بن سيف عن أبى حباب عن ربيعة و عمارة قال: إنّ طائفة من أصحاب علىّ مشوا إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال و فضّل هؤلاء الأشراف من العرب و قريش على الموالى و العجم، و من تخاف خلافه من النّاس و فراره، و إنّما قالوا له ذلک للّذى كان من معاوية يصنع بمن أتاه، فقال لهم علىّ: أتأمرونّى أن أطلب النّصر بالجور، و اللّه لا أضلّ «أفعل ظ» ما طلعت شمس و مالاح فى السّماء نجم، و اللّه لو كان ما لهم لى لو اسيت بينهم فكيف و ما هى إلاّ أموالهم.

قال ثمّ أرمّ طويلا ساكتا ثمّ قال: من كان له مال فايّاه و الفساد فانّ إعطاء المال فى غير حقّه تبذير و اسراف، و هو ذكر لصاحبه فى الدّنيا و يضعه عند اللّه و لم يضع رجل ماله فى غير حقّه و عند غير أهله إلاّ حرمه اللّه شكرهم، و كان لغيره ودّهم، فان بقى معه من يودّه و يظهر له البشر فانّما هو ملق و كذب و إنّما ينوى أن ينال من صاحبه مثل الذى كان يأتى إليه من قبل، فان زلّت بصاحبه النعل فاحتاج إلى معونته و مكافاته فشرّ خليل و ألأم خدين، و من صنع المعروف فيما آتاه اللّه فليصل به القرابة، و ليحسن فيه الضّيافة، و ليفکّ به العانى، و ليعن به الغارم و ابن السّبيل و الفقراء و المهاجرين، و ليصبر نفسه على الثّواب و الحقوق، فانّ الفوز بهذه الخصال شرف مكارم الدّنيا و درک فضايل الآخرة.

و رواه أيضا فى الكافى عن العدّة عن أحمد بن أبى عبد اللّه عن محمّد بن علىّ عن أحمد بن عمرو بن سليمان البجلىّ عن إسماعيل بن الحسن بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التّمار عن إبراهيم بن إسحاق المداينى عن رجل عن أبى مخنف الازدى

قال: أتى أمير المؤمنين عليه السّلام رهط من الشيعة فقالوا يا أمير المؤمنين لو أخرجت هذه الأموال ففرّقتها فى هؤلاء الرّؤساء و الأشراف و فضّلتهم علينا حتى إذا استوسقت الامور عدت إلى أفضل ما عودّک اللّه من القسم بالسوية و العدل، فقال أمير المؤمنين: أتأمرونّى و يحكم أن أطلب النّصر بالجور فيمن وليت عليه من أهل الاسلام، لا و اللّه لا يكون ذلک ما سمر سمير و ما رأيت فى السّماء نجما و اللّه لو كانت أموالهم مالى لساويت بينهم فكيف و إنّما هى أموالهم قال ثمّ أرمّ ساكتا طويلا ثمّ رفع رأسه فقال: من كان فيكم له مال فايّاه و الفساد، فانّ إعطائه فى غير حقّه تبذير و إسراف، و هو يرفع ذكر صاحبه فى النّاس و يضعه عند اللّه و لم يضع امرء ماله فى غير حقّه و لا عند غير أهله إلاّ حرّمه اللّه شكرهم، و كان لغيره ودّهم، فان بقى معه منهم بقيّة ممّن يشكر له و يريه النّصح فانّما ذلک ملق منه و كذب، فان زلّت بصاحبهم النّعل ثمّ احتاج إلى معونتهم و مكافئتهم فألئم خليل و شرّ خدين، و لم يضع امرء ماله فى غير حقّه و عند غير أهله إلاّ لم يكن له من الحظّ فيما أتى إلاّ محمدة اللّئام، و ثناء الأشرار ما دام عليه منعما مفضّلا، و مقالة الجاهل ما أجوده، و هو عند اللّه بخيل فأىّ حظّ أبور و أخسر من هذا الحظّ، و أىّ فائدة معروف أقلّ من هذا المعروف، فمن كان منكم له مال فليصل به القرابة، و ليحسن منه الضيافة، و ليفکّ به العانى و الأسير و ابن السبيل فانّ الفوز بهذه الخصال مكارم الدّنيا و شرف الآخرة

الترجمة

از جمله كلام فصاحت انتظام آن جنابست در وقتى كه سرزنش كردند او را بر مساوى نمودن در عطاء، و برگردانيدن او مردمان را پيروى شدۀ يكديگر در مقام اعطاء بى تفضيل دادن صاحبان سبقت در اسلام و جهاد و هجرت و موصوفان بشرف حسب و نسب و نجابت باين نحو كه فرمود:

آيا أمر مى كنيد شما مرا باين كه طلب يارى كنم از شما بظلم و ستم نمودن در حق كسى كه والى أمر و صاحب اختيار او هستم، بخدا سوگند كه نزديک نشوم

ص:193

باین خواهش شما مادامی که أفسانه گوید زمانه، و مادامی که قصد کند ستارۀ در آسمان ستارۀ دیگر را، یعنی أبدا اقدام در این کار نمیکنم اگر بودی این مال که قسمت میکنم از من هر آینه رعایت برابری و مواساة می نمودم در میان ایشان، پس چگونه ترک مواساة نمایم و حال آنکه جز این نیست که این مال مال خداست آگاه باشید و بدانید که اعطا نمودن مال در غیر حق خود بی اندازه خرج کردن و اسراف است، و آن بی أندازگی بلند میکند صاحب خود را در دنیا، و پست می گرداند او را در آخرت، و عزیز می نماید او را در نزد خلایق، و خوار میکند او را در نزد خالق، و نگذارد و مصرف نکرد هیچ کس مال خود را در غیر مصرف آن و در غیر اهل آن مگر آنکه محروم نمود او را خدای تعالی از تشکر و پاداش دادن ایشان، و باشد بجهة غیر او دوستی ایشان، پس اگر بلغزد بأو پای او روزی از روزها پس محتاج بشود بیاری ایشان پس بدترین صدیق باشند و لئیم ترین رفیق.

و من كلام له عليه السّلام قاله للخوارج و هو المأة و السابع

اشارة

و العشرون من المختار فی باب الخطب

فإن أبيتم إلاّ أن تزعموا أنّى أخطأت و ضللت فلم تضلّلون عامّة أمّة محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بضلالى؟ و تأخذونهم بخطاى؟ و تكفّرونهم بذنوبى؟ سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء (البراءة خ» و السّقم، و تخلطون من أذنب بمن لم يذنب، و قد علمتم أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رجم الزّانى المحصن ثمّ صلّى عليه ثمّ ورّثه أهله، و قتل القاتل و ورّث ميراثه أهله، و قطع السّارق، و جلّد الزّانى غير المحصن، ثمّ قسّم عليهما من الفىء، و نكحا المسلمات، فأخذهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بذنوبهم،

ص:194

و أقام حقّ اللّه فيهم، و لم يمنعهم سهمهم من الإسلام، و لم يخرج أسمائهم من بين أهله، ثمّ أنتم شرار النّاس و من رمى به الشّيطان مراميه، و ضرب به تيهه، و سيهلك فى صنفان: محبّ مفرط يذهب به الحبّ إلى غير الحقّ، و مبغض مفرّط يذهب به البغض إلى غير الحقّ، و خير النّاس فىّ حالا ـ النّمط الأوسط فألزموه، و ألزموا السّواد الأعظم، فإنّ يد اللّه على الجماعة، و إيّاكم و الفرقة، فإنّ الشّاذّ من النّاس للشّيطان، كما إنّ الشّاذّ من الغنم للذّئب، ألا من دعا إلى هذا الشّعار فاقتلوه و لو كان تحت عمامتى هذه، و إنّما (فإنّما خ) حكّم الحكمان ليحييا ما أحيا القرآن، و يميتا ما أمات القرآن، و إحيائه الاجتماع عليه، و إماتته الإفتراق عنه، فإن جرّنا القرآن إليهم إتّبعناهم، و إن جرّهم إلينا اتّبعونا، فلم آت لا أبا لكم بجرا، و لا ختلتكم عن أمركم و لا لبّسته عليكم، إنّما اجتمع رأى ملائكم على اختيار رجلين أخذنا عليهما أن لا ـ يتعدّيا القرآن فتاها عنه، و تركا الحقّ، و هما يبصرانه، و كان الجور هويهما، فمضيا عليه، و قد سبق استثنائنا عليهما فى الحكومة بالعدل، و الصّمد للحقّ سوء رئيهما، و جور حكمهما.

اللغة

(ضللت) بكسر اللاّم و فتحها و فى بعض النسخ (البراءة) بدل البرء و معناهما واحد

ص:195

و (احصن) الرّجل إذا تزوّج فهو محصن بالكسر على القياس و بالفتح على غير القياس و كلاهما مرويّ (و ضرب به تيهه) أى وجّهه إليه من ضربت فى الأرض إذا سافرت، و التّيه بالفتح الحيرة و بالكسر المفازة التى يتاه فيها.

و عن النّهاية فى حديث علىّ عليه السّلام خير هذه الامّة النّمط الأوسط (النّمط) الطريقة من الطرائق و الضّرب من الضروب يقال ليس هذا من ذلک النمط أى من ذلک الضّرب و النّمط الجماعة من النّاس أمرهم واحد و (شعار) القوم علامتهم الّتى بها يتميّزون فى الحرب و (العمامة) بالكسر المغفر و البيضة و ما يلفّ على الرّأس و (البجر) بالضّم الشرّ و الأمر العظيم و (الملاء) من النّاس الأشراف و الرؤساء الذين يرجع إليهم و إنّما قيل لهم ذلک لأنّهم ملأوا بالرّأى و الغناء و (الصّمد) بالفتح فالسّكون القصد.

الاعراب

جملة و قد علمتم حال من فاعل تصلّلون أو تكفرون على سبيل التّنازع، و الباء فى قوله: رمى به و ضرب به للتّعدية، و حالا منصوب على التميز، و بجرأ مفعول آت، و جملة لا أبالكم معترضة بينهما، و سوء رأيهما بالنّصب مفعول سبق.

المعنى

اعلم أنّ مذهب الخوارج أنّ مرتكب الكبائر كافر، و زعموا أنّ التحكيم كبيرة، فحكموا بكفر أمير المؤمنين عليه السّلام و أصحابه لذلک كما مرّ تفصيل ذلک فى شرح الخطبة الخامسة و الثّلاثين و الخطبة السّادسة و الثلاثين، و قد مرّ فى شرح الكلام المأة و الخامس و العشرين فى رواية الاحتجاج قولهم لابن عبّاس: إنّا نقمنا على صاحبک خصالا كلّها مكفّرة، فاحتجّ عليه السّلام بهذا الكلام عليهم ابطالا لما زعموا بوجوه أربعة بعضها ناظر إلى منع الصّغرى، و بعضها الى منع الكبرى، و بعضها مبنىّ على التنزّل و المماشاة حسبما تعرفه حيثما بلغ الكلام محلّه و قدّم ما بنائه على المماشاة رعاية لقانون المناظرة، و ذلک أنّ الخوارج لمّا قالوا إنّ الدّار دار كفر لا يجوز الكفّ عن أحد من أهلها و قتلوا من لقوه

حتّى الأطفال و البهائم حسبما مرّ فى شرح الخطبة السّادسة و الثّلاثين فقال لهم مماشاة معهم (فان أبيتم إلاّ أن تزعموا) و تظنّوا (أنّى أخطأت و ضللت) بنصب الحكمين و الرّضاء بالتحكيم (فلم تضلّلون عامّة امّة محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بضلالى و تأخذونهم بخطاى و تكفّرونهم بذنوبى) و تقتلونهم حيثما لقيتم و لا تكفّون عن أحد برّ أو فاجر ما ذنبهم و ما جريرتهم (سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء و السقم و تخلطون من أذنب بمن لم يذنب) يعنى تقصير التحكيم على زعمكم إنّما هو مقصور علىّ و مؤاخذته راجع إلىّ فما بال من لم يكن دخيلا فى هذا الأمر و لم يكن منه فى مراح و لا مغدى ثمّ بيّن فساد ما زعموه من كون صاحب الكبيرة كافرا، و هو راجع إلى منع الكبرى معلّلا بأنّ رسول اللّه حكم فى مرتكبى الكبائر بأحكام الاسلام و سلك معهم مسلك سائر المسلمين فقال (و قد علمتم أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رجم الزّانى المحصن) قال الشّهيد (ره) الرّجم يجب على المحصن إذا زنى ببالغة عاقلة، و الاحصان إصابة البالغ العاقل الحرّ فرجا مملوكا له بالعقد الدّائم أو الرّق يغدو عليه و يروح إصابة معلومة و قال الشّهيد الثانى فى شرحه: فهذه قيود ثمانية:

أحدها الاصابة أى الوطى قبلا على وجه يوجب الغسل فلا يكفى مجرّد العقد و لا الخلوة التامّة و لا إصابة الدّبر و لا ما بين الفخذين و لا فى القبل على وجه لا يوجب الغسل و ثانيها أن يكون الواطى بالغا فلو أولج الصّبى حتّى غيب مقدار الحشفة لم يكن محصنا و إن كان مراهقا و ثالثها أن يكون عاقلا فلو وطى مجنونا و إن عقد عاقلا فلا يتحقّق الاحصان و يتحقّق بوطيه عاقلا و إن تجدّد جنونه و رابعها الحرّية فلو وطى العبد زوجة حرّة و أمة لم يكن محصنا و ان عتق ما لم يطأ بعده

و خامسـها أن يكون الوطى بفرج فلا يكفى الدّبر و لا التّفخيذ و نحوه كما سـلف و سادسها كونه مملوكا له بالعقد الدّائم أو ملك اليمين فلا يتحقّق بوطى الزّنا و لا الشـبهة و إن كان بعقـد فاسـد و لا المتعـة و سابعها كونه متمكّنا منه غـدوا و رواحا، فلو كان بعيدا عنه لا يتمكّن منه فيهما و ان تمكّن فى أحدهما دون الآخر أو فيما بينهما أو محبوسا لا يتمكّن من الوصول إليه لم يكن محصنا و إن كان قد دخل قبل ذلک و ثامنها كون الاصابة معلومة و يتحقّق العلم باقراره بها أو بالبيّنة لا بالخلوة و لا الولد لانّهما أعمّ (ثمّ صـلّى عليه و ورّثه أهله) فلو كان الزّنا مع كونه كبيرة موجبا للكفر لما صـلّى عليه و لا ورّثه لعدم جواز الصّـلاة على الكافر و كون الكفر من موانع الارث (و) كذلک (قتل): صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم (القاتل و ورّث ميراثه أهله) فلو كان القتل مع أنّه كبيرة موجبا للكفر لما ورّث أهله منه و هذا بظاهره يدلّ على أنّ المسـلم لا يرث الكافر و هو خلاف المـذهب لأنّ الكفر مانع من الارث فى طرف الوارث لا المورث قال المحـدّث العلاّمة المجلسـىّ و لعلّه إلزام عليهم أقول: و هو يتمّ لو كان مـذهب الخوارج كونه مانعا من التّوارث من الطرفين و إلاّ فلا (و) كذلک (قطع) يد (السّارق و جلد الزّانى غير المحصن ثمّ قسّم عليهما من الفىء) و لم يجعل السّـرقة و الزّنا مكفّرا مانعا من تقسيم مال الاسلام اليهما (و) كذلک (نكحا) أى السّارق و الزّانى (المسلمات) و لم يمنعهما رسول اللّه من ذلک بل قرّرهما عليه (فأخذهم) أى هؤلاء المذكورين من أهل الكبائر (رسول اللّه بذنوبهم و أقـام حقّ اللّه فيهم) و حـدّه بجرمهم (و لم يمنعهم سـهمهم من الاسـلام) من التوريث و التّقسـيم و تقرير النّكـاح و غيرها (و لم يخرج أسمائهم من بين أهله)

ص:198

أى أهل الاسلام و هذه كلّها تدلّ على أنّ مرتكب الكبيرة لا يخرج بذنبه من حدّ الاسلام إلى الكفر ثمّ نبّه على اتّصافهم بالغفلة و الجهالة، و هلكهم فى أودية الضّلالة فقال (ثمّ أنتم شرار النّاس) بخروجكم على الامام الحقّ و بغيكم على من هو بالاتباع أحقّ (و من رمى به الشيطان مراميه) من طرق الضّلال التى يقودكم بوساوسه إليها (و ضرب به تيهه) و وجهه إليه (و سيهلك فىّ صنفان محبّ مفرط) مجاوز للحدّ (يذهب به الحبّ إلى غير الحقّ) كالغلاة و هم فرق كثيرة اتّفق كلّهم لعنهم اللّه على إبطال الشرائع كما نبّه عليه البرسى فى مشارق الأنوار منهم السّبائية و هم أصحاب عبد اللّه بن سبا و هو أوّل من غلا كما مرّ فى شرح الكلام الثامن و الخمسين و كان يهوديّا يتستّر بالاسلام و ينتحله و مذهبه أنّ اللّه لا يظهر إلاّ فى أمير المؤمنين وحده، و أنّ الرسل كانوا يدعون إلى علىّ عليه السّلام و أنّ الأئمة أبوابه فمن عرف أنّ عليّا خالقه و رازقه سقط عنه التكليف، و فى شرح المعتزلى قال السبائية إنّ عليّا لم يمت و الرّعد فى السّماء صوته و البرق ضوءه و إذا سمعوا صوت الرّعد قالوا: السّلام عليك يا أمير المؤمنين و منهم الخصيّية أصحاب يزيد بن الخصيب و عنده أنّ اللّه لا يظهر إلاّ فى أمير المؤمنين و الأئمة من بعده، و أنّ الرّسل هو أرسلهم يحثّون عباده على طاعته و أنّ عمر هو ابليس الا بألسة و أنّ ظلمة زريق قديمة مع نور علىّ لأنّ الظّلمة عكس النّور و منهم المفوّضة و هم قالوا إنّ اللّه فوّض الخلق و الأمر و الموت و الحياة و الرّزق إلى علىّ و الأئمة عليهم السّلام، و إنّ الذى يمرّ بهم من الموت فهو على الحقيقة و انّ الملائكة يأتيهم بالأخبار و منهم من يقول: إنّ اللّه يحلّ فى هذه الصّورة و يدعو بنفسه إلى نفسه إلى غير ذلك من مزخرفاتهم التى لا يجوز تضييع الأوقات فى نقلها و حكايتها، و فرقهم تزيد على عشرين حسبما ذكره البرسى فى مشارق الأنوار و غيره، و بالجملة فهؤلاء كلّهم

هالكون لافراطهم فى المحبّة و ادّعائهم للامام ما لا يرضى به و تجاوزهم فيه عن مرتبة العبوديّة إلى مرتبة الالوهية الرّبوبيّة (و) مثل هؤلاء فى الاتّصاف بالهلاک (مبغض مفرّط يذهب به البغض إلى غير الحقّ) كالنّواصب و الخوارج، قال فى البحار: و تقييد البغض بالافراط لعلّه لتخصيص أكمل الأفراد بالذّكر، أو لأنّ المبغض مطلقا مجاوز عن الحدّ، أو لأنّ الكلام إخبار عمّا سيوجد منهم مع أنّ فيه رعاية الازدواج و التّناسب بين الفقرتين.

أقول: هذا كلّه بناء على كون لفظة مفرط من باب الافعال، و أمّا على كونها من باب التفعيل كما فى بعض النّسخ فلا حاجة إلى التكلّف (و خير النّاس فىّ حالا النمط الأوسط) و هم التاركون لطرفى الافراط و التّفريط، و المهتدون إلى الجادّة الوسطى و الصّراط المستقيم السّالک بهم إلى الجنان، و الموصل لهم إلى أعظم الرّضوان و لذلک أمر بلزومه بقوله (فالزموه و الزموا السّواد الأعظم) أى جملة النّاس و معظمهم المتجمعين إلى طاعة السلطان العادل و سلوک المنهج المستقيم و النّهج القويم(فانّ يد اللّه على الجماعة)و هو كناية عن الحفظ و الدّفاع عنهم يعنى أنّ الجماعة من أهل الاسلام فى كنف اللّه سبحانه (و إيّاكم و الفرقة فانّ الشاذّ من النّاس) طعمة (للشيطان كما أنّ الشّاذّ من الغنم) فريسة (للذئب)ثمّ قال (ألا من دعا إلى هذا الشّعار) قال البحرانى: أى مفارقة الجماعة و الاستبداد بالرّأى. و قال الشّارح المعتزلى: يعنى شعار الخوارج و كان شعارهم أنّهم يحلقون وسط رؤوسهم، و يبقون الشّعر وسطه مستديرا حوله كالاكليل، و قيل شعارهم ما ينادون به فى الحرب من قولهم: لا حكم إلاّ اللّه أو لا حكم إلاّ للّه(فاقتلوه و لو كان)الدّاعى(تحت عمامتى هذه)قيل: و هو كناية عن نفسه أى و لو كان الدّاعى أنا، و قال الشارح المعتزلى: أى و لو كان اعتصم و احتمى بأعظم الأشياء حرمة، فلا تكفوا عن قتلهثمّ أشار إلى بطلان الصّغرى و منع كون التّحكيم كبيرة بقوله (و إنّما حكّم

الحكمـان ليحييا ما أحيا القرآن و يميتا ما أمات القرآن) يعنى أنّ تحكيم الحكمين إنّما كان المقصود به التّوصّل إلى حكم القرآن من حيث إنه خطّ مستور بين الدّفتين محتاج إلى الترجمان لا لمطلوبيّتهما بالذّات حسبما مرّ فى كلامه المأة و الخامس و العشرين و شرحه، فالحكم فى الحقيقـة هو القرآن لا ـ الرّجلان فوجودهما إنّما هو إحياء ما أحياه القرآن و إماتـة ما أماته (و إحيائه الاجتماع عليه) و الاتّباع له و الالتزام على ما شهد باستصوا به و استصلاحه (و إماتته الافتراق عنه) و التّولى و الاعراض عمّن شهد بضلاله (فان كان جرّنا القرآن إليهم اتبعناهم و إن جرّهم الينـا اتبعونا) و من المعلوم أنّ القرآن إنّما كان يجرّهم إليه عليه السّلام إلاّ أنّ الحكمين خالفا حكم الكتاب و لم يحييا ما أحياه و لم يميتـا ما أماته (فلم آت لا أبا لكم بجرا) أى داهيـة و شـرّا (و لا ختلتكم) و خـدعتكم (عن أمركم و لا لبّسـته عليكم) أى ما جعلت الأمر مشـتبها و متلبّسـا عليكم، و محصّله أنّى مـا أتيت بشـىء موجب للكفر و الضـلال حتّى تكفّرونى و تضـلّلونى ثمّ أبطـل زعمهم الفاسـد و اعتقادهم الكاسد بوجه آخر أشار اليه بقوله و (انّما اجتمع رأى ملائكم) و رؤسائكم (على اختيار رجلين) يعنى أنّى ما أقدمت على التحكيم برضاء و اختيار منّى و إنّما اجتمع رأى اشـرافكم عليه و كنت مجبورا فيه و مسـتكرها له و مع ذلك فقد (أخذنا عليهما أن لا يتعدّيا القرآن) و لا يخالفا حكمه (فتاها عنه و تركا الحقّ و هما يبصرانه) فنبذا الكتاب و نكبا عن سمت الهدى و الصّواب (و كان الجور هواهما فمضيا عليه) و أقاما فيه (و) أيضا ف (قد سـبق اسـتثناؤنا عليهما فى الحكومة بالعدل و الصّمد) أى القصد (للحقّ سوء رأيهما و جور حكمهما) يعنى أنا اشترطنـا عليهما فى كتاب الصّلح أن لا يتجاوزا حكم القرآن، و لا يحكما بهوى النفس و سوء الرّأى فخالفوا «فخالفا ظ» الكتاب المبين، و خانوا «خانا ظ» فى حقّ المسلمين، فكان اللاّئمة فى ذلك إليهما و العبؤ عليهما، فلا يجب علينا اذا اتّباع حكمهما فنضلّ و نخزى

الترجمة

از جمله كلام آن حضرت است كه فرمود بخارجيان بى ايمان:

پس اگر امتناع مى نمائيد از اطاعت مگر بجهة اين كه گمان فاسد مى كنيد كه من خطا كردم و بضلالت افتاده ام پس چرا گمراه مى دانيد عموم امت پيغمبر را صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بگمراهى من، و أخذ مى كنيد ايشان را بخطاى من، و تكفير مى كنيد آنها را بگناهان من، شمشيرهاى شما بر دوشهاى شما، مى نهيد آنها را بر محلّهاى سلامتى و بيمارى و مى آميزيد گناهكار را بغير گنه كار، و حال آنكه بتحقيق عالم هستيد باين كه حضرت رسول صلّى اللّه عليه و آله سنگسار نمود زنا كار صاحب زن را پس از آن نماز كرد بر او و داد ميراث او را بوارثان او، و بقتل آورد قاتل را از روى قصاص و إرث داد ميراث او را بوارثان او، و بريد دست دزد را و تازيانه زد بر زنا كننده غير صاحب زن پس قسمت كرد بر ايشان از مال غنيمت، و نكاح كردند آن دو نفر زنان مسلمه را پس مؤاخذه نمود بايشان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بجهت گناهان ايشان و اقامه نمود حق خدا را در ايشان و با وجود آن منع نفرمود ايشان را از سهمى كه داشتند از اسلام، و خارج نكرد نام ايشان را از ميان أهل اسلام پس شما شريرترين مردمانيد و كسى هستيد كه انداخته است او را شيطان لعين بمواضع انداختن خود، و برده است او را به بيابان گمراهى خود، و زود باشد كه هلاك شود در حقّ من دو صنف: يكى دوست افراط كننده كه ببرد او را آن دوستى بسوى غير حق، و يكى دشمن تقصير كننده است كه ببرد او را آن دشمنى بسوى غير حق، و بهترين مردمان در حق من از حيث حال جماعتى هستند كه وسط باشند ميان افراط و تفريط، پس لازم شويد بآن جماعت و ملازم باشيد بسواد أعظم پس بدرستى كه دست عنايت پروردگار بر سر جماعت است، و بپرهيزيد از تفرقه پس بدرستى كه شخصى كه تنها شده است از خلق طعمه شيطان لعين است چنانچه تنها مانده از گوسفندان طعمۀ گرگ است آگاه باشيد و بدانيد هر كسى كه بخواند مردمان را بسوى اين شعار خارجيان

ص:202

پس بکشید او را و اگر چه شود آن شخص در زیر عمامهٔ من، و جز این نیست که تحکیم ساخته شدند آن دو نفر حاکم تا این که زنده سازند چیزی را که زنـده ساخته آن را قرآن، و بمیراننـد چیزی را که میرانیـده آن را قرآن، و زنده گردانیدن آن عبارت است از اجتماع و اتفاق بآن، و میرانیـدن آن عبـارت است از افتراق از آن پس اگر کشـیده بود مـا را قرآن بسوی ایشـان تبعیّت ایشان می کردیم، و اگر کشـیده بود ایشان را بسوی ما متابعت می کردند ما را پس نیاوردم پدر مباد شما را بجهة شما شرّی را، و فریب ندادم شما را از کار شما، و مشتبه نکردم آن کار را بر شـما، و جز این نیست که جمع شـد رأی هاى رؤسای شـما بر اختیار کردن دو مرد، أخذ پیمان کردیم از ایشان که تجاوز نکنند از حکم قرآن پس متحیّر و سـرگردان شدنـد از آن، و ترک کردنـد حق را و حـال آنکه می دیدنـد حق را و بصـیر بودنـد بآن و بود ظلم و جور آرزوی ایشان، پس بگذشـتند بآن و حال آنکه سابق شد اسـتثنا کردن ما بر ایشان در حکم کردن بعدالت و قصد کردن مر حق سوء رای ایشان را، و حکم بجور ایشان را یعنی در أول أمر استثنا کرده بودیم که این دو نفر اگر اندیشهٔ بدو حکم جور نمایند معتبر نخواهد شد.

و من خطبة له علیه السّلام فیما یخبر به عن الملاحم بالبصرة

اشارة

و هی المأة و الثامنة و العشرون من المختار

فی باب الخطب

و شرحها فی فصلین

الفصل الاول

اشارة

یا أحنف کأنّی به و قـد سار بالجیش الّـذی لا یکون له غبار و لا لجب و لا قعقعـة لجم و لا حمحمـة خیل، یثیرون الأرض بأقـدامهم کأنّها أقدام النّعام.

قال السّيد (ره) يومى بذلک إلى صاحب الزّنج ثمّ قال عليه السّلام: ويل لسككككم العامرة، و الدّور المزخرفة الّتى لها أجنحة كأجنحة النّسور، و خراطيم كخراطيم الفيلة من أولئک الّذين لا ينتدب قتيلهم، و لا يفتقد غائبهم، أنا كابّ الدّنيا لوجهها، و قادرها بقدرها، و ناظرها بعينها.

اللغة

(الملحمة) هى الحرب أو الوقعة العظيمة فيها و موضع القتال، مأخوذ من اشتباک النّاس فيها كاشتباک لحمة الثّوب بالسّدى و (اللّجب) محرّكة الجلبة و الصّياح و (القعقعة) تحريک الشىء اليابس الصّلب مع صوت و تفسيره بحكاية صوت السّلاح و نحوه غير مناسب للمضاف إليه و (اللّجم) جمع اللّجام ككتب و كتاب و (الخمحمة) صوت الفرس حين يقصر فى الصّهيل و يستعين بنفسه و (النعام) اسم لجنس النعامة و يقع على الواحد و (النسر) طائر معروف و يجمع على أنسر على وزن أفعل و نسور و (الفيلة) وزان عنبة جمع الفيل و (كببت) فلان على وجهه تركته و لم ألتفت إليه، و كبّه قلبه و صرعه

الاعراب

قول السيّد: بالبصرة إمّا ظرف لغو متعلق بقوله يخبر أو مستقرّ صفة للملاحم و كلاهما جائزان، لأنّ هذه الخطبة قد خطب بها فى البصرة كما أنّ تلک الملاحم كانت فيها، و جملة و قد سار منصوبة المحلّ على الحال من قوله به، و العامل محذوف و التّقدير كأنّى أبصر به و قد سار، و جملة يثيرون حال من الجيش، و الباقى واضح

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة قد خطب بها فى البصرة كما صرّح به الشّارح المعتزلى و الشّارح البحرانى، و المستفاد من الثّانى أنّها من فصول الخطبة التى قدّمنا روايتها منه فى شرح الكلام الثالث عشر، و أنّه عليه السّلام خطبها بعد الفراغ من حرب

أهل البصرة و وقعة الجمل على ما تقدّم ثمّة و هو من جملة الأخبار الغيبيّة له عليه السّلام و هذا الفصل كما نبّه عليه السيّد (ره) إشارة إلى خروج صاحب الزنج و هو رجل اسمه علىّ زعم أنّه علىّ بن محمّد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علىّ بن الحسين ابن علىّ بن أبى طالب، قال الشّارح المعتزلى: و أكثر النّاس يقدحون فى نسبه خصوصا الطّالبيّون و جمهور النسابين اتّفقوا على أنّه من عبد القيس و أنّه علىّ بن محمّد بن عبد الرّحيم، و امه أسديّة من أسد بن خزيمة جدّه محمّد بن حكيم الأسدى من أهل الكوفة أحد الخارجين مع زيد بن علىّ على هشام بن عبد الملک، و ذكر المسعودى فى مروج الذهب أنّ أفعال علىّ بن محمّد صاحب الزنج تدلّ على أنّه لم يكن طالبيّا و تصدّق ما رمى به من دعوته فى النّسب، لأنّ ظاهر حاله كان ذهابه إلى مذهب الأزارقة فى قتل النّساء و الأطفال و الشيخ الفانى و المريض و كيف كان فقد كان ظهوره فى البصرة فى سنة خمس و خمسين و مأتين، فتبعه الزّنج الّذين كانوا يسبخون السّباخ فى البصرة و كان أكثر اتباعه فى أوّل أمره عبيد الدّهاقين بالبصرة، و استمالهم إلى الفتنة بالمواعد و استنقاذهم من أيدى ساداتهم و استخلاصهم من سوء الحال و ما يلقونه من شدّة العبوديّة و الخدمة و منّا هم أن يجعلهم قوّاد جيشه، و يملّكهم الضّياع و الأموال، و حلف لهم بالايمان المغلّظة أن لا يخدع بهم و لا يخذلهم و لا يدع شيئا من الاحسان إلاّ أتى إليهم، و اجتمع اليه السّودان من كلّ جهة، و تبعه جمع كثير من غيرهم، و فعل بأهل البصرة و غيرهم ما هو مشهور و فى كتب السّير مسطور مأثور، و قد ذكره الشّارح المعتزلى على تفصيله من أراد الاطلاع فليراجع إليه.

إذا تمهّد لک ذلک فلنعد إلى شرح كلامه فأقول :قوله:(يا أحنف) قيل كان اسمه صخر و قيل الضّحاک بن قيس بن معاوية من بنى تميم و كنيته أبو بحر شهد مع أمير المؤمنين عليه السّلام الجمل و لم يشهد صفّين مع أحد الفريقين قال البحرانى: و الخطاب مع الاحنف، لأنّه كان رئيسا ذا عقل و سابقة فى قومه و بسببه كان اسلام بنى تميم حين دعاهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فلم يجيبوا، فقال لهم الأحنف: إنه يدعوكم إلى مكارم الأخلاق

فأسلموا و أسلم الأحنف.

(كأنّى به) أى علىّ بن محمّد صاحب الزّنج (و قد سار بالجيش الّذى لا يكون له غبار) أصلا أو الغبار الشّديد الذى جرت العادة بسطوعها عند مسير الجيوش و الفرسان و ثورانها من حوافر الخيل (و لا لجب) و صياح (و لا قعقعة لجم و لا حمحمة خيل) إذ لم يكونوا ركبا بل كانوا مشاة حفاة(يثيرون الأرض بأقدامهم كأنّها أقدام النّعام)تشبيهأقدامهم بأقدام النعاملكونها فى الأغلب قصارا عراضا منتشرة الصدر مفرّجات الأصابع كما فى النّعام، و أراد باثارتهم الأرض بأقدامهم شدّة وطئهم لها، و كنّى بها عنها و ما قيل: من أنّ المعنى أنهم يثرون التراب بأقدامهم لأنّ أقدامهم فى الخشونة كحوافر الخيل ففيه أنه لا يلائم ظاهر قوله لا يكون له غبار إلاّ أن يحمل المنفىّ على الغبار الشّديد حسبما قدّمناه.

ثمّ قال: (ويل لسكككم العامرة) أى لطرقكم المستوية و أزّقتكم المعمورة (و الدّور المزخرفة) المموّهة بالزّخرف و الذّهب (الّتى لها أجنحة كأجنحة النّسور) أراد بأجنحة الدّور رواشنها و ما يعمل من الأخشاب و البوارى بارزة عن السّقوف حفظا للحيطان و غيرها عن الأمطار و شعاع الشمس (و خراطيم كخراطيم الفيلة) أراد بخراطيمها ميازيبها التى تعمل من الخوص على شكل خرطوم الفيل و تطلى بالقار يكون نحوا من خمسة أذرع أو أزيد تدلى من السّطوح ليسيل منها ماء المطر و يحفظ السّطوح و الحيطان (من أولئک الذين لا يندب قتيلهم) قيل إنه وصف لهم لشدّة البأس و الحرص على القتال و لا يبالون بالموت، و قيل: لأنهم كانوا عبيدا غرباء لم يكن لهم أهل و ولد ممّن عادتهم النّدبة (و لا يفتقد غائبهم) لكثرتهم و كونهم إذا قتل منهم قتيل سدّ مسدّه غيره، أو لكونهم غرباء ليس لهم أقرباء من شانهم افتقاد الغائب.

ثمّ قال:(أنا كابّ الدّنيا لوجهها)كناية عن عدم التفاته إليها كما حكى مثله عن عيسى أنه قال: أنا الّذى كببت الدّنيا على وجهها ليس لى زوجة تموت و لا بيت يخرب و سادى الحجر و فراشى المدر و سراجى القمر، أو أراد به علمه

بأسرارها و بواطنها كما يقال قلّب الأمر ظهرا لبطن.

(و قادرها بقدرها) أى معامل لها بمقدارها (و ناظرها بعينها) أى ناظر إليها بعين البصيرة و العبرة، أو أنظر إليها نظرا يليق بها و هو نظر الحقارة و الذّلة.

كما يشهد به ما رواه فى غاية المرام من رسالة الأهواز للصّادق عليه السّلام قال:

قال علىّ بن الحسين سمعت أبا عبد اللّه الحسين عليهما السّلام يقول: حدّثنى أمير المؤمنين عليه السّلام قال: إنّى كنت بفدک فى بعض حيطانها و قد صارت لفاطمة، قال: فاذا أنا بامرئة قد قحمت علىّ و فى يدى مسحاة أعمل بها، فلمّا نظرت إليها طار قلبى ممّا تداخلنى من جمالها، فشبّتها بثنية بنت عامر الجمحى و كانت من أجمل نساء قريش، فقالت: يابن أبى طالب هل لک أن تزوّج بى فاغنيک عن هذه و أدّلک على خزائن الأرض فيكون لک المال ما بقيت و لعقبک من بعدک؟ فقلت لها: من أنت حتّى أخطبک من أهلک؟ قالت: أنا الدّنيا، قلت لها: ارجعى و اطلبى زوجا غيرى، و أقبلت على مسحاتى و أنشأت أقول:

لقد خاب من غرّته دنيا دنيّة و ما هى إن غرّت قرونا بطائل

أتتنا على زىّ العزيز ثنيّة و زينتها فى مثل تلک الشّمائل

فقلت لها غرّى سواى فانّنى عروف عن الدّنيا و لست بجاهل

و ما أنا و الدّنيا فانّ محمّدا أحلّ صريعا بين تلک الجنادل

وهبها أتتنا بالكنوز و درّها و أموال قارون و ملک القبائل

أليس جميعا بالفناء مصيرها و تطلب من خزّانها بالطّوائل

فغرّى سواى انّنى غير راغب بما فيک من ملک و عزّ و نائل

فقد قنعت نفسى بما قد رزقته فشأنک يا دنيا و أهل الغوائل

فانّى أخاف اللّه يوم لقائه و أخشى عذابا دائما غير زائل

فخرج من الدّنيا و ليس فى عنقه تبعة لأحد حتّى لقى اللّه سبحانه محمودا غير ملوم و لا مذموم، ثمّ اقتدت به الأئمّة من بعده بما قد بلغكم لم يتلطّخوا بشىء

من بوائقها صلّی اللّه علیهم أجمعین و أحسن مثواهم.

الترجمة

از جمله خطب شریفهٔ آن سرور دین و قدوهٔ ارباب یقین است در آنچه خبر می دهد بآن از وقایع عظیمه در شهر بصره باین نحو که می فرماید:

أی أحنف گویا من نظر میکنم به آن شخص در حالتی که سیر کند با لشکری که نباشد مر آنرا گرد و غباری، و نه آواز هائلی، و نه صدای حرکت لجامها، و نه آواز اسبها، بشورانند خاک را بقدمهای خود گویا که قدمهای ایشان قدمهای شتر مرغان است در پهنائی و کوتاهی، و در گشادگی انگشتان اشاره می فرماید آن حضرت باین کلام بعلیّ بن محمّد رئیس لشکر زنگیان.

بعد از آن فرمود: وای در آن زمان براههای آبادان شما، و بخانهای زر اندودی که مر آنها راست بالها مثل بالهای کرکسان، و خرطومها مانند خرطومهای فیلان، از این لشکری که گریسته نشود بر مقتولان ایشان، و جسته نشود غائبان ایشان، من افکنندهٔ دنیا هستم بروی او، یعنی بی اعتنا هستم بآن، و اندازه کنندهٔ اویم باندازهٔ آن، و نظر کنندهٔ اویم بچشمی که مناسب و لایق او هست.

الفصل الثانی منها

اشارة

و یؤمی بذلک الی وصف الاتراک

کأنّی أراهم قوما کأنّ وجوههم المجانّ المطرقة، یلبسون السّرق و الدّیباج، و یعتقبون الخیل العتاق، و یکون هنالک استحرار قتل حتّی یمشی المجروح علی المقتول، و یکون المفلت أقلّ من المأسور. فقال له بعض أصحابه: لقد اعطیت یا أمیر المؤمنین علم الغیب؟

ص:208

فضحک علیه السّلام و قال للرّجل و کان کلبیّا یا أخا کلب لیس هو بعلم غیب و إنّما هو تعلّم من ذی علم، و إنّما علم الغیب علم السّاعة و ما عـدّده اللّه سـبحانه بقوله: «إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ » الآیة، فیعلم سـبحانه ما فی الأرحام من ذکر أو أنثی، و قبیح أو جمیل، و سـخیّ أو بخیل، و شـقیّ أو سـعید، و من یکون فی النّار حطبا، أو فی الجنان للنّبیّین مرافقا، فهـذا علم الغیب الّذی لا یعلم أحـد إلاّ اللّه، و ما سوی ذلک فعلم علمه اللّه نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فعلّمنیه، و دعا لی بأن یعیه صدری، و تضطمّ علیه جوانحی.

اللغة

(المجانّ) بفتـح المیم و تشدید النّون جمع المجن بکسـر المیم و هو الترس أو المجنّة بالکسـر أیضا کالمحاشّ و المحشّة و هو الدّبر إلاّ أنّه بالفتح و هو مأخوذ من الجنّ و هو السّتر کأنّ التّرس یستتر به و منه الجنّ لاستتاره عن النّظر و الجنین لاستتاره فی الرّحم، و المجنون لاستار عقله، و الجنان للقلب و الجنّة لالتفافها بالأشجار و استتارها بها و قال سبحانه: «فلمّا جنّ علیه اللّیل» أی ستره.

و (المطرقـة) و زان مکرمـة من باب الافعال قال فی القاموس و المجانّ المطرقـة کمکرمـة الـذی یطرق بعضـها علی بعض کالنّعل المطرقة المخصوفـة، و یروی المطرقـة بالتّشدیـد کمعظّمـة أی الّتی طرّق و رکب بعضـها علی بعض و اطراق البطن مـا رکب بعضـها علی بعض، و الطّراق کلّ خصـیفة یخصف بها النّعل و یکون حذوها سواء، و کلّ صـنعة علی حذو، و جلد النّعل و أن یقوّر جلد علی مقدار التّرس فیلزق بالتّرس.

ص:209

و (السرق) محرّكة شقق الحرير الأبيض أو الحرير عامّة و الواحدة سرقة و (يعتقبون الخيل) أى يحتبسونها و يرتبطونها من اعتقب السلعة إذ احبسها من المشترى ليقبض الثّمن أو يجبنونها لينتقلوا من غيرها إليها، و (اضطمّ) الشّىء جمعه إلى نفسه، و (الجوانح) الضّلوع تحت التّرائب مما يلى الصّدر و يروى جوارحى بدل جوانحى.

الاعراب

قوما منصوب على البدل من ضمير الجمع فى أراهم و ابدال الظاهر من الضّمير الغائب لا غبار عليه بتصريح علماء الأدبيّة، و جملة يلبسون منصوبة المحلّ على الحال من ضمير الجمع أيضا، و الاضافة فى أخا كلب لانتسابه إلى تلك القبيلة و هى من الاضافات الشائعة فى لهجة العرب و الرّابط إلى الموصول فى قوله لا يعلم أحد محذوف

المعنى

اشارة

اعلم أنّ الموجود فى نسخ النّهج غير نسخة الشّارح البحرانى عنوان هذا الفصل بلفظ: منها، و أمّا نسخة الشّارح فالعنوان فيها بقوله: و من كلام له عليه السّلام و هو يفيد كون ذلک كلاما مستقلاّ لا من فصول الكلام السّابق و الأمر سهل.

قال السّيد ره: و يؤمى به إلى وصف الأتراک، و هم امّة تسمّون بالتّتار، و كانت مساكنهم فى أقاصى بلاد المشرق فى جبال طخاج من حدود الصّين، و بينهم و بين بلاد الاسلام الّتى ما وراء النّهر ما يزيد على مسير ستّة أشهر، و كان عددهم فى الكثرة متجاوزا عن حدّ الاحصاء، و كانوا من أصبر النّاس على القتال لا يعرفون الفرار، و يعملون ما يحتاجون إليه من السّلاح بأيديهم و من أصبر خلق اللّه على الجوع و العطش و الشّقاء، يأكلون الميتة و الكلاب و الخنازير، و كان ثيابهم من أخشن الثياب، و منهم من يلبس جلود الكلاب و الدّواب الميتة، و هم أشبه شىء بالوحش و السّباع، و كان چنگيز خان رئيسهم و ابن رئيسهم، و ما زال سلفه رؤساء تلک الجهة، و كان شجاعا مدبّرا عاقلا موفقا منصورا فى الحرب فأحبّ الملک و طمع فى البلاد فنهض بمن معه من أقاصى الصّين، إلى حدود تركستان فى سنة ستّ عشر

و ستّ مائة، و حارب الملوک ملوک الخطاء و قفجاق و ما وراء النّهر و خراسان و العراقين و آذربيجان و أرمنيّة و الشام و غيرها، و ملک هذه البلاد، و قتل من الذّکران و الاناث فی کلّ ما مرّ عليه جيشه من البلدان ما لا يحصی عددهم إلاّ اللّه سبحانه، و قد نهبوا أکثر ما مرّوا عليه من المدن و القری، و أحرقوه و خرّبوه و استأصلوا أهله، و سبوا الخرم، و استرّقوا الغلمان، و فعلوا کلّ قبيح منکر فيها، و لم يترکوا من الظّلم و الجور علی المسلمين و المعاهدين شيئا علی ما هو فی کتب التّواريخ و السّير مسطور، و فی الألسنة إلی زماننا هذا و قد مضی من زمانه نحوا من سبعمائة سنة مشهور مأثور، و کان ظهورهم فی عصر الشّارح المعتزلی، فأورد طرفا من حالهم و وقائعهم فی الشّرح من أراد الاطلاع فليراجع إليه.

إذا تمهّد لک ذلک فأقول: إنّه عليه السّلام يخبر عن حالهم و يقول(کأنّی أراهم قوما کأنّ وجوههم المجانّ المطرقة)تشبيهها بالمجان فی الاستدارة و العظم و الانبساط و توصيفها بالمطرقة للخشونة و الغلظة (يلبسون السّرق و الدّيباج) و لا منافاة بين ذلک و بين ما قدّمنا من کون لباسهم أخشن اللّباس، لأنّ ما قدّمناه کان فی بدو حالهم و ذلک بعد ما ظهر دولتهم و علا أمرهم، أو أنّ ذلک وصف حال الرؤساء، و ما قدّمنا وصف ثياب الأتباع مع أنّه لا داعی إلی الجمع لأنّ ما تقدّم من نقل أرباب التواريخ و کلام الامام هو الصّحيح الأحقّ بالاتباع.

(و يعتقبون الخيل العتاق) أی يحتبسونها لينتقلوا من غيرها إليها عند مسيس الحاجة و مقام الضّرورة (و يکون هناک استحرار قتل) و شدته (حتّی) ينتهی الأمر إلی أن (يمشی المجروح) منهم (علی المقتول) منهم لعدم مبالاة الجرحی بقتل القتلی أو من مقاتليهم فيکون إشارة إلی کونهم مجروحين و کون مقابليهم مقتولين (و يکون المفلت) النّاجی من أيديهم (أقلّ من المأسور فقال له بعض أصحابه لقد اعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فضحک عليه السّلام) قال الشّارح المعتزلی: و سرّ هذا الضّحک أنّ النّبی و الولیّ إن تجدّدت عنده نعمة للّه سبحانه أو عرف النّاس و جاهته عند اللّه فلا بدّ أن يسرّ بذلک، و قد

يحدث الضحك من السّرور و ليس ذلك بمذموم إذا خلا من التّيه و العجب و كان محض السّرور و قد قال سبحانه:

«فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ ».

اقول: و فى هذا المعنى قوله سبحانه: «وَ أَمّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ »، فانّ التحدّث بالنّعمة أعنى إظهارها و إشاعتها قد يكون الدّاعى إليه هو العجب و الشّهرة و إظهار الكبر و النّخوة به على الخلق فهو قبيح محرّم مذموم، و قد يكون السّبب له محض إظهار أنها ممّا منّ اللّه سبحانه بها عليه فيشكر عليه و يحمد له، و هذا حسن ممدوح مأمور به فى الآية و إليه الاشارة فى الحديث بقوله: و التحديث بنعمة اللّه شكر و تركه كفر.

و قال الصّادق عليه السّلام فى رواية الكافى: إذا أنعم اللّه بعبده بنعمة فظهرت عليه سمّى حبيب اللّه محدّثا بنعمة اللّه، و إذا أنعم اللّه على عبده بنعمة فلم تظهر عليه سمّى بغيض اللّه مكذّبا بنعمة اللّه.

(و قال عليه السّلام للرّجل و كان كلبيّا: يا أخا كلب ليس هو) أى ما أخبرت به من خبر الأتراك (بعلم غيب و إنّما هو تعلّم من ذى علم) أراد به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما سيصرّح به (و إنّما علم الغيب) هو العلم بامور خمسة أشار إليها سبحانه فى سورة لقمان و هو (علم السّاعة و ما عدّده اللّه سبحانه بقوله:

«إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ ما فِى الْأَرْحامِ وَ ما تَدْرِى نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ».

يعنى عنده سبحانه علم وقت قيامها و استأثر به و لم يطلّع عليه أحد من خلقه، و يعلم نزول الغيث فى مكانه و زمانه، و يعلم ما تحمله الحوامل (فيعلم سبحانه ما فى الأرحام من ذكر أو أنثى و قبيح أو جميل و سخىّ أو بخيل و شقىّ أو سعيد و من

یکون فی النّار حطبا أو فی الجنان للنّبیّین مرافقا) و ما تدری نفس ما ذا تکسب غدا من خیر أو شرور بما تعزم علی شیء فتفعل خلافه و قیل ما یعلم بقائه غدا فکیف یعلم تصرّفه، و ما تدری نفس فی أیّ أرض تموت و قیل انّه إذ ارفع خطوة لم یدر انّه یموت قبل أن یضع الخطوة أم لا.

(فهذا) أی ما ذکر من العلم بالامور الخمسة المعدودة (علم الغیب الذی لا یعلمه أحد إلاّ اللّه سبحانه و ما سوی ذلک فعلم علّمه سبحانه نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فعلّمنیه) رسول اللّه باذن من اللّه (و دعا لی بأن یعیه) أی یحفظه(صدری و تضطم علیه جوانحی)أی تضبطه قلبی و یشتمل علیه، و کنّی بالجوانح عن القلب لاشتمالها علیه.

اقول: و محصّل ما استفید من کلامه أنّ ما أخبر به من خبر الأتراک و نحوه ممّا یکون و یحدّث به فی غابر الزّمان فلیس هو من علم الغیب و إنّما علم الغیب هو العلم بالامور الخمسة المعدودة فی الآیة الشّریفة إلاّ أنه یشکل بوجهین.

أحدهما انّه کیف یمکن نفی علم الغیب عمّا أخبر به مع أنّک قد عرفت فی شرح الفصل الثّانی من الخطبة التّسعین أنّ الغیب عبارة عمّا غاب عن الخلق علمه و خفی مأخذه، و من المعلوم أنّ الحوادث التی تحدث و الملاحم التی تقع فی غابر الزّمان ممّا هو غائب عن نظر الخلق و هو اسّهم.

و ثانیهما أنّه کیف یصلح حصر علم الغیب فی الامور الخمسة فانّه بعد ما کان المدار علی التعلّم من ذیعلم فلا تفاوت حینئذ بین تلک الامور و غیرها، لا مکان العلم بها بتعلیم ذی العلم، بل هو واقع، و تحقیق المقام یحتاج إلی بسط فی الکلام لکونه من مزالّ الأقدام.

فأقول بعد الاعتصام بالملک العلاّم و التمسّک بذیل أئمّة الأنام علیهم الصّلاة و السّلام: إنّ مقتضی بعض الأدلّة هو اختصاص علم الغیب باللّه سبحانه و نفیه عمّن سواه تعالی، و مقتضی البعض الآخر إثباته لغیره تعالی من الأنبیاء و الأئمة و الملائکة و الرّسل علیهم السّلام، و مفاد طائفة ثالثة من الأدلّة هو التّفصیل.

أمّا الأدلّة الأول فمنها قوله تعالی فی سورة الأنعام: و عنده مفاتح الغیب

لا یعلمها إلاّ هو، و فی سورة الأعراف: لو کنت أعلم الغیب لاستکثرت من الخیر و ما مسّنی السّوء، و فی سورة یونس إنّما الغیب للّه، و فی سورة هو دو النّحل، و للّه غیب السّماوات و الأرض، و فی سورة النّمل قل لا یعلم من فی السماوات و الأرض الغیب إلاّ اللّه، و بمعناها آیات و أخبار اخر.

و أمّا الأدلّة الثّانیة فمثل ما دلّ بعلم المدبّرات من الملائکة بأوقات وقوع الحوادث، و ما دلّ بعلم ملک الموت بأوقات الآجال، و ما دلّ علی اخبار الأنبیاء بالمغیبات، و ما دلّ علی علم النبیّ و الأئمة بما کان و ما یکون و ما هو کائن.

کما فی البحار من بصائر الدّرجات عن ابن معروف عن حمّاد عن حریز عن أبی بصیر عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سئل علیّ علیه السّلام عن علم النبیّ فقال: علم النبیّ علم جمیع النّبیّین و علم ما کان و علم ما هو کائن إلی قیام السّاعة، ثم قال: و الّذی نفسی بیده إنّی لأعلم علم النبیّ و علم ما کان و علم ما هو کائن فیما بینی و بین قیام الساعة و فیه أیضا من البصائر عن أحمد بن محمّد عن محمّد بن سنان عن یونس عن الحرث بن مغیرة و عدّة من أصحابنا فیهم عبد الأعلی و عبیدة بن عبد اللّه بن بشر الخثعمیّ و عبد اللّه بن بشیر سمعوا أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: إنّی لأعلم ما فی السماوات و أعلم ما فی الأرضین و أعلم ما فی الجنة و أعلم ما فی النّار و أعلم ما کان و ما یکون، ثمّ مکث هنیئة فرأی أنّ ذلک کبر علی من سمعه فقال: علمت من کتاب اللّه إنّ اللّه یقول: فیه تبیان کلّشیء.

و فیه من مصباح الأنوار باسناده إلی المفضّل قال: دخلت علی الصّادق علیه السّلام ذات یوم فقال لی یا مفضّل هل عرفت محمّدا و علیّا و فاطمة و الحسن و الحسین علیهم السّلام کنه معرفتهم؟ قال: یا مفضّل من عرفهم کنه معرفتهم کان مؤمنا فی السّنام(1) الأعلی، قال: قلت: عرّفنی ذلک یا سیّدی، قال: یا مفضّل تعلم أنّهم علموا ما خلق اللّه عزّ و جلّ، و ذراه و براه و أنّهم کلمة التّقوی و خزّان السماوات و الأرضین و الجبال و الرّمال و البحار، و علموا کم فی السّمآء من نجم

1- (1) ای أعلی مدارج الایمان و سنام کل شی أعلاء.

و ملک و وزن الجبال وکیل ماء البحار و أنهارها و عیونها، و ما تسقط من ورقة إلاّ علموها و لا حبّة فی ظلمات الأرض و لا رطب و لا یابس إلاّ فی کتاب مبین، و هو فی علمهم، و قد علموا ذلک، فقلت: یا سیّدی قد علمت ذلک و أقررت به و آمنت، قال: نعم یا مفضّل، نعم یا مکرم، نعم یا محبور(1) ، نعم یا طیّب طبت و طابت لک الجنّة و لکلّ مؤمن بها.

و فی الکافی عن محمّد بن یحیی، عن أحمد بن محمّد، عن عمر بن عبد العزیز، عن محمّد بن الفضیل، عن أبی حمزة قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: لا و اللّه لا یکون عالم جاهلا أبدا، عالما بشیء جاهلا بشیء، ثمّ قال: اللّه أجلّ و أعزّ و أکرم من أن یفرض طاعة عبد یحجب عنه علم سمائه و أرضه، ثمّ قال: لا یحجب ذلک عنه.

إلی غیر ذلک من الأخبار المتظافرة بل المتواترة الدّالة علی عموم علمهم علیهم السّلام بما فی الآفاق و الأنفس، و علی کونهم أعرف بطرق السّماء من طرق الأرض، و کونهم شهداء علی النّاس و الشهادة فرع العلم و معرفتهم علی النّاس لحقیقة الایمان و حقیقة الکفر و علمهم بعدد أهل الجنّة و أهل النّار، و غیر ذلک ممّا کان أو یکون و قد مضی کثیر من تلک الأخبار فی شرح الخطب السّابقة، و لا حاجة إلی الاعادة المفضیة إلی التکرار و الاطالة و أمّا الطائفة الثّالثة من الأدلّة فیستفاد منها التفصیل و به یجمع بین الأدلّتین المتقدّمتین و یقیّد اطلاقهما أو یخصّص عمومهما و وجه الجمع امور ثلاثة:

الأول

أن یکون المراد بالأدلّة الاول الحاصرة للغیب فی اللّه سبحانه النافیة له عن غیره أنّه سبحانه عالم به بذاته لا یعلمه غیره کذلک فیکون المراد بالأدلّة الاخر أنّ غیره یعلم الغیب بعلم مستفاد منه سبحانه بوحی أو إلهام أو نکت فی القلوب و نقر فی الأسماع أو غیر ذلک من جهات العلم و یدلّ علی ذلک قوله سبحانه فی سورة آل عمران: «وَ ما کانَ اللّهُ لِیُطْلِعَکُمْ »

1- (1) لعله من الحبرة قال فی القاموس الحبرة بالضم نعمة حسنة و المبالغة فی ما وصف بجمیل.

«عَلَى الْغَيْبِ وَ لكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِى مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ »، و فى سورة الجنّ: «عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ».

روى فى الصّبا فى عن الخرائج عن الرّضا عليه السّلام فى هذه الآية قال: فرسول اللّه عند اللّه مرتضى، و نحن ورثة ذلك الرّسول الذى اطّلعه اللّه على ما يشاء من غيبه، فعلمنا ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة و يأتى فى رواية الكافى و البحار من البصائر عن أبى جعفر عليه السّلام أنّه قال فى هذه الآية، و كان محمّد ممّن ارتضاه، و مضى فى شرح الفصل الثالث من فصول الخطبة السّادسة و الثّمانين فى رواية البحار قول أمير المؤمنين لسلمان: يا سلمان أما قرأت قول اللّه عزّ و جلّ حيث يقول: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلاّ من ارتضى من رسول، فقلت: بلى يا أمير المؤمنين، فقال أنا ذلك المرتضى من الرسول الذى أظهره اللّه عزّ و جلّ على غيبه.

أقول: و المستفاد من هذه الرّواية كون لفظة من فى قوله من رسول اللّه ابتدائية، كما أنّ المستفاد من الروايتين السّابقتين كونها بيانيّة و لا منافاة لأنّ هذه تأويل للباطن و ما تقدّم تفسير للظّاهر كما هو ظاهر هذا.

و قال الطبرسىّ فى تفسير هذه الآية: ثمّ استثنى فقال إلاّ من ارتضى من رسول، يعنى الرّسل، فانّه يستدلّ على نبوّتهم بأن يخبروا بالغيب فيكون آية و معجزة لهم، و معناه أنّ من ارتضاه و اختاره للنبوّة و الرسالة فانّه يطلعه على من شاء من غيبه على حسب ما يراه من المصلحة و هو قوله:

«فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ».

و الرّصد الطريق أى يجعل له إلى علم ما كان من قبله من الأنبياء و السّلف و علم ما يكون بعده طريقا و قال (ره) فى قوله تعالى: «وَ لِلّهِ غَيْبُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ »: معناه و للّه علم ما غاب

فی السّموات و الأرض لا یخفی علیه شیء منه، ثمّ قال (ره): وجدت بعض المشایخ ممّن یتّسم بالعدل و التّشیّع قد ظلم الشّیعة الامامیّة فی هذا الموضع من تفسیره فقال: هذا یدلّ علی أنّ اللّه تعالی یختصّ بعلم الغیب خلافا لما تقول الرّافضة:

إنّ الأئمة علیهم السّلام یعلمون الغیب، و لا شکّ أنّه عنی بذلک من یقول بامامة الاثنی عشر و یدین بأنّهم أفضل الأنام بعد النبیّ علیهم السّلام، فإنّ هذا دأبه و دیدنه، فهو یشنّع فی مواضع کثیرة من کتابه علیهم و ینسب القبایح و الفضائح الیهم و لا نعلم أحدا منهم استجاز الوصف بعلم الغیب لأحد من الخلق، و إنّما یستحقّ الوصف بذلک من یعلم جمیع المعلومات لا بعلم مستفاد، و هذه صفة القدیم سبحانه، العالم لذاته لا یشرکه فیه أحد من المخلوقین، و من اعتقد أنّ غیر اللّه سبحانه یشرکه فی هذه الصّفة فهو خارج عن ملّة الاسلام و أمّا ما نقل عن أمیر المؤمنین علیه السّلام و رواه عنه الخاصّ و العامّ من الاخبار بالغائبات فی خطب الملاحم و غیرهما کاخباره عن صاحب الزّنج و عن ولایة مروان الحکم و أولاده و ما نقل من هذا الفنّ عن أئمة الهدی علیهم السّلام، فانّ جمیع ذلک ملقّی من النّبی ممّا اطّلعه اللّه علیه، فلا معنی لنسبة ما روی عنهم هذه الأخبار المشهورة إلی أنّه یعتقد کونهم عالمین بالغیب، و هل هذا إلاّ سبّ قبیح و تضلیل لهم بل تکفیر و لا یرتضیه من هو بالمذهب خبیر، و اللّه یحکم بینه و بینهم و إلیه المصیر.

و فی البحار من بصائر الدرجات باسناده عن عبد الأعلی و عبیدة بن بشیر قال:

قال أبو عبد اللّه ابتداء منه: و اللّه إنّی لأعلم غیب السّموات و الأرض و ما فی الجنّة و ما فی النّار و ما کان و ما یکون إلی أن تقوم السّاعة، ثمّ قال: اعلمه من کتاب اللّه أنظر إلیه هکذا ثمّ بسط کفّیه ثمّ قال: إنّ اللّه یقول:

«وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْ ءٍ » و فیه من مجالس المفید باسناده عن أبی المغیرة قال: کنت أنا و یحیی بن عبد اللّه بن الحسین عند أبی الحسن علیه السّلام فقال له یحیی جعلت فداک إنّهم یزعمون

أنّک تعلم الغیب؟ قال: سبحان اللّه ضع یدک علی رأسی فواللّه ما بقیت شعرة فیه و لا جسدی إلاّ قامت، ثمّ قال: لا و اللّه ما هی إلاّ وراثة عن رسول اللّه و فی الکافی عن عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد بن عیسی عن معمّر بن خلاّد قال: سأل أبا الحسن علیه السّلام رجل من أهل فارس فقال له: أ تعلمون علم الغیب فقال قال أبو جعفر: یبسط لنا العلم فنعلم و یقبض عنّا فلا نعلم، و قال: سرّ اللّه عزّ و جلّ أسرّه إلی جبرئیل و أسرّه جبرئیل إلی محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و أسرّه محمّد إلی من شاء اللّه.

قال المفید (ره) فی محکیّ کلامه من کتاب المسائل: أقول: إنّ الأئمة من آل محمّد علیهم السّلام قد کانوا یعرفون ضمائر بعض عبادهم، و یعرفون ما یکون قبل کونه و لیس ذلک بواجب فی صفاتهم، و لا شرط فی إمامتهم، و إنّما أکرمهم اللّه تعالی به و علّمهم إیّاه للطف فی طاعتهم و التبجیل بامامتهم، و لیس ذلک بواجب عقلا، و لکنّه وجب لهم من جهة السّماع، فأما اطلاق القول علیهم بأنّهم یعلمون الغیب فهو منکر بیّن الفساد، لأنّ الوصف بذلک إنّما یستحقّه من علم الأشیاء بنفسه، لا بعلم مستفاد و هذا لا یکون إلاّ للّه عزّ و جلّ، و علی قولی هذا جماعة أهل الدهامة إلاّ من شذّ عنهم من المفوّضة و من انتمی إلیهم من الغلاة، هذا.

و أنت بعد ما أحطت خبرا بما ذکرنا تقدر علی دفع ما استشکلناه فی کلامه علیه السّلام من نفیه علم الغیب عمّا أخبر به عن خبر الأتراک، و محصّل دفعه أنّ قوله:

یا أخا کلب إنّه لیس هو بعلم غیب، لم یرد به نفی علم الغیب عنه رأسا أراد به سلب علم الغیب علی زعم الکلبی السّائل فانه علیه السّلام لما أخبر بما أخبر من الغیب توهّم السّائل أنه علیه السّلام علمه من تلقاء نفسه بدون توسّط معلم کما هو زعم الغلاة فرّده علیه السّلام بقوله: لیس هو بعلم غیب و انّما هو تعلّم من ذی علم فان قلت: قول السّائل لقد اعطیت یا أمیر المؤمنین علم الغیب ینافی ذلک، لظهوره فی أنّ اعتقاده أنّ اللّه أعطاه العلم بذلک، لا أنّه علمه بنفسه قلنا: لفظ الاعطاء لا ینافیه، لامکان أن یکون مراده منه أنّه علیه السّلام آتاه اللّه قوّة یقتدر بها علی علم الغیب من غیر حاجة إلی وساطة النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أو إلهام إلهی

أو توسّط الملائكة النّازلين فى ليلة القدر و نحو ذلك و بالجملة من دون حاجة إلى تعليم معلّم فافهم و تأمّل و الحاصل أنّهم عليهم السّلام لا يعلمون إلاّ ما علّمهم اللّه سبحانه، و تعليمه فيكلّ آن فلو لم يعلمهم فى آن ما كان عندهم شىء و لا يعلمهم اللّه إلاّ بواسطة محمّد و هو قولهم الحقّ كما فى الكافى عن زرارة قال سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: لو لا أنّا نزاد لأنفدنا، قال: قلت: تزدادون شيئا لا يعلمه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ قال: أما انّه إذا كان ذلک عرض على رسول اللّه ثمّ على الأئمة ثمّ انتهى الأمر إلينا.

و عن يونس بن عبد الرّحمن عن بعض أصحابه عن أبى عبد اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: ليس شىء يخرج من عند اللّه عزّ و جلّ حتّى يبدء برسول اللّه، ثمّ بأمير المؤمنين، ثمّ بواحد بعد واحد لكيلا يكون آخرنا أعلم من أوّلنا فملخّص الكلام و فذلكة المرام ما ورد فى الأخبار و ذكره علمائنا الأخيار من أنّهم لا يعلمون الغيب لا ينافى باخبارهم بأشياء كثيرة من الغيب، لأنّ ذلک كلّه من الوحى الذى نزل على رسول اللّه فعلّمهم رسول اللّه ذلک بأمر من اللّه، و لأنّ عندهم علم القرآن كلّه و فيه تبيان كلّ شىء، و تفصيل كلّ شىء و هو مستور محجوب عن الأغيار و قد كشفه اللّه سبحانه لمحمّد و آله الأطهار الأبرار، و ما أخبروا به من ذلک المستور عن غيرهم، و أيضا عندهم الاسم الأكبر و به يعلمون ما شاءوا كما ورد فى أحاديثهم فعلى ما ذكر لو قيل انّهم لا يعلمون الغيب بمعنى من ذاتهم فهو حقّ، و أمّا لو قيل إنّهم لا يعلمونه أصلا فلا، بل قد علموا كثيرا منه بتعليم الرّسول و علموا بعضه بما عندهم من الاسم الأكبر و بعضه بما كتب فى القرآن و مصحف فاطمة و الجامعة و الجفر، و بعضه بالملائكة الذين ينزلون إليهم ليلة القدر و بغيرهم من الملائكة المسخّرين لهم، و الجانّ الذين يخدمونهم و ينقلون إليهم علوم ما غاب عنهم و ما لم يكن مشاهدا و على هذه كلّها دلّت أخبارهم و هذه العلوم الغائبة هى المشار إليها فى قوله: فلا يظهر على غيبه أحدا إلاّ من ارتضى من رسول، و فى قوله و لكنّ اللّه يجتبى من رسله من يشاء هى المراد بقوله فى الزّيارة الجامعة: و اصطفاكم بعلمه و ارتضاكم

ص:219

لغيبه و اختاركم لسرّه

الوجه الثانی

أن يقال: إنّ الغيب على قسمين: قسم هو غيب عند الكلّ، و قسم هو غيب عند بعض شهادة عند آخر، و الأول قد يعبّر عنه بالعلم المكفوف و هو مختصّ باللّه سبحانه و عليه يحمل الأدلّة الدّالّة على أنّ الغيب للّه، و الثانی هو المعبّر عنه بالعلم المبذول و عليه يحمل الأدلّة المثبتة لعلمهم بالغيب و هذه القسمة مستفادة من أخبار كثيرة مثل ما فی البحار من بصائر الدّرجات باسناده عن بشير الدهان قال سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إنّ للّه علما لا يعلمه أحد غيره، و علما قد علمه ملائكته و رسله فنحن نعلمه.

و عن سماعة عن أبی عبد اللّه عليه السّلام قال إنّ للّه علما علّمه ملائكته و أنبيائه و رسله فنحن نعلمه، و علما لم يطّلع عليه أحد من خلق اللّه و عن سدير قال: سمعت حمران بن أعين يسأل أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللّه تبارک و تعالى: بديع السّموات و الأرض، قال أبو جعفر عليه السّلام إنّ اللّه ابتدع الأشياء كلّها على غير مثال كان، و ابتدع السّموات و الأرض و لم يكن قبلهنّ سموات و لا أرضون، أما تسمع لقوله تعالى: و كان عرشه على الماء، فقال حمران: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا، فقال له أبو جعفر عليه السّلام: إلاّ من ارتضى من رسول فانّه يسلک من بين يديه و من خلفه رصدا، و كان اللّه و محمّد ممّن ارتضاه، و أمّا قوله عالم الغيب فانّ اللّه تبارک و تعالى عالم بما غاب عن خلقه ممّا يقدّر من شیء و يقضيه فی علمه، فذلک يا حمران علم موقوف عنده إليه فيه المشيّة فيقضيه إذا أراد و يبدو له فلا يمضيه، فأمّا العلم الذی يقدّره اللّه و يقضيه و يمضيه فهو العلم الذی انتهى إلى رسول اللّه ثمّ إلينا و رواه فی الكافی عن سدير نحوه إلاّ أنّ فيه بعد قوله: و يقضيه فی علمه، قبل أن يخلقه و قبل أن يفضيه إلى الملائكة و فی البحار من البصائر أيضا عن أبی بصير عن أبی عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ للّه

علمين: علم مكنـون مخزون لاـ يعلمه إلاّ هـو من ذلـک يكون البـداء، و علم علّمه ملائكته و رسـله و أنبيـائه و نحن نعلمه قـال العلاـمة المجلسيّ: قوله: من ذلک يكون البداء، أى إنّما يكون البداء فيما لـم يطّلع اللّه عليه الأنبياء و الرّسل حتما لئلاّ يخبروا فيكذبوا هذا.

و ربمـا يظهر من بعض الأخبـار أنّه قـد يخرج من العلم المخزون إليهم عليهم السّـلام ما لا يخرج إلى غيرهم، و هو ما رواه فى البحار من البصائر عن ابن هاشم عن البرقى رفعه قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام إنّ للّه علمين، علم تعلمه ملائكته و رسله، و علم لا يعلمه غيره، فما كان ممّا يعلمه ملائكته و رسله فنحن نعلمه، و ما خرج من العلم الذى لا يعلم غيره فالينا يخرج و يدلّ على ذلک ما قدّمناه فى تحقيق معنى السّر فى شرح الفصل الرّابع من فصول الخطبة الثانية فليراجع إليه و قال بعض الأعلام فى توضيح المرام: اعلم أنّ المراد بالغيب ما غاب عن الحسّ، فاذا قيل غيب اللّه يراد به ما غاب عن بعض خلقه أو عن كلّهم، لأنّ اللّه سـبحانه لم يغب عنه غائبة فلا يكون عنده غيب، و أمّا خلقه فلهم غيب و شـهادة، و قـد يكون غيب فى امكان عنـد بعض شـهادة عند بعض آخر، و قد يكون غيب عند الكلّ أمّا الأوّل هو الغيب الذى ارتضاهم عليهم السّـلام له، و هو غيب عند غيرهم و شهادة عندهم و أمّا الثّانى و هو ما كان غيبا عند كلّ الخلق فهو ما دخل فى الامكان و أحاطت به المشـية إلاّ أنّه لـم تتعلّق به تعلّق التكوين، و هـذا لا يتناهى و لا ينفـد أبد الآبدين و ذلک هو خزائنه التى لا تفنى و لا يتصوّر فيها نقص بكثرة الانفـاق، فهو عزّ و جـلّ ينفق منهـا كيف يشـاء، و الـذى ينفق منه فى أوقـات الانفاق و أمكنته ينزل من الغيب، إلى البيوت التى ارتضاهم لغيبه و ينزّل من أبوابها ما يشاء.

و ذلـک المخزون منه محتوم، و منه موقوف فـالمحتوم منه ما لا يمكن تغييره و هو كون ما كان فانّه لا يمكن بعـد أن كان ألاّ يكون، و منه ما يمكن تغييره و لكنّه

ص:221

وعـد ألاّ يغيّره و هو لا يخلف الميعاد و قال تعالى فى محتوم الخير: فلا كفران لسـعيه و إنّا له لكاتبون، و فى محتوم الشـرّ: و لكن حقّ القول منّى لأملئنّ جهنّم من الجنّة و النّاس أجمعين، و هـذا المحتوم لو شاء غيّره و محاه و الموقوف مشـروط فيكون كـذا إن حصل كذا و إن لم يحصل كذا لكان كذا و كذا، و الشّرط هو السّبب و أما المانع فقد يكون فى الغيب و الشّهادة، و قد يكون فى الغيب و لا يكون فى الشهادة، لأنّه إذا وجد فى الشهادة وجد فى الغيب و لا يلزم العكس.

فإذا وجـد المقتضـى فان وجد المانع منه فان اعتدلا فهو الموقوف كما ذكر و إن رجّح أحدهما فالحكم له فاذا وجد المقتضـى و فقد المانع فان فقد فى الغيب و الشّهادة حتم وجوده، فان تمّت قوابله وجد و وصل إليهم علمه لأنّه ممّا شاء، و إن انتظرت جاز فى الحكمة الاخبار به فيخبر به على جهة الحتم و لا بدّ أن يكون إلاّ أنّه قبل كونه فى الصّفحة الثّانية من اللّوح، و هذا عندهم عليهم السّلام و منه ما كان و منه ما يكون، و إلى هـذا القسم أشاروا فى أخبارهـم أنّ عنـدنا ما كان و ما يكون إلى يوم القيامـة و إن فقد المانع فى الغيب خاصّة جاز فى الحكمة الاخبار به فيخبر به من غير حتم، و هـذا قـد يكون و قد لا يكون، و الفائدة فى الاخبار به مع أنّه سـبحانه لا يكذّب نفسه و لا يكذّب أنبيائه و رسـله و حججه هى اظهار التّوحيد بالخلق و الأمر و الاسـتقلال بالملك و إرشاد الخلق إلى اعتقاد البداء، لأنّه ما عبد اللّه شـىء أفضل من البـداء أى إثبات البداء للّه تعالى، و هذا بجوز للحجج الاخبار به لا على سبيل الحتم بل عليهم أن يعرفوا من لا يعرفوا إنّ اللّه يفعل ما يشاء و إنّه يمحو ما يشاء و يثبت و عنده أمّ الكتاب و لهذا قالوا عليهم السّلام ما معناه إذا أخبرناكم بأمر فكان كما قلنا فقولوا:

صـدق اللّه و رسوله، و إن كان بخلاف ذلک فقولوا: صدق اللّه و رسوله توجروا مرّتين و ليس عليهـم أن يعرفوا من لا يعرف هذا فى خصوص الواقعة، لأنّ ذلک

يوجب الشّک فی تصدیقهم عند أکثر النّاس، و قد یلزمهم من ذلک التقول علی اللّه لانه سبحانه لم یأمر بذلک فی کلّ واقعة، و إن کان قد یأمر بذلک کما فی وعد موسی بین ثلاثین و أربعین فی معرض التقریر و الهدایة و البیان و قد یلزم من البیان خلاف المقصود من الاخبار، و هذا القسم قد یکون یوجد مانعة فی الشهادة کالصدقة فی دفع البلاء المبرم یعنی الذی ابرم فی الغیب لعدم المانع هناک و الدّعاء فی ردّ البلاء و قد ابرم ابراما کذلک، و کبعض الأفعال بل و کلّ الطّاعات و تفصیل ذلک یطول.

الوجه الثالث

أن یحمل الأدلّة الحاصرة لعلم الغیب فی اللّه سبحانه علی الخمسة المذکورة فی الآیة، و الأدلّة المثبتة له علی غیره تعالی علی ما سوی الخمسة و یدلّ علی هذا الجمع هذا الکلام لأمیر المؤمنین علیه السّلام الذی نحن فی شرحه و یدلّ علیه أیضا ما فی البحار من تفسیر علیّ بن إبراهیم القمیّ (ره) بعد ذکر الآیة قال الصّادق علیه السّلام: هذه الخمسة أشیاء لم یطّلع علیه ملک مقرّب و لا نبیّ مرسل و هی من صفات اللّه عزّ و جلّ و من الخصال عن ابن الولید عن الصّفار عن ابن هاشم عن عبد الرحمن بن حمّاد عن إبراهیم بن عبد الحمید عن أبی اسامة عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال لی أبی: ألا اخبرک بخمسة لم یطلع اللّه علیه أحدا من خلقه؟ قلت: بلی قال علیه السّلام:

إنّ اللّه عنده علم السّاعة، الآیة.

و من البصائر عن أحمد بن محمّد عن محمّد بن سنان عن أبی الجارود عن الاصبغ ابن نباتة قال سمعت أمیر المؤمنین علیه السّلام یقول: إنّ للّه علمین: علم استأثر به فی غیبه فلم یطلع علیه نبیّا من أنبیائه و لا ملکا من ملائکته و ذلک قول اللّه تعالی إنّ اللّه عنده علم السّاعة و ینزّل الغیث و یعلم ما فی الأرحام و ما تدری نفس ما ذا تکسب غدا و ما تدری نفس بأیّ أرض تموت، و له علم قد اطلع علیه ملائکته فما اطلع علیه ملائکته فقد اطلع علیه محمّدا و آله، و ما اطلع علیه محمّدا و آله فقد اطلعنی علیه بعلمه الکبیر منّا و الصّغیر.

و بمعناها أخبار اخر مفيدة لتفرّد اللّه سبحانه بهذه الامور الخمسة إلاّ أنّ هذا الجمع يشكل من وجهين:

احدهما أنّ أشياء كثيرة أخبروا عليهم السّلام بأنّهم لا يعلمونها، و ليست من هذه الخمسة و ثانيهما أنّهم عليهم السّلام كثيرا ما أخبروا بكثير من هذه الامور الخمسة كما هو غير خفيّ على من تتبّع الأخبار و الآثار منها إخبار أمير المؤمنين بحمل الجارية التى اختصم فيها قومه و إعلامه بأنّ الجنين فى بطنها علقة وزنها سبعمائة و خمسون درهما و دانقان، فوجدوها كما قال عليه السّلام حتى قال أبوها أشهد أنّک تعلم ما فى الأرحام و الضمائر، و أنت باب الدّين و عموده فى قصّة بيت الطست المعروفة و منها إخباره بوقت قتله و مقتله و قاتله و كذلک الحسين عليه السّلام و منها إخبارهم بآجال النّاس مثل ما فى الكافى عن أحمد بن مهران عن محمّد بن علىّ عن سيف بن عميرة عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت العبد الصّالح ينعى إلى الرّجل نفسه، فقلت فى نفسى: و إنّه ليعلم متى يموت الرّجل من شيعته فالتفت إلىّ شبه المغضب و قال: يا اسحاق قد كان رشيد الهجرى يعلم علم المنايا و البلايا و الامام أولى بعلم ذلک، ثمّ قال: يا اسحاق اصنع ما أنت صانع فانّ عمرک قد فنا و انّک تموت إلى سنتين و إخوتک و أهل بيتک لا يلبثون إلاّ يسيرا حتّى يتفرّق كلمتهم و يخون بعضهم بعضا حتّى يشمت بهم عدوّهم، فكان هذا فى نفسک، فقلت فانّى استغفر اللّه ممّا عرض فى صدرى، فلم يلبث اسحاق بعد هذا المجلس إلاّ يسيرا حتى مات، فما أتى عليهم إلاّ قليل حتّى قام بنو عمّار بأموال النّاس فافلسوا و فيه عن إسحاق قال حدّثنى محمّد بن الحسن بن شمّون قال حدّثنى أحمد بن محمّد قال كتبت إلى أبى محمّد عليه السّلام حين أخذ المهتدى فى قتل الموالى: يا سيّدى الحمد للّه الذى شغله عنّا، فقد بلغنى أنّه يهدّدک و يقول و اللّه لا جلينّهم عن جديد

الأرض فوقّع أبو محمّد بخطه عليه السّلام: ذاک أقصر لعمره، عد من یومک هذا خمسة أیّام و یقتل فی الیوم السّادس بعد هوان و استخفاف یمرّ به، فکان کما قال علیه السّلام و فی العیون عن سعد بن سعد عن أبی الحسن الرّضا علیه السّلام أنّه نظر إلی رجل فقال له یا عبد اللّه أوص بما ترید و استعدّ لما لا بدّ منه فکان فمات بعد ذلک بثلاثة أیّام.

و فی الاحتجاج فیما خرج من التّوقیع إلی أبی الحسن السّمری رابع الوکلاء الأربعة: بسم اللّه الرّحمن الرحیم یا علیّ بن محمّد السّمری أعظم اللّه أجر إخوانک فیک، فانّک میّت ما بینک و بین ستّة أیام، فاجمع أمرک و لا توص إلی أحد یقوم مقامک بعد وفاتک، فقد وقعت الغیبة التّامة، فلا ظهور إلاّ بعد إذن اللّه تعالی ذکره و ذلک بعد طول الأمد و قسوة القلوب و امتلاء الأرض جورا، و سیأتی من شیعتی من یدّعی المشاهدة، ألا فمن ادّعی المشاهدة قبل خروج السّفیانی و الصّیحة فهو کاذب مفتری و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه العلیّ العظیم. فنسخوا هذا التّوقیع و خرجوا من عنده فلمّا کان الیوم السّادس عادوا إلیه و هو یجود بنفسه، فقال له بعض النّاس: من وصیّک بعدک، فقال: للّه أمر هو بالغه و قضی، فهذا آخر کلام سمع منه رضی اللّه عنه و أرضاه، هذا و الاخبار الدّالة علی علمهم(1) علیهم السّلام بالمنایا و البلایا و الانساب، و بعلمهم بأنّهم متی یموتون، و بعلمهم بما فی الأرحام، و بما یصیبون و یکتسبون، و بنزول المطر فوق حدّ الاحصاء متجاوزة عن حدّ الاستقصاء روی أبو بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنّه قال: إنّ الامام لو لم یعلم ما یصیبه و إلی ما یصیر فلیس ذلک بحجّة اللّه علی خلقه و إذا عرفت ذلک فأقول: و یمکن التفصّی عن هذین الاشکالین اما عن الاول فبحمل ما اخبروا بأنّهم لا یعلمونه علی أنهم علیهم السّلام لا یعلمونه

1- (1) یعنی علمهم بامور المعدودة فی الآیة الشریفة أعنی قوله: إن اللّه عنده علم الساعة و ینزّل الغیث الآیة م

من تلقاء أنفسهم على ما تقدّم تفصيلا فى أوّل وجوه الجمع و أما عن الثانى فبما فى المجلد السّابع من البحار قال (ره) بعد ما عقد بابا على أنّ الأئمة عليهم السّلام لا يعلمون الغيب و أورد الآيات و الأخبار الدالّة لذلک:

تذكرة

قد عرفت مرارا أنّ نفى علم الغيب عنهم معناه أنّهم لا يعلمون ذلک من أنفسهم بغير تعليمه تعالى بوحى أو إلهام و إلاّ فظاهر أنّ عمدة معجزات الأنبياء و الأوصياء عليهم السّلام من هذا القبيل و أحد وجوه إعجاز القرآن أيضا اشتماله على الاخبار بالمغيبات و نحن نعلم أيضا كثيرا من المغيبات باخبار اللّه تعالى و رسوله و الأئمة صلوات اللّه عليهم كالقيامة و أحوالها و الجنّة و النّار و الرجعة و قيام القائم و نزول عيسى عليه السّلام و غير ذلک من أشراط السّاعة و الكرسى و الملائكة و أمّا الخمسة التى وردت فى الآية فتحتمل وجوها الأوّل أن يكون المراد أنّ تلک الامور لا يعلمها على التعيين و الخصوص إلاّ اللّه تعالى، فانّهم إذا أخبروا بموت شخص فى اليوم الفلانى فيمكن أن لا يعلموا خصوص الدقيقة التى تفارق الرّوح الجسد فيها مثلا، و يحتمل أن يكون ملک الموت لا يعلم ذلک.

الثانى أن يكون العلم الحتمى بها مختصّا به تعالى و كلّ ما أخبر اللّه به من ذلک محتمل للبداء الثالث أن يكون المراد عدم علم غيره تعالى إلاّ من قبله فيكون كسائر الغيوب، و يكون التخصيص بها لظهور الأمر فيها أو لغيره أقول: و يؤيّد ذلک ما رواه سدير قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إنّ أبى مرض مرضا شديدا حتّى خفنا عليه، فبكى بعض أهله عند رأسه، فنظر إليه فقال عليه السّلام إنّى لست بميّت من وجعى هذا إنّه أتانى اثنان فأخبرانى أنّى لست بميّت من وجعى هذا قال: فبرء و مكث ما شاء اللّه أن يمكث فبينما هو صحيح ليس

به بأس قال عليه السّلام: يا بنىّ إنّ الـذين أتيانى من وجعى ذاك أتيانى فأخبرانى أنّى ميّت يوم كذا و كذا، قال: فمات فى ذلك اليوم الرّابع ما أومأنا إليه سابقا، و هو أنّ اللّه تعالى لم يطّلع على تلك الامور كلّيـة أحـدا من الخلق على وجه لابداء فيه، بل يرسل علمها على وجه الحتم فى زمان قريب من حصولها، كليلة القدر أو أقرب من هذا، و هذا وجه قريب تدلّ عليه أخبار كثيرة، إذ لا بدّ من علم ملك الموت بخصوص الوقت كما ورد فى الأخبار و كـذا ملائكة السّحاب و المطر بوقت نزول المطر، و كذا المدبّرات من الملائكة بأوقات وقوع الحوادث، هذا و قـد أطنبنا الكلام فى هـذا المقام لكونه من مزالّ الأقـدام، و قـد أتينا فيه ما يقتضـيه التأمّل و يسوق إليه النّظر و التـدبّر فى أخبار الأئمة عليهم السّلام، و الأـمر بعـد ذلک موكول إليهم، فانّ أهل البيت أدرى بما فيه و سـرّ الحبيب مع الحبيب ليس قلم يحكيه، و ما التوفيق إلاّ باللّه، و الحمد للّه على ذلک

الترجمة

بعض ديگر از اين خطبه است، و اشاره مى فرمايد بآن بسوى وصف تركان و بيان حال ايشان گويا من مى بينم ايشان را گروهى گويا روهاى ايشان سپرهائيست كه پوست بر پوست دوخته شده باشـند در اسـتداره و غلظت در حالتى كه مى پوشـند جامهاى حرير و ديبا، و جنيه مى كشـند اسـبهاى خوب و نجيب، و باشـد در آن مكان شدت قتل و قتال تا اين كه راه مى رود مرد زخم دار بر مرد كشـته شده، و باشد نجات يابنده كمتر از اسير و دستگير.

پس گفت مر آن حضرت را بعض أصحاب او: هر آينه بتحقيق عطا شدۀ يا أمير المؤمنين علم غيب را، پس تبسّم فرمود آن حضرت و فرمود بآن مرد و بود او از قبيلۀ كلب

أی برادر کلب نیست آن چه که خبر دادم من از آن علم غیب، و جز از این نیست که آن آموختنی است از صاحب علم یعنی حضرت رسالتمآب صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و غیر از این است که علم غیب علم بوقت قیامت است و به آن چه که خداوند تبارک و تعالی تعداد فرمود آنرا با کلام معجز نظام خود که فرموده: إنّ اللّه عنده علم السّاعة و ینزّل الغیث و یعلم ما فی الأرحام تا آخر آیه، یعنی بدرستی خداوند عالم در نزد اوست علم قیامت، و فرو می فرستد باران را، و میداند آن چه که در رحم مادران است، پس میداند حق تعالی آنچه که در رحمها است از مذکّر یا مؤنّث و زشت یا خوب و صاحب سخاوت و بخیل و صاحب شقاوت یا سعادت را، و آن کسی را که باشد در آتش دوزخ سوزان، و در بهشت عنبر سرشت رفیق پیغمبران، پس این است علم غیب که نمی داند او را هیچکس جز خدا و آنچه که غیر از این است پس علمی است که تعلیم فرموده آنرا خداوند متعال پیغمبر خود، پس تعلیم فرمود پیغمبر سلام اللّه علیه بمن آنرا، و دعا کرده در حقّ من باین که نگه دارد آن علم را سینهٔ من، و ضبط کند آنرا قلب من، و اللّه أعلم بالصّواب.

و من خطبة له علیه السّلام فی ذکر المکائیل و الموازین

اشارة

و هی المأة و التاسعة و العشرون من المختار فی

باب الخطب

عباد اللّه إنّکم و ما تأملون من هذه الدّنیا أثویاء مؤجّلون، و مدینون مقتضون، أجل منقوص، و عمل محفوظ، فربّ دائب مضیّع، و ربّ کادح خاسر، و قد أصبحتم فی زمن لا یزداد الخیر فیه إلاّ إدبارا، و الشّرّ فیه إلاّ إقبالا، و الشّیطان فی هلاک النّاس إلاّ طمعا، فهذا أوان قویت عدّته، و عمّت مکیدته، و أمکنت فریسته، اضرب

بطرفک حیث شئت من النّاس، فهل تبصر إلاّ فقیرا یکابد فقرا، أو غنیّا بدّل نعمة اللّه کفرا، أو بخیلا اتّخذ البخل بحقّ اللّه وفرا، أو متمرّدا کأنّ بأذنه عن سمع المواعظ وقرا، أین خیارکم و صلحائکم و أحرارکم و سمحائکم، و أین المتورّعون فی مکاسبهم، و المتنزّهون فی مذاهبهم؟ أ لیس قد ظعنوا جمیعا عن هذه الدّنیا الدّنیّة و العاجلة المنغّصة، و هل خلّفتم إلاّ فی حثالة لا تلتقی بذمّهم الشّفتان استصغارا لقدرهم، و ذهابا عن ذکرهم، فإنّا للّه و إنّا إلیه راجعون، ظهر الفساد فلا منکر متغیّر، و لا زاجر مزدجر، أ فبهذا تریدون أن تجاوروا اللّه فی دار قدسه، و تکونوا أعزّ أولیائه عنده، هیهات لا یخدع اللّه عن جنّته، و لا تنال مرضاته إلاّ بطاعته، لعن اللّه الآمرین بالمعروف التّارکین له، و النّاهین عن المنکر العاملین به.

اللغة

(المکائیل) جمع المکیال و هو ما یکال به الطعام کالکیل و المکیل و المکیلة و (أثویاء) جمع ثویّ کأغنیاء و غنیّ و هو الضّیف و الأسیر و المجاور بأحد الحرمین من ثوی المکان و به یثوی ثواء أطال الاقامة به و (دنت) الرّجل أقرضته و هو مدین و مدیون و دنت أیضا استقرضت و صار علیّ دین فأنا داین یعدّی و لا یعدّی و (مقتضون) جمع مقتضی کمرتضون جمع مرتضی و (مضیّع) یروی بالتّشدید و التخفیف و (زاد اللّه خیرا) و زیدة، فزاد و ازداد و (الفرس) القتل و الفریس القتیل و فرس الأسد فریسته دقّ عنقها، و الأسد فرّاس و فارس و مفترس و فروس و المنغّصة ()

ص:229

بتشدید الغین و تخفیفها و کسرها و فتحها و (الحثالة) السّاقط الرّدی من کلّ شیء (فلا منکر متغیّر) کلاهما بصیغة المفعول و الأوّل من باب الأفعال و الثانی من باب التفعیل و فی بعض النّسخ کلاهما بصیغة الفاعل إلاّ أنّ الأوّل من باب الافعال و الثّانی من باب التفعیل مغیّر بدل متغیّر

الاعراب

أجل و عمل خبران محذوف المبتدأ، و قوله: أین خیارکم، استفهام علی سبیل التّحسر و التحزّن، و قوله: أ لیس قد ظعنوا، استفهام علی سبیل الابطال و الانکار أو التّقریر لما بعد النّفی، و قوله: أ فبهذا، استفهام علی سبیل التوبیخ و التّقریع.

المعنی

اعلم أنّ هذه الخطبة کما ذکره السّید خطبها فی ذکر المکائیل و الموازین قال الشّارح المعتزلی: و لست أری فی هذه الخطبة ذکرا للمکاییل و الموازین الّتی أشار إلیه الرّضی (ره) اللّهم إلاّ أن یکون قوله: و این المتورّعون فی مکاسبهم، أو قوله ظهر الفساد، و دلالتهما علی المکائیل و الموازین بعیدة انتهی و قد یقال إنّ ذلک ابتناء علی ما هو دأب السّید (ره) و عادته فی الکتاب من التقطیع و الالتقاط، فلعلّه أسقط ما اشتمل علی ذکر الموازین و المکائیل، و لا یبعد أن یکون ذکر عنده تطفیف النّاس فی المکائیل و الموازین و اشتهار ذلک بینهم فخطب بهذه الخطبة نهیا لهم عن ذلک المنکر علی سبیل الاجمال و وبّخهم علی فعلهم بقوله أین المتورّعون و نحو ذلک، فالمراد بقوله: فی ذکر المکائیل: عند ذکرها و فی وقته لا أنّها مذکورة فی الخطبة صریحا و کیف کان فقد نبّه علیه السّلام أوّلا علی فناء الدّنیا و زوالها و زهادة قدرها إزعاجا للمخاطبین عن الرکون إلیها و الاعتماد علیها و الشّغف بها فقال:(عباد اللّه إنّکم و ما تأملون من هذه الدّنیا أثویاء مؤجّلون) أی أنتم ما ترجونه من هذه الدّنیا الدّنیّة من البقاء و التّعیش فیها بمنزلة أضیاف منزلین فی منزل مقترین إلی أجل

معلوم و وقت معدود (و مدينون مقتضون) أى ما أوتيتم فيها من زبرجها و زخارفها مطالبون بها و محاسبون عليها كالمديون المطالب بدينه، و قيل استعار لفظ المدين لهم باعتبار وجوب التكاليف المطلوبة منهم و ليس بشىء (أجل منقوص و عمل محفوظ) أى آجالكم منقوصة بمضىّ اللّيالى و الأيّام و انقضاء الشهور و السّنين، و أعمالكم محفوظة بأيدى الكرام الكاتبين.

ثمّ أشار عليه السّلام إلى عدم جواز الاغترار بالأعمال و الابتهاج بها بقوله:(فربّ دائب مضيّع و ربّ كادح خاسر) يعنى كم من مجدّ فى العبادة متعب نفسه فى الاتيان بها مضيّع لها بما يلحقها من العجب و الرّياء و نحو ذلک ممّا يبطلها و يضيّعها، كابطاله صدقاته بالمنّ و الأذى، و كم من ساع خاسروهم الأخسرون أعمالا الّذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدّنيا و هم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا، الّذين يأتون بالطاعات فاقدة لشرائطها المعتبرة فى القبول كطاعة الخوارج و النّواصب و الغلاة و من يحذو حذوهم.

(و قد أصبحتم فى زمن لا يزداد الخير فيه إلاّ إدبارا و الشّر إلاّ إقبالا) لغلبة اتّباع الهوى و النكوب عن سمت الرشاد و الهدى (و الشيطان فى هلاک النّاس إلاّ طمعا) لأنّه بعد ما ضعف جانب الحقّ و قوى جانب الباطل فهنا لک يطمع إبليس فى اغواء النّاس و إهلاكهم و يستولى على أوليائه(فهذا أوان قويت عدّته)استعارة للشّرور و المفاسد الّتى هى زاد الشيطان و ذخيرته (و عمّت مكيدته) للناس إلاّ الّذين سبقت لهم من اللّه الحسنى(و أمكنت فريسته)أى أمكنته فريسته من نفسها حتّى سهل عليه افتراسها، و هى استعارة لأهل الضّلال باعتبار هلاكهم فى يده و استيلائه عليهم و تمكّنه من إغوائهم و إضلالهمثمّ شرح عليه السّلام أنواع الشّرور الّتى لا تزيد إلاّ إقبالا بقوله:(اضرب بطرفک) أى أمعن النّظر (حيث شئت من النّاس فهل تبصر إلاّ فقيرا يكابد فقرا) أى يتحمّل مشاقته و يقاسى مرارته و متاعبه، و هو إشارة إلى استكراه الفقير لفقره و استنكافه منه، و لا شکّ أنّ ذلک محبط لأجره واضع لقدره

و لذلک قال علیه السّلام یا معشر الفقراء اعطوا اللّه الرّضا من قلوبکم تظفروا بثواب فقرکم.

و عن أمیر المؤمنین علیه السّلام إنّ للّه عقوبات و مثوبات بالفقر، فمن علامة الفقر إذا کان مثوبة أن یحسن إلیه خلقه و یطیع ربّه و لا یشکو حاله و یشکر اللّه تعالی علی فقره و من علامته إن یکون عقوبة أن یسوء إلیه خلقه و یعصی ربّه و یکثر الشّکایة و یتسخّط القضاء (أو غنیّا بدّل نعمة اللّه کفرا) لأنّ الانسان لیطغی أن رآه استغنی فیلهیه غناءه عن ذکر اللّه تعالی کما قال سبحانه: ألهیکم التّکاثر، و قال: إنّما أموالکم و أولادکم فتنة.

بیان ذلک أنّ ذکر اللّه سبحانه و شکره و الثناء علیه و التفکّر فیجلاله یستدعی قلبا فارغا، و الغنیّ لا فراغ له، و إنّما یصبح و یمسی و هو متفکّر فی إصلاح ماله، مصروف الحواسّ إلی حفظه قال عیسی علیه السّلام: فی المال ثلاث آفات: أن یأخذه من غیر حلّه، فقیل: إن أخذه من حلّه، فقال: یضعه فی غیر حقّه، فقیل: إن وضعه فی حقّه، فقال: یشغله إصلاحه عن اللّه تعالی و فی إحیاء العلوم عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: سیأتی بعدکم قوم یأکلون أطائب الدّنیا و ألوانها، و یرکبون فره الخیل و ألوانها، و ینکحون أجمل النّساء و ألوانها و یلبسون أجمل الثّیاب و ألوانها، لهم بطون من القلیل لا تشبع، و أنفس بالکثیر لا تقنع، عاکفین علی الدّنیا، یغدون و یروحون الیها، اتخذوها آلهة من دون إلههم، و ربّا دون ربّهم، إلی أمرها ینتهون، و لهواهم یتّبعون، فعزیمة من محمّد بن عبد اللّه لمن أدرک ذلک الزّمان من عقب عقبکم و خلف خلفکم أن لا یسلّم علیهم و لا یعود مرضاهم، و لا یتّبع جنائزهم، و لا یوقّر کبیرهم، فمن فعل ذلک فقد أعان علی هدم الاسلام (أو بخیلا اتّخذ البخل بحقّ اللّه وفرا) أی ثروة و کثرة فی المال، و لمّا کان البخیل هو الذی لا یطیب قلبه بالعطاء و هذا علی اطلاقه لیس حراما و لا من

أفراد الشّر الذى أشار عليه السّلام إلى اقباله و ازدياده و لا جرم خصّه بالبخيل فى عرف الشّرع و هو الّذى يمنع من أداء الواجب عليه، و البخل فى غير الواجب مكروه مذموم و فاعله ملوم، و فى الواجب موجب للعقاب و العتاب مبعّد لفاعله من حظيرة القدس و حضرة ربّ الأرباب كما قال اللّه سبحانه: «وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ » (أو متمرّدا كان باذنه عن سمع المواعظ) و النّصايح (وقرا) و ثقلا فلهم أعين لا يبصرون بها، و لهم قلوب لا يفقهون بها، و لهم آذان لا يسمعون بها، ختم اللّه على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم غشاوة و لهم عذاب عظيم ثمّ تحسّر و تأسّف على فوت الخيار و موت الصلحاء الأخيار فقال (أين خياركم و صلحائكم و أحراركم و سمحائكم) أى أخياركم و أسخيائكم (و أين المتورّعون فى مكاسبهم) المراقبون لشرائط التجارات و المواظبون لرسوم المعاملات الآخذون بوظائف العدل و الانصاف، و المجانبون عن التطفيف و البخس و الاعتساف (و المتنزّهون فى مذاهبهم) أى المتباعدون عن الأخذ بالمقاييس و الارادة الفاسدة و بالاستحسانات العقليّة و العقائد الكاسدة (أ ليس قد ظعنوا) و ارتحلوا (جميعا عن هذه الدّنيا الدّنيّة و العاجلة المنغّصة) المكدّرة فلم يبق منهم من تأخذون منه مكارم الآداب و الأخلاق، و ترجعون إليه فى صالح الأعمال و الأفعال لعلّكم تقتبسون آثارهم و تتّبعون أفعالهم ثمّ نبّه على حقارة الباقين و رذالتهم فقال (و هل خلفتم إلاّ فى حثالة لا تلتقى بذمّهم الشفتان) أى ما بقيتم إلاّ فى أوغاد النّاس و أراذلهم و طغاتهم و حمقائهم يأنف الانسان أن يذمّهم و لا يطبق إحدى الشّفتين منه على الاخرى ليتكلّم فيهم (استصغارا لقدرهم و ذهابا) أى ترفّعا (عن ذكرهم) و احتقارا لهم (فانّا للّه و إنّا إليه راجعون) من اصابة هذه المصائب و ابتلاء تلك البليّة، فانّ المبتلى و المصاب إنّما يسترجع إذا وقع فى بليّة أو ابتلى بمصيبة (ظهر الفساد) فى النّاس بارتفاع المعروف و اشتهار المنكر (فلا منكر متغيّر) أى لا يتغيّر فعل منكر لعدم وجود المغيّر و المنكر

أو لعـدم تأثير انكاره لعدم تأثّره فى نفسه عن قبيح فعله، و يؤيّده ما فى بعض النّسخ من قوله فلا منكر مغيّر بدله أى ليس منكر يغيّر سوء فعله (و لا زاجر مزدجر) عن قبيح عمله فيكون القرينة الثّانية تفسيرا للاولى، و المقصود أنّه لا ينتهى النّاهى عن المنكر عمّا ينهى عنه، و لا زاجر يزدجر و يتّعظ (أ فبهذا) الحال (تريدون أن تجاوروا اللّه فى دار قدسه) و تسـكنوا جنّته (و تكونوا أعزّ أوليائه عنده) و تلقوا النّضرة و السّرور، و تنزلوا الغرف و القصور و تشربوا الشّراب الطهور و تلبسوا الدّيباج و الحرير، و تزوّجوا بالحور العين، و تخدموا الولدان المخلّدين (هيهات لا يخدع اللّه عن جنّته و لا تنال مرضاته إلاّ بطاعته) لأنّ الخديعة إنّما تجوز على من لا يعلم السّـر دون من هو عالم بالسّر و أخفى يعلم ما فى السّـموات و مـا فى الأرض و ما بينهما و ما تحت الثّرى، فالطّمع فى نزول الجنان و الـدّرجات و نيل الرّضوان و المرضاة ليس إلاّ من اغترار الأنـفس و أمـانى إبليس، فلاـ يغرّنكم الحيوة الـدّنيا و لا يغرّنكم باللّه الغرور (لعن اللّه الآمرين بالمعروف التاركين له، و النّاهين عن المنكر العاملين به) لأنّ الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر إنّما هو بعـد الاتيان بالأوّل و الانتهاء عن الثانى، قال اللّه تعالى: يا أيّها الـذين آمنوا لم تقولون مـا لا تفعلون كبر مقتا عنـد اللّه أن تقولوا ما لا تفعلون، و قـد مضـى أخبار كثيرة فى هـذا المعنى فى شـرح الفصل الثانى من فصول الخطبة المأة و الرّابعة

الترجمة

از جمله خطب شريفه آن امام مبين و سيّد وصيّين است در ذكر پيمانها و ترازوها بندگان خدا بدرستى كه شما و آنچه اميد مى داريد بآن در اين دنيا مهمانانيـد مهلت داده شـده تا مدّت معيّن، و قرض دارانيد طلبكارى شده أجل شـما أجلى است نقصان يافته، و عمل شـما عملى است نگه داشته شده، پس بسا جهد كنندۀ در عبادت كه ضايع كنندۀ اوست، و بسا سعى كنندۀ كه زيان كار است، و بتحقيق صباح كرديد

در زمانی که زیاده نمی شود نیکوئی در آن مگر إدبار او، و نه بـدی مگر إقبال آن، و نه شـیطان لعین در هلاک مردمان مگر طمع او، پس این زمان زمانی است که قوّت یافته ذخیرهٔ مهیا شدهٔ آن لعین، و فرا گرفته است کید و مگر او غالب خلق را، و دست داده است شکار او بگردان نظر خود را هر جا که می خواهی از مردمان، پس نمی بینی مگر فقیر که می کشـد رنـج و تعب فقر را، یا غنیّ که بـدل نموده نعمت خـدا را بکفران، یا بخیلی که أخذ نموده بخل بحقّ خدا را از کثرت مال، یا گردنکشـی که گویا در گوش او از شـنیدن موعظها سـنگینی و گره است، کجایند أخیار شـما و صالحین شما و آزاد مردان شما و سخیان شما؟ و کجایند کسانی که پرهیزکار بودند در کسبهای خودشان، و دو روی می جسـتند از شـبه باطله در مـذهبهای خودشان؟ آیا رحلت نکردنـد همگی ایشان از این دنیای پست و بی مقـدار، و از این شـتاب کنندهٔ کـدورت آمیز واپس گذاشـته نشـده ایـد مگر در پست و بد مردمان که بهم نمی آید بمذمت ایشان لبها بجهت حقیر شـمردن قدر ایشان، و بجهت اظهار رفعت از ذکر ایشان پس بـدرستی که ما بنـدگانیم خداونـد تعالی را و بتحقیق که ما بسوی او رجوع خواهیم کرد، ظاهر گردید فساد در میان عباد، پس نیست انکار کننـدهٔ معاصـی تغیر دهنده عمل قبیح خود را، و نه منع کنندهٔ از قبایح باز دارندهٔ خود از معصـیت، آیا پس باین حال می خواهید مجاور باشـید خدا را در سـرای پاکیزهٔ او، و بشوید عزیزترین دوستان او در نزد او، چه دور است این آرزو، فریب داده نمی شود خدای متعال از بهشت خود، و درک نمی شود خوشـنودی او مگر بطاعت او، لعنت کند خدا امر بمعروف کنندگانی که ترک کننده آن معروف باشند، و نهی کنندگان از منکر که عمل کننده باشند بآن منکر.

و من كلام له عليه السّلام لابى ذر (ره) لما اخرج الى الربذة

اشارة

و هو المأة و الثلاثون من المختار فی باب الخطب.

و هو مروی فی روضة الكافی بتفصيل تطلع عليه انشاء اللّه يا أبا ذرّ إنّک غضبت للّه سبحانه فارج من غضبت له، إنّ القوم خافوک على دنياهم و خفتهم على دينک، فاترک فی أيديهم ما خافوک عليه، و اهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم، و أغناک عمّا منعوک، و ستعلم من الرّابح غدا، و الأكثر حسّدا، و لو أنّ السّموات و الأرضين كانتا على عبد رتقا ثمّ اتّقى اللّه لجعل اللّه له منهما مخرجا، لا يونسنّک إلاّ الحقّ، و لا يوحشنّک إلاّ الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبّوک، و لو قرضت منها لأمنوک.

اللغة

قال الطريحی (الرّبذة) بالتّحريک قرية معروفة قرب المدينة نحوا من ثلاثة أميال كانت عامرة فی صدر الاسلام فيها قبر أبی ذر الغفاری و جماعة من الصّحابة و هی فی هذا الوقت دارسة لا يعرف لها أثر و لا رسم و (الرّتق) ضدّ الفتق قال اللّه تعالى: «أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما »، و رتقت المرأة رتقا من باب تعب إذا انسدّ مدخل الذّكر من فرجها فلا يستطاع جماعها فهی رتقاء واسع (القرض) القطع و منه الحديث كان بنی إسرائيل إذا أصاب أحدا قطرة من بول قرضوا لحومهم بالمقاريض أی قطعوها، و سمّی القرض المصطلح و هو ما تعطيه لتقضاه به لأنّه قطيعة من مالک (الأمن) ضدّ الخوف و أمن كفرح أمنا و أمانا بفتحهما.

ص:236

الاعراب

قد مضى تحقيق الكلام فى ما فى مثل قوله فما أحوجهم فى شرح الخطبة المأة و الثّامنة، و ما فى ما منعتهم يحتمل المصدر و الموصول فالعايد محذوف و مثله على الاحتمال الثانى ما فى عمّا منعوک، فافهم

المعنى

اشارة

اعلم أنّ هذا الكلام حسبما أشار إليه السيّد (ره) قاله لأبى ذرّ لما أخرج إلى الرّبذة بأمر عثمان اللّعين، و ستعلم نبأه بعد حين (يا أبا ذر إنّک غضبت) القوم (للّه سبحانه فارج من غضبت له) و إنّما أتى بالموصول و لم يقل فارج اللّه لما فيه من تقرير الغرض المسوق له الكلام، فانّ المقصود بهذا الكلام تسلية همّ أبى ذرّ رحمه اللّه و سلب وحشته و كأبته، فانّه إذا كان غضبه للّه سبحانه و فى اللّه سبحانه خالصا مخلصا فلا بدّ أن يكون رجاه باللّه و حرىّ حينئذ عليه سبحانه الذى كان غضبه له أن لا يخيّب رجاه و لا يقطع أمله بل يكون مونسه فى الوحشة و أنيسه فى الوحدة، و ناصره و معينه و حافظه على كلّ حالة، ففى التّعبير بالموصول زيادة تقرير لعدم تخيّب رجاه، و فيه من التّسلية له ما لا يخفى (إنّ القوم) أراد به عثمان و معاوية و أمثالهما (خافوک على دنياهم و خفتهم على دينک) يعنى أنّهم خافوا منک أن تفسد دنياهم كما أنّک خفت أن تفسدوا دينک (فاترک فى أيديهم ما خافوک عليه و اهرب منهم بما خفتهم عليه فما أحوجهم إلى ما منعتهم) أيما أعظم احتياجهم إلى منعک إيّاهم لأنّک إنّما تمنعهم من المنكرات و فى هذا المنع لهم من الفوائد ما لا تحصى و فى تركه من المضارّ ما لا تستقصى، أو ما أكثر حاجتهم إلى الذى منعته منهم بخروجک من بين أظهرهم و هو دينک الذى خفتهم عليه (و) ما (أغناک عمّا منعوک) أى ما كثر غنائک عن الّذى منعوک منه و هو دنياهم الّتى خافوک عليها (و ستعلم من الرّابح غدا) أى فى الآخرة (و الأكثر حسّدا)ثمّ أراد زيادة ترغيبه فى الثّقة و الاعتماد على اللّه سبحانه فقال(و لو أنّ

السّماوات و الأرضين كانتا على عبد رتقا)أى مرتقين منسدّين و هو كناية عن شدّة الضّيق أى لو كان العبد فى غاية الشّدة و نهاية الضّنک و الضيق بحيث ضاقت عليه السّماوات و الأرض بما رحبت (ثمّ اتقى اللّه) سبحانه (لجعل اللّه له منهما مخرجا) حسبما وعده فى الكتاب العزيز بقوله: و من يتّق اللّه يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب و من يتوكّل على اللّه فهو حسبه.

(لا يونسنّک إلاّ الحقّ و لا يوحشنّک إلاّ الباطل فلو قبلت دنياهم) و لم تمنعهم من زبرجها و زخارفها و قيناتها (لأحبّوک و لو قرضت منها) و قطعت قطيعة لنفسک من مالها و قبلت ما يعطونک منها إليک (لأمنوک) أى كنت فى أمن من شرورهم، و لم يصل إليک أذا هم

تنبيه

فى ذكر نبذ من أحوال أبى ذر و فضائله و كيفية اسلامه و اخراجه

الى الربذة

فأقول: أبو ذر اسمه جندب(1) ابن السّكن كما قاله الطريحى، أو جندب ابن جنادة كما قاله المجلسىّ و هو الأشهر فسمّاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عبد اللّه، و هو من بنى غفار و زان كتاب أمّا كيفيّة اسلامه ففى الروضة من الكافى عن أبى علىّ الأشعرىّ عن محمّد ابن عبد الجبّار عن عبد اللّه بن محمّد عن سلمة اللّؤلؤى عن رجل عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: ألا أخبركم كيف كان إسلام سلمان و أبى ذر؟ فقال الرّجل و أخطأ: أمّا إسلام سلمان فقد عرفته فأخبرنى باسلام أبى ذر، فقال: إنّ أبا ذر كان فى بطن مرّ يرعى غنما فأتى ذئب عن يمين غنمه فهشّ (2) بعصاه على الذئب فجاء الذّئب عن شماله فهشّ عليه أبو ذر فقال له أبو ذر ما رأيت ذئبا أخبث منک و لا شرّا، فقال الذّئب:

و اللّه شرّ منّى أهل مكّة بعث اللّه عزّ و جلّ نبيّا فكذّبوه و شتموه، فوقع فى اذن

1- (1) جندب وزان درهم كما فى القاموس

2- (2) اى صال م

أبى ذر فقال لامرءته هلمّى مزودى و إداوتى و عصاى، ثمّ خرج على رجليه يريد مكّة ليعلم خبر الذئب و ما أتاه به حتى بلغ مكّة، فدخلها فى ساعة حارّة و قد تعب و نصب و أتا زمزم و قد عطش فاغترف دلوا فخرج لبنا، فقال فى نفسه: هذا دالّة يدلّنى على أنّ خبر الذئب و ما جئت له حقّ فشرب و جاء إلى جانب من جوانب المسجد فاذا حلقة من قريش فجلس إليهم فرآهم يشتمون النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما قال الذئب، فما زالوا فى ذلک من ذكر النبىّ و الشتم له حتى جاء ابو طالب من آخر النهار، فلما رأوه قال بعضهم لبعض: كفّوا فقد جاء عمّه، قال: فكفّوا، فما زال يحدّثهم و يكلّمهم حتى كان آخر النهار، ثمّ قام و قمت على اثره فالتفت إلىّ فقال: اذكر حاجتک، فقلت هذا النبىّ المبعوث فيكم؟ قال: و ما تصنع به؟ قلت: او من به و اصدّقه و أعرض عليه نفسى و لا يأمرنى بشىء إلاّ أطعته، فقال: و تفعل؟ فقلت: نعم، قال:

فقال: غدا فى هذا الوقت إلىّ حتى أدفعک إليه، قال: فبتّ تلک اللّيلة فى المسجد حتى إذا كان الغد جلست معهم، فما زالوا فى ذكر النبىّ و شتمه حتّى طلع ابو طالب فلما رأوه قال بعضهم لبعض امسكوا فقد جاء عمّه فأمسكوا فما زال يحدّثهم حتى قام فتبعته فسلّمت عليه فقال: اذكر حاجتک، فقلت: النبىّ المبعوث فيكم؟ قال: و ما تصنع به؟ قلت: اؤمن به و أصدقّه و أعرض عليه نفس و لا يأمرنى بشىء إلاّ أطعته قال: و تفعل؟ قلت: نعم، قال: قم معى، فتبعته فدفعنى إلى بيت فيه حمزة عليه السّلام فسلّمت عليه و جلست فقال لى: ما حاجتک؟ فقلت: هذا النّبىّ المبعوث فيكم؟ قال: و ما حاجتک إليه؟ قلت: اؤمن به و اصدّقه و أعرض عليه نفسى و لا يأمرنى بشىء إلاّ أطعته، فقال: تشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه، قال: فشهدت قال:

فدفعنى حمزة إلى بيت فيه جعفر فسلّمت عليه و جلست، فقال لى جعفر: ما حاجتک؟ فقلت: هذا النبىّ المبعوث فيكم؟ قال: و ما حاجتک إليه؟ قلت: أؤمن به و أصدّقه و أعرض عليه نفسى و لا يأمرنى بشىء إلاّ أطعته، فقال: تشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريک له و أنّ محمّدا عبده و رسوله، قال: فشهدت، فدفعنى إلى بيت فيه علىّ عليه السّلام فسلّمت و جلست فقال: ما حاجتک؟ قلت: هذا النبىّ المبعوث فيكم؟ قال: و ما

حاجتک إلیه؟ قلت: أومن به و اصدّقه و أعرض علیه نفسی، و لا یأمرنی بشیء إلاّ أطعته، قال: تشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه، قال: فشهدت فدفعنی إلی بیت فیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فسلّمت و جلست فقال لی رسول اللّه: ما حاجتک؟ قلت:

النبیّ المبعوث فیکم؟ قال: و ما حاجتک إلیه؟ قلت: أؤمن به و اصدّقه و لا یأمرنی بشیء إلاّ أطعته، فقال: تشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه، فقلت: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، فقال لی: یا باذر انطلق إلی أهلک فانّک تجد ابن عمّ لک قد مات و لیس له وارث غیرک، فخذ ما له و أقم عند أهلک حتّی یظهر أمرنا، قال: فرجع أبو ذر و أخذ و أقام عند أهله حتّی ظهر أمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام: هذا حدیث أبی ذر و إسلامه «رض»

و أما مناقبه الجمیلة و خصاله الحمیدة و کراماته البدیعة

فأکثر من أن تحصی، و کفی فی فضله اختصاصه برسول اللّه و کونه من خیار صحابته و تالی مرتبة سلمان و أنّه ارتدّ النّاس بعد رسول اللّه إلی أعقابهم القهقری و لم یبق غیرهما و غیر عمّار و المقداد و قد قال فیه رسول اللّه ما أقلّت الغبراء و لا أظلّت الخضراء علی ذی لهجة أصدق من أبی ذر، قیل بماذا فضّله اللّه بهذا و شرّفه؟ قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: لأنّه کان بفضل علیّ أخی رسول اللّه قوّالا، و له فی کلّ الأحوال مدّاحا، و لشانئه و أعدائه شانئا، و لأولیائه و أحبّائه موالیا، سوف یجعله اللّه فی الجنان من أفضل سکانها، یخدمه ما لا یعرف عدده إلاّ اللّه من وصایفها و غلمانها و ولدانها.

و عن علیّ بن إبراهیم عن الصّادق علیه السّلام قال: نزل قوله تعالی: إنّ الذین آمنوا و عملوا الصالحات کانت لهم جنّات الفردوس نزلا، فی أبی ذر و المقداد و سلمان و عمّار.

و فی الکافی عن سهل عن محمّد بن عبد الحمید عن یونس عن شعیب العقر قوفی

قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام شىء يروى عن أبى ذر رضى اللّه عنه أنّه كان يقول ثلاث يبغضها النّاس و أنا احبّها: احبّ الموت، و احبّ الفقر، و احبّ البلاء، فقال: إنّ هذا ليس على ما تروون إنّما عنى الموت فى طاعة اللّه أحبّ إلىّ من الحياة فى معصية اللّه و البلاء فى طاعة اللّه أحبّ إلىّ من الصحّة فى معصية اللّه، و الفقر فى طاعة اللّه أحبّ إلىّ من الغنى فى معصية اللّه و فى تفسير الامام عند تفسير قوله: الّذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصّلاة، قال: و حدّثنى أبى عن أبيه أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان من خيار أصحابه أبو ذر الغفارى فجاء ذات يوم فقال: يا رسول اللّه إنّ لى غنيمات قدر ستّين شاة أكره أن ابدئه فيها و افارق حضرتك و خدمتك، و أكره أن أكلها إلى راع فيظلمها و يسىء رعيها، فكيف أصنع؟ فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ابدء فيها فبدء فيها، فلمّا كان فى اليوم السّابع جاء إلى رسول اللّه فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا أبا ذرّ، فقال لبيّك يا رسول اللّه، قال: ما فعلت غنيماتك؟ فقال: يا رسول اللّه إنّ لها قصّة عجيبة، قال: و ما هى؟ قال يا رسول اللّه بينا أنا فى صلاتى إذ عدا الذّئب على غنمى فقلت: يا ربّ صلاتى يا ربّ غنمى فآثرت صلاتى فأحضر الشيطان ببالى يا أبا ذر أين أنت إن عدت الذّئاب على غنمك و أنت تصلّى فأكلها كلّها و ما بقى لك فى الدّنيا ما تتعيّش به؟ فقلت للشيطان: يبقى لى توحيد اللّه و الايمان بمحمّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و موالاة أخيه سيّد الخلق بعده علىّ ابن أبى طالب عليه السّلام و موالاة الأئمة الهادين الطّاهرين من ولده عليهم السّلام و معاداة أعدائهم و كلّما فات من الدّنيا بعد ذلك سهل و أقبلت على صلاتى، فجاء ذئب فأخذ حملا و ذهب به و أنا أحسّ به إذ أقبل على الذّئب أسد قطعه نصفين و استنقذ الحمل و ردّه إلى القطيع ثمّ نادى يا أبا ذر اقبل على صلاتك فانّ اللّه قد و كلنى بغنمك إلى أن تصلّى، فأقبلت على صلاتى و قد غشينى التّعجب ما لا يعلمه إلاّ اللّه تعالى حتّى فرغت منها، فجاءنى الأسد و قال لى امض إلى محمّد فأخبره إنّ اللّه تعالى قد أكرم صاحبك الحافظ شريعتك و و كل أسدا بغنمه يحفظها، فتعجّب من كان حول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم صدقت يا أبا ذر و لقد آمنت به أنا و علىّ و فاطمة و الحسن و الحسين، فقال بعض المنافقين:

هـذا بمواطاة بين محمّد و أبى ذر يريد أن يخدعنا بغروره و اتّفق منهم عشـرون رجلا و قالوا نذهب إلى عنمه فنظر إليها و ننظر إلى أبى ذر إذا صلّى هل يأتى الأسـد و يحفظ غنمه فنبيّن بـذلک کـذبه، فـذهبوا و نظروا و أبو ذر قائم يصـلّى و الأسد يطوف حول غنمه و يرعيها و يردّ إلى القطيع ما يشذّ عنه منها حتى إذا فرغ من صلاته ناداه الأسد هات قطيعک مسلّما وافر لعدو سالما، ثمّ ناداهم الأسد معاشر المنافقين أنكرتم تولّى محمّد و علىّ و الطّيبين من آلهما و المتوسّل إلى اللّه تعالى بهما أن يسخّرنى ربّى لحفظ غنمه، و الّذى أكرم محمّدا و آله الطيّبين، لقد جعلنى اللّه طوع يـدى أبى ذر حتّى لو أمرنى بافتراسـكم و إهلاـكم لأـهلككم، و الّـذى لاـ يحلف بأعظم منه لو سـئل اللّه بمحمّـد و آله الطّيبين أن يحول البحار دهن زنبق و بان و الجبل مسكا و عنبرا و كافورا و قضبان الأشجار قضب الزّمرد و الزّبرجد لما منعه اللّه ذلک، فلمّا جـاء أبو ذر إلى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم قال: يا أبا ذر إنّک أحسـنت طاعـة اللّه فسخّر اللّه لک من يطيعک فى كفّ العوارى عنک، فأنت من أفضل من مدحه اللّه عزّ و جلّ بأنّهم يقيمون الصّلاة

و أما كيفية اخراجه الى الربذة و ما جرى بينه و بين عثمان

فقـد رواه العامّـة و الخاصّـة قال الشّارح المعتزلى و علم الهدى فى محكىّ الشافى و اللّفظ للثّانى: إنّ عثمان لمّا أعطى مروان بن الحكم ما أعطاه و أعطى الحرث بن الحكم بن أبى العاص ثلاثمأة ألف درهم، و أعطى زيـد بن ثابت مائة ألف درهم جعل أبو ذر يقول: بشّـر الكافرين بعذاب أليم، و يتلو قول اللّه عزّ و جلّ الذين يكنزون الذّهب و الفضّة و لا ينفقونها فى سبيل اللّه فبشّرهم بعذاب أليم، فرفع ذلک مروان إلى عثمـان، فأرسـل إلى أبى ذر رحمه اللّه نائلاـ مولاـه أن انته عمّا يبلغنى عنک، فقال: أ ينهانى عثمان عن قراءة كتاب اللّه عزّ و جلّ و عيب من ترک أمر اللّه فواللّه لأـن أرضـى اللّه بسـخط عثمـان أحبّ إلىّ و خير لى من أن أرضـى عثمان بسـخط اللّه، فأغضب عثمان ذلک فأحفظه و تصابر، و قال عثمان يوما: أ يجوز للامام أن يأخذ من المال فاذا أيسر قضاه؟ فقال كعب الأخبار: لا بأس بذلک، فقال أبو ذر رحمه اللّه: يابن اليهوديّين أتعلّمنا ديننا؟ فقال عثمان: قد كثر أذاک لى و تولعک بأصحابى الحق بالشّام،

فأخرجه اليها، فكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها، فبعث إليه معاوية ثلاثمأة دينار فقال أبو ذر: إن كانت من عطائى الذى حرمتمونيه عامى هذا قبلتها، و إن كانت صلة فلا حاجة لى فيها وردّها عليه، و بنى معاوية الخضراء بدمشق فقال أبو ذر: يا معاوية إن كانت هذه من مال اللّه فهى الخيانة، و إن كانت من مالك فهو الاسراف، فكان أبو ذر يقول: و اللّه لقد حدثت أعمالا ما أعرفها و اللّه ما هى فى كتاب اللّه و لا فى سنّة نبيّه، و اللّه إنّى لأرى حقّا يطفأ و باطلا يحيى و صادقا مكذّبا و اثرة بغير تقى و صالحا مستأثرا عليه و قال حبيب بن مسلمة الفهرى لمعاوية: إنّ أبا ذر لمعضد عليكم الشّام فتدارك أهله إن كان لكم فيه حاجة، فكتب معاوية إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية أما بعد فاحمل جنيدبا إلىّ على أغلظ مركب و أوعره، فوجّه به مع من سار به اللّيل و النّهار، و جمله على شارف ليس عليها إلاّ قتب حتّى قدم بالمدينة و قد سقط لحم فخذيه من الجهد.

أقول: و عن المسعودى فى مروج الذّهب أنّه ردّ الى المدينة على بعير عليه قتب يابس معه خمسمائة من الصّقالبة يطردون به حتّى أتوا به المدينة و قد تسلّخت بواطن أفخاذه و كاد يتلف، فقيل له: إنّك تموت، قال: هيهات لن أموت حتّى انفى قال السيّد(1) ره و فى رواية الواقدى إنّ أبا ذر لما دخل على عثمان قال:

لا أنعم اللّه بك عينا يا جنيدب، فقال أبو ذر رحمه اللّه: أنا جندب و سمّانى رسول اللّه عبد اللّه فاخترت اسم رسول اللّه الذى سمّانى به على اسمى، فقال عثمان: أنت الذى تزعم أنّا نقول إنّ يد اللّه مغلولة و إنّ اللّه فقير و نحن أغنياء؟ فقال أبو ذر: لو كنتم لا تزعمون لأنفقتم مال اللّه على عباده، و لكن اشهد أنّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:

إذا بلغ ابن أبى العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال اللّه دولا، و عباد اللّه خولا(2) ، و دين اللّه دخلا ثمّ يريح عباد اللّه منهم، فقال عثمان لمن حضر: أسمعتموها من رسول اللّه؟

1- (1) أى علم الهدى م
2- (2) أى عبيدا و خدما يستعبدونهم و يستخدمونهم، منه

فقالوا: ما سمعناه، فقال عثمان: ویلک یا أبا ذر أتکذب علی رسول اللّه؟ فقال أبو ذر لمن حضر: أما تظنّون أنی صدقت؟ قالوا: لا و اللّه ما ندری، فقال عثمان: ادعو الی علیا فدعی فلمّا جاء قال عثمان لأبی ذر: اقصص علیه حدیثک فی بنی أبی العاص، فحدّثه، فقال عثمان لعلیّ: هل سمعت هذا من رسول اللّه؟ فقال: لا و صدق أبو ذر، فقال:

کیف عرفت صدقه؟ فقال: لأنّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: ما أظلّت الخضراء و لا أقلّت الغبراء علی ذی لهجة أصدق من أبی ذر، فقال من حضر(1) من أصحاب النبیّ جمیعا: لقد صدق أبو ذر، فقال أبو ذر: أحدّثکم أنّی سمعت هذا من رسول اللّه ثمّ تتّهمونی ما کنت أظنّ أن أعیش حتّی أسمع من أصحاب محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

قال السّیّد (ره): و روی الواقدی فی خبر آخر باسناده عن صهبان مولی الأسلمیّین قال: رأیت أبا ذر یوما دخل به علی عثمان فقال له: أنت الذی فعلت و فعلت؟ فقال له أبو ذر: قد نصحتک فاستغششتنی و نصحت صاحبک فاستغشّنی، فقال عثمان: کذبت و لکنّک ترید الفتنة و تحبّها قد قلبت الشّام علینا، فقال له أبو ذر:

اتّبع سنّة صاحبیک لا یکون لأحد علیک کلام، فقال له عثمان: ما لک و ذلک لا أمّ لک، فقال أبو ذر و اللّه ما وجدت لی عذرا إلاّ الأمر بالمعروف و النّهی عن المنکر، فغضب عثمان فقال: أشیروا علیّ فی هذا الشیخ الکذّاب إمّا أن أضربه أو أحبسه أو أقتله فانّه قد فرّق جماعة المسلمین أو أنفیه من الأرض، فتکلّم علیّ علیه السّلام و کان حاضرا فقال: أشیر علیک بما قال مؤمن آل فرعون قال: إن یک کاذبا فعلیه کذبه و إن یک صادقا یصبکم بعض الّذی یعدکم إنّ اللّه لا یهدی من هو مسرف کذّاب فأجابه عثمان بجواب غلیظ لم احبّ أن أذکره و أجابه علیّ علیه السّلام مثله أقول هذا الجواب الذی لم یحبّ ذکره هو قوله لعنه اللّه: بفیک التّراب، فأجابه علیه السّلام بقوله: بل بفیک التّراب کما یأتی فی روایة تقریب المعارف قال الواقدی: ثمّ إنّ عثمان حظر علی النّاس أن یقاعدوا أبا ذر و یکلّموه، فمکث کذلک أیّاما ثمّ أمر أن یؤتی به، فلمّا أتی به و وقف بین یدیه قال: ویحک یا عثمان أما رأیت رسول اللّه و رأیت أبا بکر و عمر هل رأیت هدیک هدیهم إنّک لتبطش

1- (1) «أما هذا فسمعناه کلّنا من رسول اللّه خ»

فی بطش جبّار، فقال: اخرج عنّا من بلادنا، فقال أبو ذر: فما أبغض إلیّ جوارک فالی أین أخرج؟ قال: حیث شئت، قال: فأخرج إلی الشّام أرض الجهاد، فقال:

إنما أجلبتک من الشّام لما قد أفسدتها أفأردّک إلیها؟ قال: إذا أخرج إلی العراق قال: لا، قال: و لم؟ قال: تقدم علی قوم أهل شبهة و طعن علی الأئمة، قال: فأخرج إلی مصر، قال: لا، قال: فالی أین أخرج قال: حیث شئت فقال هو إذا التعرّب بعد الهجرة أخرج إلی نجد، قال عثمان: الشّرف الشّرف الا بعد أقصی فأقصی، فقال أبو ذر: قد أبیت ذلک علیّ، قال: امض علی وجهک هذا و لا تعودنّ الرّبذة و فی البحار من تقریب المعارف لأبی الصّلاح عن الثّقفی فی تاریخه عن عبد الملک ابن أخی أبی ذر قال: کتب معاویة إلی عثمان: إنّ أبا ذر قد حرّف قلوب أهل الشّام و بغّضک إلیهم فما یستفتون غیره و لا یقضی بینهم إلاّ هو، فکتب عثمان إلی معاویة أن احمل أبا ذر علی ناب صعب و قتب ثمّ ابعث معه من یبخش به بخشا(1) عنیفا حتّی یقدم به علیّ، قال: فحمله معاویة علی ناقة صعبة علیها قتب ما علی القتب إلاّ مسح ثمّ بعث معه من یسیره سیرا عنیفا و خرجت معه فما لبث الشّیخ إلاّ قلیلا حتّی سقط مایلی القتب من لحم فخذیه و قرح، فکنت إذا کان اللّیل أخذت ملائی فالقیتهما تحته فاذا کان السّحر نزعتهما مخافة أن یرونی فیمنعونی من ذلک حتّی قدمنا المدینة، و بلغ عثمان ما لقی أبو ذر من الوجع و الجهد فحجبه جمعة و جمعة حتّی مضت عشرون لیلة أو نحوها و أفاق أبو ذر ثمّ أرسل الیه و هو معتمد علی یدی فدخلنا علیه و هو متّکی، فاستوی قاعدا فلمّا دنی أبو ذر منه قال عثمان:

لا أنعم اللّه بعمرو عینا تحیّة السّخط إذا التقینا

فقال له أبو ذر: فو اللّه ما سمّانی اللّه عمرا و لا سمّانی أبوای عمرا و إنّی علی العهد الذی فارقت علیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ما غیّرت و لا بدّلت، فقال له عثمان: کذبت لقد کذبت علی نبیّنا و طعنت فی دیننا و فارقت رأینا و ضغنت قلوب المسلمین علینا، ثمّ قال لبعض غلمانه: ادع لی قریشا، فانطلق رسوله فما لبثنا أن امتلاء البیت من

1- (1) البخش بالجیم الاسراع و بالخاء المعجمة الحثّ و السوق الشدید و التحریک للایذاء، منه

رجال قريش، فقال لهم عثمان إنّا أرسلنا إليكم فى هذا الشّيخ الكذّاب الذى كذب على نبيّنا و طعن فى ديننا و ضغن قلوب المسلمين علينا، و إنّى قد رأيت أن أقتله أو أصلبه أو أنفيه من الأرض، فقال بعضهم: رأينا لرأيک تبع، و قال بعضهم: لا تفعل فانّه صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و له حقّ فما منهم أحد أدّى الذى عليه فبيناهم كذلک إذا جاء علىّ بن أبى طالب يتوكّأ على عصا سرّا، فسلّم عليه و نظر و لم يجد مقعدا فاعتمد على عصاه فما أدرى أتخلّف عهد أمّ يظنّ به غير ذلک، ثمّ قال علىّ فيما أرسلتم إلينا؟ قال عثمان: أرسلنا إليكم فى أمر قد فرّق لنا فيه الرّأى فأجمع رأينا و رأى المسلمين فيه على أمر، قال علىّ عليه السّلام: و للّه الحمد أما أنّكم لو أشرتمونا لم نألكم نصيحة، فقال عثمان: إنّا أرسلنا إليكم فى هذا الشيخ الذى قد كذب على نبيّنا و طعن فى ديننا و خالف رأينا و ضغن قلوب المسلمين علينا، و قد رأينا أن نقتله أو نصلبه أو ننفيه من الأرض، قال علىّ عليه السّلام أفلا أدلّكم على خير من ذلكم و أقرب رشدا تتركونه بمنزلة آل فرعون «إن يک كاذبا فعليه كذبه و إن يک صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم إنّ اللّه لا يهدى من هو مسرف كذّاب» فقال عثمان لعنه اللّه: بفيک التّراب، فقال له علىّ عليه السّلام بل بفيک التراب، و سيكون به فأمر بالنّاس فاخرجوا و فى تفسير علىّ بن إبراهيم القمّى فى قوله تعالى: و إذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دمائكم الآية، أنّها نزلت فى أبى ذر رحمه اللّه و عثمان بن عفّان، و كان سبب ذلک لمّا أمر عثمان بن عفّان بنفى أبا ذر إلى الرّبذة، دخل عليه أبو ذر و كان عليلا متوكّئا على عصاه و بين يدى عثمان مأئة ألف درهم قد حملت إليه من بعض النّواحى و أصحابه حوله ينظرون إليه و يطمعون أن يقسّمها فيهم، فقال أبو ذر لعثمان: ما هذا المال؟ فقال له عثمان: مأئة ألف درهم حملت إلىّ من بعض النواحى اريد أن أضمّ إليها مثله و أرى فيه رأيى، فقال أبو ذر: يا عثمان أيّما أكثر مأئة ألف درهم أو أربعة دنانير؟ فقال: بل مأئة ألف درهم، فقال: أما تذكر أنا و أنت و قد دخلنا على رسول اللّه عشيّا فرأيناه كئيبا حزينا فسلّمنا عليه فلم يردّ علينا السّلام، فلمّا أصبحنا أتيناه فرأيناه ضاحكا مستبشرا فقلنا له: بآبائنا و امّهاتنا دخلنا عليک البارحة فرأيناک

كئيبا حزينا، ثمّ عدنا إليک اليوم فرأيناک ضاحکا مستبشرا، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: نعم کان قد بقى عندى من فىء المسلمين أربعة دنانير لم أکن قسّمتها و خفت أن يدرکنى الموت و هى عندى و قد قسّمتها اليوم و استرحت منها، فنظر عثمان إلى کعب الأخبار فقال له: يا أبا إسحاق ما تقول فى رجل أدّى زکاة ماله المفروضة هل يجب عليه فيما بعد ذلک شىء؟ فقال: لا و لو اتّخذ لبنة من ذهب و لبنة من فضّة ما وجب عليه شىء، فرفع أبو ذر عصاه و ضرب به رأس کعب ثمّ قال له: يابن اليهوديّة الکافرة ما أنت و النّظر فى أحکام المسلمين قول اللّه أصدق من قولک حيث قال:

«اَلَّذِينَ يَکْنِزُونَ الـذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لاـ يُنْفِقُونَهـا فِى سَبِيـلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَـذابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمى عَلَيْهـا فِى نـارِ جَهَنَّمَ فَتُکْوى بِهـا جِباهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هذا ما کَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِکُمْ فَذُوقُوا ما کُنْتُمْ تَکْنِزُونَ ».

فقال عثمان: يا أبا ذر إنّک شيخ قد خرفت و ذهب عقلک و لو لا صحبتک لرسول اللّه لقتلتک، فقال: کذبت يا عثمان أخبرنى حبيبى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال: إنّهم لا يفتنونک و لا يقتلونک و أمّا عقلى فقد بقى منه ما أحفظ حديثا سمعته من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيک و فى قومک، فقال: ما سمعت فىّ و فى قومى؟ قال: سمعته يقول: إذا بلغ آل أبى العاص ثلاثين رجلا صيّروا مال اللّه دولا، و کتاب اللّه دخلا، و عباده خولا و الفاسقين حزبا و الصّالحين حربا، فقال عثمان: يا معشر أصحاب محمّد هل سمع أحد منکم هذا من رسول اللّه؟ قالوا: لا ما سمعنا هذا من رسول اللّه، فقال عثمان:

ادع لى عليّا فجاء أمير المؤمنين عليه السّلام فقال له عثمان: يا أبا الحسن انظر ما يقول هذا الشّيخ الکذّاب، فقال عليه السّلام: مه يا عثمان لا تقل کذّاب فانّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: ما أظلّت الخضراء و لا أقلّت الغبراء على ذى لهجة أصدق من أبى ذرّ فقال

أصحاب رسول اللّه: صدق أبو ذر فقد سمعنا هذا من رسول اللّه، فبكى أبو ذر عند ذلک فقال: ويلكم كلّكم قد مدّ عنقه إلى هذا المال ظننتم أنّى أكذب على رسول اللّه، ثمّ نظر إليهم فقال: من خيركم؟ فقالوا أنت تقول إنّک خيرنا قال: نعم خلفت حبيبى رسول اللّه على هذه الجبّة و هو علىّ بعد و أنتم قد أحدثتم أحداثا كثيرة و اللّه سائلكم عن ذلک و لا يسألنى، فقال عثمان: يا أبا ذر أسألک بحقّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلاّ ما أخبرتنى عن شىء أسألک عنه، فقال أبو ذر: و اللّه لو لم تسألنى بحقّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أيضا لأخبرتک فقال: أىّ البلاد أحبّ إليک أن تكون فيها؟ قال: مكّة حرم اللّه و حرم رسوله أعبد اللّه فيها حتّى يأتينى الموت، فقال: لا و لا كرامة، قال: المدينة حرم رسول اللّه قال: لا و لا كرامة لک، قال: فسكت أبو ذر، فقال عثمان: أىّ البلاد أبغض إليک أن تكون فيها؟ قال: الرّبذة التى كنت فيها على غير دين الاسلام، فقال عثمان:

سر إليها، قال أبو ذر: قد سألتنى فصدقتک و أنا أسألک فاصدقنى، قال: نعم فقال:

أخبرنى لو بعثتنى فيمن بعثت من أصحابک إلى المشركين فأسرونى فقالوا لا نفديه إلاّ بثلث ما تملک، قال: كنت أفديک، قال: فان قالوا لا نفديه إلاّ بنصف ما تملک، قال:

كنت أفديک، قال فان قالوا لا نفديه إلاّ بكلّ ما تملک قال كنت أفديک، قال أبو ذر رحمه اللّه: اللّه أكبر قال لى حبيبى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوما: يا أبا ذر كيف أنت إذا قيل لک: أىّ البلاد أحبّ اليک فتقول: مكّة حرم اللّه و حرم رسوله أعبد اللّه فيها حتى يأتينى الموت، فيقال لک لا و لا كرامة لک، فتقول: فالمدينة حرم رسول اللّه، فيقال لک لا و لا كرامة لک ثمّ يقال لک أىّ البلاد أبغض اليک أن تكون فيها، فتقول: الرّبذة الّتى كنت فيها على غير دين الاسلام، فيقال لک سر اليها، فقلت:

إنّ هذا لكائن يا رسول اللّه؟ فقال: إى و الذى نفسى بيده إنّه لكائن فقلت: يا رسول اللّه أفلا أضع سيفى هذا على عاتقى فأضرب به قدما قدما؟ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لا، اسمع و اسكت و لو لعبد حبشىّ و قد أنزل اللّه تعالى فيک و فى عثمان آية، فقلت: و ما هى يا رسول اللّه فقال: قوله تبارک و تعالى: «وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارى تُفادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِکَ مِنْكُمْ إِلاّ خِزْيٌ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذابِ وَ مَا اللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ » و فى الرّوضة من الكافى عن سهل عن محمّد بن الحسن عن محمّد بن حفص التميمى قال حدّثنى أبو جعفر الخثعمىّ قال:

لمّا سيّر عثمان أبا ذرّ إلى الرّبذة شيّعة أمير المؤمنين و عقيل و الحسن و الحسين عليهم السّلام و عمّار بن ياسر رضى اللّه عنه، فلمّا كان عند الوداع قال أمير المؤمنين عليه السّلام: يا أبا ذر إنّما غضبت للّه عزّ و جلّ فارج من غضبت له إنّ القوم خافوک على دنيارهم و خفتهم على دينک فارحلوک عن الفناء و امتحنوک بالبلاء، لو كانت السّماوات و الأرض على عبد رتقا ثم اتّقى اللّه جعل له مخرجا، لا يؤنسنّک إلاّ الحقّ و لا يوحشنّک إلاّ الباطل ثمّ تكلّم عقيل و قال: يا أبا ذر أنت تعلم أنّا نحبّک و نحن نعلم أنّک تحبّنا و أنت قد حفظت فينا ما ضيّع النّاس إلاّ القليل، فثوابک على اللّه عزّ و جلّ، و لذلک أخرجک المخرجون و سيّرک المسيّرون، فثوابک على اللّه عزّ و جلّ فاتّق اللّه و اعلم أنّ استعفاؤک البلاء من الجزع و استبطاؤک العافية من الأياس فدع الأياس و الجزع فقل: حسبى اللّه و نعم الوكيل.

ثمّ تكلّم الحسن عليه السّلام و قال: يا عمّاه إنّ القوم قد أتوا إليک ما قد ترى و أنّ اللّه بالمنظر الأعلى، فدع عنک ذكر الدّنيا بذكر فراقها، و شدّة ما يرد عليک لرخاء ما بعدها، و اصبر حتّى تلقى نبيّک صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو عنک راض إن شاء اللّه.

ثمّ تکلّم الحسین علیه السّلام فقال: یا عمّاه إنّ اللّه تبارک و تعالی قادر أن یغیّر ما تری و هو کلّ یوم فی شأن، القوم منعوک دنیاهم و منعتهم دینک فما أغناک عمّا منعوک و أحوجهم إلی ما منعتهم فعلیک بالصّبر، و إنّ الخیر فی الصّبر و الصّبر من الکرم و دع الجزع فانّ الجزع لا یغنیک

ص:248

ثمّ تكلّم عمّار رضى اللّه عنه فقال: يا أبا ذرّ أوحش اللّه من أوحشک و أخاف من أخافک، أنّه و اللّه ما منع النّاس أن يقولوا الحقّ إلاّ الرّكون إلى الدّنيا و الحبّ لها، ألا إنّما الطاعة على الجماعة و الملک لمن غلب عليه، و إنّ هؤلاء القوم دعوا النّاس إلى دنياهم فأجابوهم إليها و وهبوا لهم دينهم فخسروا الدّنيا و الآخرة ذلک هو الخسران المبين.

ثمّ تكلّم أبو ذر رحمه اللّه فقال: عليكم السّلام و رحمة اللّه و بركاته بأبى و أمّى هذه الوجوه، فانّى إذا رأيتكم ذكرت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بكم و مالى بالمدينة شجن و لا سكن غيركم و إنّه ثقل على عثمان جوارى بالمدينة كما ثقل على معاوية فآلى أن يسيّرنى إلى بلدة و طلبت إليه أن يكون ذلک إلى الكوفة، فزعم أنّه يخاف أن أفسد على أخيه النّاس بالكوفة و آلى باللّه ليسيّرنى إلى بلدة لا أرى بها أنيسا و لا أسمع بها حسيسا و إنّى و اللّه ما اريد إلاّ اللّه عزّ و جلّ صاحبا و مالى مع اللّه وحشة حسبى اللّه لا إله إلاّ هو عليه توكّلت و هو ربّ العرش العظيم و صلّى اللّه على محمّد و آله الطاهرين و فى البحار عن المسعودى فى مروج الذّهب بعد أن أورد كيفيّة ردّ عثمان له رحمه اللّه إلى المدينة و ساق الحديث إلى نفيه له منها قال:

فقال له عثمان: و اروجهک عنّى قال: أسير إلى مكّة، قال: لا و اللّه، قال فإلى الشّام، قال: لا و اللّه، قال: فإلى البصرة قال: لا و اللّه فاختر غير هذه البلدان، قال لا و اللّه لا أختار غير ما ذكرت لک و لو تركتنى فى دار هجرتى ما أردت شيئا من البلدان فسيّرنى حيث شئت من البلاد، قال إنّى اسيّرک إلى الرّبذة، قال: اللّه أكبر صدق رسول اللّه قد أخبرنى بكلّ ما أنا لاق قال: و ما قال لک؟ قال: أخبرنى أنى امنع من مكّة و المدينة و أموت بالرّبذة و يتولّى دفنى نفر يريدون العراق إلى نحو الحجاز و بعث أبو ذر إلى جمل فحمل عليه امرأته و قيل ابنته، و أمر عثمان أن يتجافاه الناس حتّى يسير إلى الرّبذة و لمّا طلع عن المدينة و مروان يسيّره عنها طلع علىّ بن ابى طالب عليه السّلام و معه الحسن و الحسين عليهما السّلام و عقيل أخوه و عبد اللّه بن جعفر و عمّار بن ياسر فاعترض

مروان و قال: يا علىّ إنّ أمير المؤمنين نهى الناس أن يمنحوا أبا ذر أو يشيّعوه، فان كنت لم تعلم بذلك فقد أعلمتك، فحمل عليه السّلام عليه بالسّوط و ضرب بين اذنى ناقة مروان و قال تنحّ نحّاك اللّه إلى النّار، و مضى مع أبى ذر فشيّعه ثمّ ودّعه و انصرف فلمّا أراد عليه السّلام الانصراف بكى أبو ذر و قال: رحمكم اللّه أهل البيت إذا رأيتك يا أبا الحسن و ولدك ذكرت بكم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فشكى مروان إلى عثمان ما فعل به علىّ عليه السّلام، فقال عثمان: يا معشر المسلمين من يعذرنى من علىّ ردّ رسولى عمّا وجّهته له و فعل و فعل و اللّه لنعطينّه حقّه، فلمّا رجع علىّ عليه السّلام استقبله النّاس و قالوا: إنّ أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أبا ذر، فقال علىّ عليه السّلام: غضب الخيل على اللّجم، فلمّا كان بالعشّى و جاء عثمان قال: ما حملك على ما صنعت بمروان و لم اجترأت علىّ ورددت رسولى و أمرى؟ فقال: أمّا مروان فاستقبلنى بردّى فرددته عن ردّى، و أما أمرك لم أردّه، فقال:

ألم يبلغك أنّى قد نهيت النّاس عن أبى ذرّ و تشييعه؟ فقال علىّ عليه السّلام أو كلّما أمرتنا به من شىء نرى طاعة اللّه و الحقّ فى خلافه اتبعنا فيه أمرك لعمر اللّه ما نفعل، فقال عثمان: أقد مروان، قال: و ممّ أقيد قال: ضربت بين اذنى راحلته و شتمته فهو شاتمك و ضارب بين أذنى راحلتك، قال علىّ أمّا راحلتى فهى تلك فان أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فعل، و أمّا أنا فو اللّه لئن شتمنى لأشتمنّك بمثله لا كذب فيه و لا أقول إلاّ حقا، قال عثمان: و لم لا يشتمك إذا شتمته فو اللّه ما أنت بأفضل عندى منه، فغضب علىّ عليه السّلام و قال: لى تقول هذا القول أمر و ان يعدل بى فلا و اللّه أنا أفضل منك، و أبى أفضل من أبيك و أمّى أفضل من امّك و هذه نبلى قد نثلتها فانثلّ نبلك، فغضب عثمان و احمرّ وجهه و قام و دخل، و انصرف علىّ فاجتمع إليه أهل بيته و رجال المهاجرين و الأنصار فلمّا كان من الغد و اجتمع النّاس شكى إليهم عليّا، و قال إنّه يغشّنى و يظاهر من يغشّنى يريد بذلك أبا ذرّ و عمّارا و غيرهما، فدخل النّاس بينهما حتّى اصطلحا و قال علىّ: و اللّه ما أردت بتشييعى أبا ذر إلاّ اللّه تعالى، هذا.

و قد روى الشّارح المعتزلى أكثر ما أوردناه من الأخبار فى تلك القصّة

بطرق آخر نحو ما رويناه و هى كافية فى الطعن على عثمان و القدح فيه لأنّ أيذائه لأبى ذر رحمه اللّه و إهانته به فى حكم المعاداة للّه و لرسوله، و قد قال اللّه تعالى: من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة، و شهادته على أبى ذرّ بالكذب بعد ما سمع من أمير المؤمنين شهادة النّبىّ عليه بالصّدق و كونه أصدق النّاس لهجة تكون فى الحقيقة راجعة إلى تكذيب رسول اللّه و ردّا لقوله، و أعظم ذلك منازعته فى تلك القضيّة مع أمير المؤمنين و إسائته الأدب فى حقّه و هى كافية فى وجوب طعنه و لعنه و العجب أنّ الشّارح المعتزلى بعد ما أورد الأخبار الدّالة على إخراجه من المدينة بالاجبار اتبعه بقوله: و اعلم أنّ أصحابنا قد رووا أخبارا كثيرة معناها أنّه اخرج إلى الرّبذة باختياره «إلى أن قال» و نحن نقول: هذه الأخبار و إن كانت قد رويت لكنّها ليست فى الاشتهار و الكثرة كتلك الأخبار و الوجه أن يقال فى الاعتذار عن عثمان و حسن الظنّ بفعله أنّه خاف الفتنة و اختلاف كلمة المسلمين فيغلب على ظنّه أنّ إخراج أبى ذرّ (ره) إلى الرّبذة أحسم للشّغب و أقطع للأطماع من أن يشرئب إلى شقّ العصا، فأخرجه مراعاة للمصلحة، و مثل ذلک يجوز للامام هكذا يقول أصحابنا المعتزلة و هو الأليق بمكارم الأخلاق فقد قال الشّاعر:

إذا ما أتت من صاحب لک زلّة فكن أنت محتالا لزلّته عذرا

و إنّما يتأوّل أصحابنا حال من يحتمل حاله التّأويل كعثمان، فأمّا من لا يحتمل حاله التّأويل و إن كانت له صحبة سالفة كمعاية و أضرابه فانّهم لأيتأوّلون لهم إذ كانت أفعالهم و أقوالهم لا وجه لتأويلها و لا يقبل العلاج، و الاصلاح انتهى كلامه هبط مقامه.

اقول: أمّا ما حكاه عن أصحابه من روايتهم الأخبار الدّالة على إخراجه بالاختيار، ففيه أنّ هذه الأخبار ممّا تفرّد بروايته أولياء عثمان المتعصّبون له دفعا للعار و الشّنار عنه، و هى لا تكافؤ أخبار الاجبار عددا و سندا و شهرة بين المؤالف و المخالف، مضافا إلى ما فيها من مخايل الصّدق و دلائل الصّواب و الصّحة، و هل تظنّ فى حقّ مثل أبى ذر أو يحكم عقلک بأنّه ترک إقامة حرم اللّه و حرم رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

ص:252

و مجاورة قبره و مصاحبة أمير المؤمنين و آله المعصومين و اختار المهاجرة إلى الفلاة و الأرض القفر بالطّوع و الاختيار و الرّغبة و الرّضاء كلاّ ثمّ كلاّ و كيف يرضى من له أدنى عقل و كياسة من المسلمين أن يموت فى أرض اليهود و يكون فيها و يرجّحها على الدّفن فى حرم الرّسول فضلا عن أبى ذرّ و أمثاله، إن هذا إلاّ مفترى.

و أمّا ما اعتذر به الشارح عنه ففيه أنّ حمل فعل المسلم على الصّحة إنما هو اذا لم يكن الغالب على حاله الفساد، و أمّا اذا كان الغالب على حاله ذلک فلا، و حال عثمان و سابقه فى السّوء و الفساد معلوم، و كفى بذلک اغتصابهم الخلافة لأمير المؤمنين عليه السّلام و تغييرهم شريعة سيّد المرسلين و إحراقهم باب بضعة خاتم النبيّين و جعلهم القرآن عضين، و اعتياضهم الدّنيا بالدّين، مضافة إلى مطاعنهم الدّثرة و فضائحهم الجمّة الّتى تقدّمت فى مقامه و تأتى أيضا و مع ذلک فأىّ شىء أوجب حسن الظنّ بفعل عثمان حتّى تأوّل الأخبار الناصّة بسوء فعله.

ثمّ أقول: هب أنّ الدّاعى على إخراجه كان خوف الفتنة و شقّ العصا على زعمک، و لكن أىّ شىء كان الدّاعى على حمله من الشّام إلى المدينة على جمل صعب ليس عليها إلاّ قتب يابس حتّى سقط لحم فخذيه من الجهد، و ما كان السّبب لهذه الأذيّة؟ فان قلت: إنّ معاوية فعل ذلک فى حقّه قلت: عثمان كتب إلى معاوية بأن يحمله على أغلظ مركب و أوعره مع من ساربه اللّيل و النّهار.

و أما تفرقة الشّارح بين عثمان و معاوية فهو أعجب ثمّ أعجب، لأنّ كليهما من فروع الشّجرة الملعونة، و كلّ منهما فى مقام المحادّة و المعاداة و الظّلم لأمير المؤمنين و لعترة سيّد النّبيّين و لرؤساء الدّين، فلا يمكن إصلاح حالهما و علاج قبايح أعمالهما و فضائح أفعالهما بعد العين بالأثر و لا بعد الدّراية بالخبر، و سيعلم الّذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون.

الترجمة

از جمله کلام آن بزرگوار است مر أبی ذر غفاری را در حینی که اخراج شد از مدینهٔ طیّبه بسوی ربذه فرمود:

ای أبو ذر بدرستی که تو غضب کردی از برای رضای خدای تبارک و تعالی پس امیدوار باش بکسـی که از برای او غضب نمودی، بدرستی که این قوم ترسـیدند از تو بر دنیای خودشان و ترسـیدی تو از ایشان بر دین خود، پس ترک کن در دست ایشان آنچه را که ترسـیدند از تو بر آن، و بگریز از ایشان به آن چه که ترسیدی از ایشان بر او، پس چه بسیار احتیاج دارند به آن چه که منع کردی تو ایشان را یعنی از دین خود، و چه قـدر بی نیازی تو از آنچه که منع کردنـد تو را یعنی دنیایشان و زود باشـد که بـدانی که کیست صاحب ربـح و منفعت فردای قیامت و بیشتر مردمان در حالتی که حسد برند او را.

و اگر آسـمانها و زمینها باشـند بر بنـدهٔ بسـته شده پس بپرهیزد آن بنده از خدای تعالی هر آینه بگرداند پروردگار متعال از برای آن بنده محلّ خروجی از آنهـا یعنی أبواب فرج بر وی او مفتوح می شود، و نبایـد مونس بشود ترا مگر خـدا، نبایـد وحشت آورد ترا غیر از باطل، پس اگر قبول کرده بودی دنیای ایشان را هر آینه دوست می داشـتند ترا، و اگر قطع کرده بودی و اخـذ نمودی از دنیا یعنی قبول هـدایای ایشان را می کردی هر آینه در أمان بودی از شرّ ایشان.

و من كلام له عليه السّلام و هو المأة و الاحد و الثلاثون من

اشارة

المختار فى باب الخطب.

أيّتها النّفوس المختلفة، و القلوب المتشتّتة، الشّاهدة أبدانهم،

ص:254

و الغائبة عنهم عقولهم، أظأركم على الحقّ و أنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الأسد، هيهات أن أطلع بكم سرار العدل، أو أقيم اعوجاج الحقّ، اللّهم إنّك قد تعلم إنّه لم يكن الّذى كان منّا منافسة فى سلطان، و لا التماس شىء من فضول الحطام، و لكن لنردّ المعالم من دينك، و نظهر الإصلاح فى بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك و تقام المعطّلة من حدودك، اللّهمّ إنّى أوّل من أناب، و سمع و أجاب لم يسبقنى إلاّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالصّلاة، و قد علمتم أنّه لا ينبغى أن يكون الوالى على الفروج و الدّماء و المغانم و الأحكام و إمامة المسلمين البخيل، فتكون فى أموالهم نهمته، و لا الجاهل فيضلّهم بجهله، و لا الجافى فيقطعهم بجفائه، و لا الحائف للدّول، فيتّخذ قوما دون قوم، و لا المرتشى فى الحكم، فيذهب بالحقوق و يقف بها دون المقاطع، و لا المعطّل للسّنّة، فيهلك الامّة.

اللغة

(ظارت) النّاقة إذا عطفت على ولد غيرها و ظأرتها أيضا أى عطفتها يتعدّى و لا يتعدّى و (المعز) من الغنم خلاف الضّأن و هو اسم جنس و كذلك المعزى و (سرار) العدل قال الفيروز آبادى: السّرار كسحاب من الشّهر آخر ليلة كسراره و سرره و قال أيضا: سرارة الوادى أفضل مواضعه كسرّته و سرّه و سراره، و قال

ص:255

الكندرى فى محكىّ كلامه: سرار الشهر و سرره آخر ليلة منه، و السّرار المسارة من السّر و جمع سرر الكفّ و الجبهة.

و (المنافسة) المغالبة فى الشىء النّفيس و (الحطام) ما تكسّر من اليبس و (النّهمة) بلوغ الهمّة و الشّهوة فى الشىء و هو منهوم بكذا مولع به، و روى نهمته محرّكة و هى إفراط الشّهوة فى الطّعام و (الجفاء) خلاف البرّ و الصّلة و رجل جافى الخلق و الخلقة أى غليظ منقبض و (الحائف) بالحاء المهملة من الحيف و هو الظلم و الجور و (الدّول) بضمّ الدّال المهملة جمع الدّولة اسم للمال المتداول به قال تعالى: كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم، و روى الخائف للدّول بالخاء المعجمة و كسر الدّال جمع دولة بالفتح و هى الغلبة

الاعراب

الباء فى قوله اطلع بكم أمّا تعدية أو سببيّة، و سرار العدل إمّا منصوب على الظّرف أو مفعول به حسبما تعرف فى بيان المعنى

المعنى

اشارة

اعلم أنّ المقصود بهذا الكلام توبيخ أصحابه و ذمّهم على التّقصير فى اتّباع الحق و الاعراض عن متابعة الامام العدل، و أشار إلى بعض مناقبه المستلزمة لوجوب اتّباعه و عقّبه بالتّعريض على المنتحلين للخلافة الغاصبين لها فقال(أيّتها النّفوس المختلفة)الأهواء(و القلوب المتشتّتة)الآراء (1) و (أظأركم) و أعطفكم (على الحقّ و أنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الأسد) و صوته (هيهات أن اطلع بكم سرار العدل) أى بعد أن أظهركم و أبيّن لكم ما خفى من العدل و استسرّ لتخاذ لكم و تفرّق أهوائكم.

و قال الشّارح المعتزلى: يفسّره النّاس بمعنى هيهات ان اطلعكم مضيئين و منوّرين سرار العدل، و السّرار آخر ليلة من الشهر و تكون مظلمة و يمكن أن يفسّر عندى على وجه آخر، و هو أن يكون السّرار ههنا بمعنى السّرر و هى خطوط

1- (1) هكذا فى النسخة المصحّحة، و الظاهر أنّ فيه سقطا «المصحّح» «ج 16»

مضيئة فى الجبهة فيكون معنى كلامه عليه السّلام هيهات أن تلمع بكم لوامع العدل و إشراق وجهه، و يمكن فيه أيضا وجه آخر و هو أن ينصب سرار على الظّرفية و يكون التقدير هيهات أن اطلع بكم الحق زمان استسرار العدل و استخفائه، فيكون حذف المفعول و حذفه كثير، انتهى و عن الكندرى قال فى محكىّ كلامه و سرار العدل أى فى سرار فحذف حرف الجرّ و وصل الفعل، و قيل أى هيهات أن اظهر بمعونتكم ما خفى و استسرّ من اقمار العدل و أنواره، انتهى و هو أولى ممّا ذكره الشارح المعتزلى و الأظهر ما ذكرناه (أو اقيم اعوجاج الحقّ) أى ما اعوجّ منه بسبب غلبة الضّلال و الجهّال عليه.

ثمّ نبّه على برائة ساحته و تزكية نفسه فى أمر الخلافة فقال(اللّهمّ انّک تعلم انّه لم يكن الذى كان)وقع(منّا)و هو الرّغبة فى الخلافة أو الحروب أو الجميع (منافسة فى سلطان)و حرصا عليه(و التماس شىء من فضول الحطام)أى طلبا لشىء من زخارف الدّنيا و زينتها السّاقطة عن درجة الاعتبار الغير المحتاج إليها(و لكن لنردّ المعالم من دينک)أى الآثار الّتى يهتدى بها فيه(و نظهر الاصلاح فى بلادک) و نرفع الفساد عنها(فيأمن المظلومون من عبادک و تقام المعطّلة من حدودک) و لا يخفى ما فى هذه الجمل من التّعريض على المتقدّمين المنتحلين للخلافة و الاشارة إلى أنّ طلبهم لها إنّما كان تنافسا فى الملک و السّلطنة، و رغبة فى القنيات الدّنيويّة، و إلى أنّ أنوار الدّين فى زمانهم قد انطمست، و آثار الشّرع المبين قد اندرست، و أنّه شاع الفساد فى البلاد و غلب الجور و الظّلم على العباد و تعطّل الحدود و الأحكام و تغيّر الحلال و الحرام.

ثمّ انّه لمّا بيّن أنّ طلبه للخلافة لم يكن للدّنيا أكّد هذا المعنى بقوله (اللّهمّ إنّى أوّل من أناب) و رجع إليک (و سمع) دعوة الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (و أجاب) إليه (لم يسبقنى إلاّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالصّلاة) أمّا كون هذه الجملة تأكيدا لما سبق فلأنه إذا كان أوّل النّاس اسلاما مع عدم كون الاسلام معروفا حينئذ متوقّعا به الانتفاع فى الدّنيا لا بدّ و أن يكون إسلامه للّه سبحانه و ابتغاء لرضاه، و من كان هذا حاله

فی بدایة أمره کیف یخطر ببال عاقل أنّه یطلب الدّنیا و حطامها، و یجرّد علیها السّیف فی آخر عمره.

و أمّا کونه علیه السّلام أوّل من أناب و أجاب إلی الایمان و الاسلام فهو المتّفق علیه بین الشّیعة و المشهور بین الجمهور لم یخالف فی ذلک إلاّ شرذمة منهم لا یعتدّ بخلافهم و ستعرف تفصیل ذلک فی التنبیه الآتی.

و أمّا أنّه سبق النّاس بالصّلاة و لم یسبقه غیره فیدلّ علی ذلک ما رواه فی المجلّد التّاسع من البحار من کتاب المناقب للشّیخ الفقیه رشید الدّین أبی جعفر محمّد ابن علیّ بن شهر آشوب المازندرانی تغمّده اللّه برحمته، قال ما هذا لفظه:

أبو عبد اللّه المرزبانی و أبو نعیم الاصبهانی فی کتابیهما فیما نزل من القرآن فی علیّ علیه السّلام و النطنزی فی الخصائص عن الکلبی عن أبی صالح عن ابن عباس، و روی أصحابنا عن الباقر علیه السّلام فی قوله تعالی: و ارکعوا مع الرّاکعین، نزلت فی رسول اللّه و علیّ بن أبی طالب و هما أوّل من صلّی و رکع.

المرزبانی عن الکبی عن أبی صالح عن ابن عباس فی قوله تعالی: إنّ الذین آمنوا و عملوا الصّالحات اولئک أصحاب الجنّة هم فیها خالدون، نزلت فی علیّ خاصّة و هو أوّل مؤمن و أوّل مصلّ بعد النّبیّ.

تفسیر السّیدی عن قتادة عن عطاء عن ابن عبّاس فی قوله: إنّ ربّک یعلم أنّک تقوم أدنی من ثلثی اللّیل و نصفه و ثلثه و طائفة من الّذین معک، فأوّل من صلّی مع رسول اللّه علیّ بن أبی طالب.

تفسیر القطان عن وکیع عن سفیان عن السّدی عن أبی صالح عن ابن عباس فی قوله تعالی: یا أیّها المدثّر، یعنی محمّدا ادّثّر بثیابه، قم فأنذر، أی فصلّ ادع علیّ بن أبی طالب إلی الصّلاة معک، و ربّک فکبّر، ممّا تقول عبدة الأوثان تفسیر یعقوب بن سفیان قال: حدّثنا أبو بکر الحمیدی عن سفیان بن عیینة عن ابن أبی النجیح عن مجاهد عن ابن عباس فی خبر یذکر فیه کیفیة بعثة النبیّ ثمّ قال: بینا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قائم یصلّی مع خدیجة إذ طلع علیه علیّ بن ابی طالب

فقال له: ما هذا يا محمد؟ قال: هذا دين اللّه فآمن به و صدقه، ثمّ كانا يصلّيان و يركعان و يسجدان فأبصرهما أهل مكّة ففشا الخبر فيهم أنّ محمّدا قد جنّ، فنزل: ن و القلم و ما يسطرون ما أنت بنعمة ربّک بمجنون.

شرف النّبى عن الخركوشى قال: و جاء جبرئيل بأعلى مكّة و علّمه الصّلاة فانفجرت من الوادى عين حتى توضّأ جبرئيل بين يدى رسول اللّه، و تعلّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم منه الطّهارة ثمّ أمر به عليّا عليه السّلام تاريخى الطبرى و البلادرى، و جامع التّرمذى، و أبانة العكبرى، و فردوس الدّيلمى، و أحاديث أبى بكر بن مالک، و فضائل الصّحابة عن الزّعفرانى عن يزيد ابن هارون عن شعبة عن عمرو بن مرّة عن أبى حمزة عن زيد بن أرقم، و مسند أحمد عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قالا قال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أوّل من صلّى معى علىّ تاريخ النّسوى قال زيد بن أرقم: أوّل من صلّى مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم علىّ.

جامع الترمذى و مسند أبى يعلى الموصلى عن أنس، و تاريخ الطّبرى عن جابر قالا:

بعث النبىّ يوم الاثنين و صلّى علىّ يوم الثلثاء أبو يوسف النّسوى فى المعرفة و أبو القسم عبد العزيز بن إسحاق فى أخبار أبى رافع عن عشرين طريقا عن أبى رافع قال: صلّى النّبىّ أوّل يوم الاثنين، و صلّت خديجة آخر يوم الاثنين، و صلى علىّ يوم الثلثاء من الغد.

أحمد بن حنبل فى مسند العشرة و فى الفضائل أيضا، و النّسوى فى المعرفة، و التّرمذى فى الجامع، و ابن بطّة فى الابانة روى علىّ بن الجعد عن شعبة عن سلمة ابن كهيل عن حبّة العرنى قال: سمعت عليّا عليه السّلام يقول: أنا أوّل من صلّى مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

ابن حنبل فى مسند العشرة و فى فضائل الصّحابة أيضا عن سلمة بن كهيل عن حبّة العرنى فى خبر طويل أنّه قال علىّ عليه السّلام: اللهمّ لا أعرف أنّ عبدا من هذه الأمّة عبدک قبلى غير نبيّک ثلاث مرّات، الخبر.

و فى مسند أبى يعلى ما أعلم أحدا من هذه الامّة بعد نبيّها عبد اللّه غيرى الخبر.

ص:259

الحسين بن علیّ علیهما السّلام فی قوله تعالی: تریهم رکّعا سجّدا، نزلت فی علیّ بن أبی طالب.

و روی جماعة أنّه نزل فیه: الّذین یقیمون الصّلاة و یؤتون الزّکاة و هم راکعون.

تفسیر القطّان قال ابن مسعود: قال علیّ علیه السّلام: یا رسول اللّه ما أقول فی السجود فی الصّلاة؟ فنزل سبّح اسم ربّک الأعلی، قال: فما أقول فی الرّکوع؟ فنزل فسبّح باسم ربّک العظیم، فکان أوّل من قال ذلک و أنّه صلّی قبل النّاس کلّهم سبع سنین و أشهرا مع النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و صلّی مع المسلمین أربع عشرة سنة و بعد النّبیّ ثلاثین سنة.

ابن فیّاض فی شرح الأخبار عن أبی أیّوب الأنصاری قال: سمعت النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: لقد صلّت الملائکة علیّ و علی علیّ بن أبی طالب سبع سنین، و ذلک أنّه لم یؤمن بی ذکر قبله، و ذلک قول اللّه سبحانه: الّذین یحملون العرش و من حوله یسبّحون بحمد ربّهم و یستغفرون لمن فی الأرض.

و فی روایة زیاد بن المنذر عن محمّد بن علیّ عن أمیر المؤمنین علیه السّلام لقد مکثت الملائکة سنین لا تستغفر إلاّ لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و لی و فینا نزلت و الملائکة یسبّحون بحمد ربّهم و یستغفرون للّذین آمنوا ربّنا إلی قوله: الحکیم.

و روی جماعة عن أنس و أبی أیّوب، و روی شیرویه فی الفردوس عن جابر قال:

قال النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: لقد صلّت الملائکة علیّ و علی علیّ بن أبی طالب سبع سنین قبل النّاس، و ذلک أنّه کان یصلّی و لا یصلّی معنا غیرنا، و فی روایة لم یصلّ فیها غیری و غیره، و فی روایة لم یصلّ معی رجل غیره سنن ابن ماجه و تفسیر الثعلبی عن عبد اللّه ابن أبی رافع عن أبیه أنّ علیا علیه السّلام صلّی مستخفیا مع النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم سبع سنین و أشهرا تاریخ الطّبری و ابن ماجه قال عباد بن عبد اللّه: سمعت علیا علیه السّلام یقول:

أنا عبد اللّه و أخو رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أنا الصّدّیق الأکبر لا یقولها بعدی إلاّ کاذب

مفتر، صلّيت مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سبع سنين.

مسندى أحمد و أبى يعلى قال حبة العرنى: قال علىّ عليه السّلام: صلّيت قبل أن يصلّى النّاس سبعا.

الحميرى

ألم يصلّ علىّ قبله حججاو وحّد اللّه ربّ الشّمس و القمر

و هؤلاء و من فى حزب دينهمقوم صلاتهم للعود و الحجر

و له

و كفاه بأنّه سبق النّاسبفضل الصّلاة و التوحيد

حججا قبلهم كوامل سبعابركوع لديه أو بسجود

و له

أ ليس علىّ كان أوّل مؤمنو أوّل من صلّى غلاما و حدّا

فما زال فى سرّ يروح و يغتديفيرقى بثيراء أو بحراء مصعدا

يصلّى و يدعو ربّه فيهما معالمصطفى مثنى و إن كان أوحدا

سنين ثلاثا بعد خمس و أشهركوامل سبعا قبل أن يتمرّدا

و هو أوّل من صلّى القبلتين صلّى إلى بيت المقدس أربع عشرة سنة، و المحراب الذى كان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يصلّى و معه علىّ و خديجة معروف، و هو على باب مولد النبىّ فى شعب بنى هاشم، و قد روينا عن الشيرازى ما رواه عن ابن عباس فى قوله:

و السّابقون الأوّلون، نزلت فى أمير المؤمنين سبق النّاس كلّهم بالايمان و صلّى القبلتين و بايع البيعتين.

الحميرى

و صلّى القبلتين و آل تيمو اخوتها عدىّ جاحدونا

و صلّى إلى الكعبة تسعا و ثلاثين سنة تاريخ الطّبرى بثلاثة طرق، و ابانة العكبرى من أربعة طرق، و كتاب المبعث عن محمّد بن إسحاق، و التاريخ النّسوى، و كتاب الثعلبى، و كتاب المادرى

و مسند أبی یعلی الموصلی، و یحیی بن معین، و کتاب أبی عبد اللّه محمّد بن زیاد النیسابوری عن عبد اللّه بن أحمد بن حنبل بأسانیدهم عن ابن مسعود، و علقمة البجلی و إسماعیل بن أیاس بن عفیف عن أبیه عن جدّه أنّ کلّ واحد منهم قال: رأی عفیف أخو الأشعث بن قیس الکندی شابّا یصلی، ثمّ جاء غلام فقام عن یمینه، ثمّ جاءت امرئة فقامت خلفها، فقال للعبّاس: هذا أمر عظیم، قال: ویحک هذا محمّد، و هذا علیّ، و هذه خدیجة إنّ ابن أخی هذا حدّثنی أنّ ربّه ربّ السّماوات و الأرض أمر بهذا الدّین، و اللّه ما علی ظهر الأرض علی هذا الدّین غیر هؤلاء الثلاثة.

و فی کتاب النّسوی أنّه کان یقول بعد إسلامه: لو کنت أسلمت یومئذ کنت ثانیا مع علیّ بن أبی طالب.

و فی روایة محمّد بن إسحاق عن عفیف قال: فلمّا خرجت من مکّة إذا أنا بشاب جمیل علی فرس فقال: یا عفیف ما رأیت فی سفرک هذا؟ فقصصت علیه، فقال لقد صدقک العبّاس و اللّه إنّ دینه لخیر الأدیان و إنّ امّته أفضل الامم، قلت: فلمن الأمر من بعده؟ قال: لابن عمّه و ختنه علی بنته، یا عفیف الویل کلّ الویل لمن یمنعه حقّه.

ابن فیّاض فی شرح الأخبار عن ابن أبی الحجّاف عن رجل أنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام قال فی خبر: هجم علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله - یعنی أبا طالب - و نحن ساجدان قال:

أ فعلتماها ثمّ أخذ بیدی فقال: انظر کیف تنصره و جعل یرغّبنی فی ذلک و یحضّنی علیه الخبر.

و فی کتاب الشّیرازی أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله لمّا نزل الوحی علیه أتی المسجد الحرام و قام یصلّی فیه، فاجتاز به علیّ علیه السّلام و کان ابن تسع سنین فناداه یا علیّ إلیّ اقبل، فأقبل إلیه ملبّیا، قال: أتی رسول اللّه إلیک خاصّة و إلی الخلق عامّة، فقال: یا علیّ فقف عن یمینی و صلّ معی، فقال: یا رسول اللّه حتّی أمضی و أستأذن أبا طالب والدی قال: اذهب فانّه سیأذن لک، فانطلق یستأذن فی اتّباعه فقال: یا ولدی تعلم أنّ محمّدا و اللّه أمین منذ کان، امض و اتّبعه ترشد و تفلح و تشهد فأتی علیّ علیه السّلام و رسول اللّه قائم یصلّی فی المسجد، فقام عن یمینه یصلّی معه، فاجتاز بهما أبو طالب و هما یصلّیان

ص:262

فقال: يا محمّد ما تصنع؟ قال: أعبد إله السّماوات و الأرض و معى علىّ يعبد ما أعبد، و أنا أدعوک إلى عبادة اللّه الواحد القهّار، فضحک أبو طالب حتّى بدت نواجده و أنشأ يقول:

و اللّه لن يصلوا إليک بجمعهم حتّى اغيّب فى التّراب دفينا

تاريخ الطّبرى و كتاب محمّد بن إسحاق أنّ النّبى كان إذا حضرت الصّلاة خرج إلى شعاب مكّة و خرج معه علىّ بن أبى طالب مستخفيا من قومه فيصلّيان الصّلاة فيها فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلک زمانا.

ثمّ روى الثعلبى معهما أنّ أبا طالب رأى النّبىّ و عليّا يصلّيان فسأل عن ذلک فأخبره النّبى أنّ هذا دين اللّه و دين ملائكته و دين رسله و دين أبينا إبراهيم فى كلام له، فقال علىّ: يا أبه آمنت باللّه و رسوله و صدقته بما جاء به و صلّيت معه للّه فقال له: أما انّه لا يدعو إلاّ إلى خير فألزمه.

ثمّ إنّه عليه السّلام لمّا نبّه على أنّ طلبه للخلافة إنما كان للّه سبحانه و تعالى لا تنافسا فى زخارف الدّنيا و التماسا لحطامها و عقّبه بالاشارة إلى سبقه فى الاسلام و الصّلاة مع النّبىّ المقتضى لتقدّمه على غيره أردفه بالاشارة إلى موانع الامامة تنبيها على أنّه هو الامام دون غيره لوجود المقتضى و انتفاء الموانع فيه مع عدمه و وجودها فى غيره فقال (و قد علمتم) و حصول ذلک العلم لهم إمّا من الكتاب كقوله تعالى: لا ينال عهدى الظّالمين، و قوله: أ فمن يهدى إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدّى إلاّ أن يهدى، و قوله: قل هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون، و ما يضاهى ذلک ممّا يستنبط منه شروط الولاية و أحكامها، و إمّا بنصّ من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو باعلام سابق منه عليه السّلام و على أىّ تقدير فالمقصود به الاشارة إلى استحقاقهم للتوبيخ و التقريع لكون تقصيرهم فى حقّ الامام عن علم منهم لا عن جهل فيعذرون و يعتذرون و قوله (انّه لا ينبغى) أى لا يجوز (أن يكون الوالى على الفروج و الدّماء و المغانم و الأحكام و إمامة المسلمين البخيل) الشّحيح و هو فى لسان الشّرع من يمنع

الواجب (فتكون فى أموالهم نهمته) أى حرصه و جشعه أو فرط شهوته (و لا الجاهل فيضلّهم بجهله) و إضلاله معلوم (و لا الجافى) سىّ ء الخلق (فيقطعهم بجفائه) و انقباضه عن الوصول إليه أو عن حاجاتهم أو بعضهم عن بعض لتفرّقهم (و لا الحائف للدّول) أى الجائر للأموال و الظالم فى تقسيمها بأن لا يقسّمها بالسّوية بل يرجّح بعضهم على بعض (فيتّخذ قوما) و يخصّهم بالعطاء (دون قوم) و على رواية الخائف للدّول بالخاء المعجمة و كسر الدّال فالمراد به من يخاف دول الأيّام و تقلّبات الدّهور و غلبة الأعداء فيتّخذ قوما يرجو نفعهم و نصرهم فى دنياه، و يقويهم على غيرهم و يفضّلهم فى العطاء و سائر جهات الاكرام على الآخرين (و لا المرتشى فى الحكم) أى آخذ الرّشوة و هو بالكسر ما يعطيه الشّخص الحاكم و غيره ليحكم أو يحمله على ما يريد، و فى الحديث لعن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الرّاشى و المرتشى و الرايش يعنى المعطى للرّشوة و الآخذ لها و السّاعى بينهما يزيد لهذا و ينقص لهذا، و الحاصل أنّه لا يجوز أن يكون آخذ الرّشوة حاكما (فيذهب بالحقوق) أى حقوق النّاس و يبطلها و يخرجها من يد صاحبها (و يقف بها دون المقاطع) أى يقف عند مقطع الحكم فلا يقطعه بأن يحكم بالحقّ بل يحكم بالجور أو يسوّف الحكم حتّى يضطرّ المحقّ و يرضى بالصّلح و يذهب بعض حقّه قال العلاّمة المجلسىّ (قد): و يحتمل أن يكون دون بمعنى غير أى يقف فى غير مقطعه (و لا المعطل للسنّة) و الطريقة الشّرعيّة النّبويّة (فيهلك الامّة) فى الدّنيا أو الآخرة أو كليهما

تبصرة

قال الشّارح المعتزلى فى شرح هذا الكلام له عليه السّلام فى ابداء المناسبة و الارتباط بين ما ذكره من سبقه عليه السّلام إلى التّوحيد و المعرفة و الصّلاة و ما عقّبه به من تقرير قاعدة الامامة و التعرّض لموانعها ما محصّله:

إنّه عليه السّلام إذا كان أوّل السّابقين وجب أن يكون أقرب المقرّبين، لأنّه تعالى قال: و السّابقون السّابقون أولئک المقرّبون، و إذا كان أقرب المقرّبين وجب

أن ينتفى عنه الموانع السّتة التى جعل كلّ واحد منها صادّا عن الامامة و قاطعا عن استحقاقها و هى البخل، و الجهل، و الجفاء، و العصبيّة فى دولته، أى تقديم قوم على قوم، و الارتشاء فى الحكم، و التعطيل للسنّة، و إذا انتفت عنه هذه الموانع السّتّة تعيّن أن يكون هو الامام، لأنّ شروط الامامة موجودة فيه بالاتّفاق، فاذا كانت موانعها عنه منتفية و لم يحصل لغيره اجتماع الشّروط و ارتفاع الموانع وجب أن يكون هو الامام، لأنّه لا يجوز خلوّ العصر من امام سواء كانت هذه القضيّة عقليّة أو سمعيّة.

أقول: بعد هذا التحقيق هل بقى للشارح عذر فى اعتقاده بامامة الثّلاثة و خلافتهم و جعله عليه السّلام رابعهم؟ و العجب كلّ العجب أنّه ينطق بالحقّ و لا يذعن به كمثل المنافقين يقولون بأفواهم ما ليس فى قلوبهم و من لم يجعل اللّه له نورا فماله من نور، ثمّ قال الشّارح:

فان قلت: أ فتراه عنى بهذا قوما بأعيانهم؟ قلت: الاماميّة تزعم أنّه رمز بالجفاء و العصبية لقوم دون قوم إلى عمر و رمز بالجهل إلى من كان قبله، و رمز بتعطيل السّنة إلى عثمان و معاوية، و أمّا نحن فنقول: إنّه عليه السّلام لم يعن ذلک و إنّما قال قولا كلّيا غير مخصوص، و هذا هو اللائق بشرفه، و قول الاماميّة دعوى لا دليل عليها و لا يعدم كلّ أحد أن يستنبط من كلّ كلام ما يوافق غرضه و إن غمض، و لا يجوز أن تبنى العقائد على مثل هذه الاستنباطات الدقيقة.

أقول: أمّا أنّ فى كلامه رمزا و إشارة إلى من ذكر فهو ممّا لا غبار عليه، و أمّا أنّ فيه دلالة عليه فلم تدّعه الاماميّة حتّى يناقش فيه أو يعترض عليهم، و الاشارة غير الدّلالة، و أمّا استبعاد ذلک بعدم لياقته بشرفه عليه السّلام و منافاته لسودده ففيه أنّ شرافته مقتضية للارشاد على الهدى و التّنبيه على ضلال قادة الرّدى و هفوة من اتّبعهم و أذعن بخلافتهم من أهل العصبيّة و الهوى، لأنّه من باب الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر المناسب لشأن الامام و وظيفته

و قـد مرّ فی فقرات الخطبـة الشّقشـقيّة ما هو نصّ فی هذا المعنی، و أبلغ فی الدّلالة علی هذا الغرض، مثل تنبيهه علی جفاوة عمر و غلظته بقوله: فصيّرها فی حوزة خشـناء يغلـظ كلمهـا و يخشن مسّ ها، و علی جهله بقوله: و يكثر العثار فيها و الاعتـذار منها، و علی بخل عثمان بقوله: و قـام معه بنو أبيه يخضـمون مال اللّه خضم الابل نبتـة الرّبيع آه و نحو هـذه الألفاظ فی تضاعيف كلماته كثير كما هو غير خفيّ علی الخبير البصير.

و بعد الغضّ عن ذلک كلّه فأقول: إنّ عمدة غرض الاماميّة التّنبيه علی اتّصاف الخلفاء بتلک الأوصاف الرّذيلة، و بعد تسليم الشارح و إذعانه باتّصافهم بها لا ضرورة فی النّقض و الابرام فی دلالة كلامه عليه السّلام علی هذا المرام.

ثم أقـول: الأـظهر علی تقـدير كون كلاـمه عليه السّ لام رمزا إليهم أن يشـار بالبخيـل إلی عثمـان لمـا هو المعلوم من حـاله من أكله أموال المسـلمين، و لما مرّ منه فی الخطبـة الشّقشـقية، و بالجاهل إلی جميعهم، و بالجافی إلی عمر، و بالحائف للدّول إلی عمر و عثمان كما هو المعلوم من سيرتهما، و بالمعطل للسّنة إلی الجميع.

تنبيه

اشارة

لا خلاف بين المسلمين إلاّ من شرذمة من العامة العثمانيّة فی أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام

سبق النّاس كلاّ إلی الاسلام و التّوحيد

، كما صرّح به عليه السّلام فی هذا الكلام بقوله:

اللّهمّ إنّی أوّل من أناب و سمع و أجاب، و فی الكلام السّادس و الخمسين بقوله:

فانّی ولدت علی الفطرة و سبقت إلی الايمان و الهجرة، و نحو ذلک فی كلماته و احتجاجاته كثير، و الأخبار فی هذا المعنی من طرق العامّة و الخاصّة بالغة حدّ التّواتر، و استقصائها غير ممكن و لا حاجة إلی إيرادها مع وضوح المطلب و ظهوره ظهور الشّمس الضّحی.

و إنّما نورد علی وجه التّأييد و علی رغم أنوف المخالفين ما أورده شـيخ المحدّثين العلامة المجلسـی قدّس اللّه روحه، و شـيخ الأمّة الشيخ المفيد نوّر اللّه

ضریحه: و من المخالفین الشارح المعتزلی أهبط اللّه قدره.

فأما العلامة المجلسی

فقد قال فی المجلّد التاسع من بحار الأنوار بعد ما أورد فی هذا الباب کثیرا من الأخبار ما لفظه:

لا یخفی علی من شمّ رائحة الانسانیّة و ترقّی عن درکات البهیمیّة و العصبیّة أنّ سبق إسلامه صلوات اللّه علیه مع ورود تلک الأخبار المتواترة من طرق الخاصّة و العامّة من أوضح الواضحات، و الشاکّ فیه کالمنکر لأجلی البدیهیّات، و أنّ من تمسّک بأنّ ایمانه کان فی طفولیّته، و لم یکن معتبرا فقد نسب الجهل إلی سیّد المرسلین، حیث کلّفه ذلک و مدحه به فی کلّ موطن، و به أظهر فضله علی العالمین، و إلی أشرف الوصیّین حیث تمدّح و افتخرو احتج به فی مجامع المسلمین و إلی الصّحابة و التّابعین حیث لم ینکروا علیه ذلک مع کون أکثرهم من المنافقین و المعاندین.

ثمّ اعلم أنّا قد ترکنا کثیرا من الرّوایات و ما یمکن ذکره من التأییدات فی هذا المطلب حذرا من التکرار و الاسهاب و الاطالة و الاطناب.

فقد روی ابن بطریق رحمه اللّه فی کتاب العمدة فی سبق اسلامه و صلاته من مسند أحمد بن حنبل ثلاثة عشر حدیثا، و من تفسیر الثعلبی أربعة، و من مناقب ابن المغازلی سبعة، و روی فی المستدرک أیضا أخبارا کثیرة فی ذلک، و رواه صاحب الصّراط المستقیم بأسانید من طرقهم، و العلاّمة فی کشف الحقّ و کشف الیقین و غیرهما بأسانید من کتبهم، و قد ترکنا إیرادها مع کثیر ممّا أورده المفید فی الارشاد، و النیسابوری فی روضة الواعظین، و الطّبرسی فی اعلام الوری، و ابن الصّباغ فی الفصول المهمّة، و غیرها من الاصول و الکتب الّتی عندنا، انتهی کلامه رفع مقامه.

ص:267

و أما الشيخ المفيد قدس اللّه روحه

فقد قال فى محكىّ كلامه من كتاب الفصول:

أجمعت الأمّة على أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أوّل ذكر أجاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لم يختلف فى ذلك أحد، من أهل العلم إلاّ أنّ العثمانية طعنت فى ايمان أمير المؤمنين عليه السّلام بصغر سنّة فى حال الاجابة، قالوا: إنّه عليه السّلام لم يک فى تلک الحال بالغا فيقع ايمانه على وجه المعرفة، و إنّ ايمان أبى بكر حصل منه مع الكمال، فكان على اليقين، و المعرفة و الاقرار من جهة التقليد و التلقين غير مساو للاقرار بالمعلوم المعروف بالدّلالة، فلم يحصل خلاف من القوم فى تقدّم الاقرار من أمير المؤمنين للجماعة و الاجابة منه للرّسول عليه و آله السّلام، و انّما خالفوا فيما ذكرناه.

و أنا ابيّن غلطهم فيما ذهبوا إليه من توهين إقرار أمير المؤمنين و حملهم إيّاه على وجه التلقين دون المعرفة و اليقين بعد أن أذكر خلافا حدث بعد الاجماع من بعض المتكلّمين و الناصبة من أصحاب الحديث، و ذلک أنّ ههنا طائفة تنسب إلى العثمانيّة تزعم أنّ أبا بكر سبق أمير المؤمنين إلى الاقرار و تعتلّ فى ذلک بأحاديث مولّدة باضعاف.

منها أنّهم رووا عن أبى نضرة «نضيرة خ» قال: أبطأ علىّ و الزّبير عن بيعة أبى بكر قال: فلقى أبو بكر عليا فقال له: أبطأت عن بيعتى و أنا أسلمت قبلک و لقى الزبير فقال له: أبطأت عن بيعتى و أنا أسلمت قبلک.

و منها حديث أبى امامة عن عمرو بن عنبسة قال: أتيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أوّل ما بعث و هو بمكة و هو حينئذ مستخف فقلت: من أنت؟ فقال: أنا نبىّ، قلت: و ما النبىّ؟ قال: رسول اللّه، قلت: اللّه أرسلک؟ قال: نعم، قلت: بما أرسلک؟ قال:

بأن نعبد اللّه عزّ و جلّ و نكسر الأصنام و نوصل الأرحام، قلت: نعم ما أرسلک به من تبعک على هذا الأمر؟ قال: حرّ و عبد يعنى أبا بكر و بلالا، و كان عمر يقول: لقد رأيتنى و أنا رابع الاسلام، قال: فأسلمت و قلت: أبايعک يا رسول اللّه و منها حديث الشّعبى قال: سألت ابن عبّاس عن أوّل من أسلم فقال: أبو بكر

ثمّ قال: أما سمعت قول حسّان:

إذا تذكّرت شجوا من أخى ثقة فاذكر أخاک أبا بكر بما فعلا

خير البريّة أعطاها و أعدلها بعد النّبىّ و أرقاها بما حملا

الثّانى التّالى المحمود مشهده و أوّل النّاس منهم صدّق الرّسلا

و منها حديث رووه عن منصور عن مجاهد أنّ أوّل من أظهر الاسلام سبعة رسول اللّه و أبو بكر و خباب و صهيب و بلال و عمار و سميّة.

و منها حديث رووه عن عمر بن مرّة قال: ذكرت لإبراهيم النخعى حديثا فأنكره و قال أبو بكر أوّل من أسلم قال الشيخ قدس اللّه روحه فيقال لهم:

أما الحديث الاول فانّه رواه أبو نضرة، و هذا أبو نضرة مشهور بعداوة أمير المؤمنين عليه السّلام، و قد ضمنه ما ينقض اضلالهم فى الامامة، و لو ثبت لكان أرجح من تقدّم اسلام أبى بكر و هو أنّ أمير المؤمنين و الزّبير أبطئا عن بيعة أبى بكر، و إذا ثبت أنّهما أبطئا عن بيعته و تأخّرا نقض ذلک قولهم أنّ الامّة اجتمعت عليه و لم يكن من أمير المؤمنين عليه السّلام كراهيّة لأمره، و إذا ثبت أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قد كان متأخّرا عن بيعته على وجه الكراهة لها بدلالة ما رووه من قول أبى بكر له أبطأت عن بيعتى و أنا أسلمت قبلک على وجه الحجّة عليه فى كونه أولى بالامامة منه، ثبت بطلان إمامة أبى بكر، لأنّ أمير المؤمنين عليه السّلام لا يجوز أن يكره الحقّ و لا أن يتأخّر عن الهدى، و قد أجمعت الأمّة على أنه عليه السّلام لم يوقع خطأ بعد الرّسول صلّى اللّه عليه و آله يعثر عليه طول مدّة أبى بكر و عمر و عثمان، و إنّما ادّعت الخوارج الخطاء منه فى آخر أيّامه بالتحكيم و ذهبت عن وجه الحقّ فى ذلک و إذا لم يجز من الأمير المؤمنين التّأخّر عن الهدى و الكراهة للحقّ و الجهل بموضع الأفضل، بطل هذا الحديث، و ما زلنا نجتهد فى اثبات الخلاف لأمره، و النّاصبة تحيد عن قبول ذلک و تدفعه أشدّ دفع حتى صاروا يسلمونه طوعا و اختيارا، و ينظمونه فى احتجاجهم بفضل صاحبهم، و هكذا يفعل اللّه تعالى بأهل الباطل لحينهم، و يسلبهم التوفيق حتّى

يدخلوا فيما يكرهون من حيث لا يشعرون.

على أنّ بازاء هذا الحديث عن أبى بكر حديثا ينقضه من طريق أوضح من طريق أبى نضرة، و هو ما رواه علىّ بن مسلم الطوسى عن زافر بن سليمان عن الصلت ابن بهرام عن الشّعبى قال: مرّ علىّ بن أبى طالب و معه أصحابه على أبى بكر فسلّم و مضى، فقال أبو بكر: من سرّه أن ينظر إلى أوّل النّاس فى الاسلام سبقا، و أقرب النّاس من نبيّنا رحما، و أعظمهم دلالة عليه و أفضلهم فداء عنه بنفسه فلينظر إلى علىّ بن أبى طالب.

و هذا يبطل ما ادّعوه على أبى بكر و أضافه أبو نضرة إليه.

و أما حديث عمرو بن عنبسة فانّه من طريق أبى امامة و لا خلاف أنّ أبا امامة كان من المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السّلام و المتحرين عنه، و أنّه كان فى جيش معاوية ثمّ فيه عن عمر بأنه شهد لنفسه أنّه كان رابع الاسلام، و شهادة المرء لنفسه غير مقبولة إلاّ أن يكون معصوما أو يدلّ دليل على صدقه، و إذا لم يثبت شهادته لنفسه بطل الحديث بأسره.

مع أنّ الرّواية قد اختلفت عن عمر من طريق أبى أمامة، فروى عنه فى حديث آخر أنّه قال: أتيت النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بماء يقال له عكاظ، فقلت له: يا رسول اللّه من تابعك على هذا الأمر؟ فقال: من بين حرّ و عبد، فاقيمت الصّلاة فصلّيت خلفه أنا و أبو بكر و بلال، و أنا يومئذ رابع الاسلام.

فاختلف اللفظ و المعنى فى هذين الحديثين و الواسطة واحد فتارة يذكر مكة و تارة يذكر عكاظا، و تارة يذكر أنّه وجده مستخفيا بمكّة، و تارة يذكر أنّه كان ظاهرا يقيم الصّلاة و يصلّى بالنّاس معه، و الحديث واحد من طريق واحد، و هذا أدلّ دليل على فساده.

و أما حديث الشعبى فقد قابله الحديث عنه من طريق الصّلت بن بهرام المتضمّن لضدّه و فى ذلک إسقاطه، مع أنّه قد عزاه إلى ابن عبّاس و المشهور عن ابن عبّاس ضدّ ذلک و خلافه، ألا ترى إلى ما رواه أبو صالح عن عكرمة عن ابن عبّاس

و هذان أصدق على ابن عبّاس من الشّعبى، لأنّ أبا صالح معروف بعكرمة و عكرمة معروف بابن عبّاس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: صلّت الملائكة علىّ و على علىّ بن أبى طالب سبع سنين، قالوا: و لم ذلک يا رسول اللّه؟ قال: لم يكن من الرّجال غيره، و من طريق عمرو بن ميمون عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أوّل من أسلم بعد خديجة بنت خويلد علىّ بن أبى طالب صلوات اللّه عليه.

و أما قول حسان فانّه ليس بحجّة من قبل أنّ حسّان كان شاعرا و قصد الدّولة و السّلطان، و قد كان منه بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم انحراف شديد عن أمير المؤمنين عليه السّلام، و كان عثمانيّا و حرّض النّاس على علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، و كان يدعو إلى نصرة معاوية و ذلک مشهور عنه فى نظمه، ألا ترى إلى قوله:

يا ليت شعرى و ليت الطّير يخبرنى ما كان بين علىّ و ابن عفّانا

ضحوا بأشمط عنوان السّجود به يقطع اللّيل تسبيحا و فرقانا

لتسمعنّ و شيكا فى ديارهم اللّه أكبر يا ثارات عثمانا

فان جعلت النّاصبة شعر حسّان حجّة فى تقديم ايمان أبى بكر فلتجعله حجّة فى قتل أمير المؤمنين عثمان و القطع على أنّه اخصّ النّاس بقتله، و أنّ ثاراته يجب أن يطلب منه، فان قالوا: إنّ حسّان غلط فى ذلک، قلنا لهم و كذلک غلط فى قوله فى أبى بكر، و ان قالوا لا يجوز غلطه فى باب أبى بكر لأنّه شهد به بحضرة الصّحابة فلم يردّوا عليه، قيل لهم ليس عدم اظهارهم الرّد عليه دليلا على رضاهم به لأنّ الجمهور كانوا شيعة أبى بكر و كان المخالفون له فى تقيّة من الجهر بالتنكير عليه فى ذلک مخافة الفرقة و الفتنة مع أنّ قول حسان يحتمل أن يكون أبو بكر من المتقدّمين فى الاسلام و الأوّلين دون أن يكون أوّل الأوّلين، و لسنا ندفع أن أبا بكر ممّن يعدّ فى المظهرين للاسلام أوّلا، و إنّما ننكر أن يكون أوّل الأوّلين فلمّا احتمل قول حسّان ما وصفناه لم ينكر المسلمون عليه ذلک.

مع أنّ حسّان قد حرض على أمير المؤمنين ظاهرا و دعا إلى مطالبته بثارات عثمان جهرا فلم ينكر عليه فى الحال منكر، فيجب أن يكون مصيبا فى ذلک، فان قالوا:

هذا شىء قاله فى مكان دون مكان فلما ظهر عنه أنكره جماعة من الصّحابة، قيل لهم: فان قنعتم بذلک، و اقترحتم فى الدّعوى فاقنعوا منّا بمثله فيما اعتقدتموه فى شعره فى أبى بكر، و هذا ما لا فضل فيه على أنّ حسان بن ثابت قد شهد فى شعره بامامة أمير المؤمنين عليه السّلام نصّا و ذكر ذلک بحضرة النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فجزاه خيرا فى قوله:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم بخمّ و أسمع بالرّسول مناديا

فى أبيات تقدّم ذكره منّا فى مقدّمات الخطبة الثّالثة المعروفة بالشّقشقيّة و شهد أيضا لأمير المؤمنين عليه السّلام بسبق قريش إلى الايمان حيث يقول:

جزى اللّه خيرا و الجزاء بكفّه أبا حسن عنّا و من كأبى حسن

سبقت قريشا بالّذى أنت أهله فصدرک مشروح و قلبک ممتحن

فشهد بتقديم ايمان أمير المؤمنين عليه السّلام الجماعة، و هذا مقابل لما تقدّم و مسقط له فان زعموا أنّ هذا محتمل، فكذلک ما ذكرتموه عنه أيضا محتمل.

و أما روايتهم عن مجاهد فانّها مقصورة على مذهبه و رأيه و مقاله، و بازاء مجاهد عالم من التّابعين ينكرون عليه و يذهبون إلى خلافه فى ذلک و أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أوّل النّاس ايمانا، و هذا القدر كاف فى ابطال قول مجاهد، على أنّ الثابت عن مجاهد خلاف ما ادّعاه هؤلاء القوم و أضافوه إليه، و ضدّه و نقيضه روى ذلک منهم من لا يتّهم عليه سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد و اثره عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم السبّاق أربعة: يوشع بن نون إلى موسى بن عمران.

و صاحب يس إلى عيسى بن مريم، و سبق علىّ بن ابى طالب عليه السّلام إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و نسى النّاقل عن سفيان الآخر، و قد ذكرت فى حديث غير هذا أنّه مؤمن آل فرعون و هذا يسقط تعلّقهم بما ادّعوه من مجاهد.

و أما حديث عمرو بن مرة عن إبراهيم فهو أيضا نظير قول مجاهد، و إنما

اخبر عمرو عن مذهب إبراهيم، و الغلط جائز على إبراهيم و من فوقه، و بازاء إبراهيم من هو فوقه و أجلّ قدرا منه يدفع قوله و يكذّبه فى دعواه كأبى جعفر و أبى عبد اللّه الصّادق عليهما السّلام و من غير أهل البيت قتادة و الحسن و غيرهما مما لا يحصى كثرة و فى هذا غنى عن غيره.

قال الشيخ قدس اللّه روحه فهذه جملة ما اعتمد القوم فيما ادّعوه من خلافنا فى تقديم إيمان أمير المؤمنين عليه السّلام و تعلّقوا به، و قد بيّنت عوارها و أوضحت حالها، و أنا أذكر طرفا من أسماء من روى أنّ أمير المؤمنين كان أسبق الخلق إلى رسول اللّه و أوّل من الذكور إجابة له و ايمانا به فمن ذلك الرّواية عن أمير المؤمنين عليه السّلام نفسه من طريق سلمة بن كهيل عن حبّة العرنى قال: سمعت عليا يقول: اللّهمّ لا أعرف عبدا لك عبدك من هذه الأمّة قبلى غير نبيّها عليه و آله السّلام، قال ذلك ثلاث مرّات، ثمّ قال: لقد صلّيت قبل أن يصلّى أحد سبعا.

و من طريق المنهال عن عباية الأسدى عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: لقد أسلمت قبل الناس بسبع سنين و من طريق جابر عن عبد اللّه بن يحيى الحضرمى عن علىّ عليه السّلام قال: صلّيت مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثلاث سنين و لم يصلّ أحد غيرى.

و من طريق نوح بن قيس الطّاخى عن سليمان أبى فاطمة عن معاذة العدوية قال: سمعت عليّا يخطب على منبر البصرة فسمعته يقول: أنا الصّديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، و أسلمت قبل أن يسلم.

و من طريق عمرو بن مرّة عن أبى البخترى عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: صلّيت قبل النّاس سبع سنين.

و من طريق نوح بن دراج عن خالد الخفاف قال: أدركت النّاس و هم يقولون:

وقع بين علىّ و عثمان كلام فقال عثمان و اللّه أبو بكر و عمر خير منك، فقال علىّ عليه السّلام كذبت و اللّه لأنا خير منك و منهما، عبدت اللّه قبلهما و عبدت اللّه بعدهما

و من طريق الحارث الأعور قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: اللّهمّ إنّى لا أعرف عبدا من عبادك عبدک قبلى.

و قال عليه السّلام قبل ليلة الهرير بيوم و يحرّض النّاس على أهل الشّام: أنا أوّل ذكر صلّى مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لقد رأيتنى أضرب بسيفى قدامه و هو يقول لا سيف إلاّ ذو الفقار و لا فتى إلاّ علىّ حياتک حياتى و موتک موتى.

و قال عليه السّلام و قد بلغه أنّ قوما يطعنون عليه فى الاخبار عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعد كلام خطبه(1): بلغنى أنكم تقولون إنّ عليا يكذب، فعلى من أكذب أعلى اللّه فأنا أوّل من آمن به و عبده و وحّده، أم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأنا أوّل من آمن به و صدّقه و نصره.

و قال عليه السّلام لمّا بلغه افتخار معاوية عند أهل الشّام شعره المشهور الذى يقول فيه:

سبقتكم إلى الاسلام طرّا صغيرا ما بلغت أوان حلمى

و أنا أذكر الشعر بأسره فى موضع غير هذا عند الحاجة إليه إنشاء اللّه تعالى.

و من ذلک ما رواه أبو أيّوب خالد بن زيد الأنصارى صاحب رسول اللّه من طريق عبد الرحمن معمّر عن أبيه عن أبى أيّوب رحمه اللّه، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: صلّت الملائكة علىّ و على علىّ بن أبى طالب عليه السّلام سبع سنين، و ذلک أنّه لم يصلّ معى رجل غيره.

و من ذلک ما رواه سلمان الفارسى رحمة اللّه عليه من طريق عليم الكندى عن سلمان قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أوّلكم ورودا علىّ الحوض أوّلكم اسلاما علىّ بن أبى طالب.

و من ذلک ما رواه أبو ذر الغفارى رحمة اللّه عليه من طريق محمّد بن عبيد اللّه بن أبى رافع عن أبيه عن جدّه عن أبى ذر قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول لعلىّ بن أبى طالب:

أنت أوّل من آمن بى، فى حديث طويل.

و روى أبو سخيلة عن أبى ذر أيضا قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو آخذ بيد علىّ عليه السّلام يقول: أنت أوّل من آمن بى و أوّل من يصافحنى يوم القيامة.

1- (1) و قد مضى هذا الكلام برواية السيد ره فى الكتاب و هو المختار السبعون، منه

و قد رواه ابن أبی رافع عن أبیه أیضا عن أبی ذر قال: أتیته اودّعه فقال:

ستکون فتنة فعلیک بالشیخ علیّ بن أبی طالب صلوات اللّه علیه و تسلیمه فانی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول أنت أوّل من آمن بی.

و من ذلک ما رواه حذیفة الیمان رحمة اللّه علیه عن طریق قیس بن مسلم عن ربعی بن خراش قال: سألت حذیفة الیمان عن علیّ بن أبی طالب صلوات اللّه علیه فقال: ذاک أقدم النّاس سلما و أرجح النّاس حلما.

و من ذلک ما رواه جابر بن عبد اللّه الأنصاری رحمة اللّه علیه من طریق شریک عن عبد اللّه بن محمّد بن عقیل عن جابر قال: بعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یوم الاثنین و أسلم علیّ علیه السّلام یوم الثّلثاء.

و من ذلک ما رواه زید بن أرقم من طریق عمرو بن مرّة عن أبی حمزة مولی الأنصار قال: سمعت زید بن أرقم یقول: أوّل من صلّی مع النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علیّ بن أبی طالب و من ذلک ما رواه زید بن صوحان العبدی من طریق عبد اللّه بن هشام عن أبیه عن طریف بن عیسی الغنوی أنّ زید بن صوحان خطب فی مسجد الکوفة فقال: سیروا إلی أمیر المؤمنین و سیّد المسلمین و أوّل المؤمنین إیمانا.

و من ذلک ما روته أمّ سلمة زوج النّبیّ من طریق مساور الحمیری عن امّه قالت: قالت امّ سلمة: و اللّه لقد أسلم علیّ بن أبی طالب أوّل النّاس و ما کان کافرا، فی حدیث طویل.

و من ذلک ما رواه عبد اللّه بن عبّاس بن عبد المطلب رحمة اللّه علیه من طریق أبی صالح عن عکرمة عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: صلّت الملائکة علیّ و علی علیّ بن أبی طالب سبع سنین، قالوا و لم ذاک یا رسول اللّه؟ قال: لم یکن معی من الرّجال غیره، و من طریق عمرو بن میمون عنه ما تقدّم ذکره، و روی مجاهد عنه أیضا مثل ذلک و قد سلف لنا فیما مضی.

و من ذلک ما رواه قثم بن العبّاس بن عبد المطلّب عن طریق قیس بن أبی حازم عن أبی إسحاق قال: دخلت علی قثم بن العبّاس فسألته عن علیّ فقال: کان أوّلنا

برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لحوقا و أشدّنا به لصوقا.

و من ذلک ما رواه مالک الأشتر رحمة اللّه عليه من طريق الفضل بن أدهم المدنى قال: سمعت مالک بن الحارث الاشتر يقول فى خطبة خطبها بصفّين: معنا ابن عمّ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سيف من سيوف اللّه علىّ بن أبى طالب صلّى مع رسول اللّه صغيرا و لم يسبقه بالصّلاة ذكر، و جاهد حتّى صار شيخا كبيرا.

و من ذلک ما رواه سعيد بن قيس من طريق مالک بن قدّامة الارحبى أنّ سعيد ابن قيس خطب النّاس بصفّين فقال: معنا ابن عمّ نبيّنا صدق و صلّى صغيرا و جاهد مع نبيّكم كبيرا.

و من ذلک ما رواه عمرو بن الحمق الخزاعى من طريق عبد اللّه بن شريک العامرى قال: قام عمرو بن الحمق يوم صفين فقال: يا أمير المؤمنين أنت ابن عمّ نبيّنا و أوّل المسلمين إيمانا باللّه عزّ و جلّ.

و من ذلک ما رواه هاشم بن عتبة بن أبى وقاص من طريق جندب قال: قال هاشم يوم صفّين: نجاهد فى طاعة اللّه مع ابن عمّ رسول اللّه و أوّل من آمن باللّه و أفقه النّاس فى دين اللّه.

و من ذلک ما رواه محمّد بن كعب من طريق عمر مولا غفرة عن محمّد بن كعب قال: أوّل من أسلم علىّ بن أبى طالب عليه السّلام.

و من ذلک ما رواه مالک بن الحويرث من طريق مالک بن الحسن بن مالک قال: أخبرنى أبى عن جدّى مالک بن الحويرث قال: أوّل من أسلم من الرّجال علىّ بن أبى طالب.

و من ذلک ما رواه أبو بكر عتيق بن أبى قحافة و عمر بن الخطاب و أنس ابن مالک و عمر و بن العاص و أبو موسى الأشعرى.

و الذى رواه أبو بكر من طريق زافر بن سليمان عن الصّلت بن بهرام عن الشّعبى قال: مرّ علىّ بن أبى طالب على أبى بكر و معه أصحابه فسلّم عليهم و مضى فقال أبو بكر: من سرّه أن ينظر إلى أوّل النّاس فى الاسلام سبقا و أقرب النّاس برسول اللّه قرابة، فلينظر إلى علىّ بن أبى طالب، الحديث و قدّمناه

فيما مضى.

و أما عمر فانّ أبا حازم مولى ابن عباس قال: سمعت عبد اللّه بن عباس يقول قال عمر بن الخطّاب: كفّوا عن علىّ بن أبى طالب فانّى سمعت من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيه خصالا قال: إنّک أوّل المؤمنين بعدى ايمانا، و ساق الحديث.

و أما عمرو بن العاص فان تميم بن جذيم النّاحى قال: إنّا لمع أمير المؤمنين عليه السّلام بصفّين إذ خرج إليه عمرو بن العاص فأراد أن يكلّمه فقال عمرو: تكلّم فانّک أوّل من اسلم فاهتدى و وحّد فصلّى.

و من ذلک ما رواه أبو موسى الأشعرى عن طريق يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه سلمة عن أبى جعفر عن ابن عباس قال أبو موسى الأشعرى: علىّ أوّل من أسلم.

و من ذلک ما رواه أنس بن مالک من طريق عباد بن عبد الصّمد قال: سمعت أنس بن مالک يقول: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لقد صلّت الملائكة علىّ و على علىّ بن أبى طالب سبع سنين، و ذلک أنّه لم يرفع إلى السّماء شهادة أن لا إله إلاّ اللّه و أنى محمّدا رسول اللّه إلاّ منّى و من علىّ صلوات اللّه عليه.

و من ذلک ما روى عن الحسن بن أبى الحسن البصرى من طريق قتادة بن دعامة السّدوسى قال: سمعت الحسن يقول: إنّ عليّا عليه السّلام صلّى مع النّبى أوّل النّاس فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: صلّت الملائكة علىّ و على علىّ سبع سنين.

و من ذلک ما روى عن قتادة من طريق سعيد بن أبى عروبة قال: سمعت قتادة يقول: أوّل من صلّى من الرّجال علىّ بن أبى طالب.

و من ذلک ما روى عن أبى إسحاق من طريق يونس بن بكير عن محمّد بن إسحاق قال: كان أوّل ذكر آمن و صدّق علىّ بن أبى طالب و هو ابن عشر سنين، ثمّ أسلم بعده زيد بن حارثة.

و من ذلک ما روى عن الحسن بن زيد من طريق إسماعيل بن عبد اللّه بن أبى يونس قال: أخبرنى أبى عن الحسن بن زيد أنّ عليا كان أوّل ذكر أسلم.

فاما الروايـة عن آل أبى طـالـب فى ذلک فانّها أکثر من أن تحصـى، و قـد أجمع بنو هاشم و خاصّـة آل علىّ لا تنازع بينهم على أنّ أوّل من أجاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من الذّکور علىّ بن أبى طالب و نحن أغنياء بشهرة ذلک عن ذکر طرقه و وجوهه.

فأما الاشعار التى تؤثر عن الصحابة فى الشهادة له عليه السّلام بتقديم الايمان

و أنّه أسبق الخلق إليه فقد وردت عن جماعة منهم و ظهرت عنهم على وجه يوجب العلم و يزيل الارتياب و لم يختلف فيها من أهل العلم بالنقل و الارتياب إثنان.

فمن ذلک قول خزيمة بن ثابت ذى الشهادتين رحمة الله عليه:

إذا نحن بايعنا عليّا فحسبنا أبو حسن ممّا يخاف من الفتن

وجدناه أولى النّاس بالنّاس أنّه أطبّ قريش بالکتاب و بالسّنن

و إنّ قريشا لا يشقّ غباره إذا ما جرى يوما على الضمر البدن

ففيه الذى فيه من الخير کلّه و ما فيهم مثل الذى فيه من حسن

وصىّ رسول اللّه من دون أهله و فارسه قد کان فى سالف الزمن

و أوّل من صلّى من النّاس کلّهم سوى خيرة النسوان و اللّه ذو منن

و صاحب کبش القوم فيکلّ وقعة يکون لها نفس الشّجاع لدى الذقن

فذاک الذى تثنى الخناصر باسمه إمامهم حتّى اغيّب فى الکفن

و منه قول کعب بن زهير:

صهر النّبىّ و خير النّاس کلّهم فکلّ من رامه بالفخر مفخور

صلّى الصّلاة مع الامّى أوّلهم قبل العباد و ربّ النّاس مکفور

و منه قول حسان بن ثابت:

جزى اللّه خيرا و الجزاء بکفّه «و قدّمنا البيتين فيما سلف»

و منه قول ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب حيث يقول عند بيعة أبى بكر:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منتقل عن هاشم ثمّ منها عن أبى حسن

أ ليس أوّل من صلّى لقبلتكم و أعلم النّاس بالآثار و السّنن

و آخر النّاس عهدا بالنّبى و من جبريل عون له فى الغسل و الكفن

من فيه ما فيهم لا يمترون به و ليس فى القوم ما فيه من الحسن

ما ذا الذى ردّكم عنه فنعلمه ها إنّ بيعتكم من أوّل الفتن

و فى هذا الشّعر قطع من قائله على إبطال إمامة أبى بكر و إثبات الامامة لأمير المؤمنين عليه السّلام.

و منه قول فضل بن عتبة بن أبى لهب فيما ردّ به على الوليد بن عقبة فى

مديحه لعثمان و مرثيته له و تحريضه على أمير المؤمنين (عليه السلام) فى قصيدته

التى يقول فى أولها:

ألا إنّ خير النّاس بعد ثلاثة قتيل التجوبى الّذى جاء من مضر

فقال الفضل رحمة اللّه عليه:

ألا إنّ خير النّاس بعد محمّد مهيمنه التاليه فى العرف و النكر

و خيرته فى خيبر و رسوله بنبذ عهود الشرك فوق أبى بكر

و أوّل من صلّى و صنو نبيّه و أوّل من أردى الغواة لدى بدر

فذاک علىّ الخير من ذا يفوقه أبو حسن حلف القرابة و الصهر

و فى هذا الشعر دليل على تقدّم ايمان أمير المؤمنين عليه السّلام و على أنّه كان الأمير فى سنة تسع على الجماعة و كان فى جملة رعيّته أبو بكر على خلاف ما ادّعته النّاصبة من قولهم إنّ أبا بكر كان الأمير على الجماعة و إنّ أمير المؤمنين كان تابعا له.

ص:279

و منه قول مالک بن عبادة الغافقى حليف حمزة بن عبد المطلب رحمة الله عليه:

رأيت عليّا لا يلبّث قرنه إذا ما دعاه حاسرا أو مسر بلا

فهذا و فى الاسلام أوّل مسلم و أوّل من صلّى و صام و هلّلا

و منه قول عبد اللّه بن ابى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

و كان ولىّ الأمر بعد محمّد علىّ و فى كلّ المواطن صاحبه

وصىّ رسول اللّه حقا و جاره و أوّل من صلّى و من لان جانبه

و فى هذا الشعـر أيضا دليل على اعتقاد هذا الرّجل فى أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه كان الخليفة لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بلا فصل.

و منه قول النجاشى بن الحارث بن كعب:

فقل للمضلّل من وائل و من جعل الغثّ يوما سمينا

جعلت ابن هند و أشياعه نظير علىّ أما تستحونا

إلى أوّل النّاس بعد الرّسول أجاب الرّسول من العالمينا

و منه قول جرير بن عبد اللّه البجلى:

فصلّى الإله على أحمد رسول المليک تمام النعم

و صلّى على الطّهر من بعده خليفتنا القائم المدّعم

عليّا عنيت وصىّ النّبىّ يجالد عنه غواة الامم

له الفضل و السبق و المكرمات و بيت النّبوّة لا المهتضم

و فى هذا الشّعر أيضا تصـريح من قائله بامامة أمير المؤمنين عليه السّلام بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أنّه كان الخليفة على من تقدّم.

و منه قول عبد اللّه بن حكيم التميمى:

دعانا الزبير إلى بيعة و طلحة بعد ما أثقلا

ص:280

فقلنا صفقنا بأيماننا و إن شئتما فخذا الأشملا

نكثتم عليّا على بيعته و إسلامه فيكم أوّلا

و منه قول عبد اللّه بن جبل حليف بنى جمح:

لعمرى لئن بايعتم ذا حفيظة على الدّين معروف العفاف موفّقا

عفيفا عن الفحشاء أبيض ماجد صدوقا و للجبّار قدما مصدّقا

أبا حسن فارضوا به و تبايعوا فليس كمن فيه لذى العيب منطقا

علىّ وصىّ المصطفى و وزيره و أوّل من صلّى لذى العرش و اتّقى

و منه قول ابى الاسود الدئلى:

و انّ عليّا لكم مفخر يشبه بالأسد الأسود

أما إنّه سيّد العابدين بمكّة و اللّه لم يعبد

و منه قول زفر بن زيد بن حذيفة الاسدى:

فحوطوا عليّا و احفظوه فانّه وصىّ و فى الاسلام أوّل أوّل

و منه قول قيس بن سعد بن عبادة بصفين:

هذا علىّ و ابن عمّ المصطفى أوّل من أجابه ممّن دعا

هذا إمام لا نبالى من غوى

و منه قول هاشم بن عتبة بن أبى وقاص بصفين:

أشلّهم بذى الكعوب شلاّ مع ابن عمّ أحمد تجلاّ

أوّل من صدّقه و صلّى

قال الشيخ قدّس اللّه روحه: و أمّا قول النّاصبة إنّ ايمان أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه لم يقع على وجه المعرفة و إنّما كان على وجه التقليد و التلقين و ما كان بهذه المنزلة لم يستحقّ صاحبه المدحة و لم يجب به الثّواب، و ادّعائهم أنّ أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه كان فى تلك الحال ابن سبع سنين و من كان هذه سنّه لم يكن كامل العقل و لا مكلّفا، فانّه يقال لهم: إنّكم قد جهلتم فى ادّعائكم أنّه كان وقت مبعث النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ابن سبع سنين و قلتم قولا لا برهان عليه يخالف المشهور و يضادّ المعروف، و ذلک انّ جمهور الرّوايات جاءت بأنّه عليه السّلام قبض و له خمس و ستّون سنة و جاء فى بعضها أنّ سنه كانت عند وفاته ثلاثا و ستّين فأمّا ما سوى هاتين الرّوايتين فشاذّ مطروح و قد يعرف فى صحيح النّقل و لا يقبله أحد من أهل الرّواية و العقل.

و قد علمنا أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام صحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثلاثا و عشرين سنة منها ثلاث عشرة قبل الهجرة، و عشر بعدها، و عاش بعده ثلاثين سنة، و كانت وفاته فى أربعين من الهجرة، فاذا حكمنا فى سنّه على خمس و ستّين كما تواترت به الأخبار كانت سنّه عند مبعث النّبى صلّى اللّه عليه و آله اثنتى عشرة سنة، و إن حكمنا على ثلاث و ستّين كانت سنّه عند المبعث عشر سنين، و كيف يخرج من هذا الحساب أن يكون سنّه عند المبعث سبع سنين.

اللّهمّ إلاّ أن يقول قائل إنّ سنّه كانت عند وفاته ستّين سنة فيصحّ ذلک له إلاّ أنه يكون دافعا للمتواتر من الأخبار، منكرا للمشهور من الآثار، معتمدا على الشّاذ من الرّوايات، و من صار إلى ذلک كان الأولى فى مناظرته البيان له على وجه الكلام فى الأخبار، و التّوقيف على طرق الفاسد من الصّحيح فيها دون المجازفة فى المقالة، و كيف يمكن عاقلا سمع الأخبار أو نظر فى شىء من الآثار أن يدّعى أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام توفّى و له ستّون سنة مع قوله عليه السّلام الشائع عنه الذايع فى الخاص و العام عند ما بلغه من ارجاف أعدائه فى التدبير و الرّأى:

بلغنى أنّ قوما يقولون إنّ علىّ بن أبى طالب شجاع لكن لا بصيرة له بالحرب

للّه أبوهم و هل فيهم أحد أبصر بها منّى لقد قمت فيها و ما بلغت العشرين وها أنا قد ذرفت على السّتّين، و لكن لا رأى لمن لا يطاع.

فخبّر عليه السّلام بأنّه نيف على السّتّين فى وقت عاش بعده دهرا طويلا، و ذلک فى أيّام صفين و هکذا يکذب قول من زعم أنه صلوات اللّه عليه توفّى و له ستّون سنة مع أنّ الرّوايات قد جاءت مستفيضة ظاهرة بأنّ سنّه کانت عند وفاته بضعا و ستّين سنة و فى مجيؤها بذلک على الانتشار دليل على بطلان مقال من أنکر ذلک.

فمن ذلک ما ذکره علىّ بن عمرو بن أبى سيرة عن عبد اللّه بن محمّد بن عقيل قال:

سمعت محمّد بن الحنفية يقول فى سنة الجحاف حين دخلت سنة إحدى و ثمانين هذه لى خمس و ستّون سنة و قد جاوزت من أبى قلت: و کم کان سنّه يوم قتل؟ قال:

ثلاثا و ستّين سنة.

و منهم أبو القاسم نعيم قال: حدّثنا شريک عن أبى إسحاق قال توفّى علىّ صلاة اللّه عليه و هو ابن ثلاث و ستّين سنة.

و منهم يحيى بن أبى کثير عن سلمة قال: سمعت أبا سعيد الخدرى يقول: و قد سئل عن سنّ أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه يوم قبض قال: قد کان نيف على السّتين.

و منهم ابن عايشة من طريق أحمد بن زکريّا قال: سمعته يقول: بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و علىّ ابن عشر سنين و قتل علىّ و له ثلاث و ستّون سنة و منهم الوليد بن هاشم الفخذى «الفحدمى خ» من طريق أبى عبد اللّه الکواسجى «شحى خ» قال: أخبرنا الوليد بأسانيد مختلفة أنّ عليّا صلوات اللّه عليه قتل بالکوفة يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين و هو ابن خمس و ستّين سنة.

فأما من روى أنّ سنه کانت عند البعثة أکثر من عشر سنين فغير واحد.

منهم عبد اللّه بن مسعود من طريق عثمان بن المغيرة عن وهب عنه قال:

إنّ أوّل شىء علمته من أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّى قدمت مکّة فأرشدونا إلى العباس ابن عبد المطلّب فانتهينا إليه و هو جالس إلى زمزم فبينا نحن جلوس إذ أقبل رجل

من باب الصّفا عليه ثوبان أبيضان على يمينه غلام مراهق أو محتلم تتبعه امرأة قد سترت محاسنها حتّى قصدوا الحجر، فاستلمه و الغلام و المرأة ثمّ طاف بالبيت سبعا و الغلام و المرأة يطوفان معه، ثمّ استقبل الكعبة فقام فرفع يديه و كبّر فقام الغلام عن يمينه و كبّر و قامت المرأة خلفهما فرفعت يديها فكبّرت، فأطال القنوت ثمّ ركع فركع الغلام و المرأة معه، ثمّ رفع رأسه فأطال القنوت، ثمّ سجد و يصنعان ما صنع فلمّا رأينا شيئا ننكره و لا نعرفه بمكّه أقبلنا على العباس فقلنا: يا أبا الفضل إنّ هذا الدّين ما كنّا نعرفه، قال: أجل و اللّه ما تعرفون هذا، قلنا: ما تعرفه قال:

هذا ابن أخى محمّد بن عبد اللّه، و هذا علىّ بن أبى طالب، و هذه المرأة خديجة بنت خويلد، و اللّه ما على وجه الأرض أحد يعبد اللّه بهذا الدّين إلاّ هؤلاء الثلاثة.

و روى قتادة عن الحسن و غيره قال: كان أوّل من آمن علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و هو ابن خمس عشرة سنة أو ستّ عشرة سنة.

و روى شدّاد بن أوس قال: سألت خباب بن الأرتّ عن إسلام علىّ بن أبى طالب عليه السّلام قال: أسلم و هو ابن خمس عشرة سنة، و لقد رأيته يصلّى مع النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو مستحكم البلوغ.

و روى علىّ بن زيد عن أبى نضرة قال: أسلم علىّ و هو ابن أربع عشرة سنة، و كان له يومئذ ذؤابة يختلف إلى الكتاف.

و روى عبد اللّه بن زياد عن محمّد بن علىّ قال: أوّل من آمن باللّه علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و هو ابن إحدى عشرة سنة.

و روى الحسن بن زيد قال: أوّل من أسلم علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و هو ابن خمسة عشرة، و قد قال عبد اللّه بن الحارث بن أبى سفيان بن عبد المطلب.

و صلّى علىّ مخلصا بصلاته لخمس و عشر من سنيه كوامل

و خلّى اناسا بعده يتبعونه له عمل أفضل به صنع حامل

و روى سلمة بن كهيل عن أبيه عن حبة بن جوين العرنى قال: أسلم علىّ صلوات اللّه عليه و آله و كان له ذؤابة يختلف إلى الاكتاف.

على أنّا لو سلّمنا لخصومنا ما ادّعوه من أنه كان له عند المبعث سبع سنين لم يدلّ ذلك على صحّة ما ذهبوا إليه من أنّ ايمانه كان على وجه التّلقين دون المعرفة و اليقين، و ذلك أنّ صغر السنّ لا ينافى كمال العقل و ليس دليل وجوب التكليف بلوغ الحلم فيراعى ذلك هذا باتّفاق أهل النّظر و العقول، و إنّما يراعى بلوغ الحلم فى الأحكام الشّرعية دون العقلية، فقد قال سبحانه فى قصّة يحيى: و آتيناه الحكم صبيّا، و قال فى قصّة عيسى: فأشارت إليه قالوا كيف نكلّم من كان فى المهد صبيّا، قال إنّى عبد اللّه آتانى الكتاب و جعلنى نبيّا و جعلنى مباركا أينما كنت و أوصانى بالصّلوة و الزّكاة ما دمت حيّا، فلم ينف صغر سنّ هذين النّبيّين عليهما السلام كما عقلهما أو الحكمة الّتى آتاهما اللّه سبحانه، و لو كانت العقول تحيل ذلك لا حالته فيكلّ أحد و على كلّ حال.

و قد أجمع أهل التفسير إلاّ من شذّ عنهم فى قوله تعالى: و شهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قدّ من قبل فصدقت و هو من الكاذبين و إن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت و هو من الصّادقين، أنّه كان طفلا صغيرا فى المهد أنطقه اللّه عزّ و جلّ حتّى برء يوسف من الفحشاء و أزال عنه التهمة.

و النّاصبة إذا سمعت هذا الاحتجاج قالت: إنّ هذا الذى ذكرتموه فيمن عددتموه كان معجزا لخرق العادة و دلالة لنبىّ من أنبياء اللّه، فلو كان أمير المؤمنين مشاركا لمن وصفتموه فى خرق العادة لكان معجزا له أو للنبىّ و ليس يجوز أن يكون معجزا له و لو كان معجزا للنّبىّ لجعله فى معجزاته و احتجّ به فى جملة بيّناته و لجعله المسلمون فى آياته، فلمّا لم يجعله رسول اللّه لنفسه علما و لا عدّه المسلمون فى معجزاته علمنا أنّه لم يجر فيه الأمر على ما ذكرتموه.

فيقال لهم: ليس كلّ ما خرق اللّه به العادة وجب أن يكون علما و لا لزم أن يكون معجزا و لا شاع علمه فى العام و لا عرف من جهة الاضطرار، و إنّما المعجز العلم هو خرق العادة عند دعوة داع أو برائة معروف يجرى براءته مجرى التّصديق له فى مقاله، بل هى تصديق فى المعنى و إن لم يك تصديقا بنفس اللّفظ و القول،

ص:285

و كلام عيسى إنّما كان معجزا لتصديقه له فى قوله: إنّى عبد اللّه آتانى الكتاب و جعلنى نبيّا، مع كونه خرقا للعادة و شاهدا لبرائة أمّه من الفاحشة.

و لصدقها فيما ادّعته من الطهارة، و كان حكمة يحيى فى حال صغره تصديقا له فى دعوته فى الحال و لدعوة أبيه زكريّا فصارت مع كونها خرق العادة دليلا و معجزا، و كلام الطّفل فى برائة يوسف إنّما كان معجزا لخرق العادة بشهادته ليوسف عليه السّلام للصّدق فى برائة ساحته و يوسف نبيّ مرسل فثبت أنّ الأمر ما ذكرنا و لم يكن كمال عقل أمير المؤمنين شاهدا فى شىء ممّن ادّعاه و لا استشهد هو عليه السّلام به فيكون مع كونه خرقا للعادة معجزا و لو استشهد به أو شهد على حدّ ما شهد الطفل ليوسف و كلام عيسى له و لامّه و كلام يحيى لأبيه بما يكون فى المستقبل و الحال لكان لخصومنا وجه للمطالبة بأن يذكر ذلك فى المعجزات لكن لا وجه له على ما بينّاه.

على أنّ كمال عقل أمير المؤمنين عليه السّلام لم يكن ظاهرا للحواسّ، و لا معلوما بالاضطرار فيجرى مجرى كلام المسيح، و حكمة يحيى، و كلام شاهد يوسف، فيمكن الاعتماد عليه فى المعجزات، و إنّما كان طريق العلم مقال الرّسول و الاستدلال الشّاق بالنظر الثاقب و السرّ لحاله عليه السّلام و على مرور الأوقات بسماع كلامه و التأمل لاستدلالاته و النظر فيما تؤدّى إلى معرفته و فطنته ثمّ لا يحصل ذلك إلاّ لخاص من النّاس و من عرف وجوه الاستنباطات و ما جرى هذا المجرى فارق حكمه حكم ما سلف للأنبياء من المعجزات و ما كان لنبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من الاعلام إذا تلك بظواهرها فقدح فى القلوب أسباب اليقين و تشرك الجميع فى الحال الظاهرة منها المنبئة عن خرق العادات دون أن تكون مقصورة على ما ذكرناه من البحث الطويل و الاستقرار للأحوال على مرور الأوقات أو الرّجوع فيه إلى نفس قول الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الذى يحتاج فى العلم به إلى النّظر فى معجز غيره و الاعتماد على ما سواه من البيّنات فلا ينكر أن يكون الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّما عدل عن ذكر ذلك و احتجاجه به فى جملة آياته لما وصفناه.

ص:286

و شیء آخر و هو أنّه لا ینکر أن یکون اللّه سبحانه علم من مصلحة خلقه الکفّ من رسول اللّه عن الاحتجاج بذلک و الدّعاء إلی النظر فیه و أنّ اعتماده علی ما ظاهره خرق العادة أولی فی مصلحة الدّین.

و شیء آخر و هو أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و إن لم یحتجّ به علی التفصیل و التعیین فقد فعل ما یقوم مقام الاحتجاج به علی البصیرة و الیقین، فابتدأ علیّا علیه السّلام بالدعوة قبل الذّکور کلّهم ممّن ظاهره البلوغ و افتتح بدعوته قبل أداء رسالته، و اعقد علیه فی ایداعه سرّه و أودعه ما کان خائفا من ظهوره عنه، فدلّ باختصاصه بذلک علی ما یقوم مقام قوله إنّه معجز له و إنّ بلوغ عقله علم علی صدقه، ثمّ جعل ذلک من مفاخره و جلیل مناقبه و عظیم فضایله، و نوّه بذکره و شهره بین أصحابه فاحتجّ له به فی اختصاصه، و کذلک فعل أمیر المؤمنین صلوات اللّه علیه فی ادّعائه له، فاحتجّ به علی خصومه و تمدّح به بین أولیائه و فخربه علی جمیع أهل زمانه، و ذلک هو معنی النطق بالشّهادة بالمعجز له بل هو الحجّة فی کونه نائبا فی القوم بما خصّه اللّه تعالی منه و نفس الاحتجاج لعلمه و دلیل اللّه و برهانه و هذا یسقط ما اعتمدوه.

و ممّا یدلّ علی أنّ أمیر المؤمنین صلوات اللّه علیه کان عند بعثة النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بالغا مکلّفا و أنّ إیمانه به کان بالمعرفة و الاستدلال و أنّه وقع علی أفضل الوجوه و آکدها فی استحقاق عظیم الثّواب أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مدحه به و جعله من فضائله و ذکره فی مناقبه، و لم یک بالذی یفضل بما لیس یفضل و یجعل فی المناقب ما لا یدخل فی جملتها، و یمدح علی ما لا یستحقّ علیه الثواب.

فلما مدح رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أمیر المؤمنین علیه السّلام بتقدّمه الایمان فیما ذکرناه آنفا:

من قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لفاطمة علیها السّلام: أما ترضین أنّی زوّجتک أقدمهم سلما: و قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی روایة سلمان: أوّل هذه الأمّة ورودا علی نبیّها الحوض أوّلها إسلاما علیّ بن أبی طالب و قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: لقد صلّت الملائکة علیّ و علی علیّ بن أبی طالب سبع سنین، و ذلک إنّه لم لم یکن من الرّجال أحد یصلّی غیری و غیره.

و إذا کان الأمر علی ما وصفناه فقد ثبت أنّ إیمانه وقع بالمعرفة و الیقین

دون التقليد و التلقين لا سيّما و قد سمّاه رسول اللّه إيمانا و إسلاما و ما يقع من الصبيان على وجه التلقين لا يسمّى على الاطلاق الدّينى إيمانا و إسلاما.

و يدلّ على ذلک أيضا أنّ أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه قد تمدّح به و جعله من مفاخره و احتجّ به على أعدائه و كرّره فى غير مقام من مقاماته حيث يقول:

اللّهمّ إنّى لا أعرف عبدا لک عبدک من هذه الامة قبلى، و قوله أنا الصّديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر و أسلمت قبل أن يسلم و قوله صلوات اللّه عليه لعثمان أنا خير منک و منهما عبدت اللّه قبلهما و عبدت اللّه بعدهما و قوله عليه السّلام أنا أوّل ذكر صلّى، و قوله عليه السّلام على من اكذب أعلى اللّه فأنا أوّل من آمن به و عبده.

فلو كان إيمانه على ما ذهبت إليه النّاصبة من جهة التّلقين و لم يكن له معرفة و لا علم بالتّوحيد لما جاز منه أن يتمدّح بذلک، و لا أن يسمّيه عبادة و لا أن يفخر به على القوم، و لا أن يجعله تفضيلا له على أبى بكر و عمر، و لو أنه فعل من ذلک ما لا يجوز لردّه عليه مخالفوه و اعترضه فيه مضادّوه و حاجّه فى بطلانه مخاصموه، و فى عدول القوم عن الاعتراض عليه فى ذلک و تسليم الجماعة له ذلک دليل على ما ذكرناه و برهان على فساد قول النّاصبة الذى حكيناه.

و ليس يمكن أن يدفع ما رويناه فى هذا الباب من الأخبار لشهرتها و اجماع الفريقين من النّاصبة و الشّيعة على روايتها، و من تعرّض للطعن فيها مع ما شرحناه لم يمكنه الاعتماد على تصحيح خبر وقع فى تأويله الاختلاف، و فى ذلک ابطال جمهور الأخبار، و إفساد عامة الآثار وهب أنّ من لا يعرف الحديث و لا خالط أهل العلم يقدم على انكار بعض ما رويناه أو يعاند فيه بعض العارفين به و يغتنم الفرصة بكونه خاصّا فى أهل العلم كيف يمكن دفع شعر أمير المؤمنين فى ذلک و قد شاع من شهرته على حدّ يرتفع فيه الخلاف و انتشر حتّى صار مسموعا من العامّة فضلا عن الخواص فى قوله عليه السّلام:

محمّد النّبى أخى و صنوى و حمزة سيّد الشّهداء عمّى

و جعفر الذی یضحی و یمسی یطیر مع الملائکة ابن امّی

و بنت محمّد سکنی و عرسی مساط لحمها بدمی و لحمی

و سبطا أحمد ولدای منها فمن فیکم له سهم کسهمی

سبقتکم إلی الاسلام طرّا علی ما کان من فهمی و علمی

و أوجب لی الولاء معا علیکم خلیلی یوم دوح غدیر خم

و فی هـذا الشـعر کفایـة فی البیان عن تقـدّم ایمانه و أنّه وقع مع المعرفة بالحجة و البیان، و فیه أیضا أنّه کان الامام بعد الرسول بدلیل المقال الظّاهر فی یوم الغدیر الموجب للاستخلاف.

و ممّا یؤید ما ذکرناه ما رواه عبد اللّه بن الأسود البکری عن عبید اللّه بن أبی رافع عن أبیه عن جدّه أنّ رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم صلّی یوم الاـثنین و صـلّت خدیجـة معه و دعا علیّا إلی الصّـلاة معه یوم الثلثاء فقال له: أنظرنی حتّی ألقی أبا طالب فقال له النّبی صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم: إنّها أمانة، فقال علیّ: فإن کانت أمانة فقد أسلمت لک فصلّی معه و هو ثانی یوم المبعث.

و روی الکلینی عن أبی صالـح عن ابن عبّـاس مثله، و قـال فی حـدیث إنّ هـذا دین یخالف دین أبی حتّی أنظر فیه و اشاور أبا طالب فقال له النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: انظرواکتم، قال: فمکث هنیئة ثمّ قال بل أجبتک و اصدّق بک فصدّقه و صلّی معه.

و روی هذا المعنی بعینه و هذا المقال من أمیر المؤمنین علی اختلاف فی اللفظ و اتفاق فی المعنی کثیر من حملة الآثار، و هو یدلّ علی أنّ أمیر المؤمنین کان مکلّفا عارفا فی تلک الحال بتوقفه و اسـتدلاله و تمییزه بین مشورة أبیه و بین الاقـدام علی القبول و الطاعة للرّسول من غیر فکرة و لا تأمل، ثمّ خوفه أن القی ذلک إلی أبیه أن یمنعه منه مع أنّه حقّ فیکون قد صدّ عن الحقّ فعدل عن ذلک إلی القبول و عدل من النّبیّ مع أمانته و ما کان یعرفه من صـدقه من مقاله و ما سـمعه من القرآن الـذی نزل علیه و أراد اللّه من برهانه أنه رسول محقّ فآمن به و صـدّقه، و هذا بعد أن میّز بین الامانة و غیرها و عرف حقّها و کره أن یفشی سرّ الرسول و قد ائتمنه علیه

و هذا لا يقع باتفاق من صبىّ لا عقل له و لا يحصل ممّن لا تميز معه.

و يؤيده أيضا ما ذكرناه أنّ النبىّ بدء به فى الدّعوة قبل الذكور كلّهم و إنّما أرسله اللّه تعالى إلى المكلّفين فلو لم يعلم أنه عاقل مكلّف لما افتتح به أداء رسالته و قدّمه فى الدعوة على جميع من بعث اللّه إليه، لأنه لو كان الأمر على ما ادّعته الناصبة لكان عليه السّلام قد عدل عن الأولى و تشاغل بما لم يكلّفه عن أداء ما كلّفه و وضع فعله فى غير موضعه، و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يجلّ عن ذلك.

و شىء آخر و هو أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دعا عليّا فى حال كان مستترا فيها بدينه كاتما لأمره خائفا ان شاع من عدوّه فلا يخلو أن يكون قد كان واثقا من أمير المؤمنين بكتم سرّه و حفظ وصيّته و امتثال أمره و حمله من الدّين ما حمله، أو لم يكن واثقا بذلک فان كان واثقا و لم يثق به عليه السّلام إلاّ و هو فى نهاية كمال العقل و على غاية الأمانة و صلاح السريرة و العصمة و الحكمة و حسن التّدبير، لأنّ الثقة بما وصفناه دليل جميع ما شرحناه على الحال الّتى قدّمنا وصفها، و إن كان غير واثق من أمير المؤمنين بحفظ سرّه و غير آمن من تضييعه و إذاعة أمره فوضعه عنده من التفريط و ضدّ الحزم و الحكمة و التدبير، حاشا الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من ذلک و من كلّ صفة نقص و قد أعلى اللّه عزّ و جلّ رتبته و أكذب مقال من ادّعا ذلک فيه.

و إذا كان الأمر على ما بيّناه فما ترى النّاصبة قصدت بالطّعن فى ايمان أمير المؤمنين إلاّ عيب الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الزم لافعاله و وصفه بالعبث و التفريط و وضع الأشياء غير موضعها و الازراء عليه فى تدبيراته و ما أراد مشايخ القوم و من ألقى هذا المذهب اليهم إلاّ ما ذكرناه و اللّه متمّ نوره و لو كره الكافرون.

و انما أوردت هذا الكلام بطوله مع كثرة فوائده و مزيد عوائده و وثاقة مبانيه و لطافة معانيه و إنبائه عن علوّ شأن قائله و رفعة مقامه و طول باعه فى باب المناظرة و الجدال و قوّة ذراعه فى إبطال مقال أهل العصبيّة و الضّلال، فحرىّ له أن يلقّب بالمفيد و هنيئا له أن يخرج باسمه التّوقيع الشريف من الامام الرّشيد، جزاه اللّه عن مذهب الحقّ و أهله خير الجزاء.

ص:290

و أما الشارح المعتزلى

فقد قال فى شرح الكلام السّادس و الخمسين إنّ أكثر أهل الحديث و أكثر المحقّقين من أهل السّيرة رووا أنّه أوّل من أسلم، ثمّ روى من كتاب الاستيعاب لأبى عمرو يوسف بن عبد البرّ روايات كثيرة دالّة على سبق إسلامه عليه السّلام.

و قال بعدها: و اعلم أنّ شيوخنا المتكلّمين لا يكادون يختلفون فى أنّ أوّل النّاس إسلاما علىّ بن أبى طالب إلاّ من عساه خالف فى ذلك من أوائل البصريّين، فأمّا الذى تقرّرت المقالة عليه الآن فهو القول بأنّه سبق الناس إلى الايمان لا تكاد تجد اليوم فى تصانيفهم و عند متكلّميهم و المحقّقين منهم خلافا فى ذلك.

قال: و اعلم أنّ أمير المؤمنين ما زال يدّعى ذلك لنفسه و يفتخر به و يجعله فى أفضليّته على غيره و يصرّح بذلك، و قد قال غير مرّة: أنا الصدّيق الأكبر، و أنا الفاروق الأوّل أسلمت قبل اسلام أبى بكر و صلّيت قبل صلانه.

و روى عنه هذا الكلام بعينه أبو محمّد بن قتيبة فى كتاب المعارف و هو غير متّهم فى أمره و من الشّعر المروىّ عنه فى هذا المعنى الأبيات التى أوّلها:

محمّد النبىّ أخى و صنوى و حمزة سيّد الشهداء عمّى

و من جملتها:

سبقتكم إلى الاسلام طرّا غلاما ما بلغت أوان حلمى

و الأخبار الواردة فى هذا الباب كثيرة جدّا لا يتّسع هذا الكتاب لذكرها فليطلب من مظانّها، و من تأمّل كتب السّير و التّواريخ عرف من ذلك ما قلناه.

ثمّ قال: فأمّا الذّاهبون إلى أنّ أبا بكر أقدمها إسلاما فنفر قليلون، و نحن نذكر ما أورده ابن عبد البرّ أيضا فى كتاب الاستيعاب فى ترجمة أبى بكر و ذكر الأخبار الواردة فى سبق إسلامه، ثمّ قال و معلوم أنّه لا نسبة لهذه الرّوايات التى ذكرناها فى ترجمة علىّ الدّالة على سبقه، و لا ريب أنّ الصّحيح ما ذكره أبو عمرو أنّ عليّا كان هو السابق و أنّ أبا بكر هو أوّل من أظهر الاسلام فظنّ أنّ السّبق له.

فدلّ مجموع ما ذكرناه أنّ عليّا هو أوّل النّاس إسلاما و أنّ المخالف فى ذلک شاذّ، و الشّاذّ لا يعتدّ به.

الترجمة

از جمله كلام بلاغت نظام آن امام أنام است در توبيخ و مذمت أصحاب خود كه فرمود:

أى نفسهاى متخلف و أى قلبهاى پراكنده و متفرّق كه حاضر است بدنهاى ايشان و غايب است از ايشان عقلهاى ايشان، بر مى گردانم شما را بر حق و شما رم مى كنيد از آن مثل رم كردن بز از آواز مهيب شير، چه دور است كه اظهار بكنم بشما نهان عدل را يا اين كه راست بكنم كجى حقرا.

بار پروردگارا البته تو مى دانى كه نبود آنچه كه واقع شد از ما يعنى طلب خلافت و محاربه از براى رغبت كردن در سلطنت دنيا، و نه أز جهة خواهش چيزى از متاع بى قدر و بها، و ليكن اين طلب و حرب بجهة اين بود كه برگردانيم آثار دين تو را، و اظهار اصلاح نمائيم در شهرهاى تو تا اين كه ايمن شوند ستم رسيده از بندگان تو، و بر پا شود آنچه كه تعطيل افتاد از حدود تو.

بار پروردگارا بتحقيق من أوّل كسى هستم كه بازگشت نمود بسوى تو و شنيد دعوت پيغمبر را و قبول نمود آن را، سبقت نكرد بمن مگر حضرت رسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بنماز، و بتحقيق كه شما دانسته ايد آنكه جائز و سزاوار نيست كه باشد حاكم والى بر فرجها و بر خونها و غنيمتها و حكمها و أمانت مسلمانان شخص بخيل تا شود در مالهاى ايشان حرص و رغبت او، و نه شخص نادان تا بضلالت اندازد ايشان را بجهالت خود، و نه شخص كج خلق تا ببرد ايشان را از يكديگر بجهة كج خلقى خود، و نه شخص ظلم كننده در دولتها تا فرا گيرد قوم دون قوم را و ترجيح بدهد بعض ايشان را به بعضى، و نه شخص رشوت گيرنده در حكم تا ببرد حقوق مسلمانان را

و نگه بدارد آن حقوق را در مقام قطع کردن و قطع و فصل ننماید، و نه شخصـی که تعطیل کننده است سـنّت و شریعت مطهره را تا این که بهلاکت اندازد امت را.

و من خطبة له علیه السّلام و هی المأة و الثانی و الثلاثون من

اشارة

المختار فی باب الخطب

نحمده علی ما أخذ و أعطی، و علی ما أبلی و ابتلی، الباطن لکلّ خفیّة، و الحاضر لکلّ سریرة، العالم بما تکنّ الصّدور، و ما تخون العیون، و نشهد أن لا إله غیره، و أنّ محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نجیبه و بعیثه، شهادة یوافق فیها السّرّ الإعلان، و القلب اللّسان. منها:

فإنّه و اللّه الجدّ لا اللّعب، و الحقّ لا الکذب، و ما هو إلاّ الموت أسمع داعیه، و أعجل حادیه، فلا یغرّنّک سواد النّاس من نفسک، فقد رأیت من کان قبلک ممّن جمع المال، و حـذر الإقلال، و أمن العواقب طول أمل، و استبعاد أجل، کیف نزل به الموت فأزعجه عن وطنه، و أخذه من مأمنه محمولا علی أعواد المنایا، یتعاطی به الرّجال الرّجال، حملا علی المناکب، و إمساکا بالأنامل، أ ما رأیتم الّذین یأملون

بعيدا، و يبنون مشيدا، و يجمعون كثيرا، كيف أصبحت بيوتهم قبورا، و ما جمعوا بورا، و صارت أموالهم للوارثين، و أزواجهم لقوم آخرين، لا فى حسنة يزيدون، و لا من سيّئة يستعتبون، فمن أشعر التّقوى قلبه برز مهله، و فاز عمله، فاهتبلوا هبلها، و اعملوا للجنّة عملها، فإنّ الدّنيا لم تخلق لكم دار مقام، بل خلقت لكم مجازا لتزوّدوا منها الأعمال إلى دار القرار، فكونوا منها على أوفاز، و قرّبوا الظّهور للزّيال.

اللغة

قال الشّارح المعتزلى (أبلى) أى أعطى يقال: قد أبلاه اللّه بلاء حسنا أى أعطاه قال زهير:

جزى اللّه بالاحسان ما فعلا بكم و أبلاهما خير البلاء الذى يبلو

و أمّا قوله (و ابتلى) فالابتلاء إنزال مضرّة بالانسان على سبيل الاختبار كالمرض و الفقر و المصيبة، و قد يكون بمعنى الاختبار فى الخير إلاّ أنّه كثيرا ما يستعمل فى الشّر.

أقول: و الظاهر أنّ استعمال البلاء فى الاعطاء أيضا على الغالب لا دائما، و إلاّ فقد قال سبحانه: و لنبلونكم بشىء من الخوف و الجوع و نقص من الأموال و الأنفس و الثّمرات.

و التحقيق أنّ الابلاء و الابتلاء كلاهما من البلاء بمعنى الاختبار و الامتحان قال الفيروزآبادى: ابتليت الرّجل اختبرته و امتحنته كبلوته بلوا، ثمّ قال: و البلاء

ص:294

يكون منحة و يكون محنة، و فى المصباح بلاه اللّه بخير أو شرّ يبلوه بلوا و أبلاه بالألف و ابتلاه ابتلاء بمعنى امتحنه، و الاسم بلاء مثل سلام، و البلوى و البليّة مثله و (كننته) أكنه من باب قتل سترته، و أكننته بالألف أخفيته، و قال أبو زيد الثلاثى و الرّباعى لغتان فى السرّو فى الاخفاء جميعا و تكنّ الصّدور فى النّسخ من باب الافعال.

و (اللعب) فى بعض النسخ بفتح اللاّم و كسرها و فى بعضها بتخفيف العين قال ابن قتيبة و لم يسمع فى التخفيف فتح اللاّم مع السكون و هو الظاهر من الفيروزآبادى قال:

لعب كسمع لعبا و لعبا و لعبا و تلعابا ضدّ جدّ و هو لعب و لعب و (الكذب) أيضا فى بعض النسخ بفتح الأوّل و كسر الثانى و فى بعضها بالسّكون و (دعا) المؤذّن الناس إلى الصّلاة فهو داعى اللّه و (حدوت) بالابل حثثتها على السّير بالحداء و حدوته على كذا بعثته عليه و (المشيد) من شدت البيت أشيده من باب باع بنيته بالشّيد و هو بالكسر الجصّ و (البور) الفاسد الهالك و قوم بور أى هلكى قال سبحانه: و كنتم قوما بورا، و هو جمع باير كحول و حايل.

و (يستعتبون) فى بعض النسخ على البناء للفاعل و فى بعضها على البناء للمفعول، و (برز مهله) أى فاق أو بمعنى أبرز أى أظهر، و المهل شوط الفرس هكذا قال الشّارح المعتزلى، و شوط الفرس جريه مرّة إلى غاية، و الأظهر أنّ المهل بمعنى التقدّم فى الخير كما قاله فى القاموس و (اهتبل) فلان الصّيد بغاه و طلبه و اهتبل كلمة حكمة اغتنمها، و الهبال و زان شداد الصيّاد، و ذئب هبال أى محتال، و اهتبل هبلك محرّكة عليك بشأنك و (الأوفاز) جمع و فز بسكون الفاء و يحرّك أيضا و هو العجلة و (الظهور) كأظهر جمع ظهر الرّكاب و هم مظهرون أى لهم ظهور ينقلون عليها و (زايله) مزايلة و زيالا أى فارقه

الاعراب

قوله: فانّه و اللّه آه الضّمير إمّا راجع إلى متقدّم ذكره لفظا فى تضاعيف كلامه عليه السّلام و أسقطه السّيد (ره) و التقطه غيره على ما هو عادته من التقطيع و الالتقاط أو أنّه ضمير الشّان كما فى قولك هو الأمير مقبل أى الشأن هذا.

قال نجم الأئمة: و هذا الضمير فى الحقيقة كأنه راجع إلى المسئول عنه بسؤال

مقدّر كأنه سمع ضوضاة و جلبة فاستبهم الأمر فسأل بالشأن و القصة، فقلت هو الأمير مقبل، أى الشأن هذا، فلما كان المعود إليه الذى تضمنه السؤال غير ظاهر قبل اكتفى فى التفسير بخبر هذا الضمير بتعقّبه بلا فصل لأنه معين للمسئول عنه و مبيّن له، فبان لک بهذا أنّ الجملة بعد الضمير لم يؤت بها لمجرّد التّفسير، بل هى كسائر اخبار المبتدات لکن سمّيت تفسيرا لما قرّرته، و القصد بهذا الابهام ثمّ التفسير تعظيم الأمر و تفخيم الشّأن، فعلى هذا لا بدّ أن يكون مضمون الجملة المفسّرة شيئا عظيما يعتنى به فلا يقال: هو الذّباب يطير، و قد يخبر عن ضمير الأمر المستفهم منه تقديرا بالمفرد تقول: هو الأمر حتّى لا تبقى على صرفه باقية.

و قال أيضا فى موضع آخر فى شرح قول ابن الحاجب: المضمر ما وضع لمتكلّم أو مخاطب أو غايب تقدّم ذكره لفظا أو معنى أو حكما: و التقدّم الحكمى أن يكون المفسّر مؤخّرا لفظا و ليس هناک ما يقتضى تقدّمه على محلّ الضّمير إلاّ ذلک الضّمير، فنقول إنه و ان لم يكن متقدّما على الضمير لا لفظا و لا معنى إلا أنّه فى حكم المتقدّم نظرا إلى وضع ضمير الغائب و إنّما يقتضى ضمير الغائب تقدّم المفسر لأنّه وضعه الواضع معرفة لا بنفسه بل بسبب ما يعود إليه، فان ذكرته و لم يتقدّم مفسّره بقى مبهما منكرا لا يعرف المراد به حتّى يأتى تفسيره بعده و تنكيره خلاف وضعه، فالشىء الحامل لهم على مخالفة مقتضى وضعه بتأخير مفسّره عنه قصد التفخيم و التعظيم فى ذكر ذلک المفسّر بأن يذكروا أوّلا شيئا مبهما حتّى يتشوّق نفس السامع إلى العثور على المراد به ثمّ يفسّروه، فيكون أوقع فى النفس و أيضا يكون ذلک المفسّر مذكورا مرّتين بالاجمال و التّفصيل ثانيا فيكون آكد انتهى.

و قوله: أسمع داعيه و أجل حاديه، منصوبان على الحال أمّا لفظا لو كان أفعل بصيغة التفضيل فيكون داعيه و حاديه مجرورين بإضافة افعل إليهما من باب إضافة الصّفة إلى مفعوله، و لو كان اسمع فعلا ماضيا من باب الافعال فداعيه منصوب بالمفعولية كذا فى أكثر النّسخ و الجملة منصوبة المحلّ على الحال من الموت و العامل معنى الضمير أعنى هو لأنّه للشّأن و الشأن بمعنى المصدر كما فى قولک ما شأنک

واقفا و المصدر فى معنى الفعل مضافا إلى تقويته معنى بشبه الفعل اخرى، كأنّه قيل: ما الشّأن المسئول عنه إلاّ الموت فافهم جيّدا، و إضافة داعيه إلى الضّمير من باب اضافة الصّفة إلى المفعول، و كذلك الكلام فى أعجل حاديه، و قوله: فلا يغرّنّك سواد النّاس من نفسك، قال الشارح المعتزلى من ههنا إمّا بمعنى الباء أى لا يغرنّك النّاس بنفسك و صحّتك و شبابك فتستبعد الموت اغترارا بذلك فتكون متعلّقة بالظاهر، و إمّا أن تكون متعلّقة بمحذوف تقديره متمكنا من نفسك و راكنا إليها.

أقول: فعلى ما ذكره تكون بمعنى الباء السببيّة، و لكنّ الأظهر أن تكون بمعنى عند كما قاله أبو عبيدة فى قوله تعالى: لن تغنى عنهم أموالهم و لا أولادهم من اللّه شيئا، فالمعنى لا يغرّنّك سواد النّاس مجتمعين عندك، و يحتمل أن يكون بمعناها الأصلى، أى لا يغرنّك النّاس من إصلاح نفسك و لا يشغلونك عن التّوجه إلى ذاتك.

و طول أمل منصوب على المفعول له لأمن أوله و للأفعال السابقة أيضا على سبيل التّنازع، قال الشّارح المعتزلى: و يجوز أن ينصب على البدل من المفعول المنصوب برأيت و هو من و يكون التّقدير فقد رأيت طول أمل من كان، و هذا بدل الاشتمال، و قد حذف منه الضمير العائد كما حذف من قوله تعالى: «قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ اَلنّارِ » «انتهى» و لا بأس به و العايد المحذوف فى الآية لفظة منه أى النّار منه و قيل النّار مرفوع خبر لمبتدأ محذوف أى هو النّار و قيل: التقدير ذى النّار، هذا و روى فى بعض النّسخ بطول أمل.

و حملا و امساكا إمّا منصوبان على المصدر و العامل محذوف حال من فاعل يتعاطى، أو مفعوله أى حالكونهم يحملونه حملا فيكون حالا مقدّرة على حدّ:

فادخلوها خالدين، أو مفعولان لأجله أى يتعاطونه للحمل و الامساك، و مشيدا صفة حذف موصوفه أى بناء مشيدا و قصرا مشيدا، و مهله فى بعض النّسخ بالرّفع

و بعضها بالنّصب.

المعنى

اشارة

اعلم أنّ مـدار هـذه الخطبة على فصـلين: أحدهما حمد اللّه المتعال و الاشارة إلى جملة من نعوت الكبرياء و الجمال، و الثّانى التنفير من الدّنيا و الوصيّة بالزهد و التقوى.

اما الفصل الاول

فهو قوله (نحمده على ما أخذ و أعطى) أى على أخذه و إعطائه، و المراد بالاعطاء واضح، و أمّا الأخذ فيجوز أن يراد به أخذ الميثاق فى عالم الذرّ بالتوحيد و النّبوة و الولاية كما يشهد به قوله سبحانه: و إذ أخذ ربّک من بنى آدم من ظهورهم ذرّيّتهم و أشهدهم على أنفسهم أ لست بربّکم الآيـة، أو أخـذ عموم التكـاليف أو خصوص الحقوق الماليّـة كـالخمس و الزّكـاة و الصّـدقات، أو أخـذ ما أعطاه على بعض العباد و ابتلائهم بالفقر و المسكنة بعـد الغنى و الثّروة، فانّ أخـذ ذلک كلّه من العباد لما كان فعلا جميلا منه سبحانه و تعالى عائدا منفعته إليهم و نعمة منه عزّ و جلّ عليهم استحقّ بذلک حمدا و شكرا و إن كان فى بعضها ضرر دنيوىّ إلاّ أنّ ثمرتها الاخروية أعظم و جزائها أدوم.

و يحتمل أن يكون المراد به أخذ المجرمين، و مؤاخذة العاصـين، و إعطاء المحسـنين، و إنعام الصّالحين (و) نحمده (على ما أبلى و ابتلى) أى على اختباره و امتحانه بـالخير و الشّـر و النفع و الضّـرر، لأنّ البلاء للأولياء كرامـة، و الصّبر على المكاره و التحمل على المشاق من أفضل العبادات و أعظم القربات، و إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب، و قد تقدّم تحقيقه فى شرح الخطبة المأة و الثّالثة عشر فتذكّر.

(الباطن لكلّ خفيّة) أى الخبير البصير بكلّ ما يبطن و يخفى (الحاضر لكلّ سريرة) أى العالم بكلّ ما يسرّ و يكتم، و إن تجهر بالقول فانّه يعلم السّر

ص:298

و أخفى (العالم بما تكنّ الصّدور) و تستره (و ما تخون العيون) و تسترقه من الرّمزات و اللّحظات على وجه الخيانة و الخلاف كما قال عزّ من قائل: و اللّه يعلم خائنة الأعين و ما تخفى الصّدور، و قد مضى تحقيق الكلام فى عموم علمه سبحانه بالجزئيات و الكلّيات و ما يتّضح به معنى هذه الفقرات فى شرح الفصل السّادس و السّابع من الخطبة الاولى و شرح الخطبة الرّابعة و السّتين و الخامسة و الثّمانين.

(و نشهد أن لا إله) إلاّ اللّه (غيره) متوحّدا فى عزّ جلاله متفرّدا فى قدس جماله، متعاليا عن نقص كماله (و أنّ محمّدا صلّى اللّه عليه و آله نجيبه و بعيثه) أى عبده المنتجب المصطفى من بين كافّة الخلق و المرسل المبعوث إلى عامّتهم (شهادة يوافق فيها السّر الاعلان و القلب اللّسان) أى صادرة عن صميم القلب و وجه الخلوص و توافق الباطن للظّاهر.

و أما الفصل الثانى (منها)

فهو قوله عليه السّلام (فانّه و اللّه الجدّ لا اللّعب و الحقّ لا الكذب و ما هو إلاّ الموت) لا يخفى ما فى هذا الكلام من التّهويل و التخويف و الانذار بالموت لما فيه على و جازته من وجوه التّاكيد و ضروب التّفخيم البالغة إلى عشرة بعضها لفظيّة و بعضها معنويّة كما هو غير خفيّ على العارف بأسرار البلاغة و بدايعها.

أولها التأكيد بانّ و الثانى الاتيان بضمير الشأن إبهاما للمرام و قصدا للتّفخيم و الاعظام و تشويقا للسّامعين إلى ما يتلوه من النّبا العظيم الثالث اسميّة الجملة الرابع الاعتراض بين شطرى الكلام بقسم، و إنّه لقسم لو تعلمون عظيم الخامس الاخبار بأنّه جدّ ليس بهزل السادس تعريف الجدّ باللّام قصدا للمبالغة من باب زيد الشّجاع أى الكامل فى هذا الوصف السابع تعقيبه بانّه ليس بلعب الثامن إردافه بأنّه حقّ لا كذب و فيه من وجوه التّأكيد ما فى قرنيه التاسع الاتيان بضمير الشّأن ثانيا قصدا لزيادة التمكن ما يعقبه فى ذهن السّامعين لأنّ

المحصول بعد الطلب أعزّ من المنساق بلا تعب العاشر الاتيان بكلمة الحصر أعنى ما و إلاّ.

و اتبع ذلک کلّه بالوجه الحادى عشر فقال(أسمع داعيه)و بالوجه الثانى عشر فقال(و أعجل حاديه)أى أسمع من دعاه إلى اللّه سبحانه أى المدعوّ له و أسرع من ساقه إلى مكانه و حثّه إلى السّير اليه و نسبة الاسماع و الاعجال إلى الموت من التوسّع و التوكيد بهذا كلّه لشدّة ما رآه من المخاطبين من الغفلة و نومة الجهالة و اشتغالهم عن ذكر الموت و ما يحلّ عليهم من الفناء و الفوت و عن أخذ الذّخيرة و الزّاد ليوم المعاد، فأنزلهم منزلة المنكرين إيقاظا لهم عن رقدة الغافلين، و أعلمهم أنّ الموت حقّ يقين ليس منه خلاص و لا مناص لا فرار و لا محار، و أنّه يدركهم و لو كانوا فى بروج مشيّدة و إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة و لا يستقدمون.

(فلا يغرنّک سواد النّاس) و كثرتهم و اجتماعهم حولک (من نفسک) و من الاشتغال باصلاحها، و قال الشّارح البحرانى: أى فلا يغرنّک من نفسک الأمارة بالسّوء وسوستها و استغفالها لک عن ملاحظة الموت برؤية سواد النّاس أى كثرتهم إذ كثيرا مّا يرى الانسان الميت محمولا فيتداركه من ذلک رقّة و روعة، ثمّ يعاوده الوسواس الخنّاس و يأمره باعتبار كثرة المشيّعين له من النّاس. و أن يجعل نفسه من الاحياء الكثيرين بملاحظة شبابه و صحته و يأمره باعتبار أسباب موت ذلک الميّت من القتل و سائر الأمراض، و باعتبار زوال تلک الأسباب فى حقّ نفسه و بالجملة فيبعّد فى اعتباره عند الموت بكلّ حيلة.

فنهى عليه السّلام السّامعين عن الانخداع للنّفس بهذه الخديعة، و أسند الغرور إلى سواد النّاس لأنّه مادّته، و نبّه على فساد تلک الخديعة و الاغترار بقوله (فقد رأيت من كان قبلک ممّن جمع المال و حذر الاقلال) أى خاف من الافتقار و مسائة الحال (و أمن العواقب) و اطمئنّ بالأقارب (طول أمل و استبعاد أجل كيف نزل به الموت)

و حلّ بساحته الفناء و الفوت (فأزعجه) و أقلعه (عن وطنه) و سكنه (و أخذه عن مأمنه) و مسكنه، و أرهقته منيّته دون الأمل، و شذّ به عنه تخرّم الأجل (محمولا على أعواد المنايا) و النّعوش (يتعاطى به الرّجال الرّجال) و يتداولونه(حملا له على المناكب و امساكا بالأنامل)أى بالأيدى تسمية للكلّ باسم جزئه.

ثمّ أكّد فساد الاغترار بتقرير آخر فقال (أ ما رأيتم الذين يأملون) أملا (بعيدا و يبنون) قصرا (مشيدا و يجمعون) مالا (كثيرا كيف أصبحت) أى صارت (بيوتهم قبورا و ما جمعوا بورا) أى فاسدا هالكا (و صارت أموالهم للوارثين و أزواجهم لقوم آخرين) بلى و هو مدرک بالعيان يشهد به التجربة و العيان (لا فى حسنة يزيدون و لا من سيئة يستعتبون) أى لا يمكن لهم الزّيادة فى الحسنات و لا طلب أن يعتب أى يرضى اللّه منهم فى السّيئات، و على البناء للمجهول فالمعنى أنّه لا يطلب منهم الاعتاب و الاعتذار بعد الانتقال إلى دار القرار، و ذلک لأنّ استزاده الحسنات و استعتاب السّيئات إنّما هو فى دار التّكليف و حالة الحياة و أمّا الآخرة فهو دار الجزاء، فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم و لا هم يستعتبون، فان يصبروا فالنّار مثوى لهم و إن يستعتبوا فما هم من المعتبين، و قد تقدّم توضيح ذلک فى شرح الفصل الخامس من فصول الخطبة الثّانية و الثّمانين.

و لما نبّه على زوال الدّنيا و فنائها أردفه بما هو زاد الاخرى و ذخيرتها فقال (فمن أشعر التقوى قلبه) أى لازمه لزوم الشعار بالجسد (برز مهله) أى فاق على أقرانه فى جريه إلى مكانه أى تقدّمهم فى السّير و اكتساب الخير أو أنّه أبرز جريه و بان سبقه (و فاز عمله) أى نال إلى جزاء عمله و أدرک منتها أمله (فاهتبلوا هبلها) و اغتنموا فرصتها و عليكم بشأنها (و اعملوا للجنّة عملها) الّذى به تدركونها و تستحقّونها.

(فانّ الدّنيا لم تخلق لكم دار مقام) لتنافسوا فيها (و انّما خلقت لكم مجازا لتزوّدوا منها) صالح (الأعمال) و تقوّوا للوصول بها (إلى دار القرار)

و مصاحبة الأبرار (فكونوا منها على أو فاز) و عجلة(و قربوا الظهور)و الرّكاب (للزّيال)و المفارقة.

قال الشّارح المعتزلى أمرهم أن يكونوا فيها على سرعة فى قطع عقباتها و عجّل فى الارتحال عنها، لأنّ التّأنّى فيها يستلزم الالتفات إلى لذاتها و الغفلة عن المقصد الحقّ، و استعار له لفظ الظهور و هى الرّكاب مطايا الآخرة و هى الأعمال الصّالحة و تقريبها للزّيال هو العناية بالأعمال المقرّبة إلى الآخرة المستلزمة للبعد عن الدّنيا و الاعراض عنها و مفارقتها.

الترجمة

از جمله خطب آن بزرگوار و مقتداى أخيار است:

حمد ميكنم معبود بحق را بر اين كه أخذ فرمود و عطا نمود، و بر اين كه امتحان كرد با خير و شر خبير است بهر أمر پنهان، و حاضر است مر هر سرّ نهان را، عالم است به آن چه پوشيده است آن را سينها، و بر آنچه خيانت ميكند در آن چشمها، و شهادت مى دهيم كه نيست معبودى غير از او، و اين كه محمّد بن عبد اللّه صلّى اللّه عليه و آله برگزيدۀ اوست و فرستاده شدۀ اوست، چنان شهادتى كه موافقت نمايد در آن ظاهر و باطن، و قلب با زبان.

بعض ديگر از فقرات خطبه اينست كه فرموده:

پس بدرستى كه آن حقيقت است نه بازيچه، و راست است نه دروغ، و نيست آن مگر مرگ در حالتى كه شنوانيد خوانندۀ خود را، و شتابانيد رانندۀ خود را، پس مغرور و فريفته ننمايد ترا سياهى مردمان و كثرت ايشان از اصلاح حال تو، و حال آنكه بتحقيق ديدى تو كسى را كه بود پيش از تو از آن كسى كه جمع كرد مال را و ترسيد از افتقار و پريشانى، و ايمن شد از عواقب امور بجهة درازى آرزو، و بعيد شمردن أجل چگونه فرود آمد باو مرگ پس بر كند او را از وطن مألوف خود و بگرفت او را از محلّ أمن خود در حالتى كه برداشته شده بود بر چوبهاى

مرکبها فرا می گرفتند او را مردان از مردان بنوبة بجهة برداشـتن بر دوشـها، و نگه داشـتن با دستها، آیا ندیدید کسانی را که آرزوی دور و دراز می کردنـد، و قصـرهای محکم می ساختنـد، و جمع می نمودنـد مالهای بسـیار را گردید خانهای ایشان قبرها و آنچه که جمع می نمودند نیست و نابود، و گشت مالهای ایشان مال وارثان، و زنان ایشان أز برای دیگران، نه در ثواب قـدرت زیاده دارند، و نه از گناه قدرت استرضا و معذرت.

پس کسی که شعار قلب خود نمود تقوی و پرهیزکاری را ظاهر شد پیش قدمی او، و فائز شد بعمل خود، پس اهتمام کنید اهتمامی که لایق آن تقوی باشـد، و عمل نمائیـد بجهت بهشت عملی که به آنجا برسانـد، پس بدرستی که دنیای غدّار خلق نشده است از برای شـما سـرای اقامت و قرار، و جز این نیست خلق شده است برای شـما راه گذرگاه تا توشه بردارید از آن عملهای شایسته را که برساند شما را بسوی سرای قرار، پس باشید از آن بر شتاب، و نزدیک گردانید پشتهای مرکب را از برای رحلت و مفارقت نمودن از این دنیای فانی و بی وفا.

و من خطبة له علیه السّلام و هی المأة و الثالثة و الثلاثون

اشارة

من المختار فی باب الخطب

و شرحها فی فصلین:

الفصل الاول

اشارة

و انقادت له الدّنیا و الآخرة بأزمّتها، و قذفت إلیه السّموات و الأرضون مقالیدها، و سجدت له بالغدوّ و الآصال الأشجار النّاضرة، و قدحت له من قضبانها النیران المضیئة، و آتت أکلها بکلماته الثّمار الیانعة.

منها و كتاب اللّه بين أظهركم، ناطق لا يعيا لسانه، و بيت لا تهدم أركانه، و عزّ لا تهزم أعوانه. منها أرسله على حين فترة من الرّسل، و تنازع من الألسن، فقفّى به الرّسل، و ختم به الوحى، فجاهد فى اللّه المدبرين عنه، و العادلين به.

اللغة

(المقاليد) جمع المقلاد و هو كالمقلد بكسر الميم المفتاح، و فى المصباح المقاليد الخزائن و (قدح) بالزّند رام الايراء(1) به و المقدح و المقداح و القداح حديدته و (القضبان) بالضمّ جمع القضيب و هو الغصن المقطوع و (النّيران) جمع النّار و (الاكل) بالضمّ و بضمّتين المأكول، و هو (بين أظهرهم) و ظهريهم و ظهر انيهم أى وسطهم و فى معظمهم.

قال الشّارح المعتزلى: و إنّما قالت العرب: من بين أظهرهم و لم يقل بين صدورهم، لارادتهم بذلك الاشعار لشدّة المحامات عنه و المرامات من دونه، لأنّ الذيل(2) إذا حامى القوم عنه استقبلوا الأسنة و السيوف عنه بصدورهم و كان هو محروسا مصونا عن مباشرة ذلك وراء ظهورهم و (تهدم) بالبناء على الفاعل و فى بعض النسخ بالبناء على المفعول و (تهزم) بالعكس من هزمت الجيش هزما من باب ضربته كسرته.

ص:304

1- (1) الايراء الاستخراج بالنار قال تعالى «أَ فَرَأَيْتُمُ النّارَ الَّتِي تُورُونَ»، منه.

2- (2) أذيال الناس أواخرهم، منه. «ج 19»

الاعراب

الباء فی قوله: بالغدوّ، بمعنی فی، و فی قوله: بکلماته، للسّببیّة، و الثمار الیانعة، بدل من أکلها، أو عطف بیان، و الواو فی قوله: و کتاب اللّه، إمّا عاطفة لو کان لها معطوف علیه أسقطه السّید (ره) علی عادته، أو للحال، أی تفعلون کذا و کتاب اللّه بینکم، و قوله: بین أظهرکم، خبر لکتاب اللّه، فیکون ناطق خبرا لمبتدأ محذوف، أی و هو ناطق، أو بدلا من بین أظهرکم، و یجوز کونه خبرا لکتاب اللّه، فیکون بین أظهرکم صفة لکتاب اللّه أو حالا، و الأوّل أظهر بل أقوی

المعنی

اشارة

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبة یدور علی فصول ثلاثة علی سبیل التّقطیع و الالتقاط.

الفصل الاول

فی تمجید اللّه سبحانه باعتبار عموم قدرته و نفاذ أمره و عظمة سلطانه

و هو قوله (و انقادت له)أی للّه تعالی السّابق ذکره فی أوّل الخطبة أسقطه السیّد (ره) علی عادته(الدّنیا و الآخرة بأزمّتها)أراد به نفوذ أمره سبحانه فیهما و کونه مالکا لأمرهما و دخولهما فی ذلّ الامکان و الافتقار إلیه تعالی علی سبیل الاستعارة بالکنایة، تشبیها لهما بالحیوان السّلس المنقاد لصاحبه الذی بیده زمامه المتمکّن من التّصرف فیه کیف شاء، و ذکر الأزمّة تخییل و الانقیاد ترشیح.

(و قذفت) أی ألقت(إلیه السّماوات و الأرضون مقالیدها)و هو کنایة عن قدرته و حفظه لها و أنّه لا یملک أمرها و لا یتمکّن من التّصرف فیها غیره، و هو اقتباس من قوله سبحانه فی سورة الزّمر: له مقالید السّموات و الأرض، قال الزّمخشری: أی هو مالک أمرها و حافظها، و هی من باب الکنایة(1) لأنّ حافظ

1- (1) یعنی أنّ حافظ الخزائن یلزمه أن یکون مالک المقالید فذکر اللاّزم أعنی ملک المقالید و ارید الملزوم اعنی حفظ الخزائن کما فی زید کثیر الرماد، منه.

الخزائن و مدبّر أمرها هو الّذى يملك مقاليدها، و منه قولهم: فلان القيت إليه مقاليد الملک، و هى المفاتيح، و فى مجمع البيان يريد مفاتيح السّموات و الأرض بالرّزق و الرّحمة عن ابن عبّاس و قتادة، و قيل خزائن السّموات و الأرض يفتح الرّزق على من يشاء و يغلقه عمّن يشاء عن الضّحاک، و قال فى تفسير قوله: له مقاليد السّموات و الأرض يبسط الرّزق لمن يشاء و يقدر انّه بكلّ شىء عليم فى سورة الشورى: أى مفاتيح أرزاق السّماوات و الأرض و أسبابها فتمطر السّماء بأمره و تنبت الأرض باذنه عن مجاهد، و قيل معناه خزائن السّماوات و الأرض عن السّدى يوسّع الرّزق لمن يشاء و يضيق على من يشاء على ما يعلمه من المصالح.

قال الشّارح البحرانى (ره) بعد ما حكى عن ابن عبّاس كون المقاليد بمعنى المفاتيح: و عن اللّيث كونه بمعنى الخزائن:

أقول: لفظ القذف مجاز(1) فى تسليمها و انقيادها بزمام الحاجة و الامكان إلى قدرته مع جميع ما هى سبب فى وجوده فى هذا العالم ممّا هو رزق و رحمة للخلق و كذلک لفظ المفاتيح على رأى ابن عبّاس استعارة للأسباب المعدّة للأرزاق و الرّحمة، و تلک الأسباب كحركات السّماوات و اتّصالات بعض الكواكب ببعض و كاستعدادات الأرض للنّبات و غيره، و وجه الاستعارة أنّ هذه الأسباب باعدادها الموادّ الأرضية يفتح بها خزائن الجود الالهى كما يفتح الأبواب المحسوسة بمفاتيحها و كلّها مسلّمة إلى حكمه و جريانها بمشيّته، و على قول اللّيث فلفظ الخزائن استعارة فى موادّها و استعداداتها، و وجه الاستعارة أنّ تلک الموادّ و الاستعدادات يكون فيها بالقوّة و الفعل جميع المحدثات من الأرزاق و غيرها كما يكون فى الخزائن ما يحتاج إليه انتهى.

و هو تحقيق نفيس إلاّ أنّ الأظهر أنّ المقاليد إن جعلت بمعنى المفاتيح يكون كلامه من باب الاستعارة بالكناية، حيث شبّه السّماوات و الأرضون بخزائن الملک بجامع أن فيها ما يحتاج إليه الخلق كما يكون فى الخزائن ما يحتاج إليه، و يكون

1- (1) من باب مجاز المرسل للتلازم بين القذف و الانقياد، منه.

ذكر مقاليدها تخييلا، و ذكر القذف ترشيحا، و فى نسبة القذف إليها نكتة خفيّة و هى الاشارة إلى أنّها لتمكينها التام لبارئها فكأنّها باختيارها ألقت و سلّمت مفاتيحها إليه سبحانه، و على هذا فالمقاليد بمعناها الأصلى و ليس استعارة كما زعمه الشارح و أمّا إن جعلت بمعنى الخزائن فهو كما قال الشّارح استعارة لما فيه من الموادّ و الاستعدادت فافهم جيّدا.

(و سجدت له بالغدوّ و الآصال الأشجار النّاضرة) أراد به خضوع التكوين و ذلّ الامكان كما قال سبحانه: أ لم تر أنّ اللّه يسجد له من فى السّموات و من فى الأرض و الشّمس و القمر و النجوم و الجبال و الشّجر و الدّواب.

(و قدحت له من قضبانها النّيران المضيئة) نسبةالقدحإليالأشجارمن باب التوسّع و المجاز العقلى، لكونالأشجارسببا ماديّا، و المراد أنّ تلك الأشجار أورت النّار و استخرجتها من أمر اللّه سبحانه و اقتضاء مشيّته، و فيه إشارة إلى كمال القدرة لأنّ إخراج النّار من الشّجر الأخضر الذى يقطر منه الماء أعجب كما قال تعالى فى سورة يس: الّذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون، و فى سورة الواقعة: أ فرأيتم النّار التى تورون ء أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤن نحن جعلناها تذكرة و متاعا للمقوين.

قال الفخر الرّازى: فى شجرة النار وجوه:

أحدها أنّها الشّجرة التى تورى النّار منها بالزند و الزّندة كالمرخ.

و ثانيها الشجرة الّتى تصلح لا يقاد النّار فانها لو لم تكن لم يسهل إيقاد النار لأنّ النّار لا تتعلّق بكلّ شىء كما تتعلّق بالحطب.

و ثالثها اصول شعلها و وقود شجرتها، و لو لا كونها ذات شعل لما صلحت لانضاج الأشياء، و فى ذلک تذكرة و متاع للمقوين، أى للّذين يوقدونه فيقوونه و يزيدونه.

(و آتت اكلها بكلماته الثّمار اليانعة) النّاضجة، و المرادبكلماتهقدرته و مشيته المعبّر عنهما بلفظ كن، قال الشّارح البحرانى: و إطلاق الكلمات عليها

استعارة وجهها نفوذ تلک الأحکام فی المحکومات کنفوذ الأوامر القولیّة فی المأمورات و أراد بایتاء الثّمار دخولها طوعا فی الوجود المعبّر عنه بقوله تعالی فیکون.

الفصل الثانی منها

فی ذکر کتاب اللّه و تعظیمه تنبیها علی وجوب متابعته

و هو قوله:

(و کتاب اللّه بین أظهرکم ناطق لا یعیا لسانه) المراد بکتاب اللّه إما معناه الحقیقی أعنی القرآن فیکون ناطق استعارة تبعیّة لأنّ من شأن الکتاب الدلالة لا النّطق إلاّ أنّه شبّه به فی ایضاح المعنی و إیصاله إلی الذّهن فاستغیر له لفظ النّطق، و یجوز أن یکون مجازا مرسلا باعتبار أنّ الدلالة لازم للنطق فذکر الملزوم و ارید اللاّزم، و علی هذا فیکون قوله: لا یعیا لسانه، ترشیحا للاستعارة.

و المقصود أنّ کتاب اللّه الکریم بینکم لم یرتفع عنکم، و هو کلام ربّکم ناطق بالسّداد، کاشف عن المراد، هاد إلی الرّشاد، لا یعجز لسانه، و لا یقصر بیانه یؤدی مطوّی الکلمات إلی مقتبسیه علی مرور الأوقات، کیف لا و هو معجز النّبوّة، و مستند الامّة، و قد أخرس الفصحاء عن مجازاته، و قیّد البلغاء بالعیّ عن مباراته، و عاد سحبان بیانهم باقلا، و تناصروا فلم یجدوا إلاّ خاذلا، و تعاهدوا و تقاعدوا فعدموا معینا و نصیرا، و عادوا بالخیبة و الخذلان فلا یأتون بمثله و لو کان بعضهم لبعض ظهیرا، و مع ذلک کلّه کیف تجهلون برتبته و مقامه، و ترغبون عن حدوده و أحکامه و تخالفونه فی حلاله و حرامه.

و یجوز أن یکون استعارة لنفسه الشریف، فیکون من باب الاستعارة المجرّدة حیث قرن بما یلائم المستعار له و هو ناطق لا یعیا لسانه، و علی هذا فالنطق و اللسان مستعملان فی معناهما الحقیقی.

و یحتمل أن یکون لا یعیا لسانه کنایة عن عدم قصوره فی البیان و تبلیغ الأحکام قوله(و بیت لا تهدم أرکانه)تشبیه کتاب اللّه بالبیت الوثیق غیر الهادم أرکانه سواء ارید به معناه الحقیقی أو المجازی باعتبار أنّ البیت کما أنّه یحفظ أهله

فكذلک الکتاب الکريم يحفظ العامل بما فيه، و هکذا أمير المؤمنين عليه السّلام يحفظ من يأوى إليه و يذعن بولايته فى الدّنيا و الآخرة من العذاب الأليم و السخط العظيم و قوله:لا تهدم أرکانه،ترشيح للتّشبيه إن جعلنا کلامه من باب التشبيه البليغ کما عليه المحقّقون، و إن جعلناه استعارة فيکون ذلک ترشيحا للاستعارة و فى وصف البيت بذلک إشارة إلى استحکام قواعد کتاب اللّه و براهينه النّاطقة.

و أمّا قوله (و عزّ لا تهزم أعوانه) فهو ليس على حذ و ما سبق و إنّما اطلق عليه العزّ لکونه سببا للعزّ الأبدى الدائم، و المراد بأعوانه هو اللّه سبحانه الحافظ له کما قال تعالى: إنّا نحن نزّلنا الذکر و إنّا له لحافظون، و کذلک الملائکة و الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فهم أيضا حافظون له ذابّين عنه.

و الفصل الثالث منها

فى وصف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو قوله (أرسله على حين فترة من الرّسل) أى فى زمان فتور منهم و انقطاع الوحى عنهم و اندراس معالم دينهم على ما تقدّم تفصيلا فى شرح الفصل السّادس عشر من فصول الخطبة الاولى، و فى شرح الخطبة الثامنة و الثمانين أيضا (و تنازع من الألسن) أى تشتّت الآراء و الأهواء الموجب لاختلاف الکلمات، فانّ النّاس فى الجاهلية کان قوم منهم يعبدون الأصنام، و قوم يعبدون الشيطان، و طائفة تعبد الشّمس، و طائفة تعبد المسيح عليه السّلام على ما عرفت تفصيلا فى شرح الفصل السّادس عشر من فصول الخطبة الاولى، فکانت کلّ طائفة تحتجّ على مخالفيها و تجادلهم و تنازعهم بألسنتهم لتصرفهم إلى مذهبهم.

(فقفى به الرّسل) و اتبعهم به (و ختم به الوحى) و الرسالة (فجاهد فى اللّه) سبحانه بالقول و العمل (المدبرين عنه و العادلين به) أى الجاعلين له سبحانه عديلا و نظيرا.

الترجمة

أز جملۀ خطبهاى آن إمام زمان و سرور عالميان است که فرموده:

و گردن نهاد او را دنيا و آخرت بأفسارهاى خود، و انداخت بسوى او آسمانها و زمينها کليدها يا خزينهاى خود را، و سجده نمود مر او را در هنگام صبح و عصر

درختهای با طراوت و نضارت، و بیرون آورد بجهة حکم او أز شاخهای خود آتشهای روشن، و ببخشید خوردنی خود را بحکم کلمات تامّه او میوهای رسیده.

از جملهٔ آن خطبه اینست که فرموده:

و کتاب خداوند تبارک و تعالی در میان شما است، گوینده ایست که عاجز نمی شود زبان او، و خانه ایست که خراب نمی شود ارکان او، و عزّتیست که مغلوب نمی شود یاری کنندگان او.

و بعض دیگر از آن خطبه اینست که فرمود: فرستاد پیغمبر را در زمان سستی از پیغمبران، و هنگام اختلاف زبانها، پس آورد او را از عقب پیغمبران و ختم کرد با او وحی را، پس جهاد نمود خاتم انبیاء در راه خدا با کسانی که رو گردان بودند از پروردگار، و مثل و شبیه قرار داده بودند خدای را.

الفصل الثانی منها:

اشارة

و إنّما الدّنیا منتهی بصر الأعمی لا یبصر ممّا ورائها شیئا، و البصیر ینفذها بصره، و یعلم أنّ الدّار ورائها، فالبصیر منها شاخص، و الأعمی إلیها شاخص، و البصیر منها متزوّد، و الأعمی لها متزوّد. منها:

و اعلموا أنّه لیس من شیء إلاّ یکاد صاحبه أن یشبع منه أو یملّه إلاّ الحیاة فإنّه لا یجد له فی الموت راحة، و إنّما ذلک بمنزلة الحکمة الّتی هی حیاة للقلب المیّت، و بصر للعین العمیاء، و سمع للاذن الصّماء، و ریّ للظّمان، و فیها الغنی کلّه، و السّلامة، کتاب اللّه تبصرون به، و تنطقون به، و تسمعون به، و ینطق بعضه ببعض، و یشهد بعضه

على بعض، و لا يختلف فى اللّه، و لا يخالف لصاحبه عن اللّه، قد اصطلحتم على الغلّ فيما بينكم، و نبت المرعى على دمنكم، و تصافيتم على حبّ الآمال، و تعاديتم فى كسب الأموال، لقد استهام بكم الخبيث، و تاه بكم الغرور، و اللّه المستعان على نفسى و أنفسكم.

اللغة

(شخص) يشخص من باب منع شخوصا خرج من موضع إلى غيره، و يتعدّى بالهمزة فيقول أشخصته و شخص شخوصا أيضا ارتفع، و شخص البصر إذا ارتفع و يتعدّى بنفسه فيقال: شخص الرّجل بصره إذا فتح عينيه لا يطرف، و ربّما يعدّى بالباء فيقال: شخص الرّجل ببصره فهو شاخص و أبصار شاخصة و شواخص و (مللت) من الشيء مللا من باب تعب و ملالة سئمت و ضجرت و هو ملول و (الدّمن) بالكسر ما يتلبّد من السّرجين، و الدّمنة موضعه و الدّمنة آثار الدّار و النّاس و ما سوّدوه، و الحقد القديم و جمع الكلّ دمن كسدر و دمن كعدد (الغرور) بالفتح الشيّطان

الاعراب

اللاّم فى قوله: الدّار، للجنس و ستعرف وجهه، و قوله: و يكاد صاحبه أن تشبع، الغالب فى خبر كاد أن لا يقترن بأن كما فى قوله تعالى: و ما كادوا يفعلون، و هكذا فى غير واحد من نسخ المتن، و اقترانه بها قليل و منه قول الشاعر يرثى ميتا:

كادت النّفس أن تفيض عليه إذ غدا بين ريطة(1) و برود

و مثل كاد فى هذا الحكم كرب فيقلّ اقتران خبره بأن و علّله علماء الأدبيّة بأنّهما يدّلان على شدّة مقارنة الفعل و مداومته و ذلک يقرب من الشّروع فى الفعل و الأخذ فيه فلم يناسب خبرهما أن يقترن غالبا بأن المشعرة بالاستقبال، و لذلک لا تقول كاد زيد يحجّ إلاّ و قد أشرف عليه و لا تقول ذلک و هو فى بلده، و قوله: استهام بكم

1- (1) بفتح الراء و سكون الياء المثناة و الطاء المهملة الملاّة اذا كانت شقة واحدة و البرود بضمّ الباء جمع برد نوع من الثياب و المراد بهما الكفن اى قرب النفس أن تقضى اذ صار ذلک الميت بين أثواب الكفن.

الخبيث، البـاء للتّعديـة أى جعلكم هائمين كما تقول فى اسـتنفرت القوم إلى الحرب اسـتنفرت لهم أى جعلتهم نافرين، و يحتمل أن تكون بمعنى من، أى طلب منكم أن تهيموا.

المعنى

اعلم أنّ الغرض بهذا الفصل التنفير عن الدّنيا و توبيخ من قصر نظره اليها، و ذيّله بالموعظة الحسنة و النصيحة.

فقوله:(و إنّما الـدّنيا منتهى بصـر الأعمى)اسـتعار لفظ الأعمى للجاهل و الجامع قصور الجاهل عن إدراك الحقّ كقصور عادم البصـر عن إدراك المبصـرات و مثله قوله سـبحانه: و من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى و أضلّ سبيلا، و رشّح الاسـتعارة بقوله(لا يبصـر ممّا ورائها شـيئا)لأنّ ذلک وصف المسـتعار له أعنى الجاهل، و أمّا المسـتعار منه أعنى عادم البصـر فهو لا يبصر أصلا و هو تذييل و توضيح و تفسـير لكون الـدّنيا منتهى بصـره، و المقصود أنّ الجاهل لكون همّته مصـروفة معطوفـة إلى الـدّنيا مقصور نظره إليها غافل عما عـداها غير ملتفت إلى أنّ ورائها الآخرة و هى أولى بأن تصرف إليه الهمم بما فيها مما تشتهيه الأنفس و تلذّ الأعين من مزيد العوائد و الفوائد و النّعم.

(و البصـير ينفذها بصـره) أى العارف العالم ينفذ بصره من الدّنيا (و يعلم أنّ الدّار ورائها) يعنى يعرف أنّ الدّار الحقيقى أى دار القرار ورائها فيبلغ جهـده فى الوصول إليها(فالبصـير)النافذ البصـر(منها شاخص)راحل لأنّه بعد ما عرف أنّ الدّار ورائها لا يقف دونها بل يجعلها بمنزله طريق سالـک به إلى وطنه و مكـانه (و الأـعمى إليها شاخص)ناظر لأنّه بعـد ما لم يعرف ورائها شـيئا يزعم أنّ هـذه هى الـدّار، و أنّ له فيها القرار، فيقصر نظره إليها.

و لا يخفى ما فى هذه القرينة مع سابقتها من الجناس التّام و المطابقة بين الأعمى و البصـير،و مثلهما فى المطابقة قوله(و البصير منها متزوّد و الأعمى لها متزوّد)

ص:312

يعنى أنّ البصـير يتزوّد منها من الأعمال الصّالحة و التّقوى ما يوصـله إلى مقرّه و مقامه، و الأعمى لتوهّمه أنّ وطنه و مسـكنه هى الدّنيا و أنّ مقرّه تلك الدّار و ليس له ورائها دار فيتزوّد لها و يتّخذ من زبرجها و زخارفها و قيناتها ما يلتذّ و يتعيّش به فيها.

و لهذا المعنى أى لأجل اختلاف النّاس بالمعرفة و الجهالة و افتراقهم بالعمى و البصيرة اختلفت الآراء و الأهواء، فبعضهم و هم أهل الدّنيا و الرّاكنون إليها يحبّ الحياة و يغتنمها و ينهمك فى الشّهوات، و ينتهز الفرصـة فى طلب العيش و اللّذات، فيرجّح الحياة على الممات و يمدحها كما قال الشّاعر:

أو فى يصفّق بالجناح مغلسا و يصيح من طرب إلى ندمان

يا طيب لذّة هذه دنياكم لو أنّها بقيت على الانسان

و البعض الآخروهم أهل الآخرة العارفون بأنّ الدّنيا دار الفناء و أنّ الدّار ورائها يرجّح الموت على الحياة و يتشوّق إليه كما قال:

جزى اللّه عنّا الموت خيرا فانّه أبرّ بنا من كلّ برّ و أرءف

يعجّل تخليص النّفوس من الأذى و يدنى من الدّار الّتى هى أشرف

و قال آخر:

من كان يرجو أن يعيش فانّنى أصبحت أرجو أن أموت لاعتقا

فى الموت ألف فضيلة لو أنّها عرفت لكان سبيله أن يعشقا

فـان قلت: إذا كـان هوى أهـل الآخرة و رغبتهم على ما ذكرت فى الموت، فكيف التّوفيق بينه و بين قوله عليه السّلام:(و اعلموا أنّه ليس من شىء إلاّ و يكاد صاحبه أن يشـبع منه و يملّه إلاّ الحياة فانّه لا يجـد له فى الموت راحـة) فانّ ظاهر هـذا الكلام يفيـد أنّ اللّذات كلّها لعموم النّاس مملول منها إلاّ الحياة معلّلا بأنّه لا استراحـة فى الممات؟ قلت: ظاهر هـذا الكلام و ان كان يعطى العموم و كراهيّة الموت للكلّ إلاّ أنّه يحمل على الخصوص أعنى كراهيّته لأهل الشقاوة جمعا بينه و بين الأخبار الدّالة

على محبوبيّته لأولياء اللّه سبحانه كقوله صلّى اللّه عليه و آله: ليس للمؤمن راحة دون لقاء اللّه.

و ربّما يوجّه بعد إبقائه على العموم تارة بأنّ الموت يفوت متجر الآخرة و ينقطع به الاستعداد لكمال أشرف مما حصل عليه الميّت و إن كان وليّا، فلا جرم لا يجد الرّاحة التى يلحقه بما يفوته من ذلک الكمال، و اخرى بأنّ النفوس البشريّة لما لم يكن معارفها ضروريّة و لم يتمكّن ما دامت فى هذه الأبدان من الاطلاع على ما بعد الموت من سعادة أو شقاوة، فبالحريّ أن لا تجد لها راحة يتصوّرها فى الموت.

أقول: و أنت خبير بما فيه، فانّ عدم التمكن من الاطلاع على ما بعد الموت إنّما هو للمحجوبين دون العارفين من الأنبياء و المرسلين، و أولياء اللّه المتّقين، فانهم من سعادتهم على ثقة و يقين، ألا ترى إلى قول علىّ المرتضى سلام اللّه عليه تترى: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا.

و الأوجه ما قاله الشّارح البحرانى (ره) حيث قال: إن كان مراده عليه السّلام بقوله: لا يجد فى الموت راحة، أى فى نفس الموت مع قطع النّظر عن غيره من أحوال الآخرة، فالحقّ مع قول من عمّم فقدان الرّاحة فى حقّ الجميع، إذ الموت من حيث هو موت لا راحة فيه لأحد من النّاس كافّة، و إن كان مراده فقدان الرّاحة فى الموت و ما بعده، فالحقّ التخصيص بأهل الشّقاوة الدّائمة، فانّ شدّة محبّة الحياة و نقصانها متفاوتة بحسب تصوّر زيادة الرّاحة فى الآخرة و نقصانها، و ذلک ظاهر عند اعتبار أهل الدّنيا المقبلين عليها بالكلّية.

ثمّ قال عليه السّلام (و إنّما ذلک بمنزلة الحكمة) اختلف الشّارحان المعتزلى و البحرانى فى المشار إليه بذلک.

فقال الأوّل: إنّ هذا الكلام له عليه السّلام إلى قوله و السّلامة فصل آخر غير ملتئم بما قبله، و انّ الاشارة بذلک إلى كلام من كلام الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رواه لهم و حضّهم على التمسّک به و الانتفاع بمواعظه، ثمّ قال: و الحكمة المشبّه كلام الرسول بها هى المذكورة فى قوله تعالى: و من يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا.

و قال الثّانى: قوله عليه السّلام: و إنّما ذلک، أى الأمر الذى هو أحقّ بأن لا يملّ و لا يشبع منه، بمنزلة الحكمة أى ما كان بمنزلة الحكمة.

أقول: أمّا قول الأول فهو رجم بالغيب و تأويل من غير دليل، لعدم ثبوت التّقطيع و الالتقاط بعد فى هذه الفقرة و فى الفقرات الآتية كما زعمه، و على تقدير ثبوته فلا يتعيّن أن تكون الاشارة به إلى كلام رواه من الرّسول بل يحتمل أن يكون اشارة إلى ما وعظهم به و نصحهم من كلام نفسه.

و أمّا قول الثانى ففيه من التّعسف و الخبط ما لا يخفى، لعدم ارتباط هذا الكلام على ما ذكره بما تقدّمه من الكلام من حيث المعنى، مضافا إلى منافرته بل منافاته للقواعد الأدبيّة و الاصول العربيّة كما هو غير خفىّ على ذوى الأذهان المستقيمة، و كيف كان فما قيل أو يمكن أن يقال فى هذا المقام فانّما هو تخمين و حسبان لا يمكن أن يوجّه به كلام الامام حتّى يقوم عليه دليل بيّن.

ثمّ الحكمة عبارة عن معرفة الصّانع سبحانه و العلم النّافع فى الآخرة و يأتى مزيد بيانها فى شرح الفصل الثّالث من المختار المأة و الأحد و الثّمانين إنشاء اللّه تعالى.

و للاشارة إلى التّفخيم و التعظيم أتبعه بقوله (الّتى هى حياة للقلب الميّت) القلب الميّت هو القلب الجاهل القاصر عن إدراک وجوه المصالح و حياته عبارة عن اهتدائه إلى ما فيه صلاحه و رشده، و جعل الحكمة حياة له لكونها سببا للاهتداء، فأطلق عليها لفظ الحياة مبالغة.

(و) قوله(بصر للعين العمياء)من باب التشبيه البليغ يعنى أنها بمنزلة حسّ البصر لها، و ذلک لأنّ العين المتّصفة بالعمى كما أنّها عاجزة عن إدراک الألوان و الأضواء، فاذا كان لها الابصار و ارتفع عنها العمى تمكّنت من إدراكها، فكذلک الحكمة للجاهل تحصل له بها البصيرة، فتمكّن بها و تقدر على إدراک المآرب الحقّة.

و كذلک قوله(و سمع للاذن الصّمّاء)فانّ الصّمم مانع عن إدراک الاذن

و بارتفاعه عنها و حصول حسّ السّمع لها تقدر على إدراک الأصوات و الأقوال، و کذلک بارتفاع الجهالة عن الجاهل و حصول الحکمة و البصيرة له يقدر على الاطلاع على ما هو خير فى المآل.

و أمّا قوله(و ريّ للظّمآن)فيحتمل أن يکون من باب التّشبيه البليغ کسابقيه، بأن يراد بالظّمآن معناه الحقيقى و وجه الشبه أنّ العطشان کما يؤلمه داء العطش و بارتوائه بالماء يرتفع عنه تلک الدّاء، فکذلک الجاهل يؤذيه داء الجهالة و بحصول الحکمة له يرتفع عنه هذا الدّاء و يحتمل أن يکون من باب الاستعارة بأن يستعار لفظ الظّمآن للجاهل و الجامع ما سبق من أنّ کلاّ منهما له داء يتاذّى به و يحتاج إلى علاجه إلاّ أنّ ما للأوّل وجدانىّ، و ما للثّانى عقلانىّ، و على هذا الوجه فيکون ذکر الرّى ترشيحا و قوله (و فيها الغنى کلّه و السّلامة) أمّا أنّ فيها الغنى فلأنّ من اوتى الحکمة فقد اوتى خيرا کثيرا، و بها يوصل إلى الحقّ المتعال، و يسبح فى بحار معرفة ذى الجلال، و فى ذلک غنى العارفين عمّا سواه سبحانه من العالمين، و هو تعالى غاية مراد المريدين، و منتهى رغبة الرّاغبين، و کنز المساکين.

و أمّا أنّ فيها السّلامة فلأنّ بها يسلم من داء الجهل فى الدّنيا، و ينجى من سخط الجبّار و عذاب النّار فى الاخرى.

و أمّا قوله (کتاب اللّه) فيحتمل أن يکون کلاما منفصلا عمّا قبله أسقط السّيد (ره) ما بينهما فارتفع الارتباط بالتّقطيع و الالتقاط، أو أنّه خبر لمبتدأ محذوف أى هذا کتاب اللّه و يظهر من الشّارح البحرانى الاتّصال حيث قال: کتاب اللّه خبر مبتدأ إمّا خبر ثان لذلک(1) و ما کان بمنزلة الحکمة خبر أوّل، أو لمبتدأ محذوف تقديره: و هو کتاب اللّه و يحتمل أن يکون عطف بيان لما کان بمنزلة الحکمة.

1- (1) اى لفظة ذلک فى قوله و ذلک بمنزلة الحکمة، منه.

أقول: لم يتقدّم فى كلامه عليه السّلام لفظ ما كان بمنزلة الحكمة حتّى يجعل خبرا أوّلا أو معطوفا عليه للكتاب، و انّما قال عليه السّلام: و إنّما ذلك بمنزلة الحكمة.

فان قلت: لعلّه مقدّر فى ضمن الكلام.

قلت: لا دليل على تقديره، مع أنّا لم نر بيانا حذف مبيّنه.

و كيف كان فقد وصف الكتاب بأوصاف:

الأوّل انكم (تبصرون به) لكونه سببا لابصار طريق الحقّ بما فيه من الآيات البيّنات و أدلة الصّدق.

(و) الثّانى انكم (تنطقون به) فى مقام الاحتجاج و ترفعون من المعاندين الشّبه و اللّجاج كما قال اللّه سبحانه و تعالى: فانّما يسّرناه بلسانك لتبشّر به المتّقين و تنذر به قوما لدّا.

(و) الثالث انّكم (تسمعون به) الخطابات الالهيّة و التّكاليف الشّرعيّة تطيعونها و تؤمنون بها و تصلون إلى المراتب العالية العليّة تنزيل من الرّحمن الرّحيم كتاب فصّلت آياته قرآنا عربيّا لقوم يعلمون، بشيرا و نذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يؤمنون.

(و) الرابع انّه (ينطق بعضه ببعض و يشهد بعضه على بعض) أى يفسّر بعضه بعضا و يكشف بعضه عن بعض و يستشهد ببعضه على بعض فانّ فيه مطلقا و مقيّدا و مجملا و مبيّنا و عامّا و خاصّا و محكما و متشابها، بعضها يكشف القناع عن بعض و يستشهد ببعضها على المراد ببعض آخر.

(و) الخامس أنّه (لا يختلف فى اللّه) قال الشّارح البحرانى: لما كان مدار الكتاب على بيان القواعد الكلّية الّتى بها يكون صلاح نوع الانسان فى معاشه و معاده، و كانت غاية ذلک الجذب إلى اللّه سبحانه و الوصول إلى جواره، لم يكن فيه لفظ يختلف فى الدّلالة على هذه المقاصد، بل كلّه متطابق الألفاظ على مقصود واحد، و هو الوصول إلى الحقّ سبحانه بصفة الطهارة عن نجاسات هذه الدّار

و إن تعدّدت الأسباب الموصلة إلى ذلك المقصود انتهى.

و محصّله أنّه لا يختلف فى الدّلالة على المقاصد الموصلة إلى اللّه سبحانه و الأظهر أنّ المراد به أنّه لا يختلف فى الجذب إلى اللّه، لأنه معجز النّبوة المقصود بها الايصال إلى اللّه سبحانه كما قال تعالى: أفلا يتدبّرون القرآن و لو كان من عند غير اللّه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا، أى لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه و بلاغته و معانيه كما فى الكشّاف، فكان بعضه بالغا حدّ الاعجاز، و بعضه قاصرا عنه يمكن معارضته، و بعضه إخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه، و بعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه، و بعضه دالاّ على معنى صحيح عند علماء المعانى، و بعضه دالاّ على معنى فاسد غير ملتئم، فلمّا تجارب كلّه بلاغة معجزة فائتة «فائقة ظ» لقوى البلغاء و تناصر صحّة معان و صدق اخبار علم أنّه ليس إلاّ من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره، و عالم بما لا يعلمه أحد سواه.

السّادس أنّه (و لا يخالف بصاحبه عن اللّه) أى لا يسدّه عنه سبحانه و لا يضلّه عن سبيله فانّه يهدى للّتى هى أقوم، و من اعتصم به فقد هدى إلى صراط مستقيم.

قال الشارح المعتزلى إنّ هذا الكلام فصل آخر مقطوع عما قبله و متّصل بما لم يذكره جامع نهج البلاغة، و كذلك قال فى قوله (قد اصطلحتم على الغلّ فيما بينكم) أنّه إلى آخر الفصل كلام مقطوع أيضا.

أقول: إن ثبت التقطيع فهو و إلاّ فجهة ارتباط هذا الكلام بما قبله هو أنّه لما وصف كتاب اللّه سبحانه بأوصاف الكمال تنبيها على وجوب اتباعه و الاعتصام به للاشارة إلى الحقّ و هدايته إلى مكارم الأخلاق، أردفه بتوبيخ السّامعين و تقريعهم على ارتكاب رذائل الأخلاق و اتّباع الشيطان، و المراد أنّكم اتّفقتم على الحقد و الحسد بحيث لم ينكره منكم أحد.

(و نبت المرعى على دمنكم) يحتمل أن يكون المراد بالدّمن الحسد فيكون قوله: نبت المرعى جاريا مجرى المثل اشارة إلى طول الزّمان أى طال حقدكم

ص:318

و حسدكم و دام حتّى صار بمنزلة الأرض الجامدة التى ينبت عليها النّبات، و يجوز أن يكون المراد بها المزابل و مواضع البعرة فاستعير للقلوب باكتنافها بالخباثة الباطنيّة و تضمّنها الضغائن و الأحقاد كما يكتنف المزابل بالكثافات و الخباثات الظاهرة فيكون قوله: نبت المرعى، أيضا مثلا لأنّ المقصود به الاشارة إلى عدم الانتفاع بذلك المرعى لأنّه لا وقع له و لا يرغب إليه كما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

إيّاكم و خضراء الدّمن.

و قال الشّارح البحرانى: قوله: نبت المرعى آه، يضرب مثلا للمتصالحين فى الظاهر مع غلّ القلوب فيما بينهم، و وجه مطابقة الممثّل أنّ ذلك الصّلح سريع الزّوال لا أصل له كما يسرع جفاف النّبات فى الدّمن، و الأظهر ما قلناه.

(و تصافيتم على حبّ الآمال) أى كنتم فى مقام الصّفا ظاهرا على محبّة ما يأمل و يرجو كلّ منكم من صاحبه من جلب نفع أو دفع ضرّ (و تعاديتم فى كسب الأموال) لأنّ عمدة الخصومات و العداوات إنّما تكون فى مال الدّنيا و متاعها فكلّ من أهلها يجذبه إلى نفسه و يضنّ به على غيره.

(لقد استهام بكم الخبيث) أى طلب منكم أن تهيموا و تتحيّروا أو جعلكم هائمين متحيّرين أو اشتدّ عشقه و محبّته لكم (و تاه بكم الغرور) أى أضلّكم الشّيطان اللّعين و جعلكم تائهين ضالّين (و اللّه المستعان) فى كلّ حال (على نفسى و أنفسكم) من سوء الأعمال.

الترجمة

بعضى ديگر از آن خطبه است كه فرمود:

و بدرستى دنيا منتهاى نظر جاهل است، نمى بيند چيزى را كه از پس دنيا است و شخص با بصيرت مى گذرد از دنيا نظر او، و ميداند كه سراى حقيقى در پس اين دار فنا است، پس صاحب بصيرت رحلت كننده است از دنيا، و بى بصيرت نظرش مصروف بدنيا است و عاقل توشه گيرنده است از دنيا، و جاهل توشه گيرنده است

از برای دنیا.

و بدانید که نیست هیچ چیزی مگر این که صاحب آن نزدیک است که سیر شود از آن و ملال آورد از او مگر زندگانی دنیا بجهة آنکه نمی یابد از برای خود در مرگ آسایشی، و جز این نیست که آن بمنزلۀ حکمت است چنان حکمتی که آن زندگی قلب مرده است، و بینائی چشم کور، و شنوائی گوش کر، و سیرابی تشنگانست، و در اوست بی نیازی تمام، و سلامتی از أسقام.

او کتاب پروردگار است که می بینید بأو، و گویا می شوید و می شنوید بأو و ناطق و مصدّق است بعضی از او ببعضی، و اختلاف ندارد در جذب نمودن خلق بسوی خدا، و خلاف نمی کند با صاحب خود از خدا، و بضلالت نمی اندازد او را بتحقیق که متفق شده اید بر حقد و حسد که در ما بین شما است، و رسته است گیاه بر روی حسد شما، و با صفا میباشد در محبت امیدهائی که از یکدیگر دارید، و با عداوت می باشید در کسب نمودن مالها، بتحقیق که شما را متحیّر کرده است إبلیس خبیث، و بضلالت افکنده است شما را شیطان لعین، و خداوند تعالی یاری خواسته شده است از او بر نفس من و بر نفسهای شما در جمیع کارها.

و من کلام له علیه السّلام و قد شاوره عمر بن الخطاب فی

اشارة

الخروج الی غزو الروم بنفسه و هو المأة و الرابع

و الثلاثون من المختار فی باب الخطب

و قد توکّل اللّه لأهل هذا الدّین باعزاز الحوزة، و ستر العورة و الّذی نصرهم و هم قلیل لا ینتصرون، و منعهم و هم قلیل لا

يمتنعون، حی لا یموت إنّک متی تسر إلی هذا العدوّ بنفسک، فتلقهم بشخصک فتنکب لا تکن للمسلمین کانفة دون أقصی بلادهم و لیس بعدک مرجع یرجعون إلیه، فابعث إلیهم رجلا محربا، و أحفز معه أهل البلاء و النّصیحة، فان أظهر اللّه فذاک ما تحبّ، و إن تکن الاخری کنت ردء للنّاس و مثابة للمسلمین.

اللغة

قوله (و قد توکّل اللّه) و عن بعض النّسخ بدله کفل اللّه أی صار کفیلا و (الحوزة) النّاحیة و حوزة الاسلام حدوده و نواحیه و (کانفة) أی عاصمة حافظة من کنفه أی حفظه و آواه، و یروی کهفة بدل کانفة و هی ما یلجأ إلیه و (المحرب) بکسر الأوّل و سکون الثانی و فتح الثّالث صاحب الحرب و فی بعض النسخ مجرّبا بضم الأوّل و الجیم المعجمة و فتح الراء المشدّدة و (الرّدء) العون قال اللّه تعالی:

فأرسله معی ردءا.

الاعراب

الذی نصرهم مبتدأ و خبره حیّ، و جملة و هم قلیل آه حالیّة معترضة بین المبتدأ و الخبر، و تنکب بالجزم معطوف علی تسر، و الفاء فی قوله: فابعث، فصیحة، و الباقی واضح.

المعنی

اعلم أنّ هذا الکلام قاله علیه السّلام لعمر بن الخطّاب کما أشار إلیه السیّد (ره) ارشادا له إلی وجه المصلحة و تعلیما له ما فیه صلاح الامّة، و کان ذلک فی غزاة

ص:321

فلسطين التى فتح فيها بيت المقدس فأراد عمر أن يشخص بنفسه لما طال الحرب على المسلمين و ضاق الأمر عليهم و كتبوا إليه: إن لم تحضر بنفسک لم يفتح علينا فاستشار أمير المؤمنين عليه السّلام فى الشّخوص إلى العدوّ فلم يره صلاحا لما فيه من الخوف على بيضة الاسلام بالنّکتة التى أشار إليها فى ضمن هذا الکلام بعد تقديم مقدّمة مهّدها بقوله عليه السّلام:

(و قد توکّل اللّه لأهل هذا الدّين) أى صار وکيلا لهم قائما عليهم (باعزاز الحوزة) و البيضة و الجمعيّة (و ستر العورة) و ممّا لا ينبغى اطّلاع العدوّ عليه من الفضائح و القبائح (و الذى نصرهم و هم قليل لا ينتصرون و منعهم و هم قليل لا يمتنعون حىّ لا يموت) لا يخفى ما هذه الجملة من حسن الخطابة حيث أورد المسند إليه موصولا ـ لزيادة التّقرير أعنى تقرير الغرض المسوق له الکلام، و هو الحثّ على التوکّل على اللّه و الاعتماد عليه و مزيد الثقة به ثمّ أکدّ ذلک المعنى بالجملة الحاليّة و باتيان المسند بما يجرى مجرى المثل السّائر و المراد أنّ من نصرهم فى حال قلّتهم و عدم تمکّنهم من انتقام الأعداء و منعهم فى حال ضعفهم و عدم قدرتهم على الامتناع من سيف المعاندين حىّ لا يموت فهو أولى فى حال کثرتهم بالحفظ و الحماية و الاعزاز و النصرة.

ثمّ أشار إلى وجه المصلحة و النّکتة فى المنع عن الخروج فقال (انّک متى تسر إلى هذا العدوّ بنفسک فتلقهم فتنکب لا تکن للمسلمين کانفة دون أقصى بلادهم) يعنى أنّ الجهاد على وجهين فيمکن إدالة الکفّار من المسلمين و يمکن إدالة المسلمين من الکفّار فلو خرجت بنفسک و لا قيت العدوّ و أصابتک النکبة لم تبق للمسلمين جهة عاصمة يعتصمون بها و لا ملجأ يستندون إليه (و ليس بعدک مرجع يرجعون إليه) و فى ذلک خوف على بيضة الاسلام.

ثمّ أشار إلى ما هو الأصلح و أقرب إلى الحزم بقوله (فابعث إليهم) أى إلى الأعداء (رجلا محربا) إى ذا خبرة و بصيرة بالحروب أو رجلا جرّب بکثرة الوقايع و الحروب و حصل الوثوق و الاعتماد عليه (و احفز) أى ادفع معه (أهل) النّجدة و (البلاء و النّصيحة) أى المختبرين المجرّبين بالنّصح (فان أظهر) ک (اللّه) و نصرک

(فذاک ما تحبّ و إن تکن الاخری) أی النّکبة و الانکسار (کنت ردءا للناس) و عونا لهم (و مثابة) أی مرجعا (للمسلمین) و مأمنا یأوون إلیه.

الترجمة

از جملۀ کلام آن امام أنام است در آن حال که مشورت نمود باو عمر بن خطّاب در باب بیرون رفتن بسوی غزوۀ روم بنفس خود پس فرمود آن بزرگوار:

بتحقیق که وکیل شده است خدای تبارک و تعالی از برای أهل این دین با عزیز نمودن و غالب گردانیدن ناحیۀ مسلمین و پوشانیدن عورت مؤمنین، و آن پروردگاری که یاری کرد مسلمانان را در آن حال که اندک بودند و قدرت نداشتند بر انتقام و حفظ نمود ایشان را در حالتی که اندک بودند و تمکّن نداشتند از دفع دشمنان از خودشان زنده ایست که هرگز نمی میرد، بدرستی که هرگاه روانه شوی تو بسوی این دشمن بنفس خود پس برسی بایشان و مصیبتی بتو وارد بیاید و مغلوب شوی نمی باشد از برای مسلمانان پناهی نزد منتهای ولایتهای ایشان، و نباشد بعد از تو مرجعی که بازگشت نمایند بسوی او، پس برانگیزان بسوی دشمنان مردی جنگ دیدۀ کاردان، و دفع کن باو اهل آزمایش و نصیحت را، پس اگر غالب گرداند تو را خداوند تعالی پس اینست آن چیزی که می خواهی، و اگر باشد امر بطور دیگر باشی تو یاور و مدد مردمان و مرجع و پناه برای مسلمانان و پناه گاه ایشان.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأة و الخامس و الثلاثون

اشارة

من المختار فی باب الخطب

و رواه الشّارح المعتزلی باختلاف یسیر تطلع علیه.

قال السید (ره) و قد وقعت مشاجرة بینه و بین عثمان، فقال المغیرة بن الأخنس

أنا أكفيكه، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام للمغيرة:

يـا بن اللّعين الاـبتر و الشّـجرة الّتى لا أصل لها و لا فرع أنت تكفينى فو اللّه ما أعزّ اللّه من أنت ناصـره، و لا قام من أنت منهضه، اخرج عنّا أبعد اللّه نواك، ثمّ ابلغ جهدك فلا أبقى اللّه عليك إن أبقيت.

اللغة

(الأـبتر) المنقطع عن الخير و قيـل الأبتر الّـذى لا عقب له و منه الحمار الأبتر الّـذى لا ذنب له، قوله: (و لا قام) فى بعض النسـخ و لا أقام بالهمزة و (النّوى) القصـد الّـذى ينويه المسافر من قرب أو بعـد هكذا فى شـرح البحرانى، و قال الطريحى: النّوى بالفتح البعد و منه حديث علىّ للمغيرة بن الأخنس أبعد اللّه نواک من قولهم بعدت نواهم إذا بعدوا بعدا شديدا، و فى بعض النسخ أبعد اللّه نوأک بفتح النّون و سـكون الواو و بعدها همزة و هو النّجم و جمعه أنواء و هى النّجوم الّتى كانت العرب تنسب اليها و كانوا إذا دعوا على إنسان قالوا أبعد اللّه نوأک، أى خيرک.

قال أبو عبيدة فى محكىّ كلامه: هى أى الأنواء ثمانية و عشـرون نجما معروفة المطالع فى أزمنة السّـنة يسـقط منها فى كلّ ثلاث عشـرة ليلة نجم فى المغرب مع طلوع الفجر و يطلع الآـخر مقابله من ساعته، و انقضاء هـذه الثمانيـة و العشـرين مع انقضاء السّـنة و كانت العرب فى الجاهليّة إذا سقط منها نجم و طلع الآخر قالوا لا بدّ أن يكون عند ذلک مطر فينسبون كلّ غيث يكون عند ذلک إلى النّجم و يقولون و مطرنا بنوء كذا قال: و يسمّى نوءا لأنّه إذا سقط الساقط منها بالمغرب نأى الطالع بالمشرق، و ذلک النهوض هو النّوء فسمّى النّجم به.

و قوله: (ثمّ ابلغ جهـدک) أمر من افعل أو فعل و كلاهما مروىّ، و الجهد بالضمّ الطّاقة و بالفتح المشـقّة و هما مرويّان أيضا و (أبقيت) على فلان أى راعيته و رحمته

الاعراب

قوله أنت تكفينى، جملة استفهاميّة محذوفة الأداة، و جملة ما أعزّ اللّه آه تحتمل الخبر و الدّعاء، و قوله إن أبقيت متعلّقه محذوف بقرينة سابقة أى إن أبقيت علىّ.

المعنى

اشارة

قال الشّارح المعتزلى: اعلم أنّ هذا الكلام لم يكن بحضرة عثمان و لكن أعوانه روى عن إسماعيل بن خالد عن الشّعبى أنّ عثمان لمّا كثرت شكايته من علىّ عليه السّلام أقبل لا يدخل إليه من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلاّ شكا إليه عليّا، فقال زيد بن ثابت الانصارى و كان من شيعته و خاصّته، أفلا أمشى إليه فاخبره بموجدتك فيما يأتى إليك؟ قال: بلى، فأتاه زيد و معه المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفى و عداده فى بنى زهرة و امه عمّة عثمان بن عفّان فى جماعة، فدخلوا فحمد زيد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال:

أمّا بعد فانّ اللّه قدّم لک سلفا صالحا فى الاسلام و جعلک من الرّسول بالمكار الّذى أنت به فأنت للخير كلّ الخير أهل، و أمير المؤمنين عثمان ابن عمّک و ولىّ هذه الامّة فله عليک حقّان: حقّ الولاية، و حقّ القرابة، و قد شكاک إلينا أنّ عليا يعرض و يردّ أمرى علىّ، و قد مشينا إليک نصيحة لک و كراهيّة أن يقع بينک و بين ابن عمّک أمر نكرهه لكما، قال: فحمد علىّ عليه السّلام و أثنى عليه و صلّى على رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثمّ قال:

أمّا بعد فو اللّه ما أحبّ الاعتراض و لا الرّد عليه إلاّ أن يأبى حقّا للّه لا يسعنى أن أقول فيه إلاّ بالحقّ، و واللّه لأكفّن فيه ما وسعنى الكفّ.

فقال المغيرة بن الأخنس و كان رجلا و قاصا و كان من شيعة عثمان و خلصائه إنّک و اللّه لتكفنّ عنه أو لتكفّن عنه فانّه أقدر عليک منک عليه و إنّما أرسل هؤلاء القوم من المسلمين إعذارا ليكون الحجّة عندهم عليک.

فقال له علىّ عليه السّلام يابن اللّعين الأبتر و الشجرة التى لا أصل لها و لا فرع

أنت تكفّنى فواللّه ما أعزّ اللّه امرأ من أنت ناصره، اخرج أبعد اللّه نواک ثمّ اجهد جهدک فلا أبقى اللّه عليک و لا على أصحابک إن ابقيتم.

فقال له زيد: إنّا و اللّه ما جئناک لتكون عليک شهودا و لا ليكون مشينا إليک حجّة، و لكن مشينا فيما بينكما التماس الأجر و أن يصلح اللّه ذات بينكما و يجمع كلمتكما، ثمّ دعا له و لعثمان و قام فقاموا معه، إذا عرفت هذا فلنرجع إلى شرح ما أورده السّيّد (ره) فأقول:قوله عليه السّلام للمغيرة:(يابن اللّعين الأبتر)لأجل أنّ أباه و هو الأخنس بن شريق كان من أكابر المنافقين ذكره أصحاب الحديث كلّهم فى المؤلّفة قلوبهم الّذين أسلموا يوم الفتح بألسنتهم دون قلوبهم و أعطاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مأئة من الابل من غنائم حنين يتألّف بها قلبه، و ابنه أبو الحكم بن الأخنس قتله أمير المؤمنين عليه السّلام يوم احد كافرا فى الحرب، و هو أخو المغيرة و الحقد الذى كان فى قلب المغيرة إنّما كان من هذه الجهة.

و أمّا وصفه بالأبتر كوصف العاص بن وائل به فى قوله سبحانه: انّ شانئک هو الأبتر، فلانقطاعه عن الخير كلّه فيكون إطلاقه عليه حقيقة، أو لأنّ من كان عقبه ضالاّ خبيثا فهو كمن لا عقب له بل من لا عقب له خير منه فيكون اطلاقه عليه على سبيل الاستعارة.

و كذلک قوله(و الشجرة الّتى لا أصل لها و لا فرع)استعار له لفظ الشجرة الموصوفة بما ذكر إشارة إلى حقارته و دنائته، لأنّ الشّجرة الّتى ليس لها فرع و لا قرار ساقطة عن درجة الاعتبار حقيرة فى الأنظار، و لذلک ضربت مثلا للكلمة الخبيثة فى الآية الشّريفة: و مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثّت من فوق الأرض مالها من قرار.

و يحتمل أن يكون المراد بالوصفين نفى صفة الكمال، بمعنى أنّها ليس لها أصل ثابت و لا فرع مثمر فيلا حظ ذلک فى المستعار له و يكون عدم ثبوت أصله اشارة إلى الطعن فى نسبه، فقد قال جمع من النّسابين إنّ فى نسب ثقيف طعنا،

و قد فصّله الشّارح المعتزلی فی الشّرح و یکون عدم ثبوت فرعه إشارة إلی أنّ عقبه ضالّ خبیث عادم الخیر و النّفع.

ثمّ استفهم علی سبیل الانکار و الاستحقار فقال (أنت تکفینی) قال الشارح المعتزلی بعد ما أورد الروایة المتقدّمة: و هذا الخبر یدلّ علی أنّ اللّفظة أنت تکفّنی و لیست کما ذکره الرّضی أنت تکفینی، لکن الرّضی طبق هذه اللّفظة علی ما قبلها و هو قوله: أنا أکفیکه، و لا شبهة أنّها روایة اخری (فو اللّه ما أعزّ اللّه من أنت ناصره و لا ـ قام من أنت منهضه) أی مقیمه و ذلک لأنّ العزّة و القوّة للّه سبحانه و النّصرة و الخذلان بید اللّه، فمن أعزّه اللّه فهو المنصور. و من أذلّه فهو المقهور، و إن ینصرکم اللّه فلا غالب لکم و إن یخذلکم فمن ذا الّذی ینصرکم من بعده.

ثمّ طرده و أبعده و دعا علیه بقوله:(اخرج عنّا أبعد اللّه نواک) أی مقصدک أو خیرک أو طالعک (ثمّ ابلغ جهدک) أی غایتک و طاقتک فی الأذی (فلا أبقی اللّه علیک إن أبقیت) علیّ أی لا رعاک و لا رحمک إن أشفقت علیّ.

تنبیه

ینبغی أن نذکر ههنا طرفا من مشاجرة أمیر المؤمنین علیه السّلام مع عثمان اللّعین ممّا أورده المخالف و المؤالف:

فأقول: روی المحدّث العلاّمة المجلسی (ره) فی البحار من الامالی باسناده عن عبد اللّه بن أسعد بن زرارة عن عبد اللّه بن أبی عمرة الأنصاری قال: لمّا قدم أبو ذر علی عثمان قال: أخبرنی أیّ البلاد أحبّ إلیک؟ قال: مهاجری، قال: لست بمجاوری، قال: فالحق بحرم اللّه فأکون فیه، قال: لا، قال: فالکوفة أرض بها أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، قال: لا، قال: فلست بمختار غیرهنّ، فأمره بالمسیر إلی الرّبذة فقال: إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال لی اسمع و أطع و انفذ حیث قادوک و لو لعبد حبشی

مجدع، فخرج إلى الرّبذة فأقام هنا مدّة. ثمّ دخل المدينة فدخل على عثمان و النّاس عنده سماطين فقال: إنّک أخرجتنی من أرض إلى أرض ليس بها زرع و لا ضرع إلاّ شويهات و ليس لی خادم إلاّ همررة و لا ظلّ إلاّ ظلّ شجرة، فأعطنی خادما و غنيمات أعيش فيها، فتحوّل وجهه عنه إلى السّماط الآخر فقال مثل ذلک فقال له حبيب بن سلمة: لک عندی يا أبا ذر ألف درهم و خادم و خمسمائة شاة، قال أبو ذر: أعط خادمک و ألفک و شويهاتک من هو أحوج إلى ذلک منّی، فانّی إنّما أسأل حقّی فی کتاب اللّه، فجاء علیّ عليه السّلام فقال له عثمان: ألا تغنی عنها سفيهک هذا قال: أیّ سفيه؟ قال: أبو ذر، قال علیّ عليه السّلام: ليس بسفيه سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول ما أظلّت الخضراء و لا أقلّت الغبراء على أصدق لهجة من أبی ذر، أنزله بمنزلة مؤمن آل فرعون إن يک کاذبا فعليه کذبه و إن يک صادقا يصبکم بعض الذی يعدکم قال عثمان: التراب فی فيک، قال علیّ: عليه السّلام بل التّراب فی فيک، انشد باللّه من سمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول ذلک لأبی ذر، فقام أبو هريرة و عشرة فشهدوا بذلک قول علیّ عليه السّلام قال ابن عبّاس: کنت عند أبی على العشاء بعد المغرب إذ جاء الخادم فقال:

هذا أمير المؤمنين بالباب، فدخل عثمان فجلس فقال له العبّاس تعشّ، قال: تعشّيت فوضع يده فلما فرغنا من العشاء قام من کان عنده و جلست و تکلّم عثمان فقال:

يا خال أشکو اليک ابن أخيک يعنی عليّا فانّه أکثر فی شتمی و نطق فی عرضی و أنا أعوذ باللّه فی ظلمکم بنی عبد المطلب إن يکن هذا الأمر لکم فقد سلّمتموه إلى من هو أبعد منّی و إن لا يکن لکم فحقّی أخذت، فتکلّم العبّاس فحمد اللّه و أثنى عليه و صلّى على النّبیّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ذکر ما خصّ اللّه به قريشا منه و ما خصّ به بنی عبد المطلب خاصّة ثمّ قال: أما بعد فما حمدتک لابن أخی و لا حمدت ابن أخی فيک، و ما هو وحده فقد نطق غيره فلو أنّک هبطت ممّا صعدت و صعدوا ممّا هبطوا لکان ذلک أقرب، فقال: أنت ذلک يا خال، فقال: أتکلّم بذلک عنک؟ قال: نعم أعطهم عنّی ما شئت، و قام عثمان فخرج، فلم يلبث أن رجع فسلّم و هو قائم ثمّ قال:

يا خال لا تعجل بشیء حتّى أعود إليک، فرفع العبّاس يديه و استقبل القبلة فقال:

اللّهم اسبق لی ما لا خیر لی فی إدراکه، فما مضت الجمعة حتّی مات.

و روی الشّارح المعتزلی نحوه عن الزّبیر بن بکار فی الموفقیات و زاد فیه بعد قوله لا تعجل یا خال حتّی اوذنک، فنظرنا فاذا مروان بن الحکم جالسا بالباب ینتظره حتّی خرج فهو الذی فشاه عن رأیه الأوّل فأقبل علی أبی فقال یا بنیّ ما إلی هذه من أمره شیء ثمّ قال یا بنی أمسک علیک لسانک حتّی نری ما لا بدّ منه.

و روی الشّارح أیضا عن الموفقیات عن رجال أسند بعضهم عن بعض عن علیّ ابن أبی طالب علیه السّلام قال: أرسل إلیّ عثمان فی الهاجرة فتقنّعت بثوبی و أتیته فدخلته و هو علی سریره و فی یده قضیب و بین یدیه مال دثر صبرتان من ورق و ذهب، فقال:

دونک خذ من هذا حتّی تملأ بطنک فقد أحرقتنی، فقلت وصلتک رحم إن کان هذا المال ورثته، أو أعطاکه معط، أو اکتسبته من تجارة کنت أحد رجلین: إمّا أخذ و شکر، أو أوفر و أجهد، و إن کان من مال اللّه و فیه حقّ المسلمین و الیتیم و ابن السّبیل فو اللّه ما لک أن تعطیه و لا لی أن آخذه، فقال: أبیت و اللّه، إلاّ ما أبیت ثمّ قال: إلیّ بالقضیب، فضربنی فو اللّه ما ارّد یده حتّی قضی حاجته، فتقنّعت بثوبی و رجعت إلی منزلی و قلت: اللّه بینی و بینک إن کنت أمرتک بمعروف و نهیتک عن منکر.

أقول: و الأخبار فی هذا المعنی کثیرة و دلالتها علی معاداة عثمان لأمیر المؤمنین علیه السّلام و إنزاله له منزلة العدوّ صریحة جلیّة، و کفی بذلک له ألیم العقاب و سوء المآب.

الترجمة

از جمله کلام آن امام أنام است و بتحقیق که واقع شده بود منازعه میان او و میان عثمان پس گفت مغیرة بن اخنس عثمان را من کفایة میکنم از تو او را یعنی نمی گذارم از أمیر المؤمنین صدمه و آسیبی بتو برسد پس فرمود أمیر المؤمنین بمغیرة:

ای پسر ملعون بی منفعت و درختی که نه ریشه دارد مر او را و نه شاخ تو،

ص:329

کفایت میکنی مرا، پس قسم بخدا که عزیز و غالب نگردانید خدا کسی را که تو یاری دهندۀ اوئی، و بر نخواست کسی که تو برخیزاننده اوئی، بیرون برو از خانه ما دور گرداند خداوند تعالی مقصد تو را، پس از آن برس بنهایت سعی خود، پس رحمت نکند و رعایت نکند تو را خدا اگر مهربانی کنی تو با من.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأة و السادس و الثلاثون من

اشارة

المختار فی باب الخطب.

قاله (علیه السلام) لما تخلف عن بیعته عبد اللّه بن عمر و سعد بن أبی وقاص و جماعة اخری و رواه فی الارشاد باختلاف تطلع علیه.

لم تكن بيعتكم إيّاى فلتة، و ليس أمرى و أمركم واحدا، إنّى أريدكم للّه و أنتم تريدوننى لأنفسكم، أيّها النّاس أعينونى على أنفسكم و أيم اللّه لانصفنّ المظلوم من ظالمه، و لأقودنّ الظّالم بخزامته حتّى أورده منهل الحقّ و إن كان كارها.

اللغة

(الفلتة) الأمر يقع من غير تدبّر و لا رويّة و (خزمت) البعير بالخزامة و هی حلقة من شعر تجعل فی وترة انف البعير ليشدّ فيها الزّمام و يسهل قياده و (الورد) حضور الماء للشّرب و الايراد الاحضار و (المنهل) المشرب من نهل الماء كفرح شربه.

الاعراب

قوله: و أيم اللّه لفظة أيم من كلمات القسم، و قد مضى بعض الكلام فيها فی شرح

الخطبة الخامسة و شرح الفصل الثانى من الخطبة الثّانية و التسعين.

و أقول هنا: إنّ فيها اثنتين و عشرين لغة قال فى القاموس: و اليمين القسم مؤنّث لأنّهم كانوا يتماسحون بأيمانهم فيتحالفون، الجمع ايمن و ايمان و أيمن اللّه و أيم اللّه و يكسر أوّلهما و أيمن اللّه بفتح الميم و الهمزة و يكسر و أيم اللّه بكسر الهمزة و الميم، و قيل ألفه ألف وصل و هيم اللّه بفتح الهاء و ضمّ الميم و أم اللّه مثلّثة الميم و إم اللّه بكسر الهمزة و ضمّ الميم و فتحها و من اللّه بضمّ الميم و كسر النّون و من اللّه مثلّثه الميم و النّون و م اللّه مثلّثة و ليم اللّه و ليمن اللّه اسم وضع للقسم و التّقدير ايمن اللّه قسمى.

و قال ابن هشام فى المغنى: أيمن المختصّ بالقسم اسم لا حرف خلافا للزجاج و الرّمانى مفرد مشتقّ من اليمن و همزته وصل لا جمع يمين و همزته قطع خلافا للكوفيّين و يردّه جواز كسر همزته و فتح ميمه، و لا يجوز مثل ذلک فى الجمع من نحو أفلس و اكلب و قول نصيب:

فقال فريق القوم لما نشدتهم نعم و فريق ليمن اللّه ما ندرى

فخذف ألفها فى الدّرج و يلزمه الرّفع بالابتداء و حذف الخبر و اضافته إلى اسم اللّه سبحانه خلافا لابن درستويه فى إجازة جرّه بحرف القسم و لابن مالک فى إجازته إضافته إلى الكعبة و كاف الضّمير، و جوّز ابن عصفور كونه خبرا و المحذوف مبتدأ أى قسمى ايمن اللّه.

المعنى

اشارة

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السّلام لجمهور أصحابه الذين كان غرضهم فى بيعته و اتّباعه عليه السّلام حطام الدّنيا لا إحياء شرائع الدّين و إقامة معالم الشرع المبين كما يرشد إليه ما سيأتى من قوله: أنتم تريدوننى لأنفسكم، إذا عرفت ذلک فأقول:

قوله(لم تكن بيعتكم إيّاى فلتة)فيه تعريض ببيعة أبى بكر و إشارة إلى قول عمر فيها، فقد روت العامة و الخاصة عن عمر أنّه قال: إنّ بيعة أبى بكر كانت فلتة وقى اللّه شرّها و من عاد إلى مثلها فاقتلوه، و فى بعض الرّوايات فمن دعاكم

إلى مثلها فاقتلوه، و قد رواه الشّارح المعتزلى فى شرح الخطبة السّادسة و العشرين بعدّة طرق و أطنب الكلام فى بيان معنى الفلتة و لا حاجة بنا إلى إيراد ما أورده.

و مقصود أمير المؤمنين عليه السّلام أنّ بيعتكم إيّاى لم تكن بغتة و من غير تدبّر و رويّة و إنّما كانت عن تدبّر و اجتماع رأى منكم فليس لأحدكم بعدها أن ينكث و يندم (و ليس أمرى و أمركم واحدا) إشارة إلى اختلاف مقاصده و مقاصدهم و تفريق بينهما، و جهة التّفريق ما أشار إليها بقوله:(إنّى اريدكم للّه و أنتم تريدوننى لأنفسكم) يعنى إنّما اريدكم لاقامة أمر اللّه و إعلاء كلمة اللّه و تأسيس أساس الدّين و انتظام قوانين الشّرع المبين و أنتم تريدوننى لحظوظ أنفسكم من العطاء و التقريب و ساير المنافع الدّنيوية.

(أيّها النّاس أعينونى على أنفسكم) لمّا كان وظيفته الدّعوة إلى اللّه و الدلالة إلى سبيل اللّه و الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر جعل طاعتهم له و امتثالهم لأوامره و انتهائهم عن المنكرات إعانة منهم له لحصول غرضه و فراغه عن تعب الطلب.

ثمّ أشار إلى قيامه بوظائف العدل فقال (و أيم اللّه لأنصفنّ المظلوم) أى أحكم فى ظلامته بالعدل و الانصاف و آخذ حقّه (من ظالمهو لأقودنّ الظّالم بخزامته حتّى أورده منهل الحقّ و إن كان كارها)جعل الظالم بمنزلة الابل الصّعب التى لا تنقاد إلاّ بالخزامة على سبيل الاستعارة بالكناية و ذكر الخزامة تخييل و القود ترشيح. أى لأذللنّ الظالم و أقودنّه بالمقود حتّى يخرج من حقّ المظلوم و يردّ عليه مظلمتهو ان كان كارهاله

تكملة

هذا الكلام رواه المفيد فى الارشاد قال: و من كلامه عليه السّلام حين تخلّف عن بيعته عبد اللّه بن عمر بن الخطّاب و سعد بن أبى وقاص و محمّد بن مسلمة و حسّان بن ثابت و اسامة بن زيد ما رواه الشعبى قال: لما اعتزل سعد و من سمّيناه أمير المؤمنين عليه السّلام و توقّفوا عن بيعته حمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال:

ص:332

أيّها النّاس إنكم بايعتمونى على ما بويع عليه من كان قبلى و إنما الخيار للنّاس قبل أن يبايعوا فاذا بايعوا فلا خيار لهم، و إنّ على الامام الاستقامة و على الرّعيّة التسليم، و هذه بيعة عامّة من رغب عنها رغب عن دين الاسلام و اتّبع غير سبيل أهله، و لم تكن بيعتكم إيّاى فلتة و ليس أمرى و أمركم واحدا، و انّى اريدكم للّه و أنتم تريدوننى لأنفسكم و أيم اللّه لأنصحنّ للخصم و لأنصفنّ للمظلوم، و قد بلغنى عن سعد و ابن مسلمة و اسامة و عبد اللّه و حسّان بن ثابت امور كرهتها و الحقّ بينى و بينهم.

الترجمة

از جملۀ كلام آن امام انام است كه فرموده: نبود بيعت شما با من چيزى كه بدون تروى و تدبّر واقع شده باشد، و نيست كار من و كار شما يكى، بدرستى من مى خواهم شما را از براى خدا، و شما مى خواهيد مرا از براى حظهاى نفوس خودتان أى مردمان إعانت نمائيد مرا بر قهر و غلبۀ نفسهاى خود، و قسم بذات پاک خداوند هر آينه البته حكم انصاف ميكنم در حقّ مظلوم از ظالم او، و هر آينه البته مى كشم ظالم را بحلقۀ بينى او تا اين كه وارد نمايم او را بآبش خور حق و اگر چه باشد آن ظالم كراهت دارنده.

و من كلام له عليه السّلام فيمعنى طلحة و الزبير و هو المأة

اشارة

و السابع و الثلاثون من المختار فى باب الخطب

و الأشبه انّه ملتقط من خطبة طويلة قدّمنا روايتها فى شرح الخطبة الثانية و العشرين بطرق عديدة فليتذكّر و اللّه ما أنكروا علىّ منكرا، و لا جعلوا بينى و بينهم نصفا، و إنّهم ليطلبون حقّا هم تركوه، و دما هم سفكوه، فإن كنت شريكهم

ص:333

فيه فإنّ لهم نصـيبهم منه، و إن كانوا ولّوه دونى فما الطّلبة إلاّ قبلهم و إنّ أوّل عدلهم للحكم على أنفسهم، و إنّ معى لبصيرتى ما لبّست و لا لبّس علىّ و إنّها للفئة الباغية فيها الحمأ و الحمة و الشّبهة المغدفة، و إنّ الأمر لواضح، و قد راح الباطل عن نصابه، و انقطع لسانه عن شغبه، و أيم اللّه لافرطنّ لهم حوضا أنا ماتحه، لا يصدرون عنه برىّ، و لا يعبّون بعده فى حسى. منها:

فـأقبلتم إلىّ إقبـال العوذ المطافيـل على أولادها تقولون البيعـة البيعـة، قبضت كفّى فبسـطتموها، و نازعتكم يـدى فجاذبتموها، ألّلهمّ إنّهما قطعـانى، و ظلمـانى، و نكثـا بيعتى، و ألبّـا النّاس علىّ فاحلل ما عقـدا، و لا تحكم لهما ما أبرما، و أرهما المسائـة فيما أمّلا و عملا، و لقد استثبتهما قبل القتال، و استأنيت بهما قبل الوقاع، فغمطا النّعمة، و ردّا العافية.

اللغة

(النّصف) محرّكـة اسم من الانصاف و هو العـدل و (الطّلبة) بكسـر الّلام المطلوب و (لبّست) بالبناء للفاعل و (لبّس) بالبناء للمفعول، قال الشّارح المعتزلى، و لبّست على فلان الأمر و لبس عليه الأمر كلاهما بالتخفيف و لكنّ

ص:334

الموجود فی ما رأیته من النسخ بالتشدید قال الفیروزآبادی: لبس علیه الأمر یلبسه خلطه و ألبسه غطّاه، و أمر ملبس و ملتبس بالأمر مشتبه التّلبیس و التّخلیط و التدلیس، و قال بعض الشّارحین: التّشدید للتکثیر.

و (الحماء) بالتّحریک کالحماة بالتاء الأسود المنتن، قال سبحانه: من صلصال من حماء مسنون، و یروی حما مقصورة، و (الحمة) بضمّ الحاء و فتح المیم و تخفیفها العقرب و کلّشیء یلسع أو یلدغ و (المغدفة) بفتح الدّال الخفیفة من اغدفت المرأة قناعها أرسلته علی وجهها، و عن بعض النّسخ بکسر الدال من أغدف اللّیل إذا أظلم و (النّصاب) الأصل و المرجع.

(و الشّغب) بسکون الغین المعجمة تهییج الشرّ من شغب الحقد شغبا من باب منع و فی لغة ضعیفة بالتحریک و ماضیها شغب بالکسر کفرح و (افرطنّ) بضم الهمزة من باب الافعال من أفرطت المزادة أی ملاتها، و یروی بفتح الهمزة و ضمّ الرّاء من فرط زید القوم أی سبقهم فهو فرط بالتحریک و (الماتح) المستقی من فوق و (العبّ) شرب الماء من غیر مصّ أو تتابع الجرع.

(الحسی) فی النّسخ بکسر الحاء و سکون السّین قال الشّارح المعتزلی:

ماء کامن فی رمل یحفر عنه فلیستخرج و جمعه أحساء و فی القاموس الحسی کالی سهل من الأرض یستنقع فیه الماء أو غلظ فوقه رمل یجمع ماء المطر و کلّما نزحت دلوا جمت اخری جمعه احساء و حساء و (العوذ) بالضمّ الحدیثات النتّاج من النوق و الظباء و کلّ انثی کالعوذ ان جمعا عائذ کحائل و حول و راع و رعیان و (المطافیل) کالمطافل جمع المطفل و زان محسن ذات الطّفل من الانس و الوحش و (التّألیب) التحریض و الافساد و (أحکم) الشیء أتقنه و (أبرم) الحبل جعله طاقین ثمّ فتله و أبرم الأمر أحکمه.

و (استتبتهما) فی بعض النّسخ بالثاء المثلّثة من ثاب یثوب أی رجع و منه المثابة للمنزل، لأنّ النّاس یرجعون إلیه فی أسفارهم و فی بعضها استتبتهما بالتاء المثناة من تاب یتوب أی طلبت منهما أن یتوبا و (استأنیت) من الاناة و استانی

بفلان انتظر به و (غمط) فلان بالنّعمة إذا لم يشكرها و حقّرها من باب ضرب و سمع

الاعراب

قال الشّارح المعتزلى: نصفا على حذف المضاف أى ذا نصف أى حكما منصفا عادلا يحكم بينى و بينهم.

أقول: و الأولى أن يقدّر المضاف المحذوف لفظ الحكم أى حكم نصف و عدل إذ على ما ذكره الشّارح يحتاج إلى حذف موصوف ذا و هو تكلف مستغنى عنه فتأمل و عن فى قوله: عن نصابه، إمّا بمعناها الأصلىّ أو بمعنى بعد كما فى قوله تعالى: عمّا قليل لتصبحنّ نادمين، و قوله: و لأفرطنّ لهم حوضا، قد مضى اعرابه فى شرح الخطبة العاشرة، و جملة أنا ماتحه، فى محلّ النّصب صفة لحوضا، و جملة لا يصدرون عنه حال من الضمير فى ماتحه، و البيعة البيعة، منصوبان على الاغراء

المعنى

اشارة

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السّلام كما نبّه عليه السيّد (ره) وارد فيمعنى طلحة و الزّبير أى القصد فيه متوجّه إليهما و الغرض منه تقريعهما و توبيخهما و توبيخ سائر أصحاب الجمل و ابطال ما نقموه عليه و ردّ ما تشبّثوا به فى خروجهم عن ربقة طاعته.

و أشار عليه السّلام إلى وجه البطلان بقوله (و اللّه ما أنكروا علىّ منكرا) قبيحا يعنى أنّ ما زعموه منكرا من قتل عثمان و التّسوية فى العطاء فليس هو بمنكر فى الواقع حتّى يرد علىّ إنكارهم، و إنّما حملهم على الانكار الحسد و حبّ الاستيثار بالدّنيا و التفضيل فى العطاء (و لا جعلوا بينى و بينهم نصفا) أى حكما عدلا (و انهم ليطلبون حقّا هم تركوه) قال الشّارح المعتزلى: أى يظهرون أنّهم يطلبون حقّا بخروجهم إلى البصرة و قد تركوا الحقّ بالمدينة، و قيل: المراد بالحقّ نصرة عثمان و إعانته

أقول: و الظـاهر أنه أراد بالحقّ حقّ القصاص، يعنى أنّهم يطلبون حقّ القود من قاتلى عثمان و لكنّهم هم الـذين تركوه حيث أمسـكوا النكير على قاتليه، فتقديم المسند إليه للتّخصيص ردّا عليهم إلى زعمهم انفراد أمير المؤمنين عليه السّلام و أصحابه بترک الحقّ.

و مثله قوله (و دما هم سـفكوه) أى لا غيرهم و أراد به دم عثمان، و يـدلّ على سـفكهم دمه و كونهم أشـدّ النّاس تحريضا عليه ما قـدّمناه فى شرح الخطبة الثانية و العشرين و الكلام الثلاثين.

و يـدلّ عليه أيضا ما رواه فى شـرح المعتزلى و غيره أنّ عثمان قال: ويلى على ابن الخضـرميّة، يعنى طلحة أعطينه كذا و كذا ذهبا و هو يروم دمى يحرض على نفسى اللّهم لا تمتّعه به.

قال الشّارح و روى النّاس الذين صـنفوا فى واقعة الدّار أنّ طلحة كان يوم قتل عثمان مقنّعا بثوب قد اسـتتر به عن أعين النّاس يرمى الدّار(1) السّـ هام، و أنّه لمّا امتنع على الّذين حصـروه الدّخول من باب الدّار حملهم طلحة إلى دار لبعض الأنصار فأصعدهم إلى سطحها و تسوّروا منها على عثمان داره فقتلوه.

و رووا أيضـا أنّ الزّبير كان يقول: اقتلوه فقـد بـدّل دينكم، فقالوا: إنّ ابنک يحامى عنه بالباب، فقال: ما أكره أن يقتل عثمان و لو بـدء بابنى إنّ عثمان لجيفـة على الصّـ راط غـدا، و قال مروان بن الحكم يوم الجمل: و اللّه لا أترک ثارى و أنا أراه و لأقتلنّ طلحـة بعثمان فانّه قتله ثمّ رماه بسهم فأصاب مأبضه(2) فنزف الدّم(3) حتّى مات.

فقـد ظهر من ذلـک أنّه لا ريب فى إغرائهم و تحريضـهم و دخولهم فى دم عثمان فلا يجوز لهم المطالبـة بـدمه منه، لأنّ دخولهم فيه إمّا أن يكون بالاشتراک، أو

1- (1) أى دار عثمان التى حصروه فيه، منه.

2- (2) المأبض كمجلس باطن الركبة و من البعير باطن المرفق، ق

3- (3) نزف فلان دمه اذا سال حتى يفرط، لغة

يكون بالاستقلال، و على التّقديرين فيبطل المطالبة.

أمّا على التّقدير الأول فلما أشار إليه بقوله (فان كنت شريكهم فيه فانّ لهم نصيبهم منه) و ليس لأحد الشّريكين أن يطالب الشّريک الآخر بل اللاّزم له أن يبدء بنفسه و يسلّمها إلى أولياء المقتول ثمّ بالشريک الآخر.

و أمّا على التّقدير الثّانى فلما أشار إليه بقوله (و إن كانوا و لوّه) و باشروه (دونى فما الطّلبة) أى المطلوب (إلاّ قبلهم) فاللاّزم عليهم أن يخصّوا أنفسهم بالمطالبة وحدهم (و إنّ أوّل عدلهم) الّذى جعلوه عذرا فى نقض البيعة و الخروج إلى البصرة حيث قالوا إنّما خرجنا للأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر و إقامة العدل و إماتة الباطل و إحياء الحقّ (للحكم على أنفسهم) و الانكار للمنكر الذى أتوا به و اقتصاص الدّم الذى هجموا عليه قبل الانكار، و الحكم على غيرهم لأنّ النّهى عن المنكر إنّما هو بعد التّناهى (و انّ معى لبصيرتى) و عقلى (ما لبّست و لا لبّس علىّ) و قد مضى معنى هذه الفقرة فى شرح الخطبة العاشرة.

و يحتمل احتمالا قويّا أن يكون المراد أنّه ما لبّست على نفسى و لا على النّاس أمرى و أمورهم و لم يلبس أيضا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الأمر علىّ بل ما أقدم عليه فى أمرى و أمر النّاس و ما أخبرنى به النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله هو الحقّ و بالاتباع أحقّ، و فى هذا الكلام تعريض عليهم بأنّهم غابت عنهم عقولهم و تاهت حلومهم، و أنّ ما أقدموا عليه أمر ملتبس، و أنّ خروجهم إنّما هو بهوى النّفس و النّاس مدلّسون ملبّسونثمّ قال:(و إنّها للفئة الباغية) يعنى أنّ هذه الفئة للفئة الّتى أخبرنى رسول اللّه ببغيها و خروجها علىّ حيث قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا تذهب اللّيالى و الأيام حتّى تتنابح كلاب ماء بالعراق يقال له الحوأب امرأة من نسائى فى فئة باغية، على ما تقدّم فى رواية الاحتجاج فى التّنبيه الثانى من شرح الكلام الثّالث عشر، و قد قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: له عليه السّلام غير مرّة أنّک ستقاتل النّاكثين و القاسطين و المارقين، أو ما هذا معناه.

و تقدّم فى شرح الفصل الخامس من الخطبة الثّالثة فى رواية غاية المرام

أنّ امّ سلمة قالت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يا رسول اللّه من النّاكثون؟ قال: الذين يبايعونه بالمدينة و ينكثون بالبصرة، و لسبق عهد هذه الفئة أتى بها معرّفة بلام العهد.

و قوله:(فيها الحماء و الحمة)قال الشارح البحرانى: استعارة للغلّ و الفساد الذى كان فى صدور هذه الفئة، و وجه الاستعارة استلزامه لتكدير الاسلام و إثارة الفتنة بين المسلمين كما تكدّر الحماة الماء و تخبثه و استلزامه للأذى و القتل كما يستلزم ذلک سمّ العقرب.

و قال الشّارح المعتزلى: أى فى هذه الفئة الفساد و الضّلال و الضّرر، و إذا أرادت العرب أن تعبّر عن الضّلال و الفساد قالت الحماء مثل الحماة بالتاء و يروى فيها الحما بألف مقصورة و هو كناية عن الزّبير لأنّ كلّ ما كان بسبب الرّجل فهم الأحماء واحدهم حما مثل قفا و أقفاء، و ما كان بسبب المرأة فهم الأحمات، و قد كان الزّبير من عمّة رسول اللّه و قد كان النّبى صلّى اللّه عليه و آله أعلم عليّا بأنّ فئة من المسلمين تبغى عليه أيّام خلافته فيها بعض زوجاته و بعض أحمائه فكنّى علىّ عليه السّلام عن الزّوجة بالحمة، و هى سمّ العقرب و ظهر أنّ الحماء الذى أخبر النّبى صلّى اللّه عليه و آله بخروجه مع هؤلاء البغاة هو الزّبير ابن عمّته.

أقول: و هذا ألطف ممّا ذكره البحرانى، و يؤيد ما قاله من أنّه كنّى عن الزّوجة بالحمة ما يرويه السيّد (ره) عنه فى أواخر الكتاب من قوله: المرأة عقرب حلوة اللّبسة، أى حلوة اللّسعة.

و قوله:(و الشبهة المغدفة) أى الشّبهة الخفية المستورة التى لبّسوا بها على أكثر النّاس من طلب دم عثمان و من روى بكسر الدّال فالمراد الشّبهة المظلمة اى الموقعة فى ظلمة الجهالة التى لم يهتد فيها أكثر الخلق حتّى قتلوا بسببها كما لا يهتدى فى ظلمة اللّيل.

ثمّ قال (و انّ الأمر لواضح) أى عند ذوى العقول لعلمهم بأنّى على الحقّ و أنّ الباغين علىّ على الباطل و أنّ خروجهم بعد بيعتهم إنّما هو لمحض الغلّ

و الحسد و الاستيثار بالدّنيا عن اتّباع الهوى (و قد راح) أى تنحّى و بعد (الباطل) أى باطلهم (عن نصابه) و أصله يعنى ما أتوا به من الباطل لا أصل له(و انقطع لسانه عن شغبه)استعارة بالكناية حيث شبّه الباطل بحيوان ذى لسان فأثبت له اللّسان تخييلا و ذكر الشّغب ترشيح.

و محصّل المراد أنّه بعد وضوح الأمر فىّ و فى أنّى على الحقّ لم يبق للباطل أصل و قد خرس و اعتقل لسانه عن تهيّج شرّه، و يحتمل أن يكون المرد بالباطل الباطل الّذى كان له رواج فى زمن المتخلّفين الثلاثة، أى قد زال الباطل بعد موتهم و بيعة النّاس إلىّ عن أصله و تزعزعت أركانه و انهدم بنيانه و انقطع لسانه بعد ما هيّج شرّه فلا اعتداد بنكث هؤلاء القوم و بغى هذه الباغية.

ثمّ هدّدهم بقوله (و أيم اللّه لأفرطنّ لهم حوضا أنا ماتحه) و قد سبق شرح هذه الفقرة فى شرح الخطبة العاشرة و قوله (لا يصدرون عنه برىّ) يعنى أنّ هذا الحوض ليس كسائر الحياض الحقيقية التى يردها الظّمان فيصدر عنها برىّ و يروى غلّته، بل الواردون إليه أن لا يعود (و لا يعبّون بعده فى حسى) أى لا يشربون بعده بارد الماء ابدا لهلاكهم و غرقهم فى ذلک الحوض.

و قال السيد (ره) (منها) هكذا فى أكثر ما عندنا من النّسخ، و الأولى منه بدله كما فى بعضها و لعلّ الأوّل من تحريف النّساخ لأنّ العنوان بقوله:

و من كلام، فلا وجه لتأنيث الضّمير الرّاجع إليه و الغرض بهذا الفصل تأكيد الاحتجاج على الفئة الباغية بنحو آخر و هو قوله:(فأقبلتم إلىّ)للبيعة مزدحمين منثالين(إقبال العوذ المطافيل)أى الوالدات الحديثات النتاج و ذات الطّفل على أولادها و تشبيه إقبالهم باقبالها لأنّها أكثر إقبالا و أشدّ عطفا و حنّة على أولادها.

(تقولون البيعة البيعة) أى هلمّ البيعة أقبل إليها و فائدة التكرار شدّة حرصهم إليها و فرط رغبتهم فيها (قبضت كفّى) و امتنعت (فبسطتموهاو نازعتكم يدى)من التّوسع فى الاسناد أى نازعتكم بيدى و تمنّعت (فجاذبتموها) فبايعتم عن جدّ و طوع منكم و كره و زهد منّى

ثمّ شكا إلى اللّه سبحانه من طلحة و الزّبير بقوله (اللّهمّ إنّهما قطعانى) أى قطعا رحمى لأنّهما كانت لهما رحم ماسة به عليه السّلام لكونهم جميعا من قريش مضافا إلى ما للزّبير من القرابة القريبة فانّه كان ابن عمّة أمير المؤمنين و امّه صفية بنت عبد المطّلب عليه السّلام (و ظلمانى) فى خروجهما إلىّ و مطالبة ما ليس لهما بحقّ (و نكثا بيعتى) و نقضاها (و ألبّا النّاس) و أفسداهم (علىّ).

ثمّ دعا عليهما بقوله (فاحلل ما عقدا) من العزوم الفاسدة الّتى أضمراها فى نفوسهم (و لا تحكم لهما ما أبرما) أى لا تجعل ما أبرماه و أحكماه فى أمر الحرب محكما مبرما (و أرهما المسائة فيما أمّلا و عملا) أى أرهما المسائة فى الدّنيا و الآخرة و لا تنلهما آمالهما و اجزهما السّوءى بأعمالهما و أفعالهما.

ثمّ اعتذر من قتاله معهما بانّه انّما قام بالقتال بعد اكمال النّصح و الموعظة و اتمام الحجّة قاصرا على البغى فيكون اللاّئمة فى ذلك راجعة اليهما لا إليه و الذّنب عليهما لا عليه و هو معنى قوله (و لقد استثبتهما قبل القتال) أى طلبت منهما أن يرجعا عن البغى أو يتوبا عن ذنبهما استعطافا لهما (و استأنيت بهما قبل الوقاع) أى تأنّيت و تثبّت بهما قبل وقاع الحرب لعلّهما يرجعا إلى الحقّ (ف) لم يقبلا نصحى و لم يسمعا قولى بل أصرّا على البغى و المخالفة و (غمطا النّعمة) اى استحقرا ما أنعم اللّه عليهما و هو قسمتهما من بيت المال و طلبا الزّيادة و التّوفير (و ردّا العافية) أى السّلامة فى الدّنيا و الدّين فكان عاقبتهما أنّهما فى النّار خالدين.

تنبيه

قال الشّارح المعتزلى فى شرح قوله عليه السّلام: اللّهم إنّهما قطعانى إلى قوله و عملا امّا و صفهما بما وصف به من القطع و الظلم و النّكث و التأليب فقد صدق عليه السّلام فيه، و أمّا دعاؤه فاستجيبت له و المسائة التى دعا بهما مسائة الدّنيا لا مسائة الآخرة، فانّ اللّه قد وعدهما على لسان رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالجنّة و إنّما استوجبا بالتوبة التى ينقلها أصحابنا عنهما فى كتبهم و لولاها لكانا من الهالكين.

ص:341

أقول: ظاهر قول الامام عليه السّلام و أرهما المسائة هو الاطلاق و تقييدها بمسائة الدنيا لا دليل عليه، و أمّا وعد اللّه لهما بالجنّة فغير ثابت و مدّعيه كاذب لأنّ المدّعى إنّما استند فيه إلى حديث العشرة الذى قدّمنا فى التذييل الثّانى من شرح الكلام الثالث و الأربعين ضعفه و بطلانه و أنّه ممّا تفرّد المخالفون بروايته.

و نزيد على ما قدّمنا ما قاله الشّيخ (ره) فى محكيّ كلامه من تلخيص الشافى عند الكلام على بطلان هذا الخبر إنّه لا يجوز أن يعلم اللّه مكلّفا ليس بمعصوم من الذّنوب بأنّ عاقبته الجنّة، لأنّ ذلك يغريه بالقبيح و ليس يمكن أحدا ادّعاء عصمة التّسعة و لو لم يكن إلاّ ما وقع من طلحة و الزّبير من الكبيرة لكفى، و قد ذكرنا أنّ هذا الخبر لو كان صحيحا لاحتجّ به أبو بكر لنفسه و احتجّ به له فى السقيفة و غيرها، و كذلک عمر و عثمان.

و ممّا يبيّن أيضا بطلانه إمساک طلحة و الزبير عن الاحتجاج به لما دعوا النّاس إلى نصرتهما و استنفارهم إلى الحرب معهما، و أىّ فضيلة أعظم و أفخم من الشّهادة لهما بالجنّة، و كيف يعدلان مع العلم و الحاجة عن ذكره إلاّ لأنّه باطل، و يمكن أن يسلّم مسلّم هذا الخبر و يحمله على الاستحقاق فى الحال لا العاقبة فكانّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أراد أنّهم يدخلون الجنّة إن وافوا بما هم عليه، و يكون الفائدة فى الخبر إعلامنا بأنّهم يستحقّون الثواب فى هذا الحال، هذا.

و أمّا قول الشّارح إنّهما استوجبا الجنّة بالتّوبة الّتى ينقلها أصحابنا عنهما ففيه إنّا قدّمنا فى شرح الكلام الثامن بطلان توبة الزّبير، و فى شرح الكلام الثانى عشر بطلان توبة طلحة، و أقول هنا: قال الشّيخ (ره) فى محكيّ كلامه من تلخيص الشافى بعد كلام طويل له على بطلان توبتهما تركناه حذرا من الاطالة و الاطناب ما لفظه:

و روى الشّعبى عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنه قال: ألا إنّ أئمه الكفر فى الاسلام خمسة: طلحة، و الزّبير، و معاوية، و عمرو بن العاص، و أبو موسى الأشعرى، و قد روى مثل ذلک عن عبد اللّه بن مسعود.

ص:342

و روى نوح بن درّاج عن محمّد بن مسلم عن حبّة العرنى قال: سمعت عليّا عليه السّلام حين برز أهل الجمل يقول: و اللّه لقد علمت صاحبة الهودج أنّ أهل الجمل ملعونون على لسان النّبى الامّى و قد خاب من افترى، و قد روى هذا المعنى بهذا اللّفظة أو بقريب منه من طرق مختلفة.

و روى البلادرى فى تاريخه باسناده عن جويرية بن أسماء أنّه قال: بلغنى أنّ الزبير حين ولى و لم يكن بسط يده بسيفه اعترضه عمّار بن ياسر بالرّمح و قال أين يا أبا عبد اللّه و أنت ما كنت بجبان و لكنى احسبک شككت؟ قال: و هو ذاک و مضى حتّى نزل بوادى السّباع فقتله ابن جرموز، و اعترافه بالشکّ يدلّ على خلاف التوبة لأنّه لو كان تائبا لقال له فى الجواب ما شككت بل تحقّقت انّک و صاحبک إلى الحقّ و أنا على الباطل و قد ندمت على ما كان منّى و أىّ توبة لشاکّ غير متحقّق.

فهذه الأخبار و ما شاكلها تعارض أخبارهم لو كان لها ظاهر يشهد بالتوبة، و إذا تعارضت الأخبار فى التوبة و الاصرار سقط الجميع و تمسكنا بما كنّا عليه من أحكام فسقهم و عظيم ذنبهم، و ليس لهم أن يقولوا إنّ كلّ ما رويتموه من طريق الآحاد و ذلک إنّ جميع أخبارهم بهذه المثابة، و كثير ممّا رويناه أظهر ممّا رووه و أفشى و إن كان من طريق الآحاد فالأمر ان سيّان.

و أمّا توبة طلحة فالأمر فيها أضيق على المخالف من توبة الزّبير، لأنّ طلحة قتل بين الصّفين مباشرا للحرب مجتهدا فيها و لم يرجع عنها حتّى أصابه السّهم فأتى على نفسه، و ادّعاء توبة مثل هذا مكابرة، و ليس لأحد أن يقول إنّه قال بعد ما أصابه السهم:

ندمت ندامة الكسعى لمّا رأت عيناه ما صنعت يداه

لأنّ هذا بعيد عن الصّواب و البيت المروىّ بأن يدلّ على خلاف التّوبة أولى لأنّه جعل ندامته ندامة الكسعى و خبر الكسعى معروف لأنّه ندم بحيث لا ينفعه النّدم و حيث فاته الأمر و خرج عن يده، و لو كان ندم طلحة واقعا على وجه التوبة

الصحیحة لم یكن مثل ندامة الكسعی، بل كان شبیها لندامة من تلافی ما فرط فیه علی وجه ینتفع به.

و روی حسین الأشفر عن یوسف البزاز عن جابر عن أبی جعفر علیه السّلام قال أمیر المؤمنین علیه السّلام لطلحة و هو صریع فقال: اقعدوه، فأقعد، فقال علیه السّلام: قد كان لک سابقة لكن دخل الشّیطان فی منخریک فأدخلک النّار، انتهی كلامه رفع مقامه و قد ظهر بذلک بطلان توبتهما كما توهّمه الشّارح المعتزلی وفاقا لأصحابه المعتزلة و تبیّن أنّهما فی النار خالدین ببغیهم علی الامام المبین، هذا.

و ندامة الكسعی یضرب بها المثل فیقال: أندم من الكسعی، و هو محارب بن قیس من بنی كسع حیّ من الیمن كان یرعی إبلا بواد معشب فرأی نبقة علی صخرة فأعجبته فقطعها و اتّخذ منها قوسا، فمرّت به قطعان من حمر الوحش لیلا فرمی عشرا فأنفذها و أخرج السّهم فأصاب الجبل فاری نارا فظنّ أنّه أخطا، ثمّ مرّ قطیع آخر فرماه كالأوّل و فعل ذلک مرارا فعمد إلی قوسه فكسره من حنقه، فلما أصبح و أی الحمر قتلن مضرّجة بالدّم فندم و عضّ إبهامه فقطعها

الترجمة

از جمله كلام آن امام أنام است علیه الصّلاة و السّلام در معنی و مقصودی كه متعلّق است بطلحه و زبیر و وارد است در مذمت و توبیخ ایشان و ابطال دعویشان در مطالبه خون عثمان می فرماید:

قسم بخدا انكار نكردند بر من فعل منكر قبیح را، و قرار ندادند در میان من و میان خودشان حكم عدلی را، و بدرستی كه ایشان طلب میكنند حقّی را كه خود آنها ترک كرده اند، و خونی را كه خود آنها ریخته اند آنرا، پس اگر باشم من شریک ایشان در آن خون پس بدرستی كه مر ایشان راست نصیبشان از آن خون، و اگر مباشر شدند آنرا بدون من پس نیست مطلوب ایشان مگر پیش خودشان، و بدرستی كه اول عدالت ایشان حكم كردن است بر خودشان، و بدرستی كه با من است بصیرت

ص:344

من تلبیس نکرده ام و تلبیس کرده نشده بر من، و بدرستی که این جماعت همان جماعت طاغیهٔ باغیه است که پیغمبر خدا صلّی اللّه علیه و آله خبر داده بود، در این جماعت است گل سیاه متغیر و زهر عقرب و شبههٔ صاحب ظلمت، و بدرستی که امر در این شبهه واضح است، و بتحقیق که کنار شده است باطل از أصل خود، و بریده شده زبان آن از برانگیختن شر و فساد خود، و سوگند بخدا هر آینه پر می سازم بجهت ایشان حوض جنگیرا که منم کشندهٔ آب آن در حالتی که بر نگردند از آن حوض سیراب و نیاشامند بعد از آن آب خوشگوار.

بعضی از این کلام در ردّ ایشانست بطرز آخر که می فرماید:

پس اقبال کردید بطرف من مثل اقبال شتران نوزایندگان صاحبان طفل بر اولاد خود در حالتی که می گفتید بیا ببیعت اقبال کن ببیعت، بهم گرفتم و قبض نمودم کف خود را پس بسط کردید شما آنرا، و منازعه کرد با شما دست من پس کشیدید دست مرا، پروردگارا بدرستی که طلحه و زبیر قطع رحم کردند از من و ظلم کردند بر من و شکستند بیعت مرا و تحریص و تحریک کردند خلق را بر محاربهٔ من، پس بگشای آنچه که بسته اند آن را از عزمهای فاسده، و محکم نساز از برای ایشان آنچه که استوار کرده اند آن را از رأیهای باطله، و بنمای بایشان پریشانی را در آنچه که امید دارند و در آنچه که عمل می آرند، و بتحقیق که طلب کردم از ایشان باز گشتن ایشان را از بغی و ظلم پیش از مقاتله، و منتظر شدم و توقّف نمودن بایشان پیش از محاربه، پس حقیر شمردند نعمت را و کفران نمودند و رد کردند سلامتی را و خود را بورطهٔ هلاکت أفکندند.

و من خطبة له عليه السّلام فی ذكر الملاحم و هی المأة و الثامنة

اشارة

و الثلاثون من المختار فی باب الخطب

و شرحها فی فصلین: الفصل الاول

اشارة

یعطف الهوی علی الهدی إذا عطفوا الهدی علی الهوی، و یعطف الرّأی علی القرآن إذا عطفوا القرآن علی الرّأی. منها:

حتّی تقوم الحرب بكم علی ساق بادیا نواجذها، مملوّة أخلافها، حلوا رضاعها، علقما عاقبتها، ألا و فی غد و سیأتی غد بما لا تعرفون، یأخذ الوالی من غیرها عمّالها علی مساوی أعمالها، و تخرج له الأرض أفالیذ كبدها، و تلقی إلیه سلما مقالیدها، فیریكم كیف عدل السّیرة، و یحیی میّت الكتاب و السّنّة.

اللغة

(السّاق) ما بین الركبة و القدم و الجمع سوق قال سبحانه: فطفق مسحا بالسّوق و الأعناق، و السّاق أیضا الشدّة و منه قوله تعالی: و یوم یكشف عن ساق، أی عن شدّة، قال الفیروزآبادی: و التفت السّاق بالسّاق آخر شدّة الدّنیا بأوّل شدّة الآخرة و (النّواجذ) أقصی الأضراص و (الأخلاف) جمع الخلف بالكسر

ص:346

كحمل و أحمال و هو من ذوات الخف و الظّلف كالثدى للانسان و (العلقم) الحفظل و قيل قثاء الحمار و يقال لكلّ شىء مرّ.

و (الأفاليذ) جمع أفلاذ و أفلاذ جمع فلذ و هى القطعة من الكبد، هكذا فى شرح المعتزلى، و فى المصباح للفيومى: الفلذة القطعة من الشىء و الجمع فلذ كسدرة و سدر، و قال الفيروزآبادى: الفلذ بالكسر كبد البعير و بهاء القطعة من الكبد و من الذّهب و الفضّة و اللّحم و الأفلاذ جمعها كالفلذ كعنب و من الأرض كنوزها و (الكبد) بفتح الكاف و كسرها و ككتف معروف و (المقاليد) المفاتيح

الاعراب

إذا ظرف للزّمان المستقبل و النّاصب فيها شرطها على مذهب المحقّقين فتكون بمنزلة متى و حيثما و ايّان و جزائها على قول الأكثرين كما عزاه إليهم ابن هشام و الأظهر هنا أن يكون ناصبها يعطف لحقّ التّقدم و لما حقّقه نجم الأئمة حيث قال: العامل فى متى و كلّ ظرف فيه معنى الشّرط شرطه على ما قال الأكثرون و لا يجوز أن يكون جزاؤه على ما قال بعضهم كما لا يجوز فى غير الظّروف أ لا ترى انک لا تقول أيّهم جاءک فاضرب، بنصب أيّهم، و أمّا العامل فى اذا فالأكثرون على أنّه جزاءه، و قال بعضهم: هو الشّرط كما فى متى و اخواتها، و الأولى أن نفصّل و نقول: إن تضمّن إذا معنى الشّرط فحكمه حكم اخواته فى متى و نحوها و إن لم يتضمّن نحو إذا غربت الشّمس جئتک بمعنى أجيئک وقت غروب الشّمس فالعامل هو الفعل الذى فى محلّ الجزاء و ان لم يكن جزاء فى الحقيقة دون الذى فى محلّ الشّرط و هو مخصّص للظّروف انتهى.

و من المعلوم أنّ إذا فى هذا المقام من قبيل إذا فى قوله: إذا غربت الشّمس جئتک، و ليس فيها معنى الشّرط، و الباء فى قوله: حتّى تقوم الحرب بكم بمعنى فى بدليل قوله تعالى لا تقم فيه أبدا لمسجد اسّس على التّقوى من أوّل يوم أحقّ أن تقوم فيه، فتكون للظرفيّة المجازيّة.

ص:347

و باديا و مملوّة و حلوا و علقما منصوبات على الحال و العامل تقوم، و المرفوعات بعدها فواعل و رفع علقما لما بعده مع كونه اسما جامدا لأنّه بمعنى المشتق، أى مريرة عاقبتها.

و قوله: فى غد متعلّق بقوله يأخذ، و تقدّمه للتّوسّع، و جملة و سيأتى غد بما لا تعرفون معترضة بين الظروف و المظروف، و سلما منصوب على الحال من فاعل تلقى و لا بأس بجموده لعدم شرطيّة الاشتقاق فى الحال أو لتأويله بالمشتق أى تلقى مستسلما منقادا كما فى قوله اجتهد و حدك أى متوحّدا، و قوله فيريكم كيف عدل السّيرة، الفاء فصيحة و كيف خبر مقدّم و هو ظرف عند سيبويه و موضعها نصب و ما بعدها مبتدأ و الجملة فى محلّ النّصب مفعول ثان ليريكم، و علق عنها العامل لأجل الاستفهام، و المعنى يريكم عدل السّيرة على أى نحو.

المعنى

اشارة

اعلم أنّ هذه الخطبة حسبما ذكره السّيد (ره) واردة فى ذكر الملاحم أى الوقايع العظيمة المتضمّنة للقتل و الاستيصال، و اتّفق الشراح على أنّ هذا الفصل منها اشارة إلى ظهور القائم المنتظر عجّل اللّه فرجه و سهل اللّه مخرجه و جعلنا اللّه فداه و منحنا اتّباع آثاره و هداه.

فقوله (يعطف الهوى على الهدى) يريد به أنه عليه السّلام إذا ظهر يردّ النفوس الهائرة عن سبيل اللّه التابعة لظلمات أهوائها عن طرقها الفاسدة و مذاهبها المختلفة إلى سلوك النّهج القويم و الصّراط المستقيم، فتهدى الامم بظهوره و تسفر الظّلم بنوره و ذلک (إذا عطفوا الهدى على الهوى) أى إذا ارتدّت تلك النّفوس عن اتّباع أنوار هدى اللّه تعالى فى سبيله الواضح إلى اتّباع أهوائها فيجدّد الشّريعة المحمّديّة بعد اندحاضها، و يبرم عقدها بعد انتقاضها، و يعيدها بعد ذهابها و انقراضها.

(و يعطف الرّأى على القرآن) أى يردّ الآراء الفاسدة المخالفة للقرآن

ص:348

عليه و يـأمر بالرّجوع إليه، و يأخـذ ما وافق الكتاب و طرح ما خالفه فى كلّ باب و ذلک (إذا عطفوا القرآن على الرّأى) و تأوّلوه على ما يطابق مذاهبهم المختلفة و آرائهم المتشـتّته فانّ فرق الاسـلام من المرجية و المشـبّهة و الكراميّة و القدرية و المعتزلة و غيرها قد تمسّک كلّ على مـذهبه الفاسـد و استشـهد على رأيه الكاسـد بآيات الكتاب و زعم أنّ ما رآه و دان به إنّما هو الحقّ و الصّواب مع أن كلاّ منهم قـد حاد عن سوى الصّـراط، و اعتسف فى طرفى التّفريط و الافراط، لعدو لهم عن قيّم القرآن، و استغنائهم عن خليفة الرّحمن، و تركهم السؤال عن أهل الذّكر و الرجوع إلى وليّ الأمر، و إنّما يعرف القرآن من خوطب به و من نزل ببيته، و هم أهل بيت النّبوّة و معدن الوحى و الرّسالة، فمن رجع فى تفسـيره إليهم كالشّـيعة الاماميّـة فقـد اهتـدى، و من اسـتغنى برأيه عنهم فقد ضلّ و غوى، و من فسّـره برأيه فليتبوّء مقعده النار، و ليتهيأ غضب الجبار.

و الفصل الثّانى منها اشارة إلى الفتن التى تظهر عند ظهور القائم عليه السّـلام و هو قوله عليه السّلام(حتّى تقوم الحرب بكم على ساق)أراد به اشتدادها و التحامها، قال الشّارح البحرانى و العلاّمة المجلسى: و قيامها على ساق كناية عن بلوغها غايتها فى الشدّة.

و أقول: و التّحقيق أنّه اريـد بالسّاق الشدّة فيكون تقوم بمعنى تثبت فيكون مجازا فى المفرد و يكون المجموع كناية عن اشـتدادها، و ان اريد بالسّاق ما بين القـدم و الرّكبـة فيكون الكلام من باب الاسـتعارة التّمثيليّة حيث شـبّه حال الحرب بحال من يقوم و لا يقعد، على حدّ قولهم للمتردّد: أراک تقدّم رجلا و تؤخّر اخرى، و لا تجوّز على ذلک فى شىء من مفرداته.

و كـذا لو قلنـا إنّ المجموع مركّب من تلـک المفردات موضوع للافـادة المركّب من معانيها، و لـم يسـتعمل فيه و اسـتعمل فى مشابهه على طريق التّمثيل بأن شبّه ثبات الحرب و استقرارها بصورة موهومة و هى قيامها على ساق، فعبّر عن المعنى

الأوّل بالمركّب الموضوع للمعنى الثّانى، كما ذهب عليه جماعة من الاصوليين من أنّ المركّبات موضوعة بازاء معانيها التركيبيّة كما أنّ المفردات موضوعة بازاء معانيها الافراديّة.

و يمكن أن يقال: إنّ الحرب نزلت منزلة انسان ذى ساق على سبيل الاستعارة بالكناية، و يكون ذكر السّاق تخييلا و القيام ترشيحا و كيف كان فالمراد الاشارة إلى شدّتها.

و هو المراد أيضا بقوله(باديا نواجذها)لأنّ بدو النّواجذ و ظهورها من أوصاف الأسد عند غضبه و افتراسه، فأثبته للحرب على سبيل التخييل بعد تنزيلها منزلة الأسد المغضب باعتبار الشدّة و الأذى على الاستعارة بالكناية.

و قال الشّارح المعتزلى: و الكلام كناية عن بلوغ الحرب غايتها كما أنّ غاية الضّحک أن تبدو النّواجذ، و اعترض عليه البحرانى بأنّ هذا و إن كان محتملا إلاّ أنّ الحرب مظنّة إقبال الغضب لا إقبال الضّحک فكان الأوّل أنسب، أقول:

و يستظهر الثانى بجعله من باب التّهكم.

و قوله(مملوّة أخلافها)تأكيد ثالث لشدّتها نزّلها منزلة الناقة ذات اللّبن فى استعدادها و استكمالها عدّتها و رحالها كما تستكمل النّاقة باللّبن و تهيّئوه لولدها، و ذكر الأخلاف تخييل و المملوّة ترشيح.

و أراد بقوله:(حلوا رضاعها و علقما عاقبتها) أنّها عند اقبالها تستلذّ و تستحلى بطمع الظّفر على الأقران و الغلبة على الشجعان، و يكون آخرها مرّا لأنّه القتل و الهلاک، و مصير الاكثر إلى النّار، و بئس القرار و فى هذا المعنى قال الشّاعر:

الحرب أوّل ما تكون فتية تسعى بزينتها لكلّ جهول

حتّى إذا اشتعلت و شبّ ضرامها عادت عجوزا غير ذات خليل

شمطاء جزّت رأسها و تنكّرت مكروهة للشمّ و التقبيل

ثمّ أشار إلى بعض سيرة القائم فقال (ألا و فى غد و سيأتى غد بما لا تعرفون)

تنبيه على عظم شأن الغد الموعود بمجيئه و على معرفته بما لا يعرفون (يأخذ) أى يؤاخذ (الوالى من غيرها عمالها على مساوى أعمالها) قال الشّارح المعتزلى هـذا الكلام منقطع عمّا قبله، و قـد كان تقـدّم ذكر طائفـة من النّاس ذات ملك و امرة فذكر عليه السّلام أنّ الوالى من غير تلك الطائفة يعنى الامام الذى يخلفه فى آخر الزمان يأخذ عمّال هذه الطائفة بسوء أعمالهم أى يؤاخذهم بذنوبهم.

أقول: و من هذه المؤاخذة ما ورد فى رواية أبى بصـير و من غيره من أنّه عليه السّلام إذا ظهر أخذ مفتاح الكعبة من بنى شيبة و قطع أيديهم و علّقها بالكعبة و كتب عليها هؤلاء سرّاق الكعبة.

و ورد الأخبار أيضا بملك الجبابرة و الولاة السّوء عنـد ظهوره عليه السّلام فى النبوى الـذى رواه كاشف الغمّة من كتاب كفاية الطّالب عن الحافظ أبى نعيم فى فوائده و الطّبرانى فى معجمه الأكبر عن جابر بن عبد اللّه أنّ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله قال: سيكون بعدى خلفاء و من بعد الخلفاء أمراء و من بعد الامراء ملوك جبابرة، ثمّ يخرج المهدى من أهل بيتى يملاها عدلا كما ملئت جورا.

(و تخرج له الأرض أفاليـذ كبـدها) اسـتعار لفظ الكبـد لكنوز الأرض و خزائنها و الجامع مشابهة الكنوز للكبد فى الخفاء و بذلک الاخراج فسّر قوله تعالى:

و أخرجت الأرض أثقالها، فى بعض التّفاسـير (و تلقى إليه سـلما) أى منقادا(مقاليدها)و مفاتيحها قال الشّارح البحرانى: أسـند لفظ الالقاء إلى الأرض مجازا لأنّ الملقى للمقاليد مسالما هو أهل الأرض و كنّى بذلک عن طاعتهم و انقيادهم أجمعين لأوامره و تحت حكمه.

أقول: و الأقرب أن يراد بالقاء المقاليد فتح المداين و الأمصار.

و قـد اشـير إليهما أعنى إخراج الكنوز و إلقاء المقاليد فى رواية نبويّة عاميّة و هى ما رواه فى كشف الغمّة عن الحافظ أبى نعيم أحمد بن أبى عبد اللّه باسناده عن أبى أمامة الباهلى قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: بينكم و بين الروم أربع هدن يوم

الرّابعة على يد رجل من آل هرقل يدوم سبع سنين فقال له رجل من عبد القيس يقال له للمستورد بن غيلان: يا رسول اللّه من إمام النّاس يومئذ؟ قال: المهدى من ولدى ابن أربعين سنة كان وجهه كوكب درّى فى خدّه الأيمن خال أسود عليه عبائتان قطوا نيّتان كأنّه رجال من بنى إسرائيل يستخرج الكنوز و يفتح مدائن الشّرك.

(فيريكم كيف عدل السيرة) أى العدل فى السيرة أو السيرة العادلة (و يحيى ميّت الكتاب و السّنة) أى يعمل بهما و يحمل النّاس على أحكامهما بعد اندراس أثرهما و هو إشارة إلى بعض سيرته عليه السّلام عند قيامه و طريقة أحكامه.

و قد اشير إلى نبذ منها و من علامات ظهورها فيما رواه كاشف الغمّة عن الشّيخ المفيد (ره) فى كتاب الارشاد قال: قال: فأمّا سيرته عليه السّلام عند قيامه و طريقة أحكامه و ما يبيّنه اللّه تعالى من آياته فقد جاءت الآثار به حسب ما قدّمناه.

فروى المفضّل بن عمر الجعفى قال: سمعت أبا عبد اللّه جعفر بن محمّد عليهما السّلام يقول: إذا أذن اللّه تعالى للقائم فى الخروج صعد المنبر فدعى النّاس إلى نفسه و ناشدهم اللّه و دعاهم إلى حقّه و أن يسير فيهم بسنّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يعمل فيهم بعمله، فيبعث اللّه تعالى جبرئيل حتّى يأتيه فنزل على الحطيم و يقول له: إلى أىّ شىء تدعو؟ فيخبره القائم عليه السّلام، فيقول جبرئيل أنا أوّل من يبايعك و ابسط يدك فيمسح على يده و قد وافاه ثلاثمائة و سبعة عشر رجلا فيبايعونه و يقيم بمكّة حتّى يتمّ أصحابه عشرة آلاف و روى محمّد بن عجلان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إذا قام القائم عليه السّلام دعى النّاس إلى الاسلام جديدا، و هديهم إلى أمر قد دثر فضلّ عنه الجمهور، و إنّما سمّى القائم مهديّا لأنّه هدى إلى أمر مضلول عنه، و سمّى بالقائم لقيامه بالحقّ.

و روى أبو بصير قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: إذا قام القائم هدم المسجد الحرام

حتّى يردّه إلى أساسه، و حوّل المقام إلى الموضع الذى كان فيه، و قطع أيدى بنى شيبة و علّقها بالكعبة، و كتب عليها هؤلاء سرّاق الكعبة.

و روى أبو الجارود عن أبى جعفر عليه السّلام فى حديث طويل أنّه إذا قام القائم فيخرج منها بضعة عشر ألف أنفس يدعون التبرية، عليهم السّلاح، فيقولون له:

ارجع من حيث جئت فلا حاجة بنا إلى بنى فاطمة، فيضع عليهم السّيف حتّى يأتى إلى آخرهم ثمّ يدخل الكوفة فيقتل فيها كلّ منافق مرتاب، و يهدم قصورها و يقتل مقتاتلها حتّى يرضى اللّه عزّ و جلّ.

و روى أبو خديجة عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنّه قال: إذا قام القائم جاء بأمر جديد كما دعى رسول اللّه فى بدو الاسلام إلى أمر جديد.

و روى علىّ بن عقبة عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إذا قام القائم حكم بالعدل و ارتفع فى أيّامه الجور و امنت به السبل و اخرجت الأرض بركاتها و ردّ كلّ حقّ إلى أهله و لم يبق أهل دين حتّى يظهروا الاسلام و يعترفوا بالايمان أما سمعت اللّه عزّ و جلّ يقول:

و له أسلم من فى السّموات و الأرض طوعا و كرها و إليه يرجعون، و حكم فى النّاس بحكم داود و حكم محمّد صلّى اللّه عليهما فحينئذ يظهر الأرض كنوزها و تبدى بركاتها فلا يجد الرّجل منكم يومئذ موضعا لصدقته و لا لبرّه، لشمول الغنى جميع المؤمنين ثمّ قال عليه السّلام إنّ دولتنا آخر الدّول و لم يبق أهل بيت لهم دولة إلاّ ملكوا قبلنا لئلاّ يقولوا إذا رأو سيرتنا إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، و هو قول اللّه عزّ و جلّ:

و العاقبة للمتّقين.

و روى كاشف الغمّة أيضا عن الشّيخ الطبرسى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: المنصور القائم منّا منصور بالرّعب، مؤيّد بالنّصر، تطوى له الأرض، و تظهر له الكنوز و يبلغ سلطانه المشرق و المغرب و يظهر اللّه دينه على الدّين كلّه و لو كره المشركون فلا يبقى على وجه الأرض خراب إلاّ عمّر، و ينزل روح اللّه عيسى بن مريم فيصلّى خلفه.

قال الرّاوى: فقلت يابن رسول اللّه و متى يخرج قائمكم؟ قال: إذا تشبّه

الرّجال بالنّساء و النّساء بالرجال و اكتفى الرّجال بالرجال و النّساء بالنساء، و ركب ذوات الفروج السّروج، و قبلت شهادة الزّور و ردّت شهادات العدل، و استخفّ الناس بالرّياء و ارتكاب الزّناء و أكل الرّبا، و اتقى الأشرار مخافة ألسنتهم، و خرج السّفيانى من الشّام، و اليمانى من اليمن، و خسف بالبيداء، و قتل غلام من آل محمّد بين الرّكن و المقام و اسمه محمّد بن الحسن النّفس الزكيّة، و جاءت صيحة من السّماء بأنّ الحقّ معه و مع شيعته، فعند ذلك خروج قائمنا، فاذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة و اجتمع عليه ثلاثمأة و ثلاثة عشر رجلا، فأوّل ما ينطق به هذه الآية:

بقيّة اللّه خير لكم إن كنتم مؤمنين، ثمّ يقول: أنا بقية اللّه و خليفته و حجّته عليكم فلا يسلّم عليه مسلّم إلاّ قال: السّلام عليك يا بقيّة اللّه فى الأرض، فاذا اجتمع له العدّة عشرة آلاف رجل فلا يبقى فى الأرض معبود من دون اللّه من صنم إلاّ وقعت فيه نار فاحترق، و ذلك بعد غيبة طويلة ليعلم اللّه من يطيعه بالغيب و يؤمن به.

تنبيه

قال الشّارح المعتزلى فى شرح هذا الفصل من الخطبة: هذا اشارة إلى إمام يخلقه اللّه تعالى فى آخر الزّمان و هو الموعود به فى الأخبار و الآثار انتهى.

أقول: لا خلاف بين العامّة و الخاصّة فى أنّ اللّه يبعث فى آخر الزّمان حجّة يملاء الأرض قسطا و عدلا بعد ما ملئت ظلما و جورا، و أنّه المهدى من أولاد فاطمة سلام اللّه عليها، و إنّما وقع الخلاف فى وقت ولادته و تعيين أمّه و أبيه.

فذهب العامة إلى أنّه يخلقه اللّه فى مستقبل الزّمان و أنّه غير موجود الآن استنادا إلى حجج ضعيفة و وجوه سخيفة مذكورة فى محالّها، و عمدة أدلّتهم استبعاد طول عمره الشّريف، فانّ بنية الانسان على ما هو المشاهد بالعيان يأخذها السّن و يهدمها طول العمر و العناصر لا يبقى تركيبها أزيد من العمر المتعارف.

و ذهبت الخاصّة إلى أنّه الامام الثانى عشر صاحب الزّمان محمّد بن الامام حسن العسكرى ابن الامام على الهادى ابن الامام محمّد الجواد ابن علىّ الرّضا ابن

الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصّادق ابن الامام محمّد الباقر ابن الامام علىّ زين العابدين ابن الامام الحسين الشّهيد ابن الامام علىّ بن أبى طالب عليهم السّلام، و امّه نرجس امّ ولد و أنّه حىّ موجود الآن غائب عن أعين النّاس لمصالح اقتضت غيبته.

فإمامته و غيبته من ضروريّات مذهب الاماميّة و عليه دلّت الأخبار المتواترة من طرقهم و من طرق العامّة، و قد دوّنوا فيها أى فى الغيبة الكتب، و صنّفوا فيها التصانيف مثل كتاب محمّد بن إبراهيم النعمانى الشهير بالغيبة، و كتاب الغيبة للشيخ أبى جعفر الطوسى و كتاب إكمال الدّين و إتمام النّعمة للشّيخ الصّدوق، و المجلّد الثالث عشر من بحار الأنوار للمحدّث العلاّمة المجلسى و غيرها.

بل من العامة من صرّح بتواتر الأخبار عندهم بذلک و استدلّ على إمامته بروايات كثيرة و براهين محكمة: مثل الشّيخ أبى عبد اللّه محمّد بن يوسف بن محمّد الگنجى الشّافعى فى كتاب البيان فى أخبار صاحب الزّمان فى الجواب عن الاعتراض فى الغيبة، و كمال الدّين أبو عبد اللّه محمّد بن طلحة بن محمّد بن الحسن النصيبى الشافعى فى كتاب مطالب السؤول فى مناقب الرّسول، و إبراهيم بن محمّد الحموينى فى كتاب فرايد السّمطين فى فضل المرتضى و البتول و السّبطين.

و قد أورد المحدّث العلامة السّيد هاشم البحرانى أكثر ما أورده فى كتاب غاية المرام و كذلک علىّ بن عيسى الإربلى فى كشف الغمّة، و قد كفانا سلفنا الصّالحون و مشايخنا الماضون مؤنة الاستدلال فى هذا المقال، و قد أوردوا فى كتبهم شبه العامّة و أجابوا عنها بوجوه شافية وافية، و لا حاجة بنا إلى ايرادها إلاّ الجواب عن قولم:

إنّه لا يمكن أن يكون فى العالم بشر له من السّنّ ما تصفونه لامامكم و هو مع ذلک كامل العقل صحيح الحسّ.

و محصّل الجواب أنّ من لزم طريق النّظر و فرّق بين المقدور و المحال لم ينكر ذلک إلاّ أن يعدل عن الانصاف إلى العناد و الخلاف، لأنّ تطاول الزّمان للدّنيا فى وجود الحياة و مرور الأوقات لا تأثير له فى القدرة، و من قرء الأخبار و نظر فى كتاب المعمّرين علم أنّ ذلک ممّا جرت العادة به، و قد نطق الكتاب

الکريم بـذکر نوح و أنّه لبث فى قومه ألف سـنة إلاـّ خمسـين عامـا، و قـد تظافرت الأخبار بأنّ أطول بنى آدم عمرا الخضـر عليه السّـلام، و أجمعت الشّـيعة و أصحاب الحديث بل الامّة بأسرها ما خلا المعتزلة و الخوارج على أنّه موجود فى هذا الزّمان کامل العقل صحيح الحسّ معتدل المزاج، و وافقهم على ذلک أکثر أهل الکتاب.

و فى حديث الصّدوق باسـناده عن الصّادق عليه السّلام و أمّا العبد الصّالح أعنى الخضر عليه السّلام فانّ اللّه ما طوّل عمره لنبوّة قدّرها له، و لا کتاب نزّله عليه، و لا لشـريعة ينسخ بها شـريعة من کان قبله من الأنبياء و لا لامامة يلزم عباده الاقتداء بها، و لا لطاعة يفرضـها له، بل إنّ اللّه تبارک و تعالى لما کان فى سابق علمه أن يقـدّر من عمر القائم ما يقـدّر من عمر الخضـر، و ما قدّر فى أيّام غيبته ما قدّر و علم ما يکون من انکار عباده بمقـدار ذلک العمر فى الطّول، قدّر عمر العبد الصّالح فى غير سـبب يوجب ذلک إلاّ لعلّة الاسـتدلال به على عمر القائم، و ليقطع بذلک حجّة المعاندين، لئلاّ يکون للنّاس على اللّه حجّة.

و لا خلاف أيضا أنّ سـلمان الفارسـى أدرک رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و قد قارب أربعمائة سـنة، فهب أنّ المعتزلة و الخوارج يحملون أنفسـهم على دفع الأخبـار فکيف يمکنهم دفع القرآن فى عمر نوح و فى دوام أهـل الجنّـة و النّـار، و لو کـان ذلک منکرا من جهة العقول لما جاء به القرآن، فمن اعترف بالخضر عليه السّلام لم يصحّ منه هذا الاستبعاد، و من أنکره فحجّته الأخبار و الآثار المنبئة عن طول عمر المعمّرين زائدا على قدر المعتاد المتعارف.

و قال محمّد بن يوسف بن محمّد الگنجى الشافعى: و أمّا بقاء المهدىّ عليه السّـلام فقد جاء فى الکتاب و السّـنة، أمّا الکتاب فقد قال سعيد بن جبير فى تفسير قوله عزّ و جل:

ليظهره على الدّين کلّه و لو کره المشـرکون، قال: هو المهدى عليه السّـلام من عترة فاطمة، و قد قال مقاتل بن سـليمان فى تفسـير قوله عزّ و جل: و إنّه لعلم للسّاعة، قال هو المهدىّ يکون فى آخر الزّمان و يکون بعد خروجه قيام السّاعة و اماراتها و أمّا السّنة فقد تقدّم فى کتابنا هذا من الأحاديث الصحيحة الصّريحة انتهى.

ص:356

و لا ـ حاجة بنا إلى اطالة الكلام فى هذا المقام و ذكر وجوه النقض و الابرام، لأنّ فى كتب علمائنا الصّالحين هداية للمسترشد، و غنية للطالب، و إبطالا لقول المنكر المجاحد، و لنعم ما قيل فيه عليه السّلام:

بهم عرف النّاس الهدى فهداهم يضلّ الّذى يقلى و يهدى الذى يهوى

موالاتهم فرض و حبّهم هدى و طاعتهم قربى و ودّهم تقوى

الترجمة

از جمله خطب شريفه آن امام عاليمقام است در ذكر واقعات عظيمه و فتن كثيره كه واقع مى شود در زمان آينده در وقت ظهور امام زمان و ولىّ حضرت سبحان عجّل اللّه فرجه مى فرمايد كه:

بر مى گرداند صاحب الزّمان عليه السّلام هواى نفس مردمان را بر هدايت در زمانى كه بر گردانند هدايت را بر هوى، و بر مى گرداند رأى خلق را بر طبق قرآن در وقتى كه برگردانند قرآن را بر طبق رأى.

بعضى از اين خطبهٔ اشارتست بشدّة أيام ظهور آن بزرگوار مى فرمايد:

تا اين كه قائم شود محاربه بشما بر ساق خود در حالتى كه كه ظاهر شده باشد دندانهاى آن حرب چون شير غضبناک، و در حالتى كه پر شده باشد پستانهاى آن و شيرين باشد شيردادن آن و تلخ باشد عاقبت آن، آگاه باشيد در فردا و زود باشد بيايد فردا بحيثيتى كه نمى شناسيد شما مؤاخذه ميكند والى كه از غير آن طائفه است كه در روى زمين سلطنت مى نمايند عمّال و امراء ايشان را بر بديهاى عملهاى ايشان، و خارج ميكند از براى آن بزرگوار زمين جگرپارها يعنى خزائن و دفائن خود را، و بيندازد بسوى او در حالتى كه اطاعت كنندهٔ است كليدهاى خود را، پس بنمايد بشما كه چگونه است عدالت در روش مملكت دارى و رعيّت پرورى، و زنده كند مردهٔ كتاب خدا و سنت خاتم الأنبياء را، يعنى أحكام متروكهٔ قرآن و سنّت نبوى را احيا مى نمايد، و رواج مى دهد و بر پا مى دارد.

ص:357

الفصل الثانی منها

اشارة

کأنّی قـد نعق بالشّام، و فحص برایاته فی ضواحی کوفان، فعطف علیها عطف الضّـروس، و فرش الأرض بالرّؤوس قد فغرت فاغرته، و ثقلت فی الأـرض وطـأته، بعیـد الجولـة، عظیم الصّولـة، و اللّه لیشـرّدنّکم فی أطراف الأرض حتّی لا یبقی منکم إلاّ قلیل کالکحل فی العین، فلا تزالون کذلک حتّی تؤب إلی العرب عوازب أحلامها، فالزموا السّـنن القائمة، و الآثار البیّنة، و العهد القریب الّذی علیه باقی النّبوّة، و اعلموا أنّ الشّیطان إنّما یسنّی لکم طرقه لتتّبعوا عقبه.

اللغة

(نعق) الرّاعی ینعق من بـاب ضـرب نعیقـا صـاح بغنمه و زجرها و (فحصت) عن الشّـیء و تفحّصت استقصـیت فی البحث عنه، و فحص المطر التّراب قلبه و فحص فلان أسـرع و (ضواحی) البلد نواحیه البارزة لأنّها تضحی و قیل ما قرب منه من القری و (الضّروس) النّاقة السّیئة الخلق و (فغر) الفم فغرا من باب نفع انفتح و فغرته فتحته یتعدّی و لا یتعدّی و (شـرد) البعیر شـرودا من باب قعد ندّ و نفر و شرّدته تشریدا و (عزب) الشـیء عزوبا من باب قعد أیضا بعد و عزب من بابی قتل و ضـرب غاب و خفی فهو عازب و الجمع عوازب و (سنّاه) تسنیة سهّله و فتحه و (العقب) مؤخر القدم.

الاعراب

الباء فی قوله: بالشام، بمعنی فی، و فی قوله: و فحص برایاته، للمصاحبة

ص:358

أو زائدة و قال الشّارح المعتزلی: ههنا مفعول محذوف تقديره و فحص النّاس براياته أی نحاهم و قلبهم يمينا و شمالا.

أقول: إن كان فحص بمعنی أسرع فلا حاجة إلی حذف المفعول و علی جعله بمعنی قلب فيمكن جعل براياته مفعولا و الباء فيها زائدة، و قوله: بعيد الجولة منصوب علی الحال و كذلک عظيم الصّولة و يرويان بالرفع فيكونان خبرين لمبتدأ محذوف، و إضافتها لفظيّة لأنّها من إضافة الصّفة إلی فاعلها.

قال نجم الأئمة الرّضی: و أمّا الصفة المشبّهة فهی أبدا جائزة العمل، فاضافتها أبدا لفظيّة، و الفاء فی قوله: فالزموا فصيحة.

المعنی

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السّلام الظاهر أنّه اشارة إلی السّفيانی كما استظهره المحدّث العلاّمة المجلسی طاب ثراه، و قال أكثر الشّراح إنّه إخبار عن عبد الملک بن مروان، و ذلک لأنّه ظهر بالشّام حين جعله أبوه الخليفة من بعده و سار لقتال مصعب بن الزبير إلی الكوفة بعد قتل مصعب مختار بن أبی عبيدة الثقفی فالتقوا بأرض مسكن بكسر الكاف من نواحی الكوفة، ثمّ قتل مصعبا و دخل الكوفة فبايعه أهلها، و بعث الحجّاج بن يوسف إلی عبد اللّه بن الزّبير بمكّة فقتله و هدم الكعبة و ذلک سنة ثلاث و سبعين من الهجرة، و قتل خلقا عظيما من العرب فی وقايع عبد الرّحمن بن الأشعث.

إذا عرفت ذلک فلنعد إلی شرح كلامه عليه السّلام فنقول قوله (كأنّی به) أی كانّی ابصر بالشخص الذی يظهر و أراه رأی العين (قد نعق) و صاح بجيشه للشخوص (بالشّام و فحص) أی أسرع (براياته فی صواحی كوفان) أی أطراف الكوفة و نواحيها البارزة(فعطف عليها عطف الضّروس)شبّه عطفه أی حمله بعطف النّاقة السّيئة الخلق التی تعضّ حالبها لشدة الغضب و الأذی الحاصل منه كما فيه.

(و فرش الأرض بالرّؤوس) استعارة تبعيّة أی غطّاها بها كما يغطی المكان

ص:359

بـالفراش، أو اسـتعارة بالكنايـة حيث شـبّه الرّؤوس بـالفراش فى كون كـلّ منهما ساترا لوجه الأرض و مغطيّا لها فيكون ذكر فرش تخييلا و الأظهر جعله كنايـة عن كثرة القتلى فيها (قد فغرت فاغرته) اسـتعارة بالكناية حيث شـبّه بالسّبع الضارى يصول و ينفتح فمه عند الصّيال و الغضب فاثبت الفغر تخييلا.

(و ثقلت فى الأرض وطأته) كنايـة عن استيلائه و تمكنه فى الأرض لا عن ظلمه و جوره كما توهّمه الشّارح المعتزلى إذ لا ملازمـة بين ثقل الوطى و الجور عرفا كما هو ظاهر (بعيـد الجولة) أى جولان خيوله و جيوشه فى البلاد و اتساع ملكه أو جولان رجاله فى الحروب بحيث لا يتعقّبه السكون (عظيم الصّولة) أى صياله فى القتال.

و لما فرغ من صـفاته العامّـة أشار إلى ما يفعله بهم مفتتحا بالقسم البارّ تحقيقا لوقوع المخبر به و تحقّقه لا محالة فقال(و اللّه ليشـردّنكم)أى يطردنكم و يـذهبنّ بكم(فى أطراف الأرض حتّى لا يبقى منكم إلاّ قليل كالكحل فى العين)شـبّه النّاجى من شـرّهم بالكحل بالاشتراك فى القلّـة (فلا تزالون كـذلك) مشـرّدين مطرودين منقضـين محتقرين (حتّى تؤب) و ترجع (إلى العرب عوازب أحلامها) أى ما كان ذهب من عقولهم العملية فى نظام أحوالهم و انتظام امورهم.

قال الشارح المعتزلى: و العرب ههنا بنو العبّاس و من اتّبعهم من العرب أيّام ظهور الدّولة كقحطبة بن شبيب الطّائى و ابنيه حميد و الحسـن و كبنى رزيق بتقديم الراء المهملة منهم طاهر بن الحسين و إسحاق بن إبراهيم المصعبى و عدادهم فى خزاعة و غيرهم من العرب من شيعة بنى العبّاس و قد قيل إنّ أبا مسـلم أيضا عربىّ أصـله، و كلّ هؤلاء و آباؤهم كانوا مستضعفين مقهورين مغمورين فى دولة بنى اميّة لم ينهض منهم نـاهض و لا ـ وثب إلى الملـك واثب إلى أن أفـاء اللّه تعـالى هؤلاـء ما كان ذهب و عزب عنهم من إبائهم و حميتهم فغاروا للـدّين و المسلمين من جور بنى مروان و ظلمهم و قاموا بالأمر و أزالوا تلك الدّولة التى كرهها اللّه تعالى و أذن فى انتقالها.

ص:360

ثمّ أمرهم باتّباع السّنة النبويّة و سلوک جادّة الشّريعة بقوله (فالزموا السّنن القائمة و الآثار البيّنة) أی الواضحة الرّشد (و العهد القريب الذی عليه باقی النّبوة) يعنی عهده و أيّامه عليه السّلام.

قال الشّارح المعتزلی: و كأنه عليه السّلام خاف من أن يكونوا باخباره لهم بأنّ دولة هذا الجبّار تنقضی إذا آبت إلى العرب عوازب أحلامها يتوهّمون وجوب اتّباع ولاة الدّولة الجديدة فی كلّ ما تفعله، فوصّيهم بهذه الوصيّة، أنّه إذا تبدّلت تلک الدّولة فالزموا الكتاب و السنّة و العهد الّذی فارقتكم عليه.

ثمّ نبّه على خدع الشيطان و تسهيله طرق المعاصی ليتنبّهوا عليها و يحذروا منها فقال (و اعلموا أن الشّيطان يسنی) و يسهل (لكم طرقه لتتّبعوا عقبه) حتّى يوقعكم فی العذاب الأليم و الخزی العظيم.

الترجمة

اين فصل از خطبه اشارتست بفتنهٔ سفيانی كه قبل از ظهور امام زمان عليه السّلام خروج خواهد كرد، يا بفتنهٔ عبد الملک بن مروان عليه اللّعنة و النّيران می فرمايد كه:

گويا می نگرم باو در حالتی كه فرياد كند در شام و بر گرداند علمهای خود را يا سرعت می كند با علمهای خود در أطراف شهر كوفه، پس حمله می كند بر آن أطراف مثل حمله كردن ناقهٔ بد خلق گزنده بدندان بر دوشندگان خود، و فرش ميكند زمين را با سرهای مردمان در حالتی كه گشاده شود دهان او بجهت استيصال قبائل مثل سبع صائل، و سنگين باشد در زمين قدم نهادن او و در حالتی كه دور و دراز باشد جولان او در شهرها، و بزرگ باشد حملهٔ او، قسم بذات پاک خدا كه كه البته پراكنده گرداند شما را در أطراف زمين بظلم و جفاء تا اين كه باقی نماند از شما مگر اندكی مانند سرمه در چشم، پس ثابت می باشيد تا اين كه باز گردد

بسوی جماعت عرب عقلهای غایب شدۀ ایشان، و چون که حال بر این منوال باشد پس لازم شوید بر سنّتهای ثابته، و نشانهای واضحه و بر عهـد و پیمـان نزدیک که بر او است باقی پیغمبری، و بدانیـد که بـدرستی شـیطان ملعون جز این نیست که آسان می گردانـد از برای شـما راههای خود را تا تبعیّت نمائید در عقب او.

و من كلام له عليه السّلام فى وقت الشورى و هو المأة

اشارة

و التاسع و الثلاثون من المختار فى باب الخطب

لن يسرع أحد قبلى إلى دعوة حقّ، و صلة رحم، و عائدة كرم، فاسمعوا قولى، و عوا منطقى، عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا اليوم تنتضى فيه السّيوف، و تخان فيه العهود، حتّى يكون بعضكم أئمّة لأهل الضّلالة، و شيعة لأهل الجهالة.

اللغة

(العائـدة) المعروف و الصّلة و العطف و المنفعة و منه يقال: فلان كثير العائدة و هذا أعود أى أنفع و (عوا) جمع ع أمر من وعيت الحديث وعيا من باب وعد حفظته و تدبّرت فيه و (نضوت) السّيف من غمده و انتضيته أخرجته.

الاعراب

قوله: إلى دعوة حقّ فى بعض النّسخ دعوة بالتّنوين فيكون حقّ صفة له

ص:362

و فى بعضها بالاضافة و الاضافة محضنة و كذلک الاضافة فى صلة رحم و عائدة كرم، و عسى فى قوله: عسى أن تروا للاشفاق فى المكروه.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام كما أشار إليه السّيّد (ره) و نبّه عليه الشارح المعتزلى من جملة كلام قاله لأهل الشّورى بعد وفات عمر، و قد مضى أخبار الشّورى و مناشداته عليه السّلام مع أهل الشورى فى التّذييل الثّانى و الثالث من شرح الفصل الثالث من الخطبة الثالثة المعروفة بالشّقشقيّة و فيها كفاية لمن أراد الاطلاع.

و أقول: ههنا: إنّ غرضه عليه السّلام بهذا الفصل من كلامه تنبيه المخاطبين و تحذيرهم من الاقدام على أمر بغير تدبّر و تثبّت و رويّة، و نهيهم عن التّسرع و العجلة كيلا يكون بيعتهم فلتة فيتورّطوا فى الهلكات و يلقوا بأيديهم إلى التّهلكة و قدّم جملة من فضائله تحريصا لهم على استماع قوله و ترغيبا على حفظ منطقه فقال (لن يسرع أحد قبلى إلى دعوة حقّ) أى لن يبادر أحد قبلى إلى اجابة الدّعاء الحقّ فما لم أجب إليه لا يكون حقا أو لن يسبقنى أحد إلى أن يدعو إلى حقّ فما لم ادع إليه لا يكون حقّا، و فى بعض النّسخ لم يسرع بدل لن يسرع فيكون الغرض أن نظرى كان فيما مضى إلى الحقّ فكذلک يكون فيما يستقبل، و كيف كان فالمقصود به الاشارة إلى كونه مع الحقّ و كون الحقّ معه كما هو منطوق الحديث النّبوى المعروف بين الفريقين.

(و صلة رحم و عائدة كرم) أى معروف و إحسان و انعام (فاسمعوا قولى) فانّ الرّشد فى سماعه (و عوا منطقى) فانّ النّفع و الصّلاح فى حفظه، و إنّما أمرهم بالحفظ و السّماع ليتنبّهوا على عاقبة امورهم و ما يترتّب عليها من الهرج و المرج فكانّه يقول إذا كان بناء الأمر أى بناء أمر الخلافة على الخبط و الاختلاط و التّقلب فيه على أهله و مجاذبة من لا يستحقّه:

ف (- عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا اليوم) بحال (تنتضى) و تشتهر

(فيه السّيوف و تخان فيه العهود) قال الشّارح البحرانى: و هو اشارة إلى ما علمه من حال البغاة عليه و الخوارج و النّاكثين لبيعته، فقوله:(حتّى يكون بعضكم أئمة لأهل الضّلالة و شيعة لأهل الجهالة) غاية للتغلّب على هذا الأمر و أشار بالأئمّة إلى طلحة و الزّبير و بأهل الضلالة إلى أتباعهم و بأهل الجهالة إلى معاوية و رؤساء الخوارج و سائر بنى اميّة، و بشيعة أهل الجهالة إلى اتباعهم انتهى.

أقول: و فيه ما لا يخفى، لأنّ هذا الكلام إنّما قاله فى وقت الشّورى حيث ما أرادوا عقد البيعة لعثمان، و كان مقصوده به الايقاف عن بيعته و التحذير عنه بما كان يترتّب عليها من المفاسد و يتعقّبها من المضارّ، فلا ارتباط لخروج الخوارج و نكث الناكثة و بغى القاسطة بهذا المقام حتّى يكون كلامه عليه السّلام إشارة إليها، لعدم ترتّب تلك الامور على بيعة عثمان، و إنّما ترتّبت على بيعته عليه السّلام كما هو واضح.

نعم لو كان يقوله لما اريد على البيعة بعد قتل عثمان مثل ما تقدّم فى الخطبة الاحدى و التّسعين لم يتأمل فى كونه إشارة إلى ما قاله الشّارح، و بعد ذلک كلّه فالأولى أن يجرى كلامه مجرى العموم من دون أن يكون إشارة إلى خصوص حال طائفة مخصوصة.

و إن كان و لا بدّ فالأنسب أن يشاربه إلى ما ترتّب من بيعة عثمان من المفاسد فيكون المراد بالسّيوف المنتضاة ما سلّت يوم الدّار لقتل عثمان، و بالعهود التى خينت فيها ما عهده عثمان لأهل مصر أو خيانته فى عهود اللّه عزّ و جلّ و أحكامه، و خيانة طلحة و الزّبير و أمثالهما فى ما عقدوا و عهدوا من بيعة عثمان، و يكون قوله: أئمة لأهل الضّلالة، اشارة إلى طلحة و الزبير حيث كانا أشد النّاس إغراء على قتل عثمان و تبعهما أكثر النّاس، و وصفهم بالضّلالة باعتبار عدم كون قتلهم له على وجه مشروع ظاهرا و قوله: شيعة لأهل الجهالة، إشارة إلى مروان و أضرابه من شيعة عثمان و تبعه الحامين له و الذّابين عنه.

و يمكن ما قاله الشّارح بأنّ فساد النّاكثين و القاسطين و المارقين ممّا تولّد

من بیعة عثمان و نشأ من خلافته، و ذلک لأنه فضّل فی العطاء و راعی جانب بنی امیّة و بنی أبی معیط علی سائر الناس، فلما قام أمیر المؤمنین علیه السّلام بالأمر تمنّی طلحة و الزبیر منه أن یعامل معهما معاملة عثمان لأقربائه من التفضیل فی العطاء و التّقریب، فلمّا لم یحصل ما أملا نکثا، و تبعهما من کان غرضه حطام الدّنیا، و کذلک أقرّ معاویة علی عمل الشّام حتّی قویت شوکته، فلمّا نهض أمیر المؤمنین بالخلافة أبی و استکبر من البیعة له و بغی و أجابه القاسطون فکانت وقعة صفین و منها کان خروج الخوارج، فهذه المفاسد کلّها من ثمرات الشجرة الملعونة و معایب الشوری، و اللّه العالم

الترجمة

از جملۀ کلام هدایت نظام آن امام انام است در وقت شوری می فرماید که:

هرگز مبادرت نمی کند احدی پیش از من بسوی دعوت حق و برعایت صله رحم و بر احسان و کرم، پس گوش کنید گفتار مرا، و حفظ نمائید سخنان مرا، مبادا که ببینید این أمر خلافت را که کشیده می شود در او شمشیرها، و خیانت کرده شود در او عهدها، تا آنکه باشد بعضی از شما پیشوایان أهل ضلالت و گمراهی و شیعیان أهل جهالت و نادانی.

و من کلام له علیه السّلام فی النهی عن غیبة الناس و هو المأة

اشارة

و الاربعون من المختار فی باب الخطب

و إنّما ینبغی لأهل العصمة و المصنوع إلیهم فی السّلامة أن یرحموا أهل الذّنوب و المعصیة، و یکون الشّکر هو الغالب علیهم، و الحاجز لهم عنهم، فکیف بالعائب الّذی عاب أخاه، و عیّره ببلواه، أ ما ذکر موضع ستر اللّه علیه من ذنوبه ممّا هو أعظم من الذّنب الّذی عابه به،

ص:365

و كيف يـذمّه بـذنب قـد ركب مثله، فإن لم يكن ركب ذلك الذّنب بعينه فقد عصـى اللّه فيما سواه ممّا هو أعظم منه، و أيم اللّه لئن لم يكن عصاه فى الكبير و عصاه فى الصّغير لجرأته على عيب النّاس أكبر، يا عبد اللّه لا تعجل فى عيب أحد بذنبه، فلعلّه مغفور له، و لا تأمن على نفسك صـغير معصية فلعلّك معذّب عليه، فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه، و ليكن الشّكر شاغلا له على معافاته ممّا ابتلى به غيره.

اللغة

(صـنع) إليه معروفا من باب منع صـنعا بالضّم فعله و الاسم الصنيع و الصنيعة و (عافاه) اللّه من المكروه معافاة و عافية وهب له العافية من العلل و البلاء كأعفاه

الاعراب

قوله: و يكون الشـكر هو الغالب، بنصب الغالب خبر يكون و على ذلک فلفظ هو قبله فصل أتى به للدّلالة على أنّ ما بعده خبر لا تابع له، و له فائـدة معنويّة نشـير إليه فى بيان المعنى، و على مذهب البصـيريّين لا محلّ له من الاعراب، لأنّه عندهم حرف، و قال الكوفيّون: له محلّ فقال الكسائى: محلّه باعتبار ما بعـده، و قال الفرّاء: باعتبار ما قبله، فمحلّه بين المبتـدأ و الخبر رفع، و بين معمولى ظنّ نصب، و بين معمولى كان كما فى هـذا المقام رفع عنـد الفرّاء، و نصب عنـد الكسائى، و بين معمولى انّ بالعكس هذا و فى بعض النّسخ الغالب بالرّفع فيكون هو مبتدأ و الغالب خبره و الجملة خبر يكون.

ص:366

و قوله: فكيف بالغائب، الباء زائدة فى المبتدأ و كيف خبر له قدّم عليه، و هو ظرف على مذهب الأخفش و اسم على مذهب سيبويه، فمحلّه نصب على الأوّل، و على الثّانى رفع و يتفرّع على ذلک أنّک إذا قلت كيف زيد فمعناه على الأوّل على أىّ حال زيد، و على الثّانى أ صحيح زيد مثلا أم مريض.

و أمّا فى قوله و كيف يذمّه فهو حال كما نبّه عليه ابن هشام حيث قال:

و يقع أى كيف خبرا قبل ما لا يستغنى عنه نحو كيف أنت و كيف كنت. و منه كيف ظننت زيدا و كيف أعلمته فرسک لأنّ ثانى مفعولى ظنّ و ثالث مفعولات اعلم خبران فى الأصل، و حالا قبل ما يستغنى عنه نحو كيف جاء زيد أى على أىّ حالة جاء زيد، انتهى.

و الاستفهام هنا خارج مخرج التّعجب كأنّه عليه السّلام يتعجّب من غيبة الغائب لأخيه و من مذمة المذنب لمثله، و من هذا القبيل قوله سبحانه: كيف تكفرون باللّه، فانّه اخرج أيضا مخرج التعجّب.

و أما فى قوله: أ ما ذكر موضع ستر اللّه عليه، حرف عرض بمنزلة لو لا- فيختصّ بالفعل قال ابن هشام و قد يدّعى فى ذلک أنّ الهمزة للاستفهام التقريرى مثلها فى ألم و ألا و أنّ مانا فئة، انتهى، و أراد بالتّقرير التّقرير بما بعد النّفى.

و قد يقال إنّها همزة الانكار، أى لانكار النّفى و قال التفتازانى: و أما العرض فمولد من الاستفهام، أى ليس بابا على حدّه، فالهمزة فيه همزة الاستفهام دخلت على النّفى و امتنع حملها على حقيقة الاستفهام لأنّه يعرف عدم النزول مثلا فالاستفهام عنه يكون طلبا للحاصل فتولّد منه بقرينة الحال عرض النزول على المخاطب و طلبه، و هى فى التحقيق همزة الانكار، أى لا ينبغى لک أن لا تنزل، و انكار النّفى اثبات، انتهى.

و قال بعض المحقّقين: إنّ حروف التّحضيض تختصّ بالجمل الفعليّة الخبريّة فاذا كان فعلها مضارعا فكونها لطلب الفعل و الحضّ عليه ظاهرا، و أما إذا كان ماضيا فمعناها اللّوم على ترک الفعل إلاّ أنّها تستعمل كثيرا فى لوم المخاطب على

أنّه ترک شیئا یمکن تدارکه فی المستقبل، فکأنّها من حیث المعنی للتحضیض علی فعل مثل ما فات، و لیکن هذا علی ذکر منک ینفعک فی معرفة المعنی.

و من فی قوله: من ذنوبه، إمّا للابتـداء کما فی قوله: إنّه من سـلیمان، أو لبیان الجنس أعنی موضع أو للتّبعیض أو زائـدة فی المنصوب کما فی قوله: ما اتّخـذ اللّه من ولـد، إلاّ أنّه علی قول من یجوز زیادتها فی الاثبات أی ستر اللّه علیه ذنوبه، و قوله: ممّا هو أعظم، إمّا بدل من ذنوبه أو من زائدة، و یؤیّده ما فی بعض النّسخ من حذف من فیکون ما هو أعظم مفعول ستر فافهم و تدبّر.

المعنی

اعلم أنّ هـذا الکلام له علیه السّلام کما نبّه علیه السّید (ره) وارد فی مقـام النّهی عن غیبـة النّاس، و هی من أعظم الموبقات الموقع فی الهلکـات و الموجب لانحطـاط الـدّرجات لأنّ المفاسـد الّتی تترتّب علی ارتکابها أکثر من المفاسـد التی تترتّب علی سائر المنهیات، و ضرره ضرر نوعی، و ضرر سائر المعاصی شخصیّ غالبا.

بیان ذلک کما قاله الشّارح البحرانی أنّه لمّا کان من المقاصـد المهمّة للشّارع اجتماع النّفوس علی همّ واحد و طریقة واحدة، و هی سـلوک سبیل اللّه بسائر وجوه الأوامر و النّواهی و لن یتمّ ذلک إلاّ بتعاون هممهم و تصافی بواطنهم و اجتماعهم علی الالفـة و المحبّة حتّی یکونوا بمنزلـة عبـد واحـد فی طاعـة مولاه، و لن یتم ذلک إلاّ بنفی الضّغائن و الأحقاد و الحسـد و نحوه، و کانت الغیبة من کلّ منهم لأخیه مثیرة لضغنه، و مستدعیة منه مثلها فی حقّه، لاجرم کانت ضدّ المقصود الکلّی للشّارع فکانت مفسدة کلیّة، انتهی.

أقول: هذا هو محصّل قوله سـبحانه: تعاونوا علی البرّ و التقوی و لا تعاونوا علی الاثم و العدوان، و ستعرف إن شاء اللّه معنی الغیبة و الأدلّة الواردة فی ذمّها

و مفاسدها بعد الفراغ من شرح ما رواه السيّد (ره).

و هو قوله:(و انّما ينبغى لأهل العصـمة) و هم الّذين عصمهم اللّه من المعاصى و وقيهم من الجرائر بجعل نفوسهم الأمّارة مقهورة لقوّتهم العقلانيّـة بما عرّفهم من معايب المعاصـى و منافع الطّاعات فحصل لهم بذلک ملكة الارتداع عن الذّنوب و الامتناع عن اقتحام المحارم و هـم (المصـنوع إليهم فى السّـلامة) أى الّـذين اصـطنع اللّه سـبحانه إليهم و أنعم عليهم بالسّـلامة من الانـحراف عن صـراطه المسـتقيم و الاعتسـاف عن نهجه القويم، و من الخروج من النّور إلى الظّلمات و الوقوع فى مهاوى الهلكات (أن يرحموا أهل الـذّنوب و المعصـية) لمّا رأوا منهم الخطيئـة و العصـيان و الغرق فى بحر الـذّل و الهوان و التّيه فى وادى الضّـلال و الخـذلان، و الرّحمة منهم إنّما يحصل بانقاذهم الغريق من البحر العميق و إرشاد التّائه إلى الرّشاد بالتنبّه على السّداد فى العمل و الاعتقاد.

(و يكون الشّـكر) منهم على ما اصـطنع اللّه إليهم (هو الغالب عليهم) و الاتيان بضـمير الفصل لقصد تخصـيص المسـند إليه بالمسند أى قصر المسند على المسند إليه على حدّ قوله سبحانه: اولئک هم المفلحون، قال صاحب الكشاف فى هذه الآية:

فائدة الفصل الدّلالة على أنّ الوارد بعده خبر لا صـفة، و التّوكيد أى توكيد الحكم بما فيه من زيادة الرّبط لا التوكيد الاصـطلاحى إذ الضمير لا يؤكّد الظّاهر، و ايجاب أنّ فائدة المسـند ثابتة فى المسند إليه دون غيره يعنى أنّ اللاّزم على أهل العصمة أن يكون شكرهم على نعم اللّه سبحانه و من أعظمها عصـمته له من الاقتحام فى المعاصى هو الغالب عليهم دون غيره، و الشّاغل لهم عن حصائد الألسنة و عن التّعريض بعيوب النّاس (و الحاجز لهم عنهم) و عن كشف سؤاتهم و عوراتهم.

و إذا كان اللازم على أهل العصـمة مع ما هم عليه من العصـمة و ترک المعاصى ذلک (فكيف ب) من هو دونهم من اسراء عالم الحواس و الآخـذين بهوى الأنـفس و المتورطين فى الجرائم و موبقات العظائم أعنى (العائب الـذى عاب) و اغتاب (أخاه) بما يكرهه (و عيّره) و قرّعه (ببلواه) يعنى أنّ اللائق بحال أهل العصمة إذا كان

ترک التّعرض بعیوب النّاس فغیرهم مع ما علیهم من العیب أولی بترک التّعرض و أحری.

و قوله (أما ذکر موضع ستر اللّه علیه من ذنوبه) توبیخ و لوم لهم علی ترک الذّکر و تحضیض علی تدارکه فی المستقبل یعنی أنّه ینبغی له أن یذکر مکان ستر اللّه علیه ذنوبه مع علمه و إحاطته سبحانه بها صغائرها و کبائرها و بواطنها و ظواهرها و سوالفها و حوادثها، و قد ستر علیه من ذنوبه (مما هو أعظم من الذّنب الذی عابه به) فاذا ذکر معاملة اللّه سبحانه مع عبده هذه المعاملة و ستره علیه جرائمه و جرائره و عدم تفضیحه له مع علمه بجمیع ما صدر عنه من الخطایا و الذّنوب فکیف به (و کیف یذمّه بذنب قد رکب مثله) و لا یذمّ نفسه (فان لم یکن رکب) مثل (ذلک الذّنب بعینه فقد عصی اللّه سبحانه فیما سواه ما هو أعظم منه و أیم اللّه) قسما حقا (لئن لم یکن عصاه فی الکبیر و عصاه فی الصغیر لجرأته علی عیب النّاس) و غیبتهم (أکبر) و محصّل المراد أنّه لا یجوز لأحد أن یغیب أخاه لأنّه إمّا أن یکون بذنب و قد ارتکب الغائب مثله أو أکبر منه أو أصغر، فان کان بذنب قد ارتکب مثله أو أکبر کان له فی عیب نفسه شغل عن عیب غیره.

و فیه قال الشّاعر:

و إذا جریت مع السّفیه کما جری فکلا کما فی جریه مذموم

و اذا عتبت علی السّفیه و لمته فی مثل ما تأتی فأنت ظلوم

لاتنه عن خلق و تأتی مثله عار علیک إذا فعلت عظیم

إلی آخر الأبیات التی مرّت فی شرح الفصل الثانی من الخطبة المأة و الرابعة و إن کان بذنب ارتکب أصغر منه فهو ممنوع أیضا، لأنّ جرئته علی الغیبة و إقدامه علیها أکبر المعاصی باعتبار ما یترتّب علیها من المفاسد و المضارّ الدّنیویّة و الاخرویّه.

ثمّ نادی علیه السّلام نداء استعطاف فقال (یا عبد اللّه لا تعجل فی عیب أحد بذنبه

فلعلّه مغفور له) و لعلّه تائب عنه (و لا تأمن على نفسک صغير معصية فلعلّک معذّب عليه) و معاتب به.

ثمّ أکّد لهم الوصيّة بقوله (فليكفف من علم منكم عيب غيره) عن غيبته و توبيخه و تفضيحه (ل) مكان (ما يعلم من عيب نفسه و ليكن الشّكر شاغلا له على) ما أنعم اللّه سبحانه به عليه من (معافاته) و عصمته له (ممّا ابتلى به غيره)

تنبيه

اشارة

فى تحقيق معنى الغيبة و الأدلّة الواردة فى حرمتها و ما يترتّب عليها من العقوبات و دواعيها و مستثنياتها و علاجها و كفارتها.

و قد حقّق الكلام فيها علمائنا البارعون قدّس اللّه أرواحهم فى كتب الأخلاق و الفقه فى مقدّمات أبواب المعايش بما لا مزيد عليه، بل قد أفرد بعضهم لتحقيقها رسالة مستقلّة فأحببنا أن نورد بعض ما فيها حسب ما اقتضته الحال و المجال لكونها من أعظم عثرات الانسان و أوبق آفات اللّسان، فأقول و باللّه التّوفيق:

الكلام

فى المقام فى امور:

الامر الاول

فى تحقيق معناها، فأقول: قال الفيومى اغتابه اغتيابا إذا ذكره بما يكره من العيوب و هو حقّ و الاسم الغيبة فان كان باطلا فهو الغيبة فى بهت، و فى القاموس غابه عابه و ذكره بما فيه من السوء، كاغتابه و الغيبة بالكسر فعلة منه، و عن الصّحاح الغيبة أن يتكلّم خلف انسان مستور بما يغمّه لو سمعه، فان كان صدقا سمّى غيبة فان كان كذبا سمّى بهتانا.

و عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد سأله أبو ذر عن الغيبة: أنّها ذكرک أخاک بما يكرهه.

و فى رواية اخرى عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أ تدرون ما الغيبة؟ فقالوا: اللّه و رسوله أعلم، قال:

ذكرک أخاک بما يكره، قيل أرأيت إن كان فى أخى ما أقول، قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته و إن لم يكن فيه فقد بهتّه.

و الظاهر أن يكون المراد بالذكر فى كلامه و كلام غيره كما فهمه الأصحاب الأعمّ من الذكر القولى و إن كان عبارة الصّحاح تفيد الاختصاص، فكلّ ما يوجب التذكر للشّخص من القول و الفعل و الاشارة و غيرها فهو ذكر له، و ممّن صرّح بالعموم ثانى الشهيدين و صاحب الجواهر و شيخنا العلاّمة الأنصارى فى المكاسب.

قال الغزالى: إنّ الذكر باللّسان إنّما حرم لأنّ فيه تفهيم الغير نقصان أخيك و تعريفه بما يكرهه، فالتّعريض به كالتّصريح، و الفعل فيه كالقول، و الاشارة و الايماء و الغمز و الهمز و الكتابة و الحركة و كلّ ما يفهم المقصود فهو داخل فى الغيبة، فمن ذلك قول عايشة دخلت علينا امرأة فلمّا ولّت أومأت بيدى أنّها قصيرة فقال عليه السّلام اغتبتها، و من ذلك المحاكاة كأن يمشى متعارجا أو كما يمشى لأنّه أعظم فى التّصوير و التّفهيم و لما رأى صلّى اللّه عليه و آله عايشة حاكت امرأة قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما يسرّنى انّى حاكيت انسانا ولى كذا و كذا، و كذلك الغيبة بالكتابة فانّ القلم أحد اللّسانين.

قال شيخنا العلاّمة الانصارى: و من ذلك تهجين المطلب الذى ذكره بعض المصنّفين بحيث يفهم منه الازراء بحال ذلك المصنّف فانّ قولك: إنّ هذا المطلب بديهى البطلان تعريض لصاحبه بأنّه لا يعرف البديهيات، بخلاف ما إذا قيل إنّه مستلزم لما هو بديهى البطلان، لأنّ فيه تعريضا بأنّ صاحبه لم ينتقل إلى الملازمة بين المطلب و بين ما هو بديهىّ البطلان، و لعلّ الملازمة نظريّة، هذا.

و المراد من الأخ فى النبويّين كما صرّح به غير واحد من الأعلام هو المسلم فانّ غيبة الكافر و إن تسمّى غيبة فى اللّغة إلاّ أنّها لا يترتّب عليها حكم الحرمة إذ لا اخوّة بينه و بين المسلم، بل لا خلاف فى جواز غيبتهم و هجوهم و سبّهم و لعنهم و شتمهم ما لم يكن قذفا و قد أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حسّانا بهجوهم، و قال: انّه أشدّ عليهم من رشق النّبال.

و بذلك يظهر اشتراك المخالفين للمشركين فى جواز غيبتهم كما يجوز لعهنم لانتفاء الاخوّة بينهم و بين المؤمنين، و لذلك قال ثانى الشّهيدين فى حدّها: و هو

القول و ما فی حکمه فی المؤمن بما یسوءه لو سمعه مع اتّصافه به، و فی جامع المقاصد و حدّها علی ما فی الأخبار أن یقول المرء فی أخیه ما یکرهه لو سمعه ممّا فیه، و من المعلوم أنّ اللّه تعالی عقد الاخوّة بین المؤمنین بقوله: إنّما المؤمنون اخوة، دون غیرهم و کیف یتصوّر الاخوّة بین المؤمن و المخالف بعد تواتر الرّوایات و تظافر الآیات فی وجوب معاداتهم و البراءة منهم.

فانقدح بذلک فساد ما عن الأردبیلی و الخراسانی (ره) من المنع عن غیبة المخالف نظرا إلی عموم أدلّة تحریمها من الکتاب و السنّة لأنّ قوله تعالی: و لا یغتب، خطاب للمکلّفین أو لخصوص المسلمین، و علی التّقدیرین فیعمّ المخالف و السّنة أکثرها بلفظ النّاس و المسلم و هما معا شاملان للجمیع و لا استبعاد فی ذلک اذ کما لا یجوز أخذ مال المخالف و قتله لا یجوز تناول عرضه.

و وجه ظهور الفساد أنّ ذیل الآیة مفید لاختصاص الخطاب بالمؤمنین، لأنّ تعلیل النّهی عنها بأنّها بمنزلة أکل لحم الأخ یدلّ علی اختصاص الحرمة بمن کان بینه و بین المغتاب اخوّة کما أشرنا.

قال شیخنا العلامة و توهّم عموم الآیة کبعض الرّوایات لمطلق المسلم مدفوع بما علم بضرورة المذهب من عدم احترامهم و عدم جریان أحکام الاسلام علیهم إلاّ قلیلا مما یتوقّف استقامة نظام معاش المؤمنین علیه، مثل عدم انفعال ما یلاقیهم بالرّطوبة، و حلّ ذبایحهم و مناکحهم و حرمة دمائهم، لحکمة دفع الفتنة و فسادهم لأنّ لکلّ قوم نکاح أو نحو ذلک.

و قال صاحب الجواهر بعد نقل کلام الأردبیلی: و لعلّ صدور ذلک منه لشدّة تقدّسه و ورعه، لکن لا یخفی علی الخبیر الماهر الواقف علی ما تظافرت به النّصوص بل تواترت من لعنهم و سبّهم و شتمهم و کفرهم و أنّهم مجوس هذه الامّة و أشرّ من النّصاری و أنجس من الکلاب أنّ مقتضی التّقدّس و الورع خلاف ذلک، و صدر الآیة: الّذین آمنوا، و آخرها التشبیه بأکل لحم الأخ «إلی أن قال» و علی کلّ

حال فقد ظهر اختصاص الحرمة بالمؤمنين القائلين بامامة الأئمة الاثنى عشر دون غيرهم من الكافرين و المخالفين و لو بانكار واحد منهم.

ثمّ الظّاهر من المؤمن المغتاب بالفتح أعمّ من أن يكون حيّا أو ميّتا ذكرا أو انثى بالغا أو غير بالغ مميّزا أو غير مميّز، و قد صرّح بالعموم شيخنا السيّد العلاّمة طاب رمسه فى مجلس الدّرس، و مثله كاشف الرّيبة حيث صرّح بعدم الفرق بين الصّغير و الكبير و ظاهره الشّمول لغير المميّز أيضا.

و قال شيخنا العلاّمة الأنصارى (قد): الظاهر دخول الصّبى المميّز المتأثّر بالغيبة لو سمعها، لعموم بعض الرّوايات المتقدّمة و غيرها الدّالة على حرمة اغتياب النّاس و أكل لحومهم مع صدق الأخ عليه كما يشهد به قوله تعالى: و إن تخالطوهم فاخوانكم فى الدّين، مضافا إلى إمكان الاستدلال بالآية و إن كان الخطاب للمكلّفين بناء على عدّ أطفالهم منهم تغليبا و امكان دعوى صدق المؤمن عليه مطلقا أو فى الجملة.

و على ما ذكرناه من التّعميم فلا بدّ أن يراد من السّماع فى تعريفهم لها بأنّها ذكر المؤمن بما يسوءه لو سمعه الأعمّ من السّماع الفعلى، و المراد بالموصول فيما يسوءه ما يكره ظهوره سواء كره وجوده كالجذام و البرص و نحوهما أم لا كالميل إلى القبائح.

و المستفاد من بعض الرّوايات كغير واحد من الأصحاب عدم الفرق فى ما يكره بين أن يكون نقصا فى الدّين أو الدّنيا أو البدن أو النّسب أو الخلق أو الفعل أو القول أو ما يتعلّق به من ثوبه أو داره أو دابّته أو غير ذلک.

أمّا فى الدّين فكقولک هو سارق أو كذّاب أو شارب الخمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصّلاة أو الزّكاة أو لا يحسن الرّكوع أو السّجود أو لا يحترز من النّجاسات أو ليس بارّا بوالديه.

و أمّا فى الدّنيا فكقوله إنّه قليل الأدب متهاون بالنّاس أو لا يرى لأحد

على نفسه حقا أو يرى لنفسه الحقّ على النّاس أو أنّه كثير الكلام أو كثير الأكل أو كثير النّوم ينام فى غير وقته.

و أما البدن فكما تقول إنّه طويل أو قصير أو أعمش أو أحول أو أقرع أو لونه أصفر أو أسود و نحو ذلک ممّا يسوئه.

و أمّا النسب فكقولک: أبوه فاسق أو خسيس أو حجام أو زبّال أو ليس بنجيب.

و أما الخلق فبأن تقول إنّه سيّ ء الخلق بخيل متكبّر مختال مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهوّر و ما يجرى مجرى ذلک.

و أما الفعل فامّا أن يكون متعلّقا بالدّين أو الدّنيا و قد مرّ مثالهما.

و أمّا القول فكقولک إنّه كذّاب أو سبّاب أو أنّه تمتام أو أعجم أو ألكن أو ألثغ أو أليغ و نحو ذلک.

و أمّا فى ثوبه فكقولک إنّه واسع الكم طويل الذّيل و سخ الثّياب و نحوها.

و أمّا فى داره فكما تقول أنّه مفحص قطاة أى فى الصّغر أو كدير النّصارى أو نحوهما.

و أمّا فى دابّته فكقولک لحصانه إنّه برذون أو لبغلته إنّها بغلة أبى دلامة أى كثيرة العيوب و لأبى دلامة ذلک قصيدة فى ذكر معايبها منها قوله:

أرى الشّهباء تعجن اذ غدونا برجليها و تخبزنا بيدين

الثانى فى الأدلة الدالّة على حرمة الغيبة

و ما ترتّب عليها من الذّم و العقوبة فأقول: إنّها محرّمة بالأدلّة الأربعة أعنى الكتاب و السنّة و الاجماع و العقل، فأمّا الاجماع فواضح، و أمّا العقل فلأنّها موجبة لفساد النظام و انفصام عروة الانتظام، و عليها تبنى القبائح و منها يظهر العدوّ المكاشح على ما مرّ توضيحه فى شرح كلام الامام عليه السّلام

و أما الكتاب

فمنه قوله تعالى: و لا يغتب بعضكم بعضا أيحبّ أحدكم أن

يأكـل لحم أخيه ميتا فكرهتموه و اتّقوا اللّه إنّ اللّه توّاب رحيم، فجعل سـبحانه المؤمن أخا و عرضه كلحمه و التفكّه به أكلا و عـدم شـعوره بذلک بمنزلة حالة موته.

قال الفخر الرّازى: الحكمـة فى هـذا التشبيه الاشارة إلى أنّ عرض الانسان كـدمه و لحمه و هذا من باب القياس الظّاهر، و ذلک لأنّ عرض المرء أشرف من لحمه، فاذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم النّاس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى، لأنّ ذلک ألم. و قوله: لحم أخيه آكـدا فى المنع لأنّ العـدوّ يحمله الغضب على مضغ لحم العـدوّ فقال تعالى أصـدق الأصـدقاء من ولـدته امّک فأكل لحمه أقبح ما يكون، و قوله تعالى: ميتا، إشارة إلى دفع و هم و هو أن يقال:

القول فى الوجه يولم فيحرم و أما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يؤلم، فقال:

أكـل لحم الأخ و هو ميّت أيضا لا يؤلم، و مع هـذا هو فى غايـة القبـح لما أنّه لو اطلع عليه لتألّم كما أنّ الميّت لو أحسّ بأكل لحمه لآلمه ذلک هذا.

و الضّـمير فى قوله: فكرهتموه، إمّـا راجع إلى الأكـل المسـتفاد من أن يأكل، أو إلى اللّحم، أى فكما كرهتم لحمه ميتا فاكرهوا غيبته حيّا، أو الميت فى قوله ميّتـا، و التّقـدير أيحبّ أحـدكم أن يأكـل لحم أخيه ميّتـا متغيّرا فكرهتموه فكأنّه صـفة لقوله ميتا و يكون فيه زيادة مبالغـة فى التّحذير يعنى الميتة إن اكلت لسبب كان نادرا و لكن إذا أنتن و أروح و تغيّر لا يؤكل أصلا فكذلک ينبغى أن تكون الغيبة.

و الفاء فيه يفيـد التعلّق و ترتّب ما بعدها على ما قبلها، و هو من تعلّق المسبّب بالسّـبب و ترتّبه عليه كما تقول جاء فلان ماشـيا فتعب، لأنّ المشـى يورث التّعب فكـذا الموت يورث النفرة و الكراهـة إلى حدّ لا يشـتهى الانسان أن يبيت فى بيت فيه ميّت فكيف يقربه بحيث يأكل منه، ففيه إذا كراهة شديدة فكذلک ينبغى أن تكون حال الغيبة.

و من الكتاب أيضا قوله سـبحانه: ويل لكلّ همزة لمزة، قال اللّيث: الهمزة هو الّـذى يعيبک بوجهک، و اللّمزة الّذى يعيبک بالغيب، و قيل: الهمز ما يكون

باللّسان و العين و الاشارة، و اللّمز لا يكون إلاّ باللّسان، و قيل: هما بمعنى واحد.

و منه أيضا قوله: لا يحبّ اللّه الجهر بالسّوء من القول إلاّ من ظلم، و قوله:

إنّ الّذين يحبّون أن تشيع الفاحشة فى الّذين آمنوا لهم عذاب أليم روى فى الكافى عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى عمير عن بعض أصحابه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: من قال فى مؤمن ما رأته عيناه و سمعته أذناه فهو من الّذين قال اللّه عزّ و جلّ إنّ الّذين يحبّون أن تشيع الفاحشة.

و أما السنة

فيدلّ عليها منها أخبار لا تحصى.

مثل ما رواه فى الكافى عن علىّ بن إبراهيم عن النّوفلى عن السّكونى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الغيبة أسرع فى دين الرّجل المسلم من الاكلة فى جوفه.

قال: و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: الجلوس فى المسجد انتظار الصّلاة عبادة ما لم يحدث، قيل يا رسول اللّه و ما يحدث؟ قال: الاغتياب.

و فيه مسندا عن مفضّل بن عمر قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّلام من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه و هدم مروّته ليسقط من أعين النّاس أخرجه اللّه من ولايته إلى ولاية الشّيطان فلا يقبله الشيطان.

و فى الوسائل من المجالس باسناده عن أبى بصير عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله فى وصيّة له قال:

يا أبا ذر إيّاك و الغيبة فانّ الغيبة أشدّ من الزّنا، قلت: و لم ذاک يا رسول اللّه؟ قال لأنّ الرّجل يزنى فيتوب إلى اللّه فيتوب اللّه عليه، و الغيبة لاـ تغفر حتّى يغفرها صاحبها يا أبا ذر سباب المسلم فسوق و قتاله كفر و أكل لحمه من معاصى اللّه و حرمة ماله كحرمة دمه، قلت: يا رسول اللّه و ما الغيبة؟ قال: ذكرک أخاک بما يكرهه، قلت يا رسول اللّه فان كان فيه الذى يذكر به؟ قال: اعلم أنّک إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبته، و إذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهتّه.

و فى الوسائل عن الحسين بن سعيد فى كتاب الزهد مسندا عن زيد بن علىّ عن آبائه عليهم السّلام عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله قال: تحرم الجنّة على ثلاثة: على المنّان، و على

المغتاب، و على مدمن الخمر.

و فيه أيضا عن أبى عبد اللّه الشّامى عن نوف البكالى أنه قال: أتيت أمير المؤمنين و هو فى رحبة مسجد الكوفة فقلت: السّلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمة اللّه و بركاته فقال: و عليك السّلام و رحمة اللّه و بركاته، فقلت: يا أمير المؤمنين عظنى، فقال:

يا نوف أحسن يحسن إليک «إلى أن قال» قلت زدنى قال: اجتنب الغيبة فانّها ادام كلاب النّار، ثمّ قال: يا نوف كذب من زعم أنّه ولد من حلال و هو يأكل لحوم النّاس بالغيبة.

و فى المكاسب لشيخنا العلاّمة الأنصارى طاب رمسه عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله أنه خطب يوما فذكر الرّبا و عظّم شأنه فقال: إنّ الدّرهم يصيبه الرّجل أعظم من ستّة و ثلاثين زنية، و إنّ أربى الرّبا عرض الرّجل المسلم.

و عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من اغتاب مسلما أو مسلمة لم يقبل اللّه صلاته و لا صيامه أربعين صباحا إلاّ أن يغفر له صاحبه.

و عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من اغتاب مؤمنا بما فيه لم يجمع اللّه بينهما فى الجنّة، و من اغتاب مؤمنا بما ليس فيه انقطعت العصمة بينهما، و كان المغتاب خالدا فى النّار و بئس المصير.

و عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كذب من زعم أنّه ولد من حلال و هو يأكل لحوم النّاس بالغيبة، فاجتنب الغيبة فانها ادام كلاب النّار.

و عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من مشى فى غيبة أخيه و كشف عورته كانت أوّل خطوة خطاها وضعها فى جهنّم.

و روى أنّ المغتاب إذا تاب فهو آخر من يدخل الجنّة و إن لم يتب فهو أوّل من يدخل النّار.

و عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و إنّ الغيبة حرام على كلّ مسلم و إنّ الغيبة ليأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب.

قال شيخنا (قد): و أكل الحسنات إمّا أن يكون على وجه الاحباط لاضمحلال ثوابها

فى جنب عقابه، أو لأنها تنقل الحسنات إلى المغتاب كما فى غير واحد من الأخبار و من جملتها النبوى يؤتى بأحد يوم القيامة فيوقف بين يدى الرّب عزّ و جلّ و يدفع إليه كتابه فلا يرى حسناته فيه، فيقول إلهى ليس هذا كتابى لا أرى فيه حسناتى، فيقال له: إنّ ربّک لا يضلّ و لا ينسى ذهب عملک باغتياب النّاس، ثمّ يؤتى بآخر و يدفع إليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة فيقول إلهى ما هذا كتابى فانّى ما عملت هذه الطاعات، فيقال له: إنّ فلانا اغتابک فدفع حسناته إليک.

و فى عقاب الأعمال باسناده عن أبى بردة قال: صلّى بنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثمّ انصرف مسرعا حتّى وضع يده على باب المسجد ثمّ نادى بأعلى صوته: يا معشر النّاس لا يدخل الجنّة من آمن بلسانه و لم يخلص الايمان إلى قلبه، لا تتّبعوا عورات المؤمنين فانّه من تتبّع عورات المؤمنين تتبّع اللّه عورته و من تتبّع اللّه عورته فيفضحه و لو فى جوف بيته.

و فيه أيضا باسناده عن حفص بن غياث عن جعفر بن محمّد عليهما السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أربعة تؤذون أهل النّار على ما بهم من الأذى يسقون من الحميم و الجحيم ينادون بالويل و الثبور فيقول أهل النّار بعضهم لبعض: ما لهؤلاء الأربعة قد آذونا على ما بنا من الأذى: فرجل معلّق عليه تابوت من جمر، و رجل تجرى أمعاؤه صديدا و دما أسودنتنا، و رجل يسيل فوه قيحا و دما، و رجل يأكل لحمه، فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الاذى؟ فيقول: إنّ الأبعد مات و فى عنقه أموال النّاس لم يجد لها فى نفسه أداء و لا وفاء، ثمّ يقال للّذى يجرى امعاؤه: ما بال الأبعد قد آذانا على مابنا من الأذى؟ فيقول: إنّ الأبعد كان لا يبالى أين أصاب البول من جسده، ثمّ يقال للّذى يسيل فوه قيحا و دما: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إنّ الأبعد كان يحاكى فينظر إلى كلّ كلمة خبيثة و يحاكى بها ثمّ يغتاب النّاس، ثمّ يقال للّذى يأكل لحمه:

ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الاذى؟ فيقول: إنّ الأبعد كان يأكل لحوم النّاس بالغيبة و يمشى بالنّميمة.

و فى الأنوار النّعمانية للمحدّث الجزائرى عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: مررت ليلة اسرى بى إلى السّماء على قوم يخمشون وجوههم بأظافيرهم، فقلت: يا جبرائيل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الذين يغتابون النّاس و يقعون فى أعراضهم.

و فيه أيضا و روى أنّه أمر بصوم يوم و قال: لا يفطرنّ أحد حتّى آذن له، فصام النّاس حتى إذا أمسوا جعل الرّجل يجىء فيقول: يا رسول اللّه ظللت صائما فأذن لى لأفطر فيأذن له، و الرّجل و الرّجل حتّى جاء رجل فقال: يا رسول اللّه فتاتان من أهلى ظللتا صائمتين فانّهما تستحيان أن يأتيانک فأذن لهما أن تفطرا فأعرض عنه، ثمّ عاوده فأعرض عنه، ثمّ عاوده فقال صلّى اللّه عليه و آله إنّهما لم تصوما و كيف صام من ظلّ هذا اليوم يأكل لحوم النّاس اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيا فرجع إليهما فأخبرهما فاستقائتا فقاءت كلّ واحدة منهما علقة من دم، فرجع إلى النّبىّ فأخبره، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: و الّذى نفس محمّد بيده لو بقيتا فى بطونهما لأكلتهما النّار.

و فى رواية أنّه لما أعرض عنه جاءه بعد ذلک و قال: يا رسول اللّه إنّهما و اللّه لقد قاتتا و كادتا أن تموتا، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ائتونى بهما فجاءتا فدعى بقدح فقال لإحداهما قيئى فقاءت من قيح و دم صديد حتّى ملأت القدح، و قال للاخرى قيئى، فقاءت كذلک، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّ هاتين صامتا عمّا أحل اللّه و أفطرتا على ما حرّم اللّه عليهما، جلست إحداهما على الاخرى فجعلتا تأكلان لحوم النّاس، و رواهما الغزالى فى إحياء العلوم عن أنس مثلهما.

قال شيخنا العلاّمة طاب رمسه: ثمّ إنّه قد يتضاعف عقاب المغتاب إذا كان ممّن يمدح المغتاب فى حضوره، و هذا و إن كان فى نفسه مباحا إلاّ أنّه إذا انضمّ مع ذمه فى غيبته سمّى صاحبه ذا اللسّانين يوم القيامة و تأكّد حرمته و لذا ورد فى المستفيضة أنّه يجىء ذو اللّسانين يوم القيامة و له لسانان من نار، فانّ لسان المدح فى الحضور و إن لم يكن لسانا من نار إلاّ أنّه إذا انضمّ إلى لسان الذّم فى الغياب صار كذلک.

و عن المجالس بسنده عن حفص بن غياث عن الصادق عن أبيه عن آبائه عليهم السّلام عن علىّ عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من مدح أخاه المؤمن فى وجهه و اغتابه من ورائه فقد انقطعت العصمة بينهما.

و عن الباقر عليه السّلام بئس العبد عبد يكون ذا وجهين و ذا لسانين يطرى أخاه شاهدا و يأكله غائبا إن اعطى حسده و إن ابتلى غضبه.

الثالث فى دواعى الغيبة

و هى كثيرة و قد أشار إليها الصّادق عليه السّلام اجمالا بقوله: الغيبة تتنوّع عشرة أنواع شفاء غيظ، و مساعدة قوم، و تصديق خبر بلا كشف، و تهمة، و سوء ظنّ، و حسد و سخرية، و تعجّب، و تبرّم، و تزيّن، رواه فى المكاسب و الأنوار النّعمانيّة و أمّا تفصيلها فقد نبّه عليه أبو حامد الغزالى فى احياء العلوم و قال:

فالاول تشفى الغيظ

و ذلک إذا جرى سبب غضب به عليه فانّه إذا هاج غضبه يشتفى بذلک مساويه فيسبق اللّسان إليه بالطبع إن لم يكن ثمّ دين رادع، و قد يمتنع تشفّى الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب بالباطن فيصير حقدا ثابتا، فيكون سببا دائما لذكر المساوى فالحقد و الحسد من البواعث العظيمة على الغيبة.

الثانى موافقة الأقران و مجاملة الرفقاء و مساعدتهم على الكلام

، فانّهم إذا كانوا يتفكّهون بذكر الأعراض فيرى أنّه لو أنكر عليهم أو قطع المجلس استثقلوه و نفروا عنه، فيساعدهم و يرى ذلک من حسن المعاشرة و يظنّ أنّه مجاملة فى الصّحبة، و قد يغضب رفقائه فيحتاج إلى أن يغضب بغضبهم إظهارا للمساهمة فى السّراء و الضراء، فيخوض معهم فى ذكر العيوب و المساوى.

الثالث أن يستشعر من انسان أنّه سيقصده و يطول لسانه عليه

أو يقبح حاله عند محتشم أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقبح هو حاله، و يطعن فيه ليسقط أثر شهادته أو يبتدى بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده، فيروج كذبه بالصّدق الأوّل و يستشهد به و يقول ما من عادتى الكذب فانّى أخبرتكم بكذا و كذا عن أحواله فكان كما قلت.

الرابع أن ینسب إلى شیء فیرید أن یتبرّء منه فیذکر الذی فعله

و کان من حقّه أن یبرّی نفسه و لا یـذکر الذی فعل فلا ینسب غیره إلیه أو یذکر غیره بأنه کان مشارکا له فی الفعل لیمهد بذلک عذر نفسه فی فعله.

الخامس إرادة التصنّع و المباهات

و هو أن یرفع نفسه بتنقیص غیره فیقول:

فلان جاهل و فهمه رکیک، و غرضه فی ضمن ذلک فضل نفسه و یوهم أنّه أفضل منه أو یحذّر أن یعظّم مثل تعظیمه فیقدح فیه لذلک.

السادس الحسد و هو أنّه ربما یحسد من یثنی الناس علیه

و یحبّونه و یکرمونه فیریـد زوال تلک النعمـة عنه، فلا یجـد سبیلا إلیه إلاّ بالقـدح فیه، فیرید أن یسـقط ماء وجهه عند النّاس حتّی یکفّوا عن إکرامه و الثناء علیه.

السابع اللّعب و الهزل و المطایبة

و ترجیة الوقت بالذکر و تزیین الوقت بالذّکر فیذکر غیره بما یضحک النّاس علی سبیل المحاکاة و منشاؤه التّعجب و التعجیب.

الثامن السّخریة و الاستهزاء استحقارا له

فانّ ذلک قد یجری فی الحضور و یجری أیضا فی الغیبة و منشاؤه التکبّر و استصغار المستهزء به.

التاسع الرّحمة

و هو مأخـذ دقیق ربمـا یقع فیه الخواص، و هو أن یغتمّ بسـبب ما یبتلی به فیقول مسـکین فلان قـد غمّنی أمره و ما ابتلی به فیکون صادقا فی دعوی الاغتمام و یلهیه الغمّ عن الحذر من ذکر اسـمه، فیصـیر بذکره مغتابا فیکون غمّه و رحمته خیرا لکنّه ساقه الشیطان إلی شرّ من حیث لا یدری و الترحّم و الاغتمام ممکن من دون ذکر اسمه فهیّجه الشیطان علی ذکر اسمه لیبطل به ثواب اغتمامه و ترحّمه.

العاشر الغضب للّه تعالی

و هو كسابقه فى غموض ادراكه و خفائه على الخواص فضلا عن العوام فانّه قد يغضب على منكر قارفه انسان إذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه و يذكر اسمه و كان الواجب أن يذكر غضبه عليه بالأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر، و لا يظهر على غيره أو يستره و لا يذكر اسمه بالسّوء.

ص:382

الرابع فى عدم جواز استماع الغيبة

قال شيخنا فى المكاسب: يحرم استماع الغيبة بلا خلاف، فقد ورد أنّ السّامع للغيبة أحد المغتابين، و الأخبار فى حرمته كثيرة إلاّ أنّ ما يدلّ على كونه من الكبائر كالرّواية المذكورة و نحوها ضعيفة السّند.

أقول: و من جملة الأخبار الدّالّة على حرمته ما رواه الصّدوق فى عقاب الأعمال باسناده عن أبى الورد عن أبى جعفر عليه السّلام: قال من اغتيب عنده أخوه المؤمن فنصره و أعانه نصره اللّه و أعانه فى الدّنيا و الآخرة، و من لم ينصره و لم يدفع عنه و هو يقدر على نصرته حقّره اللّه عزّ و جلّ فى الدّنيا و الآخرة.

و فيه أيضا فى حديث طويل عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: و من ردّ عن أخيه غيبة سمعها فى مجلس ردّ اللّه عزّ و جلّ عنه ألف باب من الشرّ فى الدّنيا و الآخرة و إن لم يرد عنه كان عليه كوزر من اغتاب.

و فى الوسائل عن الصّدوق باسناده عن شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد عن الصّادق عن آبائه عليهم السّلام فى حديث المناهى إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نهى عن الغيبة و الاستماع إليها، و نهى عن النّميمة و الاستماع إليها، و قال لا يدخل الجنّة قتات، يعنى نمّاما، و نهى عن المحادثة التى يدعو إلى غير اللّه، و نهى عن الغيبة و قال:

من اغتاب امرء مسلما بطل صومه و نقض وضوئه و جاء يوم القيامة يفوح من فيه رائحة أنتن من الجيفة يتأذّى به أهل الموقف، و إن مات قبل أن يتوب مات مستحلاّ لما حرّم اللّه عزّ و جلّ، ألا و من تطوّل على أخيه فى غيبة سمعها فيه فى مجلس فردّها عنه ردّ اللّه عنه ألف باب من الشرّ فى الدّنيا و الآخرة، فان لم يردّها و هو قادر على ردّها كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرّة.

قال شيخنا: و لعلّ وجه زيادة عقابه أنّه إذا لم يردّه تجرّى المغتاب على الغيبة فيصرّ على هذه الغيبة و غيرها، ثمّ قال: و الظاهر أنّ الرّد غير النّهى عن الغيبة و المراد به الانتصار للغائب بما يناسب تلك الغيبة، فان كان عيبا دنيويّا انتصر له بأنّ العيب ليس إلاّ

ما عاب اللّه به من المعاصى التى من أكبرها ذكرک أخاک بما لم يعبه اللّه به، و إن كان عيبا دينيّا وجّهه بمحامل تخرجه عن المعصية فان لم يقبل التوجيه انتصر له بأنّ المؤمن قد يبتلى بالمعصية فينبغى أن يستغفر له و يهتم له، لا أن يعيّر عليه، لأنّ تعييرک إيّاه لعله أعظم عند اللّه من معصيته و نحوه.

ثمّ اعلم أنّ المحرم إنّما هو سماع الغيبة المحرّمة دون ما علم حلّيتها و لو كان متجاهرا عند المغتاب مستورا عند المستمع و قلنا بجواز الغيبة حينئذ للمتكلّم فالأقوى جواز الاستماع لأنّه قول غير منكر، فلا يحرم الاصغاء إليه للأصل و الرّواية الدّالة على كون السّامع أحد المغتابين تدلّ على أنّ السّامع لغيبة كقائل تلک الغيبة، فان كان القائل عاصيا كان المستمع كذلک، فيكون دليلا على الجواز فيما نحن فيه.

الخامس فی مستثنيات الغيبة

أى الموارد التى يجوز فيها الغيبة جوازا بالمعنى الأعمّ، فانّ المستفاد من الأخبار أنّ حرمتها إنّما هو لأجل ما فيها من هتک عرض المؤمن و انتقاصه و تأذيه فلو لم توجب هتكا لكونه مهتوكا بدونها ككونه متجاهرا بالفسق أو لم يقصد بها الانتقاص بالذات فلا.

قال فى جامع المقاصد: و ضابط الغيبة كلّ فعل يقصد به هتک عرض المؤمن و التفكّه به أو إضحاک النّاس منه، و أمّا ما كان لغرض صحيح فلا يحرم كنصيحة المستشير و التظلّم آه.

قال شيخنا العلامة: حرمة الغيبة لأجل انتقاص المؤمن و تأذّيه منه، فاذا فرض هناک مصلحة راجعة إلى المغتاب بالكسر أو الفتح أو ثالث دلّ العقل أو الشّرع على كونها أعظم من مصلحة احترام المؤمن بترک ذلک القول فيه وجب كون الحكم على طبق أقوى المصلحتين كما هو الحال فى كلّ معصية من حقوق

اللّه و حقوق النّاس.

إذا عرفت ذلک فنقول: إنّ مسوّغاتها امور.

الاول التظلّم

، أی تظلّم المظلوم بـذکر ظلم الظّ الم عنـد من یرجو رفعه الظلم منه قـال سـبحانه: لا یحبّ اللّه الجهر بالسّوء من القول إلاّ من ظلم، فعن تفسیر القمّی أی لا یحبّ أن یجهر الرّجل بالظلم و السّوئة و یظلم إلاّ من ظلم، فاطلق أن یعارض بالظلم.

قال شیخنا العلاّمة: و یؤید الحکم فیه إنّ فی منع المظلوم من هذا الذی هو نوع من التّشفی حرجا عظیما، و لأنّ فی تشریع الجواز مظنّة ردع للظّالم و هی مصـلحة خالیـة عن مفسـدة فیثبت الجواز، لأنّ الأحکام تابعة للمصالح، و یدلّ علیه ما روی عن النّبیّ صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم مطل الواجد یحلّ عقوبته و عرضه.

الثانی نصح المستشیر

، فانّ النّصـیحة واجبة للمستشـیر فانّ خیانته قد تکون أقوی مفسدة من مفسدة الغیبة فقد قال النّبیّ صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم لفاطمة بنت قیس المشاورة فی خطابها: معاویة صـعلوک لا مال له و ابو الجهم لا یضع العصا علی عاتقه، قال شیخنا: و کذلک النّصح من غیر استشارة، فانّ من أراد تزویج امرأة و أنت تعلم بقبائحها التی یوجب وقوع الرّجل فی الغیبة و الفساد لأجلها فلا ریب انّ التنبیه علی بعضها و إن أوجب الوقیعة فیها أولی من ترک نصح المؤمن، مع ظهور عدّة من الأخبار فی وجوبه.

الثالث الاستفتاء

بأن یقول للمفتی: ظلمنی فلان حقّی فکیف طریقی فی الخلاص، قال أبو حامد الغزالی و المحدّث الجزائری: و الأسلم التّعریض، بأن یقول ما قولک فی رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته، و لکن التّعیین مباح بهذا القدر، و قیّده شـیخنا العلاّمة بما إذا کان الاسـتفتاء موقوفا علی ذکر الظالم بالخصوص، و إلاّ فلا یجوز، و ظاهر الأخبار کظاهر کثیر الأصحاب هو الاطلاق.

و اسـتدلّوا علیه بما روی عن هنـد زوجة أبی سـفیان أنّها قالت للنّبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم: إنّ أبا سـفیان رجل شـحیح لا یعطینی ما یکفینی أنا و ولدی أ فآخذ من غیر علمه؟

فقال صلّى اللّه عليه و آله: خذى ما يكفيك و ولدك بالمعروف، فذكرت الظلم و الشحّ لها و لولدها و لم يزجرها إذ كان قصدها الاستفتاء.

و بصحيحة عبد اللّه بن سنان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: جاء رجل إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله فقال: إنّ أمّى لا يدفع يد لا مس، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: احبسها، قال: قد فعلت، فقال:

فامنع من يدخل عليها، قال: قد فعلت، قال: فقيّدها فانك لا تبرّها بشىء أفضل من أن تمنعها عن محارم اللّه، و احتمال كونها متجاهرة مدفوع بالأصل.

الرابع تحذير المسلم

من الشرّ و عن الوقوع فى الضّرر لدنيا أو دين، لأنّ مصلحة دفع فتنة الشّر و الضّرر أولى من هتك شرّ المغتاب مثل من يريد أن يشترى مملوكا و أنت تعلم بكونه موصوفا بالسّرقة أو بعيب آخر، فسكوتك عن ذكر عيبه إضرار بالمشترى، و كذلك المبتدع الذى يخاف من إضلاله النّاس، فاذا رأيت من يتردّد إلى مبتدع أو فاسق و خفت أن يتعدّى إليه بدعته أو فسقه فلك أن تكشف مساويه.

و يدلّ عليه ما عن الكافى بسنده الصّحيح عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: إذا رأيتم أهل الرّيب و البدع من بعدى فأظهروا البراءة منهم و أكثروا من سبّهم و القول فيهم و الوقيعة و باهتوهم كيلا يطمعوا فى الفساد فى الاسلام، و تحذرهم النّاس و لا تتعلّموا من بدعهم يكتب اللّه لكم بذلك الحسنات و رفع لكم به الدّرجات، هذا.

و ربّما يجعل هذا المورد من باب نصح المستشير بعد تعميمه بالنّسبة إلى النصح المسبوق بالاستشارة و غيره.

الخامس قصد ردع المغتاب عن المنكر الذى يفعله

إذا لم يمكن الرّدع إلاّ به فانّه أولى من ستر المنكر عليه فهو فى الحقيقة إحسان فى حقّه، مضافا إلى عموم أدلّة النّهى عن المنكر.

السادس باب التّرجيح و التّعديل فى الرّواية

لأجل معرفة قبول الخبر و عدمه و معرفة صلاحيّته للمعارضة و عدمها، و إلاّ لانسدّ باب التّعادل و التّراجيح الذى

هو أعظم أبواب الاجتهاد و جرت السّيرة عليه من قديم الزّمان كجريانها على الجرح فى باب الشهادة و على ترجيح ما دلّ على وجوب اقامتها على ما دلّ على حرمة الغيبة على وجه الاشكال فيه، و إلاّ لضاعت الحقوق فى الدّماء و الأموال و غيرها و لغلب الباطل، و يلحق بذلک الشّهادة بالزّنا و غيره لاقامة الحدود.

السابع دفع الضّرر عن المغتاب

فى دم أو عرض أو مال و عليه يحمل ما ورد فى ذمّ زرارة من عدّة أحاديث و قد ورد التّعليل بذلک فى بعض الأحاديث و يلحق بذلک الغيبة للتّقية على نفس المتكلّم أو ماله أو عرضه، فانّ الضّرورات تبيح المحظورات.

الثامن ذكر الشخص بعينه الّذى صار بمنزلة الصّفة المميّزة

الّتى لا يعرف إلاّ به كالأعمش و الأعرج و الأشتر و الأحول و نحوها، فلا بأس به إذا صارت الصّفة فى اشتهار يوصف بها الشّخص إلى حيث لا يكره ذلک صاحبها، و عليه يحمل ما صدر عن العلماء الأعلام.

التاسع إظهار العيوب الخفيّة

للمريض عند الطبيب للمعالجة.

العاشر ردّ من ادّعى نسبا ليس له

فانّ مصلحة حفظ الانساب أولى من مراعات حرمة المغتاب.

الحادى عشر إذا علم اثنان عن رجل معصية

و شاهداها فأجرى أحدهما ذكره فى غيبة ذلک العاصى جاز، لأنّه لا يؤثر عند السّامع شيئا و إن كان الأولى تنزيه اللّسان عن ذلک لغير غرض من الأغراض الصّحيحة خصوصا مع احتمال نسيان المخاطب لذلک أو خوف اشتهاره

الثانى عشر غيبة المتجاهر بالفسق

فى ما تجاهر به، فانّ من لا يبالى بظهور فسقه بين النّاس لا يكره ذكره بالفسق و قد قال الامام عليه السّلام إذا جاهر الفاسق بفسقه فلا حرمة له و لا غيبة، و فى رواية اخرى من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له، و أمّا جواز غيبته فى غير ما تجاهر به فقد منع منه الشّهيد الثّانى و حكى عن الشهيد الأوّل أيضا و استظهر الفاضل النراقى الجواز.

قال شیخنا العلامة الأنصاری (قد): ظاهر الرّوایات النّافیة لاحترام المتجاهر و غیر السّاتر هو الجواز، و استظهره فی الحدائق من کلام جملة من الأعلام، و صرّح به بعض الأساطین، قال شیخنا العلامة: و ینبغی الحاق ما یتستّر به بما یتجاهر فیه إذا کان دونه فی القبح، فمن تجاهر و العیاذ باللّه باللّواط جاز اغتیابه بالتّعریض للنّساء الأجانب، و من تجاهر بقطع الطرق جاز اغتیابه بالسّرقة، و من تجاهر بکونه جلاد السّلطان یقتل النّاس و ینکلهم جاز اغتیابه بشرب الخمر، و من تجاهر بالقبایح المعروفة جاز اغتیابه بکلّ قبیح، و لعلّ هذا هو المراد بمن ألقی جلباب الحیاء لا من تجاهر بمعصیة خاصّة و عدّ مستورا بالنّسبة إلی غیرها کبعض عمّال الظّلمة، هذا.

و هذه الموارد المذکورة هو المعروف استثناؤها بین جمع من الأصحاب، و بعضهم قد زادوا علیها، و بعضهم قد نقصوا و لا حاجة إلی الاطناب بعد ما عرفت أنّ مدار الحرمة علی قصد الانتقاص و الأذی بالذات، و اللّه العالم.

السادس فی معالجة الغیبة

و علاجها إنّما هو بالعلم بما یترتّب علیها من المفاسد الدنیویة و الأخرویّة و بالتدبّر فی المضار المترتّبة علیها عاجلا و آجلا.

اما المضار الدنیویة فهو أنّها تورث العداوة و الشّحناء و توجب غضب المغتاب فیکون فی مقام المکافاة و المجازاة لشنیع قولک فیغضبک و یؤذیک و یهینک و من ذلک تنبعث الفساد و ربّما یؤل الأمر إلی ما لا یمکن علاجه، بل قد یؤل إلی القتل و الجرح و الاستیصال و إتلاف الأموال و غیرها.

و اما المضار الاخرویة فیحصل التنبّه علیها بالتفکّر و التدبّر فی الآیات و الأخبار الواردة فی ذمّها و عقوبتها، و بالعلم بأنّها توجب دخول النّار و غضب الجبار و مقته تعالی و تحبط الحسنات و تنقلها إلی میزان حسنات المغتاب، فان لم تکن له حسنة نقل اللّه من سیئات خصمه بقدر ما استباحه من عرضه قال صلّی اللّه علیه و آله: ما النّار

فی الیبس أسرع من الغیبة فی حسنات العبد و إن کانت الغیبة فی العیب بالخلق فلیعلم أنّه عیب علی الخالق فانّ من ذمّ الصنعة فقد ذمّ الصّانع، قیل لحکیم:

یا قبیح الوجه، قال: ما کان خلق وجهی إلیّ فأحسنه.

و روی إنّ نوحا علیه السّلام مرّ علی کلب أجرب فقال: ما هذا الکلب؟ فنطق الکلب و قال: یا نبیّ اللّه هکذا خلقنی ربّی فان قدرت أن تغیّر صورتی بأحسن من هذه الصورة فافعل، فندم نوح علی ما قال و بکی أربعین سنة فسمّاه اللّه نوحا و کان اسمه عبد الملک أو عبد الجبّار.

و روی أیضا أنّه مرّ عیسی علیه السّلام و معه الحواریّون بجیفة کلب فقال الحواریّون ما أنتن ریح هذا الکلب، فقال علیه السّلام: ما أشدّ بیاض أسنانه کأنّه نهاهم عن غیبة الکلب و تعییبه، فانظر إلی عظم الخطر فی تعییب النّاس فاذا لم یرض أولیاء الدّین بعیب میتة حیوان فکیف بعیب النفوس المحترمة قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: طوبی لمن شغله عیب نفسه عن عیوب النّاس، فاذا أردت أن تذکر عیوب صاحبک فاذکر عیوبک قال الشّاعر:

و أجرء من رأیت بظهر غیب علی عیب الرّجال و ذو العیوب

فلربّما تبصر فی عین أخیک القذی و لا تبصر الجذع فی عینک

و مطروفة عیناه عن عیب نفسهفان لاح عیب من أخیه تبصّرا

و قد قیل للرّبیع بن خثیم: ما نراک تعیب أحدا قال: لست راضیا عن نفسی فأتفرّغ لذکر عیوب النّاس ثمّ قال:

لنفسی أبکی لست أبکی لغیرها لنفسی فی نفسی عن النّاس شاغل

نعوذ باللّه من زلاّت البیان و هفوات اللّسان و سقطات الألفاظ و رمزات الألحاظ.

السابع فی کفارة الغیبة

قال المحدّث الجزائری (ره) اعلم أنّ الواجب علی المغتاب أن یندم و یتوب و یأسّف علی ما فعل لیخرج من حقّ اللّه تعالی ثمّ یستحلّ المغتاب فیحلّه لیخرج

ص:389

عن مظلمته و ينبغى أن يستحلّه و هو نادم حزين و إلاّ فالمرائى قد يطلب المحالة فيكون عليه ذنب آخر، و قد ورد فى كفارته حديثان:

أحدهما قوله عليه السّلام: كفّارة من اغتبته أن تستغفر له، و فى حديث آخر كلّما ذكرته، و معنى قوله: كلّما ذكرته على طريقة الغيبة أو كلّما عنّ فى خاطرك أو جرى ذكره على لسانك بعد المحالة الاولى.

الثانى قوله صلّى اللّه عليه و آله: من كانت لأخيه عنده مظلمة فى عرض أو مال فيتحلّلها منه من قبل أن يأتى يوم ليس هناك دينار و لا درهم يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فيزيد على سيئاته.

و جمع بين الحديثين شيخنا الشهيد الثّانى قدّس اللّه روحه بحمل الاستغفار له على من يبلغ غيبة المغتاب فينبغى الاقتصار على الدّعاء له و الاستغفار لأنّ فى محالته إثارة للفتنة و جلبا للضّغائن، و فى حكم من لم يبلغه من لم يقدر على الوصول إليه لموت أو غيبة، و حمل المحالة على من يمكن الوصول إليه مع بلوغه الغيبة قال الجزائرى و يمكن الجمع بينهما بوجهين:

أحدهما أنّ الاستغفار له كفّارة معجلة تكون مقارنة للغيبة و المحالة متأخّرة عنه غالبا فيجب عليه المبادرة بذلک لعدم توقّفه على التمكن و عدمه، و المحالة إذا تمكّن بعد هذا فيكون الواجب اثنين لا واحد كما هو مذكور فى القول الأوّل.

الثانى حمل الاستغفار له على الاستحباب و الواجب إنّما هو المحالة لا غير، و إذا جاء إلى المغتاب فينبغى أن لا يظهر له الكلام الذى اغتاب خوفا من إثارة الشحناء و تجديد العداوة، بل يقول له: يا أخى لک حقوق عرضيّة و اريد أن تحالنى منها، و نحو ذلک من العبارات المجملة، و يستحبّ للمعتذر إليه قبول العذر و المحالة استحبابا مؤكّدا، انتهى.

أقول: و الأظهر فى وجه الجمع ما حكاه عن الشّهيد بل و هو الأقرب.

و التّحقيق ما حقّقه شيخنا العلاّمة الأنصارى (قد) فى المكاسب حيث قال:

مقتضى كون الغيبة من حقوق النّاس توقّف رفعها على إسقاط صاحبها أمّا كونها من حقوق النّاس فلأنّه ظلم على المغتاب، و للأخبار فى أنّ من حقّ المؤمن على المؤمن أن لا يغتابه و أنّ حرمة عرض المسلم كحرمة دمه و ماله و أمّا توقّف رفعها على إبراء ذى الحقّ فللمستفيضة المعتضدة بالأصل، ثمّ ذكر جملة من المستفيضة.

ثمّ قال: و لا فرق فى مقتضى الأصل و الأخبار بين التمكّن من الوصول إلى صاحبه و تعذّره، لأنّ تعذّر البراءة لا يوجب سقوط الحقّ كما فى غير هذا المقام، لكن روى السّكونى عن أبى عبد اللّه عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله إنّ كفارة الاغتياب أن تستغفر لمن اغتبته كلّما ذكرته، و لو صحّ سنده أمكن تخصيص الاطلاقات المتقدّمة به، فيكون الاستغفار طريقا أيضا إلى البراءة مع احتمال العدم أيضا لأنّ كون الاستغفار كفّارة لا يدلّ على البراءة، فلعلّه كفّارة للذّنب من حيث كونه حقّا للّه تعالى نظير كفّارة قتل الخطاء الّتى لا توجب برائة القاتل إلاّ أن يدّعى ظهور السّياق فى البراءة.

ثمّ ذكر كلام الشّهيد الثّانى (ره) و جمعه بين الخبرين المتقدّمين المتعارضين على ما تقدّم ذكره فى كلام المحدّث الجزائرى (ره) ثمّ أورد عليه بأنّه إن صحّ النّبوى أى ما رواه السّكونى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله مسندا، فلا مانع عن العمل به بجعله طريقا إلى البراءة مطلقا فى مقابل الاستبراء، و إلاّ تعيّن طرحه و الرّجوع إلى الأصل و اطلاق الأخبار المتقدّمة و تعذّر الاستبراء أو وجود المفسدة فيه لا يوجب وجود مبرء آخر.

نعم أرسل بعض من قارب عصرنا عن الصّادق عليه السّلام أنّک إن اغتبت فبلغ المغتاب فاستحلّ منه و إن لم يبلغه فاستغفر اللّه له.

و فى رواية السّكونى المرويّة فى الكافى فى باب الظلم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و من ظلم أحدا ففاته فليستغفر اللّه له فانّه كفّارة له.

و الانصاف أنّ الأخبار فى هذا الباب كلّها غير نقيّة السّند و أصالة البراءة تقتضى عدم وجوب الاستحلال و لا الاستغفار، و أصالة بقاء الحقّ الثّابت للمغتاب

بالفتح على المغتاب بالكسر تقتضى عدم الخروج منه إلاّ بالاستحلال خاصّة، لكن المثبت لكون الغيبة حقّا بمعنى وجوب البراءة منه ليس إلاّ الأخبار الغير النّقية السّند، مع أنّ السند لو كان نقيّا كانت الدّلالة ضعيفة لذكر حقوق اخر فى الرّوايات لا قائل بوجوب البراءة منها، فالقول بعدم كونه حقّا للنّاس بمعنى وجوب البراءة نظير الحقوق الماليّة لا يخلو عن قوّة، و امكان الاحتياط فى خلافه بل لا يخلو عن قرب من جهة كثرة الأخبار الدالّة على وجوب الاستبراء منها بل اعتبار سند بعضها و الأحوط الاستحلال إن تيسّر و إلاّ فالاستغفار، غفر اللّه لنا و لمن اغتبناه و لمن اغتابنا بحقّ محمّد و آله الطّاهرين صلوات اللّه عليهم أجمعين.

الترجمة

از جمله كلام آن امام أنام عليه السّلام است در نهى از غيبت مردمان مى فرمايد:

و جز اين نيست كه سزاوار است أهل عصمت و طهارت و كسانى كه انعام شده است ايشان را در سلامتى دين اين كه رحم نمايند گناهكاران و أهل معصيت را، و اين كه شود شكر خدا غالب بر ايشان و مانع ايشان از مذمت گنه كاران، پس چگونه است غيبت كنندهٔ كه غيبت برادر خود را كند و سرزنش نمايد او را ببلائى كه گرفتار شده است، آيا بيادش نمى آرد مقام پوشانيدن خداوند تعالى بر او از گناهان او گناهى را كه بزرگتر است از گناهى كه عيب سرزنش نمود برادرشرا باو، و چگونه مذمّت ميكند او را بر گناهى كه مرتكب شده است مثل او را پس اگر نبوده باشد مرتكب آن گناه پس بتحقيق معصيت نموده خداى را در غير آن از گناهى كه بزرگتر است از آن.

و قسم بخدا هر آينه اگر نبوده باشد معصيت نموده خدا را در گناه كبير و عصيان نموده او را در گناه صغير هر آينه جرئت و جسارت او بر عيب و غيبت مردمان بزرگتر است اى بندهٔ خدا سرعت مكن در عيب بنده بجهة گناه او پس شايد كه آن گناه آمرزيده شده او را، و أيمن مباش بر نفس خود گناه كوچک را پس شايد تو معذّب

ص:392

باشـی بر آن، پس باید که خود داری نماید آن کسـی که داند از شـما عیب دیگری را از جهة آنکه میداند از عیب خود، و باید که باشد شکر کردن او مشغول کنندهٔ او بر سلامتی خود از گناهی که مبتلا شده است بأو غیر او.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأة و الحادی و الاربعون من

اشارة

المختار فی باب الخطب.

أیّهـا النّاس من عرف من أخیه وثیقـة دین و سـداد طریق فلا یسـمعنّ فیه أقاویل الرّجال، أما أنّه قـد یرمی الرّامی، و تخطیء السّهام و یحیل الکلاـم و باطل ذلک یبور، و اللّه سـمیع و شـهید، أما أنّه لیس بین الباطل و الحقّ إلاّ أربع أصابع، فسـئل عن معنی قوله علیه السّلام هـذا، فجمع أصابعه و وضعها بین اذنه و عینه ثمّ قال: الباطل أن تقول سمعت، و الحقّ أن تقول رأیت.

اللغة

(وثق) الشـیء بالضمّ وثاقـة قوی و ثبت فهو وثیق ثابت محکم و (السّداد) بالفتح الصّواب من القول و الفعل و (الأقاویل) جمع أقوال و هو جمع قول و (أخطأ السّهم) الغرض تجاوزه و لم یصبه و (یحیل الکلام) فی أکثر النّسخ باللام مضارع حال بمعنی یستحیل أی یکون محالا قال فی القاموس: و کلّ ما تغیّر أو تحرّک من الاسـتواء إلی العوج فقد حال و اسـتحال، و قال أیضا: و المحال بالضم من الکلام ما عدل عن وجهه کالمستحیل، أحال أتی به، و فی المصباح المحال

الباطل الغير الممكن الوقوع، و فی بعض النسخ بالکاف مضارع حاک أو أحاک قال فی القاموس: حاک القول فی القلب یحیک حیکا أخذ، و السّیف اثر و الشفرة قطعت کأحاک فیهما و (بار) الشیء یبور بورا بالضّم هلک.

الاعراب

إضافة وثیقة دین و سداد طریق من إضافة الصّفة إلی موصوفه و التاء فی الوثیقة للنّقل من الوصفیّة إلی الاسمیّة کما قیل أو للمبالغة، و جملة فلا یسمعنّ، فی محلّ الرّفع خبر من و لتضمّن المبتدأ معنی الشّرط اتی بالفاء فی خبره، و الضمیر فی قوله: إنّه، للشأن، و الواو فی قوله: و باطل ذلک، للحال.

المعنی

اعلم أنّ المقصود بهذا الکلام النّهی عن التسرّع إلی التصدیق بما یقال فی حقّ الانسان الموصوف بحسن الظاهر المشهور بالوثوق و الصّلاح و التدّین ممّا یعیبه و یقدحه، و یدلّ علیه الأدلّة الدّالة علی حرمة الاصغاء إلی الغیبة علی ما تقدّم فی شرح الکلام السّابق، و إلیه اشیر فی قوله سبحانه: یا أیّها الّذین آمنوا إن جائکم فاسق بنبا فتبیّنوا أن تصیبوا قوما بجهالة فتصبحوا علی ما فعلتم نادمین إذا عرفت ذلک فأقول قوله:(أیّها النّاس من عرف من أخیه وثیقة دین و سداد طریق) أی دینا محکما و طریقا صوابا، قیل المراد بوثیقة الدّین اللّزوم للأحکام الشرعیّة و التقیید لا کمن یعبد اللّه علی حرف فان أصابه خیر اطمأنّ به و إن أصابته فتنة انقلب علی وجهه.

و لعلّ المراد بوثیقة الدّین العقیدة و بسداد الطریق حسن العمل کما یشعر به ما رواه الحافظ أبو نعیم بسنده عن أمیر المؤمنین علیه السّلام أنّه قال لابنه الحسن علیه السّلام:

یا بنیّ ما السّداد؟ فقال: یا أبتی السداد دفع المنکر بالمعروف، أی من عرف من أخیه المؤمن حسن الاعتقاد و العمل (فلا یسمعنّ فیه أقاویل الرّجال) أی أقاویلهم الّتی توجب شینه و تهدم مروّته و تسقطه عن أعین النّاس.

روى الصّدوق فى عقاب الأعمال باسناده عن محمّد بن الفضيل عن أبى الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام قال: قلت له: جعلت فداک الرّجل من اخوانى بلغنى عنه الشىء الذى أكرهه فأسأله عنه فينكر ذلک و قد أخبرنى عنه قوم ثقات، فقال عليه السّلام لى:

يا محمّد كذّب سمعک و بصرک عن أخيک و إن شهد عندک خمسون قسامة و قال لک قولا فصدّقه و كذّبهم، و لا تذيعنّ عليه شيئا تشينه به و تهدم به مروّته فتكون من الذّين قال اللّه: إنّ الّذين يحبّون أن تشيع الفاحشة فى الّذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدّنيا و الآخرة.

و فى الوسائل عن العياشى فى تفسيره عن الفيض بن المختار قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: لمّا نزلت المائدة على عيسى قال للحواريّين: لا تأكلوا منها حتّى آذن لكم، فأكل منها رجل فقال بعض الحواريين: يا روح اللّه أكل منها فلان، فقال له عيسى عليه السّلام: أكلت منها؟ فقال: لا، فقال الحواريّون: بلى و اللّه يا روح اللّه لقد أكل منها، فقال عيسى عليه السّلام: صدّق أخاک و كذّب بصرک.

ثمّ علّل عليه السّلام عدم جواز استماع أقاويل الرّجال و تصديقها بالمثل الّذى ضربه بقوله (أما أنّه قد يرمى الرّامى و تخطىء السهام) يعنى أنّه ربما يرمى الرّامى سهمه فلا يصيب الغرض بل يخطيه (و) كذلک قد يتكلّم إنسان بكلام يعيب به على غيره أو يغتابه ف (يحيل الكلام) و يستحيل و يعدل عن وجه الصّواب و يخالف الواقع و لا يعيبه إما لغرض شخصىّ فاسد للقائل فى المقول عليه من العداوة و الشحناء و الحسد و نحوها فيرميه بالعيب و يطعنه بالغيب لذلک، و إمّا لشبهة منه فيه بأن يشتبه الأمر عليه فيظنّ المعروف منكرا مثل ما لو رأى فى يد أحد قارورة مملوّة يشرب منها فظنّها خمرا و هو خلّ فيتّهمه بشرب الخمر.

و لذلک ورد فى الأخبار المستفيضة حمل فعل المسلم على الصّحة مثل ما رواه فى الكافى عن الحسين بن المختار عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى كلام له: ضع أمر أخيک على أحسنه حتّى يأتيک ما يغلبک منه، و لا تظنن بكلمة خرجت من أخيک سوءا و أنت تجد لها فى الخير محملا.

و عن إبراهيم بن عمر اليمانى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إذا اتّهم المؤمن أخاه انماث الايمان فى قلبه كما ينماث الملح فى الماء.

هـذا كلّه على روايـة يحيل باللاّم و أمّا على الرّوايـة الاخرى فالمراد به التنبه على أنّ ضـرر الكلام أقوى من ضـرر السـهام، و تأثيره أشدّ من تأثيرها، و ذلک لأنّ الرّامى قد يرمى فتخطئ سـهامه و لا تصـيب الغرض، و أمّا الكلام فيؤثر لا محالة و إن كان باطلا لأنّه يلوث العرض فى نظر من لا يعرفه و يسقط محلّ المقول فيه و منزلته من القلوب.

ثمّ قال تهديـدا أو تحذيرا و تنبيها على ضـرر ذلک الكلام الفاسد و القول الباطل على سبيل إرسال المثل (و باطل ذلک يبور و اللّه سـميع و شهيـد) يعنى أنّ الغرض و الغايـة من ذلک القول الّـذى يعاب به باطل نشأ من الحقـد و الحسـد أو التّصادم فى مال أو جاه أو نحو ذلک من الأغراض الباطلـة، و الباطـل انّمـا يبور أى يهلک و يفنى كما قال تعالى: إنّ الباطل كان زهوقا، و وزره يـدوم و يبقى لأنّه بعين اللّه السـميع البصير الشّاهد الخبير بمحاسن الأفعال و الأقوال و مقابحها المجازى بالحسنات عظيم الثواب و بالسيّئات أليم العقاب.

ثمّ نبّه على الفرق بين الحقّ و الباطل بقوله (أما أنّه ليس بين الحقّ و الباطل إلاّ أربع أصابع فسـئل عليه السّلام عن معنى قوله هذا) لاجماله و إبهـامه (فجمع أصـابعه) الأربع (و وضـعها بين أذنه و عينه ثمّ قـال: الباطـل أن تقول سـمعت، و الحقّ أن تقول رأيت) يعنى أنّ الباطـل هو المسموع و الحقّ هو المرئى، فتسامح عليه السّلام فى التفرقة بما ذكر تعويلا على الظهور، ضرورة أنّ الباطل ليس قولک سمعت، و لا الحقّ قولک رأيت، لأنّ قولک إخبار عن نفسک بالسّماع أو الرّؤية، و الحقّ و الباطل و صفان للمخبر عنه لا الخبر كما هو ظاهر.

فان قلت: كيف يقول الباطل ما يسمع و الحقّ ما يرى مع أنّ كثيرا من المسموعات حقّ لا ريب فيه، فانّ جلّ الأحكام الشرعيّة قد ثبت علينا بطريق النّقل

و السماع، و كذلک كثير من العقائد الاصولية كنبوّة نبينا و معجزاته و كذا نبوّة سائر الأنبياء و إمامة الأئمة و معجزاتهم عليهم السّلام و أخبار المعاد من الحشر و النّشر و البعث و الحساب و الجنّة و النّار و غيرها.

قلت: قد أجاب عنه الشّارح المعتزلى بأنه ليس كلامه فى المتواتر من الأخبار و إنّما كلامه فى الأقوال الشّاذّة الواردة من طريق الآحاد الّتى تتضمّن القدح فيمن قد علمت «غلبت خ» نزاهته، فلا يجوز العدول عن المعلوم بالمشكوک.

و أجاب الشّارح البحرانى بأنّ قوله: الباطل أن تقول سمعت، لا يستلزم الكلّية حتّى يكون كلّ ما سمعه باطلا، فانّ الباطل و المسموع مهملان يعنى انه ليس بقضية كلّية بل كلام خطابى مهمل يصدق بجزئى.

أقول: و لعلّ مرادهما أنّ اللاّم فى قوله: الباطل و الحقّ، للعهد و مراده عليه السّلام ليس تعريف مطلق الباطل و الحقّ بل التفرقة فى افراد ما يعاب به الغير و يتضمّن قدحه بأنّه على قسمين: أحدهما ما سمعته من غيرک، فهو باطل لأنّ من جاءک به فاسق لا يمكن الرّكون إليه فلا بدّ من الحكم ببطلان خبره و إن كان ما خاله صدقا فى نفس الأمر و الواقع، و ثانيهما ما أبصرته بعينک فهو الحقّ.

فان قلت: كيف التوفيق بين قوله عليه السّلام ذلک المفيد لحقيّة المرئى و بين روايتى عقاب الأعمال و الوسائل المتقدّمتين فى شرح قوله عليه السّلام: فلا يسمعنّ فيه أقاويل الرّجال، حيث أمر فيهما بتكذيب البصر فيما شاهدته.

قلت: لا منافاة بينهما، لأنّ المراد بتكذيب البصر فيهما عدم ترتيب الآثار على العيب الذى رآه و النّهى عن إذاعته و إفشائه للغير، لا أنّ ما رآه ليس بحق و محصلهما وجوب ستر ما رآه من أخيه و عدم هتک عرضه عند الغير، مثلا إذا رأى أنّه يشرب الخمر فان وجد لفعله محملا صحيحا كأن يحتمل أنّه خلّ أو أنّ شربه للدواء و العلاج، فلا بدّ من حمل فعله على الصّحة، و إن لم يجد له محملا فيحكم فى نفسه بفسق الشّارب، و لا يأتمنه فى امور يشترط فيها العدالة، و مع

ذلک فلا یجوز إظهار ما فعله لغیره تنقیصا له علی ما تقدّم فی شرح الکلام السّابق و اللّه العالم.

الترجمة

از جملهٔ کلام آن قدوه أنام است که فرموده:

ای مردمان هر کس که شناخت از برادر مؤمن خودش دین محکم و راه راستی را پس باید البتّه نشنود در حق او گفتارهای مردمان را، آگاه شوید که گاهست می اندازد اندازنده و خطا می کند تیرها و محال میباشد سخن و حال این که باطل کلام فاسد و تباه می شود و خدای تعالی شنونده است کلام بدگو را و شاهد است بر آن و جزا دهنده است بآن، آگاه باشید بدرستی که نیست میان حق و باطل مگر چهار انگشت پس سؤال کرده شد از آن حضرت از معنی این فرمایش او، پس جمع فرمود انگشتان مبارک خود را و نهاد آنها را میان گوش و چشم خود بعد از آن فرمود باطل آنست که گوئی شنیدم، و حق آنست که گوئی دیدم، یعنی مادامی که عیب أحدیرا با چشم خود ندیدهٔ و یقین نکردهٔ بمجرّد شنیدن از دیگران باور مکن

و من کلام له علیه السّلام و هو المأة و الثانی و الاربعون من

اشارة

المختار فی باب الخطب

و الظّاهر أنّه ملتقط من کلام طویل له علیه السّلام قدّمنا روایته فی شرح الکلام المأة و السّادس و العشرین من البحار من کتاب الغارات لابراهیم بن محمّد الثقفی من کتاب الکافی لمحمّد بن یعقوب الکلینی علی اختلاف عرفته.

و لیس لواضع المعروف فی غیر حقّه و عند غیر أهله من الحظّ فیما أتی إلاّ محمدة اللّئام، و ثناء الأشرار، و مقالة الجهّال ما دام منعما علیهم

ما أجود يـده و هو عن ذات اللّه بخيل، فمن آتاه اللّه مالا فليصل به القرابـة، و ليحسن منه الضّـيافة، و ليفكّ به الأسـير و العانى، و ليعط منه الفقير و الغارم، و ليصبر نفسه على الحقوق و النّوائب ابتغاء الثّواب فإنّ فوزا بهـذه الخصال شـرف مكارم الدّنيا، و درک فضائل الآخرة إنشاء اللّه.

اللغة

قال الفيومى (المحمدة) بفتح الميم نقيض المذمّة، و نقل ابن السـرّاج و جماعة بالكسـر و (الغارم) من عليه الدّين و (صبرت) صبرا من باب ضرب حبست النفس عن الجزع قال تعالى: و اصبر نفسک مع الذين يدعون ربّهم، و يسـتعمل تارة بعن کما فى المعاصى، و تارة بعلى کما فى الطاعات، و (النّوائب) جمع النائبة و هى النازلة التى تنوب على الانسان و تنزل عليه.

الاعراب

قوله و مقالة الجهّال ما دام منعما عليهم، ما ظرفيّة مصدريّة، و دام فعل ناقص و اسمه ضمير مستتر عايد إلى واضع المعروف، و منعما خبره، و إنّما جعلت ما مصدريّة لأنّها تؤل بمصدر مضاف إليه الزّمان أى مدّة دوامه منعما، و سميّت ظرفيّة لنيابتها عن الظرف، و هو المدّة، فأصل ما دام منعما مـدّة ما دام منعما، فحذف المضاف أعنى المدّة و ناب المضاف إليه و هو ما وصـلتها عنها فى الانتصاب على الظرفية کما ناب المصدر الصّـريح عن ظرف الزّمان فى نحو جئتک صـلاة العصـر أى وقت صلاة العصر، فعلى هذا يکون قوله: ما دام منعما، ظرفا للمقالة و منصوبا بها و قيدا لها و جملة ما أجود يده، فى محلّ النّصب مقول القول أى مقالتهم ذلک، و الواو

فى قوله، و هو حالية، و الفاء فى قوله: فمن أتاه، فصيحة، و عطف العانى على الأسير للتفسير، و الفاء فى قوله: فانّ فوزا، للسببيّة.

المعنى

اشارة

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السّلام وارد فى معرض الذّم على صرف المال فى غير أهله و الحثّ على صرفه فى وجوه البرّ و مصارف الخير.

أمّا الأوّل أعنى صرف المال لغير مستحقّه فقد نبّه على خساسة ثمرته و زهادة منفعته بقوله (و ليس لواضع المعروف) أى البرّ و الاحسان (فى غير حقّه) أى غير المحلّ الّذى هو حقيق به و حقّ له (و عند غير أهله) و مستحقّه من الحظّ و النصيب فيما أتى و جاء به (إلاّ محمدة اللّئام) الموصوفين بدنائة النّفس و رزالة الطبع (و ثناء الأشرار) و الفجّار (و مقالة الجهّال ما دام منعما عليهم ما أجود يده) يعنى أنّ الجهلة و السفهة يصفونه بالكرم و الجود و يقولون إنّه جواد ما دام إنعامه عليهم حتّى إذا انقطع انعامه عنهم يبدلون الشّكر بالكفران، و الثناء بالمذمّة، بل ربّما يجعلون الشّر عوض الشكر استجلابا لذلك الانعام المنقطع، و استعادة له فهذا الرّجل و إن كان السفلة و السّفهاء يصفونه بالجود لجهلهم بوضع الأشياء فى مواضعها التى هى مقتضى العقل و الشّرع، و لكنّه ليس بجواد فى نفس الأمر و عند اولى الألباب العارفين بمواضع الأشياء و مواضعها التى يحسن وضعها فيها، بل يصفونه العقلاء بالبخل كما قال عليه السّلام (و هو عن ذات اللّه بخيل) يعنى أنّه بخيل عما يرجع إلى ذات اللّه سبحانه و يحصل رضاه كوجوه البرّ الواجبة و المندوبة من الصدّقات و صلة الرّحم و الضيافة و الحقّ المعلوم للسّائل و المحروم و نحوها.

و توضيح المرام موقوف على تحقيق الكلام فى معنى الجود و البخل.

فنقول: المال خلق لحكمة و مقصود و هو صلاحه لحاجات الخلق، و يمكن إمساكه عن الصّرف إلى ما خلق للصّرف إليه و يمكن بذله بالصّرف إلى ما لا يحسن

الصّرف إليه، و يمكن التّصرّف فيه بالعدل و هو أن يحفظ حيث يجب الحفظ، و يبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل، و البذل حيث يجب الامساک تبذير و إسراف، و الوسط بينهما و هو الجود و السّحاء محمود قال سبحانه: و الّذين إذا أنفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا و كان بين ذلک قواما، فالوسط بين الاسراف و الاقتار هو الجود، و هو أن يقدّر بذله و امساكه بقدر الواجب.

و الواجب قسمان: واجب بالشّرع و واجب بالمروّة و العادة، فمن منع واحدا منهما فهو بخيل، و لكنّ المانع من واجب الشرع أبخل كالمانع من أداء الزّكاة و نفقة عياله الواجبی النفقة، و أما واجب المروّة فهو ترک المضايقة و الاستقصاء فی المحقرات، فانّ ذلک مستقبح و يختلف استقباحه باختلاف الأحوال و الأشخاص فيستقبح من الغنی ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة، و كذلک من الرّجل مع أهله و أقاربه ما لا يستقبح مع الأجانب، و كذلک يستقبح المضايقة من الجار فی حقّ الجار دون البعيد، و فی الضيافة دون المعاملة، و بالنسبة إلی العالم دون الجاهل و هكذا.

فمن أدّی واجب الشّرع و واجب المروّة اللاّئقة فقد تبرّء من البخل، نعم لا يتّصف بصفة الجود و السّخاء ما لم يبذل زيادة علی ذلک لطلب الفضيلة و نيل الدّرجات، فاذا اتّسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع و لا يتوجّه إليه الملامة فی العادة فهو جواد بقدر ما تتّسع له نفسه من قليل أو كثير، و درجات ذلک متفاوتة غير محصورة، فاصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة و المروّة هو الجود، و لكن يشترط فيه أمران:

أحدهما أن يكون عن طيب نفس و الثّانی أن لا يكون عن طمع عوض و لو ثناء و محمدة و شكرا، فانّ من طمع فی الشّكر و الثّناء ممّن يحسن إليه أو من غيره فانّه بيّاع ليس بجواد، فانّه يشتری المدح بماله، و المدح لذيذ و هو مقصود فی نفسه و كذلک لو كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا أو من ملامة الخلق أو دفع شرّ، فكلّ ذلک ليس من

الجود لأنّه مضطرّ إليه بهذه البواعث نعم لو لم يكن غرضه إلاّ الثّواب فى الآخرة و تحصيل رضاء اللّه سبحانه و اكتساب فضيلة الجود و تطهير النّفس من رذالة الشّح فهو الجواد و الموصوف بالسخاء.

إذا عرفت ذلک فقد ظهر لک أنّ وضع المعروف فى غير حقّه و عند غير أهله أو لرجاء العوض و المنفعة فليس جوادا فى الحقيقة و عند أهل المعرفة و البصيرة، كما نبّه به الامام عليه السّلام و نهى عنه.

ثمّ أرشد عليه السّلام إلى ما ينبغى القيام به لمن آتاه اللّه المال و الثّروة بقوله (فمن آتاه اللّه مالا فليصل به) الرّحم و (القرابة) فقد روى فى الوسائل من الكافى باسناده عن السّكونى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سئل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أىّ الصّدقة أفضل، فقال: على ذى الرّحم الكاشح.

و بهذا الاسناد عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: الصّدقة بعشرة و القرض بثمانية عشر و صلة الاخوان بعشرين و صلة الرّحم بأربعة و عشرين.

و فى الوسائل أيضا عن الصّدوق قال: قال عليه السّلام لا صدقة و ذو رحم محتاج و باسناده عن شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد عن الصّادق عن آبائه عليهم السّلام عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حديث المناهى قال: و من مشى إلى ذى قرابة بنفسه و ماله ليصل رحمه أعطاه اللّه عزّ و جلّ أجر مائة شهيد و له بكلّ خطوة أربعون ألف حسنة و محى عنه أربعون ألف سيّئة، و رفع له من الدّرجات مثل ذلک، و كان كأنّما عبد اللّه عزّ و جلّ مأئة سنة صابرا محتسبا، هذا.

و قد مضى جملة من منافع صلة الرّحم و مضارّ القطيعة و الأخبار المتضمّنة لهذا المعنى فى شرح الفصل الثّانى من الخطبة الثّالثة و العشرين فليراجع.

(و ليحسن منه الضّيافة) قال الصّادق عليه السّلام لحسين بن نعيم الصحّاف فى حديث رواه فى الكافى: أ تحبّ إخوانک يا حسين؟ قلت: نعم، إلى أن قال أ تدعوهم إلى منزلک؟ قلت: نعم ما آكل إلاّ و معى منهم الرّجلان و الثلاثة و الأقلّ و الأكثر، فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: أما إنّ فضلهم عليک أعظم من فضلک عليهم، فقلت: جعلت

فداک أطعمهم طعامی و أوطئهم رحلی و یکون فضلهم علیّ أعظم قال: نعم إنّهم إذا دخلوا منزلک دخلوا بمغفرتک و مغفرة عیالک، و إذا خرجوا من منزلک خرجوا بذنوبک و ذنوب عیالک.

(و لیفکّ به الأسیر و العانی و لیعط منه الفقیر و الغارم) أی المدیون (و لیصبر نفسه علی الحقوق) الواجبة و المندوبة کالزّکاة و الصّدقات، أی لیحبس نفسه علی أدائها، و إنّما سمّی حبسا لأنّه خلاف ما یمیل إلیه الطّبع و النفس الامارة (و النّوائب) التی تنزل به من الحوادث و المهمّات الموجبة لغرمه.

کما فی حدیث الجهاد عن أبی الحسن علیه السّلام فی قسمة الغنائم ثمّ قال: و یأخذ یعنی الامام الباقی فیکون بعد ذلک أرزاق أعوانه علی دین اللّه و فی مصلحة ما ینویه من تقویة الاسلام و تقویة الدّین فی وجوه الجهاد و غیر ذلک ممّا فیه مصلحة العامة قال الشّارح البحرانی: و أشار بالنّوائب إلی ما یلحق الانسان من المصادرات التی یفکّ بها الانسان من أیدی الظالمین و ألسنتهم، و الانفاق فی ذلک من الحقوق الواجبة علی الانسان، انتهی.

و الأظهر التّعمیم حسب ما ذکرنا و لمّا أشار إلی المواضع التی یحسن وضع المال فیها و صرفه إلیها أردفه بقوله (ابتغاء الثواب) تنبیها علی أنّ حسنه إنّما یکون إذا قصد به وجه اللّه سبحانه و طلب جزائه لا عن قصد ریاء و سمعة.

ثمّ نبّه علی ما یترتّب علی هذه الخصال الحسنة من الأجر الجمیل و الجزاء الجزیل بقوله (فانّ فوزا بهذه الخصال) الخمس (شرف مکارم الدّنیا و درک فضائل الآخرة إنشاء اللّه) لأنها توجب الذکر الجمیل و الجاه العریض فی الاولی و الثواب الجزیل الموعود لاولی الفضل و التّقی فی العقبی، هذا.

و انّما أتی فوزا بالتنکیر و لم یقل فانّ الفوز بهذه الخصال قصدا إلی التّقلیل یعنی أنّ قلیل فوز بهذه یوجب شرف الدّنیا و الآخرة کما فی قوله تعالی، و رضوان من اللّه أکبر، أی رضوان قلیل منه سبحانه أکبر من ذلک کلّه علی ما ذهب إلیه صاحب التّلخیص.

ص:403

و هـذا أقرب و أولى بل أظهر ممّا قاله الشّارح المعتزلى فى وجه تعليل التنكير حيث قال: قوله: فانّ فوزا أفصـح من أن يقول فانّ الفوز أو فإنّ فى الفوز كما قال الشّاعر:

إنّ شواء و نشوة و خبب البازل الأمون من لذّة العيش للفتى فى الدّهر و الدّهر ذو فنون

و لم يقل إنّ الشواء و النشوة، و السـرّ فى هذا أنّه كأنّه يجعل هذا المصدر و هذا الشواء شـخصا من جملة اشخاص داخلة تحت نوع واحد و يقول: إنّ واحـدا منهـا أيّهـا كـان فهو من لـذّة العيش و إن لم يحصل له كلّ أشـخاص و ذلك النوع و مراده عليه السّلام تقرير فضـيلة هـذه الخصال فى النفوس أى متى حصل للانسان فوز بأيّها فقـد حصل له الشّرف، و هذا المعنى و إن أعطاه لفظة الفوز بالألف و اللاّم إذا قصـد بها الجنسيّة إلاّ أنّه قد يسبق إلى الذّهن منها الاستغراق لا الجنسية فأتى بلفظة لا توهم الاستغراق و هى اللّفظة المنكرة، و هذا دقيق و هو من لباب علم البيان، انتهى.

و فيه أوّلا أنّ الذّوق السّليم يحكم بأنّ القصد فى التنكير هنا إلى التقليل لا إلى الافراد كما فى جاء رجل من أقصى المدينة و فى قوله: و اللّه خلق كلّ دابّة من ماء، أى كلّ فرد من أفراد الدّواب من فرد من أفراد الماء أى النطفة المختصّة به فتأمّل تعرف.

و ثانيا أنّ قوله: و هذا المعنى و إن أعطاه لفظة الفوز ممنوع، لظهور أنّ النكرة هو الفرد المنتشـر، و البعض الغير المعيّن المعرّف بلام الجنس موضوع لماهيّة من حيث هى و بينهما بون بعيد.

و ثالثا أنّ قوله: قد يسـبق إلى الذّهن منها الاسـتغراق لا الجنسية، يدفعه أنّ المتبادر من المعرّف باللاّم المفرد هى الماهية لا بشرط، و بعبارة اخرى المتبـادر السّـابق إلى الـذّهن من المفرد المحلّى باللاـّم هى نفس الحقيقـة، من دون نظر إلى الافراد كلاّ أو جزء، فمن أين يسـبق إلى الذّهن الاستغراق إن هو إلاّ توهّم فاسد و به يظهر فساد ما زعمه الشّارح البحرانى أيضا حيث قال: و إنّما نكّر الفوز

لأنّ تنكيره يفيد نوع الفوز فقط الّذى يحصل بأىّ شخص كان من أشخاصه و هذا و إن كان حاصلا مع الألف و اللاّم لتعريف تلك الطبيعة إلاّ أنّ ذلک التعريف مشترک بين تعريف الطبيعة و المعهود الشخصى فكان موهما لفوز شخصىّ، و ذلک كان الاتيان به منكرا أفصح و أبلغ انتهى.

وجه ظهور الفساد منع اشتراک المعرّف بلام الحقيقة بين تعريف الطّبيعة و المعهود الشخصى ذهنيّا كان أو خارجيّا، بل هو حقيقة فى الأوّل فقط، و مجاز فى غيره، و انفهامه منه محتاج إلى القرينة، و ليست فليس، مضافا إلى ما استظهرناه من افادة التنكير للتقليل لا النوع فى ضمن أىّ شخص فافهم و تبصّر.

تذنيب فى الاخبار الواردة فى ذمّ وضع المعروف فى غير موضعه و مع

غير أهله

ففى الوسائل من الكافى باسناده عن سيف بن عميرة قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام لمفضّل بن عمر: يا مفضّل إذا أردت أن تعلم أشقىّ الرّجل أم سعيد فانظر سيبه و معروفه إلى من يصنعه فان كان يصنعه إلى من هو أهله فاعلم أنّه إلى خير و إن كان يصنعه إلى غير أهله فاعلم أنّه ليس له عند اللّه خير.

و من الكافى عن العدّة عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن محمّد بن سنان عن مفضّل ابن عمر قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: إذا أردت أن تعرف إلى خير يصير الرّجل أم إلى شرّ فانظر أين يضع معروفه فان كان يضع معروفه عند أهله فاعلم أنّه يصير إلى خير، و إن كان يضع معروفه مع غير أهله فاعلم أنّه ليس له فى الآخرة من خلاق.

و فى الوسائل عن الصّدوق باسناده عن قتادة بن عمرو و أنس بن مالک عن أبيه جميعا فى وصيّة النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعلىّ عليه السّلام قال: يا علىّ أربعة تذهب ضياعا:

الأكل على الشّبع، و السّراج فى القمر، و الزّرع فى السبخة، و الصّنيعة عند غير أهلها.

و فيه من مجالس ابن الشّيخ عن أبيه عن أبى محمّد الفحام عن المنصورى عن

عمّ أبيه عن الامام علىّ بن محمّد عن أبيه عن آبائه واحدا واحدا عليهم السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: خمس تذهب ضياعا: سراج تقسده فى شمس، الدّهن يذهب و الضّوء لا ـ ينتفع به، و مطرجود على أرض سبخة المطر يضيع و الأرض لا ينتفع بها، و طعام يحكمه طاهيه يقدم إلى شبعان فلا ينتفع به، و امرأة تزف إلى عنين فلا ينتفع بها، و معروف يصطنع إلى من لا يشكره.

الترجمة

از جملۀ كلام بلاغت نظام آن امام عليه الصّلاة و السّلام در ارشاد مردمان بر مواقع و مصارف احسان مى فرمايد:

و نيست مر نهندۀ احسان را در غير محلى كه لايق است بأو در نزد غير أهل و مستحق آن از حظ و نصيب در آنچه آورده مگر ستايش لئيمان و ثناء شريران و گفتار جاهلان مادامى كه احسان كننده است بر ايشان: چه سخى نموده دست او را و حال آنكه آن شخص بخيل است از ذات بارى تعالى، پس هر كه عطا كند او را خداوند سبحانه مالى را پس بايد وصل نمايد آن را بأقربا و أقوام خود و بايد كه نيك سازد از آن مهمانى را، و بايد كه برهاند بآن اسير و دست گير را، و بايد كه بدهد از آن فقير قرض دار را، و بايد كه حبس نمايد نفس خود را بر أداء حقوق واجبه و مندوبه و حوادثات روزگار، بجهة طلب ثواب از حضرت پروردگار، پس بدرستى كه فائز شدن باين خصلتها بزرگوارى مكرمتهاى دنيا است، و رسيدن بفضيلتهاى عقبى إنشاء اللّه تعالى.

هنا انتهى الجزء الثامن من هذه الطبعة الجديدة القيمة و تمّ تصحيحه و تهذيبه بيد العبد «السيد ابراهيم الميانجى» عفى عنه و عن و الديه و ذلك فى اليوم الرابع و العشرين من المحرم سنة «1381» و يليه انشاء اللّه الجزء التاسع و اوله أول المختار المأة و الثالث و الاربعين، و الحمد للّه كما هو أهله

درباره مرکز

بسمه تعالی

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

با اموال و جان های خود، در راه خدا جهاد نمایید، این برای شما بهتر است اگر بدانید.

(توبه : 41)

چند سالی است که مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه موفق به تولید نرم‌افزارهای تلفن همراه، کتاب‌خانه‌های دیجیتالی و عرضه آن به صورت رایگان شده است. این مرکز کاملا مردمی بوده و با هدایا و نذورات و موقوفات و تخصیص سهم مبارک امام علیه السلام پشتیباني مي‌شود.

براي خدمت رسانی بیشتر شما هم می توانید در هر کجا که هستید به جمع افراد خیراندیش مرکز بپیوندید.

آیا می‌دانید هر پولی لایق خرج شدن در راه اهلبیت علیهم السلام نیست؟

و هر شخصی این توفیق را نخواهد داشت؟

به شما تبریک میگوییم.

شماره کارت :

6104-3388-0008-7732

شماره حساب بانک ملت :

9586839652

شماره حساب شبا :

IR390120020000009586839652

به نام : (موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه)

مبالغ هدیه خود را واریز نمایید.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان -خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی -پلاک 129/34- طبقه اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: 03134490125

دفتر تهران: 88318722 ـ 021

بازرگانی و فروش: 09132000109

امور کاربران: 09132000109

مرکز تحقیقات رایانه ای
قائمیه
اصفهان
www
برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشـــانی
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹